جمالات الجنـــة

ونعيم أهلها

للامام المجدد السيد محمد ماضي ابوالعزائم
مسجده وضريحه ومكتبته العلمية بالقاهرة
ومشيخة الطريقة العزمية
السيدة زينب تقاطع شارع مجلس الشعب مع تقاطع شارع
بورسعيد
تليفون المكتبة / 002 022 3901030

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى كل مسلم يشتاق إلى جنة عرضها السموات

والأرض أعدت للمتقين ، فيها ما لا عين رأت

ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر .

نهدي هذا الكتاب

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم .

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، والصلاة والسلام على حبيب الله ومصطفاه ، شمس الحق المشرقة بنور هداه، شفيع المذنبين يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ، وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين ، ورضي الله عن صحابته الهادين المهديين ، ومن اهتدى بهداه إلى يوم الدين، وبعد.

الجنة وعد الله لعباده المتقين ، وهي الجزاء والثواب العظيم الذي أعده الله تعالى لأهل طاعته ، مما ذكره الله سبحانه: ﴿ أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر ﴾ ثم قال سيدنا ومولانا رسول الله " ﷺوآله " : ﴿ اقرءُوا إن شئتم : (فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ) [1] ﴾[2].

ونعيم الجنة لا وجه للمقارنة بينه وبين متاع الدنيا ، إذ متاع الدنيا بالنسبة لنعيم الجنة لا يساوي شيئا ، قال "ﷺ وآله" : ﴿ موضعُ سوطٍ في الجنةِ خيرٌ من الدنيا وما فيها ﴾[3].

وسعادة المؤمنين لا توصف عندما يساقون إلى الجنة زمرا ؛ قال الله تعالى: ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَراً حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴾[4].

ومع أن سيدنا ومولانا رسول الله " ﷺ وآله " قد جاء بالترغيب والترهيب معا ؛ لكن صوت الترهيب علا في زماننا فاقتصرت الخطب والمواعظ والدروس – في كثير منها – على

---

(١) السجدة : ١٧.
(٢) رواه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة في كتاب : بدء الخلق.
(٣) صحيح البخاري .
(٤) الزمر :٧٣.

ذكر عذاب القبر ووحشته ، حتى أصبح المسلمون كغثاء السيل يحبون الدنيا ويكرهون الموت .

فكان لزاما أن تصحح هذه المفاهيم ، وذلك بالتركيز على ذكر الجنة وصفتها ونعيمها وما أعده الله تعالى لأهلها ، لتتضح للمسلم غاية يسعى إليها ، وهدفا يتوق إليه ، ويهون من أجله كل شيء .

وصف الجنة لم يذكر في الكتب السابقة :

لم يذكر في الإنجيل أي تفصيل للجنة والجحيم والقيامة وجزاء الأعمال فيها إلا بالإجمال، ولا أثر لهذا في الأسفار الخمسة لسيدنا موسى عليه السلام ، بل لا يوجد فيها سوى المواعيد الدنيوية للمطيعين ، والتهديدات الدنيوية للعاصين ، كما ذكره الشيخ رحمت الله الهندي (١) .

وقوله هذا عن الأسفار الخمسة قال به كثيرون من السابقين عليه ، ومن الآتين من بعده، يقول القاضي أبو الوليد محمد بن رشد في كتابه : (تهافت التهافت) : أول من قال بحشر الأجساد هم أنبياء بني إسرائيل الذين أتوا بعد موسى عليه السلام وذلك بيِّن من الزبور ومن كثير من الصحف المنسوبة لبني إسرائيل ، ومن قبل ابن حزم في كتابه : (الفصل في الملل والأهواء والنحل) يقول عن السامريين من بني إسرائيل : "ولا يقرون بالبعث البتة" ويقول عن العبرانيين : " ليس في توراتهم ذكر معاد أصلاً ولا لجزاء بعد الموت " .

ومن بعدهم الشيخ محمد أبو زهرة في كتابه (محاضرات في النصرانية) عن اليهود : "إن التوراة التي بأيديهم خلت من ذكر اليوم الآخر ونعيمه أو جحيمه" .

والكتاب السماوي الوحيد الذي أورد تفصيلاً لوصف الجنة ونعيمها وصفًا دقيقًا هو القرآن الكريم ، وفصَّل سيدنا ومولانا رسول الله "ﷺ وآله" في أحاديثه الشريفة ما أجمله القرآن الكريم في مواضع عدة من آياته الشريفة .

---

(١) إظهار الحق للشيخ رحمت الله الهندي (بتصرف) .

لقد كان سيدنا ومولانا رسول الله " ﷺ وآله " يصف الجنة لأصحابه رضي الله عنهم؛ وكأنما بدقة وصفه لها قد اقتطعهم من الدنيا ، وأدخلهم الجنة فعاينوها ، وعايشوا أهلها ، وعانقوا حورها ، وطعموا طعامها ، وشربوا شرابها ، فنظروا جمالها ، وشموا عبق عبيرها ، وذاقوا لذة حسنها ، فزهدوا في الدنيا وما فيها وصغرت في أعينهم ، وسارعوا إلى الجهاد في سبيل الله تعالى شوقًا إلى الجنة .

وها هو سيدنا ومولانا رسول الله " ﷺ وآله " قد خرج من عريشه إلى الناس في غزوة بدر الكبرى ؛ فحرضهم وقال : ﴿ والذي نفسُ محمدٍ بيدِه لا يقاتلُهم اليومَ رجلٌ فيُقتَلُ صابرًا محتسِبًا ؛ مقبلاً غيرَ مدبِرٍ ؛ إلا أدخلهُ اللهُ الجنةَ ﴾ .

فيقول عمير بن الحمام رضي الله عنه وبيده تمرات يأكلهن : بَخٍ بَخٍ – كلمة تقال لتعظيم الأمر والتعجب منه – ما بيني وبين أن أدخل الجنة إلا أن يقتلني هؤلاء ، ثم قذف التمرات من يده وأخذ سيفه فقاتل القوم حتى قُتل.

وفي رواية أنه " ﷺ وآله " قال : ﴿ قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين ﴾ فقال عمير بن الحمام : بَخٍ بَخٍ ، فقال " ﷺ وآله ": ﴿ لِمَ تُبَخْبِخُ ؟ ﴾ فقال : رجاء أن أكون من أهلها ، فأخذ تمرات فجعل يلوكهن ، ثم قال : والله إن بقيتُ حتى ألوكهن – وفي لفظ : إن حييتُ حتى آكل تمراتي هذه – إنها لحياة طويلة. فنبذهن ، وقاتل ، ولا زال يقاتل حتى نال الشهادة ؛ رضي الله عنه.

وأورد البخاري وغيره عن أنس رضي الله عنه أن عمه أنس بن النضر رضي الله عنه لم يشهد بدرا مع رسول الله " ﷺ وآله " ؛ فشق ذلك على قلبه وقال : أول مشهد شهده رسول الله "ﷺ وآله" غبت عنه ، أما والله لئن أراني الله مشهداً مع رسول الله " ﷺ وآله " ليرين الله ما أصنع.

قال : فشهد أُحدًا في العام القابل فاستقبله سعد بن معاذ رضي الله عنه فقال : إلى أين ؟ قال: واها لريح الجنة ، إني لأجد ريحها دون أحد .

فقاتل حتى قُتل ، ووُجد في جسده بضع وثمانون ما بين رمية وضربة ، فقالت أخته : ما عرفت أخي إلا ببنانه . فنزلت هذه الآية : ﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ... ﴾[1].

وهذا الكتاب الذي بين يديك – أخي المسلم – نقدمه ، ليجد فيه الدعاة إلى الله تعالى مادة لبيان الجنة ونعيمها ، ونشر محاسنها وجمالاتها بين الناس في المساجد والمنتديات والمناسبات ، لتشتاق إليها النفوس ، وتهفو إليها الأفئدة ، وترتقي الهمم للأخذ بمعالي الأمور التي يحبها الله تعالى .

تنبيه :

ونود أن ننبه القارئ الكريم لكتابنا هذا أننا قد نحونا في العديد من المواضع فيه إلى ذكر أسماء أئمة أهل البيت عليهم السلام مشفوعة بالسلام عليهم ، فمثلا نقول : الإمام عليّ عليه السلام ... وهكذا كل من له نسب محمدي طيّب طاهر حتى عصرنا هذا .

وليس هذا بغريب على ذي فقه بكتاب الله تعالى وسنة رسوله " ﷺ وآله " ، وإنما يأتي الاستغراب بسبب قلة تداول ذكر السلام على أهل البيت النبوي بين الكتّاب والمتحدثين ، حتى امتد ذلك أيضا إلى عدم ذكر الصلاة على الآل في كتب الكثير من العلماء ، وذلك يتنافى مع معاني قول الله تعالى: ﴿ قُل لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ﴾ وما أمرنا الله تعالى به في كتابه أن نعطي كلَّ ذي حقٍّ حقَّه بقوله سبحانه : ﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ﴾[2] وقوله " ﷺ وآله " : ﴿ أعْطِ كلَّ ذِي حقٍّ حَقَّهُ ﴾ .

وقد علّم سيدُنا ومولانا رسولُ الله " ﷺ وآله " أصحابَه كيف يصلون عليه كما ورد في البخاري : حَدَّثَنَا قَيْسُ بْنُ حَفْصٍ وَمُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ قَالا : حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنُ زِيَادٍ حَدَّثَنَا أَبُو فَرْوَةَ مُسْلِمُ بْنُ سَالِمٍ الْهَمْدَانِيُّ قَالَ: حدثني عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عِيسَى سَمِعَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ

---

(١) الأحزاب : ٢٣.
(٢) الإسراء :٢٦.

ابْنَ أَبِي لَيْلَى قَالَ : لَقِيَنِي كَعْبُ بْنُ عُجْرَةَ فَقَالَ : أَلا أُهْدِي لَكَ هَدِيَّةً سَمِعْتُهَا مِنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقُلْتُ : بَلَى فَأَهْدِهَا لِي ، فَقَالَ : سَأَلْنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْنَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ،كَيْفَ الصَّلاةُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ عَلَّمَنَا كَيْفَ نُسَلِّمُ عَلَيْكُمْ؟ قَالَ : ﴿ قُولُوا : اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ، اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ﴾[١].

فجعل "ﷺ وآله" الصلاة والتسليم على أهل البيت حقا لا ينتقص أبدا .

وعن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه ؛ قال رسول الله " ﷺ وآله " : ﴿ مَنْ صَلَّى صَلاةً لَمْ يُصَلِّ فِيهَا عَلَيَّ وَعَلَى آلِ بَيْتِي لَمْ تُقْبَلْ ﴾[٢]، وقد أخذ الإمام الشافعي رضي الله عنه[٣] بظاهر هذا الحديث وحَكم بوجوبها عن النبي " ﷺ وآله " .

ونحن إذ نصلي ونسلم على أهل بيت النبي " ﷺ وآله " عند ذكرهم أو كتابة أسمائهم ؛ إنما نتأسى في ذلك بسيدنا ومولانا رسول الله " ﷺ وآله " ونأتمر بأمره ؛ نتبع ولا نبتدع ، ونذكِّر بحق أهل البيت عليهم السلام في ذلك ؛ بعد أن نسيه – أو تناساه – كثير من المسلمين ، سائلين الله تعالى أن يجدِّد بنا معالم الدين ، ويحيي سنة سيد المرسلين " ﷺ وآله " .

وبالله تعالى التوفيق ، وعليه سبحانه قصد السبيل ، اللهمَّ صلِّ على سيدِنا محمدٍ وآلِـهِ وسلِّمْ ، وأعطِنا الخيرَ ، وَادْفَعْ عنَّا الشرَّ ، ونَجِّنا واشْفِنا يا ربَّ العالمين .

---

(١) رواه البخاري ، كتاب الأنبياء الحديث رقم ١٠.
(٢) أخره الدارقطني والبيهقي .
(٣) الأم للإمام الشافعي .

الباب الأول

خاتمة الحسنى وجنة البرزخ

خاتمة الحسنى

معلوم أن الإنسان بما ركب فيه من عناصر تقتضى تغيراته ؛ حتى إذا تم اعتبار المثنوية تحقق بأنه لا يصفو نفسًا من الأنفاس إلا وهو تحت تأثير تلك التغيرات : فتراه موفقًا للخير مقبلاً على الله بكليته ، وأخرى ملتفتًا عن الحق سلس القياد للشهوة ؛ حريصًا على الدنيا والسعى لها ، ومرة تراه زاهدًا ورعًا خاشع القلب خانع الجوارح لله تعالى ، وأخرى تراه فى حيرة ودهشة مما يرد عليه من غرائب الآيات وأسرارها ، وآنًا يكون كافرًا جاحدًا منكرًا .

وكل تلك التأثيرات والانفعالات النفسية خصوصًا إذا كبِرت سنه ؛ وضعفت قوته ؛ وتحقق الورود على البرزخ ؛ ويخاف الرجل من سوء ذنوبه ومن الحساب يوم لقاء ربه ؛ ويحزن على أولاده وأهله بعد مفارقته إياهم ؛ فلمزيد الفضل من الله تعالى طمأن قلوب من آمنوا به وبآياته ، وعملوا الأعمال الصالحة المبينة في شرح قوله تعالى:﴿ من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾[1].

ففي قوله تعالى: ﴿ ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ أي : أنه تعالى بدل سيئاهم حسنات ، فأمنوا على أنفسهم في الحساب يوم لقائه ، وأظهر لهم سبحانه – إما بإلهام أو وارد أو بشرى من ولى عارف – بأن الله يكون وليًا ووكيلاً على أولاده .

وتلك الآية بعد خبر الله تعالى بقوله : ﴿ فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ تدل على أن هذه البشرى من الله تعالى لمن أقامهم الله مقام المخاطبين بكلامه، لأن الله لو منحهم هذا الأجر الذي هو عنده لما خطر على قلوبهم دواعى خوف أو مقتضيات حزن .

---

(١) راجع : (أسرار القرآن) للإمام المجدد أبي العزائم ج١ ص١٥٧ تفسير الآية (٦٢) من سورة البقرة .

وقد يكون خوف كمل أولياء الله تعالى أشد من خوف العصاة ، لأن أولياء الله تعـالى يخافون أن يوقفهم موقف عدل ، أو يحجبهم عن شهود جماله العلي ، أو يبعدهم عن الأنـس على بساط مؤانسته قدام وجهه ، أما العصاة فخوفهم من النار التي تفرق الأجسام .

أما النار التي توقد في القلوب فمنها خوف العارفين والمقربين ، وهي المشار إليها بقولـه تعالى : ﴿ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ*الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الأَفْئِدَةِ ﴾(١) .

﴿ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ أي : لا يحصل لهم حزن ، والحزن قبض القلب من توقع ضرر أو غلبة عدو أو دَيْن ، أو من خوف ضياع خير أو مفارقته ، والإنسان بعد أن ألف الحياة الدنيا؛ واعتقد أنه سبب لنفع أهل أو أولاد أو أقارب ؛ إذا ظن أو تحقق مفارقته لهم يحزن ، فيكـون مع كرب الموت كرب تلك الحالة ، فيخفف الله عنه شدة الحزن بالبشائر عند الموت بأن الله تعالى يكون وليه ووصيه على من يفارقهم ، وفى حالة الصحة يرد على قلبه الثقة بالله تعـالى وانتظار النعيم المقيم يوم القيامة فيزول حزنه ، وقد وعد الله تعالى أهل الإيمان به بخفى ألطافه فى كل دور من أدوار حياهم مهما اعتورهم الأهوال والشدائد .

والمؤمن عند سكرات الموت تتنزل عليه الملائكة وهو في شديد الخوف وعظيم الحـزن ؛ فيقولون له : ما الذي أخافك ياعبد الله ؟ فيقول : أخاف ذنوبى وعقوبة ربى ، فيقولون لـه : أبشر بخير فإن ربك قد غفر لك ، وأعد لك ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطـر على قلب بشر من النعيم المقيم .

ويقولون له : علام تحزن ؟ فيقول : أحزن على أهلي وأولادي وأقاربي ، فيقولون لـه : يا عبد الله لا تحزن فإن الله وليك عليهم ووكيلك ، فيفرح المؤمن ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلا تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِـي كُنتُمْ تُوعَدُونَ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُـكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ نُزُلا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴾(٢) .

---

(١) الهمزة : ٦ – ٧.
(٢) فصلت : ٣٠ - ٣٢ .

حالة المؤمن عند لقاء ربه :

عند سكرات الموت تحضر ملائكة الرحمة وفي أيديهم حريرة بيضاء ، ويبشرون الرُّوح برضوان الله تعالى وحبه جل جلاله في لقائها ، ورجوعها إليه ، ويقولون لها : ارجعي إلى ربك راضية مرضية ، فتخرج الروح فرحة بلقاء ربها ، فتحمل في الحريرة البيضاء ، وينتشر منها أطيب من ريح المسك يشمه الملائكة وأهل القرب من الله تعالى ، فتتناولها الملائكة حتى تصل إلى السماء ، فتفتح لها أبواب السماء ، ويعجب ملائكة السماء من ريحها ، حتى تصل إلى أرواح المؤمنين ، فيستقبلونها ببشاشة ومسرة ، ويتبادرون إليها ليسألوها عن أهليهم وأقاربهم، ثم يقول بعضهم لبعض : دعوها فإنها كانت في هم الدنيا ، فإذا قالت لهم : إن فلانًا قد مات، فهل جاءكم ؟ فيقولون : لم يأتنا ، ولكن رد إلى سجين ، فتكون بحسب مقامها : إما في جوف طير أخضر يرعى في بساتين الفردوس ، أو في عليين ، أو فى ظلال صور الرحمة حتى تقوم القيامة .

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله " ﷺ وآله " : ﴿ إذا احتضر المؤمن أتت ملائكة الرحمة بحريرة بيضاء فيقولون : اخرجي راضية مرضيًا عنك إلى روح وريحان ، ورب غير غضبان ، فتخرج كأطيب ريح المسك ، حتى أنه ليناوله بعضهم بعضًا حتى يأتوا به أبواب السماء ، فيقولون : ما أطيب هذه الريح التي جاءتكم من الأرض ، فيأتون به أرواح المؤمنين ، فإنهم أشد فرحاً به من أحدكم بغائبه يقدم عليه فيسألونه : ماذا فعل فلان ؟ فيقولون : دعوه فإنه كان في غم الدنيا ، فإذا قال : فلان قد مات ما أتاكم ؟ قال : ذهب به إلى أمه الهاوية ﴾[١].

يقول الإمام المجدد السيد محمد ماضى أبو العزائم عليه السلام :

للقوم عند حلول الموت أحوالُ تنوعت وهى أمثال وأشكالُ
فمنهمو من يرى الأسماء تطلبه ومنهمو من يرى الأملاك والحال

(١) أخرجه النسائي .

فى ذاك مختلف عند الوجود لما تقضى الحقائق والتفصيل إجمال
ومنهمو من يرى الأرسال مقبلةً إليه تتحفه والرسل أعمال
ومنهمو من يرى التتريه يطلبه وهو الذى عنده التشبيه إضلال
وكلهم سعدوا والعين واحدة وعندهم فى جنان الخلد أشغال
هذا هو الحق لا تبغى به بدلاً وهو الصحيح الذى ما فيه إشكال

ويقول في دعاء له :

بيمناك فاقبض روح عبدك مسلمًا وكن لى يوم العرض مولاى مكرمًا
أنب بى إلهى مخلصا لك تائبًا عن الغيرعن نفسى ودنياى صائِمًا
ومن فتنة الدنيا ومن كل محنة أعذنى إلهى كى أكون مسلِّمًا
إليك فأقبل بى منيبًا ومخلصًا وعندك أنزلنى أكون منعمًا
وبدِّل إلهى كل وزرٍ خطيئةٍ لأقبل مشتاقاً إليك مهيمًا
وأسمعني ربى البشائر عندما يحين مماتى كى أرى الله منعمًا
أعذنى من الشيطان نفسى جوارحى أيارب قربنى إليك مكرمًا
ومن فتن تعمى تعم فنجنى لأخرج من دنياى برًا ومسلمًا
وهب لى لسان الصدق من بعد ميتتى يوالى به إحسان ربى دائمًا
وأشهدنا قبل الممات إلهنا جمالك والإحسان ربى ملازمًا

من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه :

عن السيدة عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله " ﷺ وآله " ﴿ من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه ، والموت قبل لقاء الله ﴾[1].

(١) رواه البخاري ومسلم والنسائي وابن ماجه وأحمد .

وعن السيدة عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله " ﷺ وآله " : ﴿ من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه ﴾ فقلت : يا نبي الله ! أكراهية الموت ؟ فكلنا نكره الموت ، فقال : ﴿ ليس كذلك ، ولكن المؤمن إذا بشر برحمة الله ورضوانه وجنته أحب لقاء الله ، فأحب الله لقاءه ، وإن الكافر إذا بشر بعذاب الله وسخطه كره لقاء الله ، وكره الله لقاءه ﴾[1].

عن شريح بن هانئ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله " ﷺ وآله " : ﴿من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه﴾ قال : فأتيت عائشة فقلت: يا أم المؤمنين ! سمعت أبا هريرة يذكر عن رسول الله " ﷺ وآله " حديثًا ، إن كان كذلك فقد هلكنا ، فقالت : إن الهالك من هلك بقول رسول الله " ﷺ وآله " ، وما ذاك ؟ قال: قال رسول الله " ﷺ وآله " : ﴿ من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه ﴾ وليس منا أحد إلا وهو يكره الموت . فقالت : قد قاله رسول الله " ﷺ وآله" وليس بالذي تذهب إليه ، ولكن إذا شخص البصر ، وحشرج الصدر ، واقشعر الجلد ، وتشنجت الأصابع ، فعند ذلك ؛ من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه[2].

حسن الظن بالله ثمن الجنة :

روى مسلم عن جابر رضي الله عنه أنه سمع سيدنا ومولانا رسول الله " ﷺ وآله " يقول قبل انتقاله بثلاثة أيام : ﴿ لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله ﴾[3].

عن أبي هريرة قال : قال رسول الله "ﷺ وآله" : ﴿ إن الله يقول : أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا دعاني ﴾[4].

(١) رواه البخاري ومسلم والنسائي وابن ماجه وأحمد .
(٢) رواه البخاري ومسلم والنسائي وابن ماجه وأحمد .
(٣) أخرجه البخاري ورواه مسلم في كتاب الجنة وأحمد في الجزء الثالث .
(٤) رواه مسلم في كتاب الذكر والدعاء وأحمد في الجزء الثاني والجزء الرابع .

قال رسول الله " ﷺ وآله " : ﴿إن الله يقول : أنا عند ظن عبدي بي ، فليظن بي ما شاء﴾[1].

وروى حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس بن مالك ﷺ قال : قال رسول الله " ﷺ وآله": ﴿ لا يموتن أحدكم ؛ حتى يحسن الظن بالله ، فإن حسن الظن بالله ثمن الجنة ﴾[2].

وروى عن ابن عمر أنه قال : عمود الدين وغاية مجده وذروة سنامه : حسن الظن بالله، فمن مات منكم وهو يحسن الظن بالله ؛ دخل الجنة "مدلا" أي : منبسطًا لا خوف عليه .

وقال عبد الله بن مسعود : والله الذي لا إله غيره ؛ لا يحسن أحد الظن بالله إلا أعطاه الله ظنه ، وذلك أن الخير بيده .

وذكر ابن المبارك قال : أخبر سفيان أن ابن عباس قال: إذا رأيتم بالرجل الموت فبشروه، ليلقى ربه وهو حسن الظن به ، وإذا كان حيًّا فخوفوه .

يقول الإمام المجدد أبو العزائم عليه السلام داعيًا مولاه :

يوم موتى فرِّحَنِّى سيدى ... باليقين الحق حق الاتصال
برزخى فاجعله روضة جنة ... أسرعن بي جار أفراد الرجال
مقعد الصدق اجعلني لي موئلا ... فى جوار المصطفى فى خير آل
أسبغ النعمى وعممها لنا ... أيِّدنَّا بالعواطف والجمال
كن لأولادى وإخوانى أدم ... عطفك العالى لنا يا ذا الكمال

ويقول عليه السلام في موضع آخر:

بفضلك رضِّ العبد عنك وقدِّرَنْ ... له الحظوة العظمى بروض جنان
بما أنت أهل عامِلَنِّي تفضلن ... عليه بروْح الأنس والريحان
بسابقة الحسنى اجعلَنِّى متابعًا ... لظاهر فرقان وباطن قرآن

(١) رواه البخاري في كتاب التوحيد ومسلم في كتاب التوبة وكتاب الذكر وأحمد .
(٢) أورده المتقى الهندى في كنز العمال ، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين .

وفي دار دنيـا وسِّـعَن لى العطـا اهـدني ... وفي دار أخرى هـب صـفا الرضـوان
وللعبـد لـلأولاد هـب خـير نعمـة ... تـدوم لنـا في جنـة الرضـوان
وأمـة خـير المرسـلين اجمعنـهم ... أيـارب أهلـك عصـبة الطغيـان
ووسع لنـا الأرزاق خـيرًا هـدًى شـفًا ... أمتنـا علـى الإسـلام في إيقـان
ووسـع لأولادي عطـاءك والهـدى ... بـدنياي والأخـرى بعفـو وغفـران

ويقول عليه السلام في موضع آخر :

أمتنى علـى الإسـلام بالفضـل أحـيني ... حيـاة منيـب مخلَـص فـاز بالوصـل
أيـارب واجعـل برزخـي روض جنـة ... ومقعـد صـدق فـاجعلن لي بالسـهل
جـوار رسـول الله في حظـوة الرضـا ... مع الآل والأخيـار مـن سـبقوا قبلـي

ويقول عليه السلام في قصيدة أخرى :

أرى الوجـه وجـه الله نـورًا يحـيط بي ... بـأعين تتزيـه يلـوح بـلا ظـل
وسـيلتي المختـار أكمـل مرسـل ... وأسمـاؤك الحسـنى وسـرك في القـول
أيـارب مضـطرا إلى الفضـل والرضـا ... إلى الخـير والأولاد منـك وللأهـل
وصـل علـى المحبـوب طـه محمـد ... صـلاة بهـا نعطـى عطايـاك بالفضـل

ويقول عليه السلام في موضع آخر :

حفظت العطـا فضـلاً ونفـذت أقـدارا ... قضـاؤك يقضـى جنـة أو نـارا
عطايـاك لا تمنـع قضـاءك سـيدى ... قضـاؤك لم يمنـع عطايـاك مـدرارا
فتعطـى العطايـا حجـة منـك سـيدى ... لمـن شـئته لـو كـان خَبًّـا وكفـارا
وتمنـع مـا لابـد منـه لحكمـة ... ولـو كـان محبوبًـا إلى الله قـد سـارا
وأنـت حكـيم قـادر أنـت مـنعم ... تفضـلتَ أوليـتَ الهـدى الأخيـارا

تقبــل متــابي إنــني صــرت عــاجزًا ... وفي الحــل الترحــال عقلــي حــارا
تحققت قدري مـن أنـا العبـد عـاجزًا ... أرى القــادر التــواب ربي غفــارا
وقــدري بــدءا طينــة ثم بعــدها ... مهــين ومضــطر تنقلــت أطــوارا
فــإن قــدر الإقبــال يقبــل بى علــى ... حظــائر قــدس أشــهد الســتارا
وإن قــدر الإدبــار أنــأى عـن الهــدى ... ظلومًــا لنفســى أجهــل الأســرارا
عرفــت وإنى بعــد خــوف ورغبــة ... أنــا القــائم المحظــوظ ليــل نهــارا
أخــاف جــلال الله أرغــب فضلــه ... ومــن لم يفــز بالقســط يصــلى نــارا
وفي رغــبتى خــوف المــزاج لمشــربي ... وفي رهبتي في رغبتي أُعطَى أنوارا
لأني عبــد وهــو رب مقــدر ... وفي تــوبتي قــد أرفــع الأعــذارا
يؤيــدني التوحيــد في حــال تــوبتي ... لأنى مربــوب أرى القهــارا
ولم ينســبن لى غــير أوصــافي الــتي ... بهــا أنــا عبــد نلــت ثم فخــارا
وفي علمــي بــالله أمــني ورفعــتي ... وفي "هــم الأمــن" طهــوري قــد دارا
دعــائي أنفــاس بهــا يكشــف الخفــا ... لأشــهد نــور الغيــب لاح جهــارا
ولم أيأســنْ مــن عفــو ربي وغفــره ... ولــو قارفــت نفســي الكبــائر أوزارا
ولم تــأمنن نفســي لــربي جانبًــا ... لأني أراني طينــة فخــارا

أهل التقوى والإصلاح لا خوف عليهم ولا هم يحزنون :

يقول الله تعالى : ﴿ يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[1] .

من المعاني التي ذكرها الإمام المجدد أبو العزائم ﷺ فى هذه الآية الكريمة أن : ﴿ إن ﴾ هنا شرطية مدغمة في (ما) للتأكيد ، وبذلك صح الإتيان بنون التوكيد بعدها ، و﴿يأتينكم﴾ فعل الشرط ، والكاف : ضمير المخاطبين ، والميم : للجمع ، و﴿ رسل ﴾

(١) الأعراف : ٣٥ .

فاعل ، والمعنى : أن يأتيكم محمد فإن المراد بـ ﴿ رسل ﴾ هو سيدنا محمد " ﷺ وآله " ، لأنه " ﷺ وآله " منهم ، لأنهم يعرفونه من بدايته بالصدق والأمانة ، وبما كان عليه" ﷺ وآله " من الفقر وحب الخلوة والبعد عما هم فيه من الأهواء والمنافسات والحروب ، حتى إذا بعثه الله بالحق بشيرًا ونذيرًا ، تحققوا أن ما هو عليه بعد الرسالة فوق طاقة البشر ولابد أن يكون من عند الله تعالى ، فسهل عليهم تلقى أسراره والتفاهم معه ، وهى الحكمة فى أنه سبحانه بعث فى الأمم رسلاً منهم .

فإن العلم به من صباه إلى يوم بعثته " ﷺ وآله " بالحق بشيرًا ونذيرًا يؤنسهم به ، حتى لا يكذبه إلا من سجل عليه القضاء بالكفر ، ولا يسقط من يده إلا من سجل عليه القضاء الخلود في جهنم .

ثم بين الله تعالى ما أعد لأهل الإيمان به " ﷺ وآله " ووعدهم به ، وما توعد به أهل الكفر سبحانه فقال جلت قدرته : ﴿ يقصون عليكم آياتي ﴾ أي : يقرأون عليكم القرآن ، ويبينون لكم دلائل توحيدى وآيات أحكامي ، وما يجب عليكم من الأدب لي ، ويعلمونكم القيام بعبادتي .

﴿ فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ الفاء هنا رابطة لجواب الشرط ، و ﴿ من ﴾ دخلت عليه جواب الشرط ، لأنها جملة اسمية لابد وأن تربط بالفاء ، و﴿ اتقى ﴾ أي : اتقى تكذيب النبي " ﷺ وآله " ، وقبل ما جاء به من عند الله تعالى ﴿وأصلح﴾ أي : سارع إلى القيام بما أمره الله به من العبادات والفضائل الإسلامية ، وجائز أن يكون أصلح نفسه وغيره .

﴿ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ نفى الله تعالى عنهم الخوف ، لأن الخوف يكون من وقوع أمر في المستقبل ، والحزن يكون على ما فات من أنفاس صرفت في غير طاعة ، والمسلم عند الموت يحل به الخوف والحزن ، فتطمئنه الملائكة ، فيذهب خوفه ، ويزول حزنه ، ويقوى فرحه ، ويستقبل الموت مطمئن القلب باسم الثغر فرحًا بلقاء ربه ، وإن كان بعض العلماء يقول : إنما ذلك عند الفزع الأكبر ، والحقيقة أن تلك البشائر يمن الله

بها على المسلم عند موته ، وأنه لا خوف عليه ولا حزن لمن ذكرهم الله تعالى يوم القيامة بقوله : ﴿ فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ... ﴾ ودليلنا على ذلك قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَى... ﴾[١] .

طيب روح المؤمن وصعود الملائكة بها :

في حديث أخرجه أبو داود الطيالسي وعبد بن حميد في مسنديهما ، وعلى بن معبد في كتاب الطاعة والمعصية ، وهناد بن السري في زهده ، وأحمد بن حنبل في مسنده ، وغيرهم ، وهو حديث صحيح له طرق كثيرة ، هم بتخريج طرقة على بن معبد ، فأما أبو داود الطيالسي فقال : حدثنا أبو عوانة عن الأعمش ، قال هناد وأحمد : حدثنا أو معاوية عن الأعمش عن المنهال بن عمرو ، وقال أبو داود : حدثنا عمرو بن ثابت سمعه من المنهال بن عمرو عن زاذان عن البراء ــ يعني ابن عازب – حديث أبي عوانة أتمهما :

قال البراء : خرجنا مع رسول الله في جنازة رجل من الأنصار فانتهينا إلى القبر ، ولما يلحد ، فجلس رسول الله " ﷺ وآله " وجلسنا حوله ، كأنما على رؤوسنا الطير ، – وقال عمرو بن ثابت : وقع ، ولم يقله أبو عوانة – فجعل يرفع بصره وينظر إلى السماء ، ويخفض بصره إلى الأرض ، ثم قال : ﴿ أعوذ بالله من عذاب القبر ﴾ قالها مرارا ثم قال : ﴿ إن العبد المؤمن إذا كان في إقبال من الآخرة وانقطاع من الدنيا ، جاءه ملك فجلس عند رأسه فيقول : أخرجي أيتها النفس الطيبة إلى مغفرة من الله ورضوانه ، فتخرج نفسه فتسيل كما يسيل قطر السقاء – قال عمرو في حديثه : ولم يقله أبو عوانة – وإن كنتم ترون غير ذلك ، وتنزل ملائكة من الجنة بيض الوجوه ، كأن وجوههم الشمس ، ومعهم أكفان من أكفان الجنة ، وحنوط من حنوطها[٢] فيجلسون منه مد البصر فإذا قبضها الملك لم يدعوها في يده طرفة عين﴾ .

(١) الأنبياء : ١٠١.
(٢) الحنوط : كل ما خلط من طيب ليحنط به الميت .

قال : ﴿ فذلك قوله تعالى : (تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لاَ يُفَرِّطُونَ)[1]﴾ قال : ﴿ فتخرج نفسه كأطيب ريح وجدت ، فتعرج بها الملائكة فلا يأتون على جند فيما بين السماء والأرض إلا قالوا : ما هذه الروح ؟ فيقال : فلان – بأحسن أسمائه – حتى ينتهوا به أبواب سماء الدنيا، فيفتح له ، ويشيعه من كل سماء مقربوها حتى ينتهي إلى السماء السابعة ، فيقال : اكتبوا كتابه في عليين ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ كِتَابٌ مَّرْقُومٌ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ ﴾[2] فيكتب كتابه في عليين .

ثم يقال : ردوه إلى الأرض فإني وعدهم أني منها خلقتهم ، وفيها نعيدهم ، ومنها نخرجهم تارة أخرى ، وقال : فيرد إلى الأرض ، وتعاد روحه في جسده ، فيأتيه ملكان شديدا الانتهار فينتهرانه ، ويجلسانه فيقولان : من ربك ؟ وما دينك ؟ومن نبيك ؟ فيقول : ربي الله وديني الإسلام ، فيقولان : فما تقول في هذا الرجل الذي بعث فيكم ؟ فيقول : هو رسول الله ، فيقولان : وما يدريك ؟ فيقول : جاءنا بالبينات من ربنا فآمنت به وصدقت ، قال : وذلك قوله تعالى: ﴿ يُثَبِّتُ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ)[3]﴾ .

قال : ﴿ وينادي مناد السماء أن قد صدق عبدي فأفرشوه من الجنة ، وألبسوه من الجنة ، وأروه مترله منها ، ويفسح له مد بصره .

ويمثل عمله له في صورة رجل حسن الوجه طيب الرائحة حسن الثياب ، فيقول : أبشر بما أعد الله لك ، أبشر برضوان الله وجنات فيها نعيم مقيم ، فيقول: بشرك الله بخير ، من أنت فوجهك الوجه الذي جاء بالخير ؟ فيقول : هذا يومك الذي كنت توعد – أو الأمر الذي كنت توعد – أنا عملك الصالح ، فو الله ما علمتك إلا كنت سريعا في طاعة الله بطيئا عن معصية الله فجزاك الله خيرا ، فيقول : يا رب أقم الساعة كي أرجع إلى أهلي ومالي...﴾.

---

(١) الأنعام : ٦١ .
(٢) المطففين : ١٩ – ٢١ .
(٣) إبراهيم : ٢٧ .

وخرج أبو عبد الله الحسين بن الحسين بن حرب ، صاحب ابن المبارك في رقائقه بسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنه كان يقول : إذا قتل العبد في سبيل الله كان أول قطرة تقطر من دمه إلى الأرض كفارة للخطايا ، ثم يرسل الله عز وجل بريطة من الجنة فيقبض فيها روحه ، وصورة من صور الجنة فيركب فيها روحه ، ثم يعرج مع الملائكة كأنه معهم ، والملائكة على أرجاء السماء يقولون : قد جاء روح من الأرض طيبة ، ونسمة طيبة ، فلا تمر بباب إلا فتح لها ، ولا ملك إلا صلى عليها ودعا لها ، ويشيعها .

حتى يؤتى بها الرحمن ، فيقولون : يا ربنا هذا عبدك توفيته في سبيلك فيسجد قبل الملائكة ، ثم تسجد الملائكة بعد ، ثم يطهر ويغفر له ، ثم يؤمر فيذهب به إلى الشهداء فيجدهم في قباب من حرير ، في رياض خضر ، عندهم حوت وثور ، يظل الحوت يسبح في أنهار الجنة يأكل من كل رائحة من أنهار الجنة ، فإذا أمسى وكزه الثور بقرنه فيذكيه فيأكلون لحمه فيجدون في لحمه طعم كل رائحة .

ويبيت الثور في أفناء رائحة ، فإذا أصبح غدا عليه الحوت فوكزه فيذكيه فيجدون في لحمه طعم كل رائحة في الجنة ، ثم يعودون وينظرون إلى منازلهم من الجنة ، ويدعون الله عز وجل أن تقوم الساعة ، فإذا توفى العبد المؤمن بعث الله عز وجل إليه ملكين ، وأرسل إليه بخرقة من الجنة ، فقال : أخرجي أيتها النفس المطمئنة ، أخرجي إلى روح وريحان ورب عنك غير غضبان ، فتخرج كأطيب ريح من مسك ما وجدها أحد بأنفه قط ، والملائكة على أرجاء السماء يقولون : قد جاء من قبل الأرض روح طيبة ونسمة طيبة ، فلا تمر بباب إلا فتح لها ، ولا بملك إلا دعا لها وصلى عليها .

حتى يؤتى بها الرحمن فتسجد الملائكة ثم يقولون : هذا عبدك فلان قد توفيته وكان يعبدك لا يشرك بك شيئا ، فيقول : مروه فليسجد ، فتسجد النسمة ، ثم يدعى ميكائيل فيقول : اذهب بهذه فاجعلها من أنفس المؤمنين حتى أسألك عنها يوم القيامة ، ثم يؤمر فيوسع عليه قبره سبعون ذراعا عرضه وسبعون ذراعا طوله ، وينبذ له فيه الرياحين ويستر بالحرير .

فإن كان معه شيء من القرآن كفاه نوره ، وإن لم يكن معه جعل له في قبره نور مثل

نور الشمس ، ويكون مثله كمثل العروس ينام فلا يوقظه إلا أحب أهله إليه ، قال : فيقوم من نومه كأنه لم يشبع من نومته.....

وخرج أبو عبد الرحمن النسائي بسنده عن أبي هريرة ﷺ أن سيدنا ومولانا رسول الله " ﷺ وآله " قال : ﴿ إذا احتضر المؤمن أتته ملائكة الرحمة بحريرة بيضاء فيقولون : اخرجي راضية مرضيا عنك إلى روح وريحان ورب راض غير غضبان ، فتخرج كأطيب ريح المسك ، حتى إنه ليناوله بعضهم بعضا حتى يأتوا باب السماء فيقولون : ما أطيب هذه الريح التي جاءتكم من الأرض ، فيأتون به أرواح المؤمنين فلهم أشد فرحا من أحدكم بغائبه يقدم عليه فيسألونه : ما فعل فلان ؟ ما فعلت فلانة ؟... ﴾ الخ الحديث .

مستقر أرواح المؤمنين :

هذه المسألة من المسائل الهامة التي تكلم فيها أهل العلم وأوضحوها لنا ، وفيها ما فيها من البشائر للمؤمنين وبيان شريف مترلتهم وعلو قدرهم ، ومما قاله الحافظ ابن رجب الحنبلي في كتاب : (أهوال القبور) وابن حجر فى (فتح الباري) وابن كثير في التفسير : أن أرواح المؤمنين عند الله في الجنة شهداء كانوا أم غير شهداء ، إذا لم يحبسهم عن الجنة كبيرة ولا دَيْن، ويلقاهم ربهم بالعفو ، وهذا ما ذهب إليه أبو هريرة وعبد الله ابن عمر وهو الصحيح من الأقوال لأن غيره مما لا دليل عليه في السنة أو في أثر صحيح تقوم به الحجة ، روى مالك في موطئه من حديث كعب بن مالك مرفوعًا أن سيدنا ومولانا رسول الله " ﷺوآله " قال: ﴿إنما نَسْمَةُ المؤمن طيرٌ يَعْلَقُ فى شجر الجنة حتى يُرْجِعَهُ الله تعالى إلى جسده يوم يبعثه﴾ . وفي هذا الحديث بيان واضح أن روح المؤمن طير يعلق في شجر الجنة .

وأما أرواح الشهداء فقد ورد أنها تكون في حواصل طير خضر ﴿ أرواحهم في جوف طير أخضر ... ﴾ أخرجه مسلم من حديث ابن مسعود . فهي كالكواكب بالنسبة إلى أرواح المؤمنين فإنها تطير بأنفسها .

والله تعالى يقول : ﴿ كَلاَّ إِنَّ كِتَابَ الأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ كِتَابٌ

مَّرْقُومٌ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ ﴾[1].

فأخبر تعالى أن كتابهم مرقوم ، وخص تعالى كتاب الأبرار بأنه يكتب ويوقع لهم به بمشهد المقربين من الملائكة والنبيين وسادات المؤمنين إشهارًا له وإظهارًا بين خواص خلقه ؛ كما يكتب الملوك تواقيع من تعظمه بين الأمراء وخواص أهل المملكة تنويها باسم المكتوب له وإشادة بذكره ، وهذا نوع من صلاة الله سبحانه وتعالى وملائكته على عبده .

متاع البرزخ وخيراته :

قال تعالى : ﴿ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ ﴾[2] المستقر محل الإقرار ، وهو مدة الحياة الكونية والمدة المحدودة للبرزخ ، فإنه المستقر الأخير ، وفى قوله : ﴿متاع إلى حين﴾ دليل على أن الرجل إذا مات ودفن متع بما تركه وراءه من علم ينتفع به ، أو كتب علمية ألفها ، أو أولاد صالحين يدعون له بخير، أو صدقة جارية ، فإن كل ذلك يكتب في صحيفته ، ويعجل الله فى قبره من خيراتها ، وهو المتعة التى أخبرنا الله بها فى قوله : ﴿وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾ ومتاع البيت : ما ينتفع به ثم يبلى . وأما الجنة : فنعيم لا يبلى .

دفن المؤمن بجوار أولياء الله الصالحين تبركًا بهم :

خرج أبو سعيد المالينى فى كتاب المؤتلف والمختلف ، وأبو بكر الخرائطي في كتاب القبور ، من حديث سفيان الثورى عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن محمد بن الحنفية عن الإمام على عليه السلام قال : أمرنا رسول الله " ﷺ وآله " أن ندفن موتانا وسط قوم صالحين ، فإن الموتى يتأذون بالجار السوء كما يتأذى به الأحياء .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي " ﷺ وآله " قال : ﴿ إذا مات لأحدكم الميت فحسنوا كفنه ، وعجلوا إنجاز وصيته ، وأعمقوا له فى قبره ، وجنبوه جار السوء ﴾

(١) المطففين : ١٨ : ٢١.
(٢) البقرة : ٣٦.

قيل : يا رسول الله : وهل ينفع الجار الصالح فى الآخرة ؟ قال : ﴿ هل ينفع في الدنيا ﴾ ؟ قالوا : نعم ، قال : ﴿ كذلك ينفع في الآخرة ﴾[١] ذكره الزمخشرى في كتاب ربيع الأبرار ، وخرجه أبو نعيم الحافظ بإسناده من حديث مالك عن أبيه عن أبى هريرة قال : قال رسول الله " ﷺوآله " : ﴿ ادفنوا موتاكم وسط قوم صالحين فإن الميت يتأذى بالجار السوء ﴾[٢].

مما يلقاه المؤمن من الكرامة :

جاء في البخاري ومسلم ﴿ أنه يفسح له سبعون ذراعًا ﴾[٣].

وفى حديث أبي هريرة ﷺ ﴿ ... ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعًا في سبعين ، ثم ينور له فيه ، ثم يقال : نم ، فيقول : أرجع إلى أهلي فأخبرهم ، فيقولان : نم كنومة العروس الذى لا يوقظه إلا أحب أهله إليه ، حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك ﴾[٤].

وفي حديث أنس ﷺ ﴿... ويملأ عليه خضرًا إلى يوم يبعثون ﴾[٥].

وفى حديث البراء ﷺ ﴿ ... ويفسح له فى قبره مد بصره ﴾[٦].

وفى حديث البراء ﷺ ﴿... فأفرشوه من الجنة ، وألبسوه من الجنة ، وافتحوا له بابًا إلى الجنة ، فيأتيه من روحها وطيبها ... ﴾[٧] .

وفي حديث أبي هريرة ﷺ وكذا حديث السيدة عائشة رضي الله عنهما ﴿ ... ثم يفرج له فرجة قبل الجنة ، فينظر إلى زهرتها وما فيها ... ﴾[٨] .

---

(١) أورده السيوطي في اللآلئ المصنوعة .
(٢) أورده أبو نعيم في حلية الأولياء ،والمتقى الهندى في كنز العمال .
(٣) رواه البخاري في كتاب الجنائز، ومسلم في كتاب الجنة .
(٤) رواه الترمذي في كتاب الجنائز • وأحمد في الجزء الثالث والجزء الرابع .
(٥) رواه أحمد في الجزء الثالث ، ومسلم في كتاب الجنة •
(٦) رواه أبو داود في كتاب السنة ، والترمذي في كتاب القيامة .
(٧) رواه أبو داود في كتاب السنة ، وأحمد في الجزء الرابع .
(٨) رواه ابن ماجه في كتاب الزهد ، وأحمد في الجزء السادس .

وفي حديث أبي سعيد ﵁ ﴿ فيفتح له باب الجنة فيريد أن ينهض إليه فيقال له: اسكن، ويفسح له في قبره ﴾[1] .

قال عطاء الخُراسانى : أرحم ما يكون الرب بعبده ؛ إذا دخل فى قبره وتفرق الناس عنه وأهله ، وروى عن ابن عباس مرفوعًا .وقال أبو غالب : كنت أختلف إلى أبى أمامة الباهلي بالشام ، فدخلت يومًا على فتى مريض من جيران أبي أمامة وعنده عم له وهو يقول : يا عدو الله ، ألم آمرك ؟ ألم أنهك ؟ فقال الفتى : يا عماه ، لو أن الله دفعنى إلى والدتي ؛ كيف كانت صانعة بى ؟ قال : تدخلك الجنة ، قال : الله أرحم بي من والدتي . وقبض الفتى، فدخلت القبر مع عمه ، فلما أن سواه صاح وفزع ، قلت له : مالك ؟ فقال : فسح له فى قبره ، وملئ نورًا .

قال كعب الأحبار : إذا وضع العبد الصالح في قبره احتوشته أعماله الصالحة ، فتجيء ملائكة العذاب من قبل رجليه ، فتقول الصلاة : إليكم عنه ، فيأتون من قبل رأسه ، فيقول الصيام : لا سبيل لكم عليه ؛ فقد أطال ظمأه لله عز وجل فى دار الدنيا ، فيأتون من قبل جسمه ، فيقول الحج والجهاد : إليكم عنه ؛ فقد أنصب نفسه وأتعب بدنه وحج وجاهد لله عز وجل ، ولا سبيل لكم عليه ، فيأتون من قبل يديه، فتقول الصدقة : كفوا عن صاحبي ، فكم من صدقة خرجت من هاتين اليدين ؛ حتى وقعت فى يد الله عز وجل ابتغاء لوجهه ، فلا سبيل لكم عليه ، قال : فيقال له : نم هنيئًا ، طبت حيًا ، وطبت ميتًا .

وفى حديث البراء: ﴿ ... ويمثل له رجل حسن الوجه ، حسن الثياب ، طيب الرائحة فيقول : أبشر بالذي يسرك ، أبشر برضوان من الله وجنات فيها نعيم ، هذا يومك الذي كنت توعد ، فيقول له : وأنت ؛ فبشرك الله بخير ، من أنت ؟ فوجهك الوجه الذى يجيء بالخير ، فيقول : أنا عملك الصالح ... ﴾[2] .

---

(١) رواه أحمد في الجزء الثالث ، والترمذي في كتاب القيامة .
(٢) رواه أحمد في الجزء الرابع .

وفى حديث سؤال الملكين للمؤمن في القبر من حديث أبى هريرة وفيه ﴿ ... فيقال له: اجلس ، فيجلس قد مثلت له الشمس وقد أذنت للغروب ، فيقول لهم : دعـوني أصـلى ، فيقولان : إنك ستفعل ﴾[1] .

المؤمن لا يحب أن يرجع إلى الدنيا :

من مراسيل سليم بن عامر الخباري مرفوعا : ﴿ إن مثل المؤمن في الدنيا كمثل الجنين في بطن أمه إذا خرج من بطنها بكى على مخرجه ، حتى إذا رأى الضوء ورضع لم يحب أن يرجع إلى مكانه ، وكذلك المؤمن يجزع من الموت فإذا مضى إلى ربه لم يحب أن يرجع إلى الدنيا كما لم يحب الجنين أن يرجع إلى بطن أمه ﴾[2] .

وعن أنس قال : قال رسول الله " ﷺ وآله " : ﴿ ما شبهت خروج ابن آدم من الـدنيا إلا كمثل خروج الصبي من بطن أمه من ذلك الغم والظلمة إلى روح الدنيا ﴾[3] .

وعن عبادة بن الصامت قال : قال رسول الله "ﷺ وآله" : ﴿ ما على الأرض من نفس تموت ولها عند الله خير تحب أن ترجع إليكم ولها نعيم الدنيا وما فيها ﴾[4] .

عن البراء بن عازب ﵁ أن النبي " ﷺ وآله " قال : ﴿ إن العبد المـؤمن إذا كـان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه ملائكة من السماء بيض الوجوه ، كأن وجوههم الشمس ، معهم أكفان من أكفان الجنة وحنوط من حنوط الجنة ، حتى يجلسوا منه مد البصر، ثم يجئ ملك الموت يجلس عند رأسه فيقول : أيتها النفس المطمئنة ، اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان ، فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من السقاء ، وإن كنتم ترون غير ذلك .

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه ، والحاكم . وقال صحيح على شرط مسلم .
(٢) ذكر السيوطي أن ابن أبي الدنيا أخرجه.
(٣) ذكر السيوطي أن الحكيم الترمذي أخرجه في نوادر الأصول .
(٤) أخرجه النسائي باب " ما يتمنى في سبيل الله عز وجل " .

فيخرجونها ، فإذا أخرجوها لم يدعوها في يده طرفة عين ، فيجعلونها في تلك الأكفان والحنوط ، ويخرج منها كأطيب نفحة مسك على وجه الأرض ، فيصعدون بها فلا يمرون على ملأ من الملائكة إلا قالوا : ما هذه الروح الطيبة ؟ فيقولون : فلان بن فلان – بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا – حتى ينتهوا به إلى السماء التي تليها حتى ينتهي بها إلى السماء السابعة ، فيقول الله تعالى : اكتبوا كتابه في عليين وأعيدوه إلى الأرض .

فيعاد روحه في جسده ، فيأتيه ملكان فيجلسان فيقولان له : من ربك وما دينك ؟ فيقول : الله ربى والإسلام ديني ، فيقولان له : ما هذا الرجل الذي بعث إليكم وفيكم ؟ فيقول : هو رسول الله " ﷺ وآله " ، فيقولان له : وما علمك ؟ فيقول : قرأت كتاب الله تعالى وآمنت به وصدقته ، فينادى مناد من السماء أن صدق عبدي ، فأفرشوا له من الجنة ، وألبسوه من الجنة ، وافتحوا له بابا إلى لجنة ، فيأتيه من ريحها وطيبها ويفسح له في قبره مد بصره .

ويأتيه رجل حسن الثياب طيب الرائحة فيقول له : أبشر بالذي يسرك هذا يومك الذي كنت توعد ، فيقول له : من أنت فوجهك يجئ بالخير ؟ فيقول : أنا عملك الصالح ، فيقول : رب أقم الساعة رب أقم الساعة ، حتى أرجع إلى أهلي ومالي ﴾[١].

عن جعفر بن محمد عن أبيه عن ابن الخزرجى عن أبيه قال : سمعت رسول الله " ﷺوآله" وقد نظر إلى ملك الموت عند رأس رجل من الأنصار فقال : ﴿يا ملك الموت ارفق بصاحبي فإنه مؤمن ، فقال ملك الموت : طب نفسا وقر عينا و اعلم أنى بكل مؤمن رفيق﴾[٢].

وعن كعب أن سيدنا إبراهيم عليه السلام قال لملك الموت : ﴿ أرني الصورة التي تقبض بها المؤمن ، فأراه ملك الموت من النور والبهاء والحسن ، فقال : لو لم ير المؤمن عند موته من قرة العين والكرامة إلا صورتك هذه لكانت تكفيه ﴾[٣].

---

(١) هذا جزء من حديث البراء الطويل ، وقد رواه الإمام أحمد في المسند ، وأبو داود في سننه ، والحاكم في المستدرك وقال:صحيح على شرط الشيخين .
(٢) قال السيوطي: أخرجه الطبراني و أبو نعيم و ابن منبه كلاهما فى المعرفة .
(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في ذكر الموت .ذكره السيوطي .

عن الضحاك قال : إذا قبض روح العبد المؤمن عرج به إلى السماء فينطلق معه المقربون، ثم عرج به إلى الثانية ، ثم إلى الثالثة ، ثم إلى الرابعة ، ثم إلى الخامسة ، ثم إلى السادسة ، ثم إلى السابعة حتى ينتهوا به إلى سدرة المنتهى فيقولون : ربنا ، عبدك فلان ، وهو أعلم به ، فيأتيه صك مختوم بأمنه من العذاب[1] فذلك قوله تعالى : ﴿ كَلاَّ إِنَّ كِتَابَ الأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ كِتَابٌ مَّرْقُومٌ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ﴾[2] .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه : قال رسول الله " صلى الله عليه وسلم وآله " : ﴿ إن المؤمن إذا كان في إقبال من الآخرة ، وإدبار من الدنيا ، نزل ملائكة من السماء كأن وجوههم الشمس بكفنه وحنوطه من الجنة ، فيقعدون حيث ينظر إليهم ، فإذا خرجت روحه صلى عليه كل ملك في السماء والأرض ﴾[3] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي " صلى الله عليه وسلم وآله " قال : ﴿ إن المؤمن إذا قبض أتته ملائكة الرحمة بحريرة بيضاء فتخرج كالطيب وأطيب من ريح المسك حتى إنه يناوله بعضهم بعضا فيسمونه بأحسن الأسماء له حتى يأتوا به باب السماء فيقولون : ما هذه الريح التى جاءت من الأرض ؟ وكلما أتوا سماء قالوا مثل ذلك حتى يأتوا به أرواح المؤمنين ، فلم يكن لهم فرح أفرح من أحدهم عند لقياه ، ولا قدم على أحد كما قدم عليهم ، فيسألونه : ما فعل فلان بن فلان ؟ فيقولون : دعوه حتى يستريح فإنه كان في غم الدنيا ﴾[4] وأخرجه البراء عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي " صلى الله عليه وسلم وآله" قال : ﴿ إن المؤمن إذا احتضر أتته الملائكة بحريرة فيها مسك وعنبر وريحان ، فتسل روحه كما تسل الشعرة من العجين ، ويقال : أيتها النفس المطمئنة اخرجي راضية مرضيا عليك إلى روح الله وكرامته ، فإذا خرجت روحه وضعت على ذلك المسك والريحان ، وطويت عليه الحريرة ، وذهب به إلى عليين﴾[5].

---

(١) قال السيوطي :أخرجه عبد الرحيم الأراني في كتاب الإخلاص .
(٢) المطففين : ١٨-٢٠ .
(٣) قال السيوطي : أخرجه أبو نعيم وابن منبه .
(٤) أخرجه أحمد ، والنسائي وابن حبان ، والحاكم في المستدرك ، والبيهقي في الشعب ، ذكره السيوطي .
(٥) صحيح مسلم كتاب الجنة .

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال : إذا توفى الله العبد أرسل الله تعالى ملكين بخرقة من الجنة وريحان من الجنة فقالا : أيتها النفس المطمئنة ، اخرجي إلى روح وريحان ورب غير غضبان ، اخرجي فنعم ما قدمت ، فتخرج كأطيب رائحة من المسك وجدها أحدكم بأنفه ، وعلى أرجاء السماء ملائكة يقولون : سبحان الله ، لقد جاءنا من الأرض اليوم روح طيبة فلا يمر بباب إلا فتح له ، ولا ملك إلا صلى عليه ، ويشيع حتى يؤتى به ربه فتسجد الملائكة قبله ، ثم يقولون : ربنا هذا عبدك فلان توفيناه وأنت أعلم به ، فيقول : مروه بالسجود ، فتسجد النسمة .

ثم يدعى ميكائيل فيقال : اجعل هذه النسمة مع أنفس المؤمنين حتى أسألك عنها يوم القيامة ، فيؤمر بقبره فيتسع له طوله سبعين ذراعا وعرضه مثل ذلك فيبسط فيه الحرير ، وإن كان معه شئ من القرآن نَوره ، وإلا جعل له نور مثل الشمس ، ثم يفتح له باب إلى الجنة فينظر إلى مقعده في الجنة بكرة وعشية[١] .

وعن الحسن قال : إذا احتضر المؤمن حضره خمسمائة ملك فيقبضون روحه ، فيعرجون إلى السماء الدنيا فتلقاهم أروح المؤمنين الماضية فيريدون أن يستخبروه فتقول الملائكة : ارفقوا به فإنه خرج من كرب عظيم ، ثم يستخبرونه حتى يستخبر الرجل عن أخيه وعن صاحبه فيقول : هو كما عهدت منه[٢].

وعن أبى موسى الأشعري ﷺ قال : تخرج نفس المؤمن وهى أطيب ريحا من المسك ، فتصعد بها الملائكة الذين يتوفونها فتلقاهم الملائكة دون السماء فيقولون : من هذا الذي معكم؟ فيقولون : فلان ، ويذكرونه بأحسن عمله ، فيقولون : حياكم الله وحيا من معكم ، فيفتح له أبواب السماء فيصعدونه من الباب الذي كان منه عمله فيشرق وجهه ، فيأتي الرب ولوجهه برهان مثل الشمس[٣] .

(١) قال السيوطي : أخرجه هناد بن السري في كتاب الزهد ، والطبراني في الكبير.
(٢) أخرجه سعيد بن منصور في سننه ، وابن أبى الدنيا في ذكر الموت ، ذكره السيوطي
(٣) أخرجه أبو داود والطيالسي في مسنده ، وابن أبى شيبة في المصنف ، والبيهقي في الشعب ، وأخرجه أبو نعيم في الحلية .

وعن الضحاك في قوله تعالى : ﴿ وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ ﴾[1] قال : الناس يجهزون بدنه، والملائكة يجهزون روحه[2] .

وعن أبي هريرة ﷺ قال : لا يقبض المؤمن حتى يرى من البشرى ، فإذا قبض نادى وليس في الدار دابة صغيرة ولا كبيرة إلا وهي تسمع صوته إلا الثقلين ؛ الجن والإنس : تعجلوا أبي إلى أرحم الراحمين ، فإذا وضع على سريره قال : ما أبطأ ما تمشون ، فإذا أدخل في لحده أقعد فأرى مقعده من الجنة وما أعد الله له ، وملئ قبره من روح وريحان ومسك فيقول : يا رب قدمني ، فيقال : إن لك إخوة وأخوات لم يلحقوا ، ونم قرير العين[3].

عن ابن جريج قال : قال رسول الله " ﷺ وآله " لعائشة رضي الله عنها : ﴿ إذا عاين المؤمن الملائكة قالوا نرجعك إلى الدنيا ؟ فيقول : إلى دار الهموم والأحزان ، قدماني إلى الله تعالى ﴾[4] .

وعن الإمام الحسن بن عليٍّ عليهما السلام قال : تخرج رُوح المؤمن في ريحانة[5] ، ثم قرأ ﴿ فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ ﴾[6] .

وعن قتادة ﷺ في قوله تعالى : ﴿ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ ﴾ الروح والريحان يلتقي بهما عند الموت المؤمن[7] .

وعن بكر بن عبيد الله قال : إذا أمر ملك الموت بقبض روح المؤمن أتى بريحان من الجنة، فقيل له : اقبض روحه فيه[8].

---

(١) القيامة: ٢٩.
(٢) تفسير ابن كثير .
(٣) ابن أبي شيبة في المصنف ، وأورده الهندي في الكنز .
(٤) أخرجه ابن جرير وابن المنذر في تفسيرهما ، قاله السيوطي .
(٥) أخرجه المروزى في الجنائز .
(٦) الواقعة : ٨٩ .
(٧) تفسير ابن كثير وأخرجه ابن جرير وابن أبى حاتم
(٨) أخرجه ابن أبي الدنيا في ذكر الموت ، ذكره السيوطي .

وعن أبي عمران الجوني قال : بلغنا أن المؤمن إذا حضر أتى بضبائر الريحان من الجنة فيجعل روحه فيها(١) .

وعن مجاهد قال : تنزع روح المؤمن في حريرة من حرير الجنة(٢) .

عن أبي العالية قال : لم يكن أحد من المقربين يفارق الدنيا حتى يؤتى بغصن من ريحان الجنة فيشمه ثم يقبض(٣) .

عن سلمان ﷺ قال : قال رسول الله " ﷺ وآله " : ﴿ إن أول ما يبشر به المؤمن في قبره أن يقال له : أبشر برضا الله والجنة ، قدمت خير مقدم ، قد غفر الله لمن يشيعك إلى قبرك ، وصدق من شهدك ، واستجاب لمن يستغفر لك ﴾(٤) .

وعن أبي مسعود ﷺ قال : إذا أراد الله قبض روح المؤمن أوحى إلى ملك الموت " أقرئه مني السلام " فإذا جاء ملك الموت يقبض روحه قال له : " ربك يقرئك السلام " .

عن محمد القرظي قال : إذا استبلغت نفس العبد المؤمن عاد ملك الموت فقال : السلام عليك يا وليَّ الله ، الله يقرئك السلام(٥) ، ثم قرأ هذه الآية ﴿ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلآئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلامٌ عَلَيْكُمُ ﴾(٦) وعن مجاهد قال : إن المؤمن ليبشر بصلاح ولده من بعده لتقر عينه(٧) .

وعن الضحاك في قوله تعالى : ﴿ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَياةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ ﴾(٨) قال : يعلم أين هو قبل الموت(٩) .

---

(١) المصدر السابق .
(٢) ابن كثير والمصدر السابق . ذكره السيوطي .
(٣) أخرجه ابن جرير في تفسيره، وابن أبى حاتم ..
(٤) قال السيوطي أخرجه ابن منبه ولعله ابن منده
(٥) أخرجه ابن أبى شيبة في المصنف ، والحاكم وصححه البيهقي في شعب الإيمان ، وابن منده ، ذكره السيوطي .
(٦) النحل : ٣٢ .
(٧) أخرجه أبو نعيم في الحلية في ترجمة مجاهد.
(٨) يونس : ٦٤.
(٩) يونس : ٦٤.

وعن مجاهد في قوله تعالى:﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلاّ تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ التي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾[١] قال : ذلك عند الموت[٢].

وعن مجاهد في الآية قال : ﴿ لاّ تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا ﴾ أي : لا تخافوا مما تقدمون عليه من الموت وأمر الآخرة ، ولا تحزنوا على ما خلفتم من أمر الدنيا من ولد وأهل ودين ، فإنا نستخلفكم في ذلك كله[٣].

وعن زيد بن أسلم قال : يؤتى المؤمن عند الموت فيقال له : لا تخف مما أنت قادم عليه ؛ فيذهب خوفه ، ولا تحزن على الدنيا ولا على أهلها وأبشر بالجنة ؛ فيذهب حزنه ، ولا تحزن على الدنيا ؛ فيموت وقد أقر الله عينه[٤] .

ملاقاة الأرواح :

عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه أن سيدنا ومولانا رسول الله "ﷺ وآله" قال : ﴿إن نفس المؤمن إذا قبضت تلقاها أهل الرحمة من عباد الله تعالى ، كما يلقون البشير من أهل الدنيا ، ويقولون : انظروا صاحبكم حتى يستريح فإنه كان في كرب شديد ، ثم يسألونه : ما فعل فلان ؟ ، وفلانة تزوجت ؟﴾[٥].

وعن أبي هريرة يرفعه: ﴿ إن المؤمن إذا نزل به الموت ويعاين ما يعاين يود لو خرجت روحه والله يحب لقاءه ، وإن المؤمن تصعد روحه إلى السماء فتأتيه أرواح المؤمنين فيستخبرونه عن معارفهم من أهل الدنيا ﴾[٦].

---

(١) فصلت :٣٠.
(٢) أخرجه البيهقي في الشعب. ذكره السيوطي .
(٣) أخرجه ابن أبى حاتم وانظر تفسير ابن كثير .
(٤) أخرجه ابن أبى حاتم - المصدر السابق .
(٥) مجمع الزوائد كتاب الجنائز ، وقال الهيثمي : رواه الطبراني في الكبير والأوسط وفيه مسلمة بن على وهو ضعيف . وقال ابن رجب : أخرجه ابن أبى الدنيا وخرجه ابن المبارك عن ثور بن يزيد عن أبى رهم عن أبى أيوب موقوفا .
(٦) قال السيوطي : أخرجه البزار بسند صحيح .

وعن أبي لبيبة قال : لما مات بشر بن البراء بن معرور وجدت عليه أمه وجدا شـــديدا فقالت : يا رسول الله ، لا يزال الهالك يهلك من بني سلمة ، فهل تتعارف الموتى فأرســـل إلى بشر السلام ؟ قال : ﴿ نعم ، والذي نفسي بيده إنهم ليتعارفون كما يتعرف الطير في رؤوس الشجر ﴾[1].

وكان لا يهلك هالك من بني سلمة إلا جاءته أم بشر فقالت : يا فلان عليك الســـلام ، فيقول : وعليك ، فتقول : اقرأ على بشر السلام .

وعن سعيد بن جبير قال : إذا مات الميت استقبله ولده كما يستقبل الغائب[2].

وعن ثابت البناني قال : بلغنا أن الميت إذا مات احتوشته أهله وأقاربه الذين تقدموه من الموتى ، فلهم أفرح به وهو أفرح بهم من المسافر إذا قدم إلى أهله[3].

الترحيب بالمؤمن في القبر :

عن أبي سعيد الخدري[4] رضي الله عنه أن سيدنا ومولانا رسول الله " ﷺ وآله " قال : ﴿إذا دفن العبد المؤمن قال له القبر : مرحبا وأهلا ، أما إن كنت لأحب من يمشى على ظهري إلّي ، فإذا وليتك اليوم وصيرت إلّي فسترى صنعي بك فيتسع له مد بصره ، ويفتح له باب إلى الجنة﴾ . قال : وقال رسول الله "ﷺ وآله" : ﴿ إنما القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة مـــن حفـــر النار﴾[5].

ما يبشر به المؤمن عند سؤال الملكين :

عن أسماء رضي الله عنها عن سيدنا ومولانا رسول الله "ﷺ وآله" قـــال : ﴿ إذا دخـــل الإنسان في قبره ، فإن كان مؤمنا أحف به عمله : الصلاة والصوم ، فيأتيه الملك مـــن نحـــو

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في ذكر الموت .
(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في ذكر الموت ، انظر شرح الصدور .
(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في ذكر الموت ، وثابت البناني : من سادة التابعين علما وعبادة وزهدا .
(٤) قال السيوطي : خرجه الترمزي وحسنه .
(٥) جمع الجوامع وقال أخرجه البيهقي في السنن .

الصلاة فترده ، ومن نحو الصيام فيرده ، فيأتيه فيناديه : اجلس ، فيجلس ، فيقول : ما تقول في هذا الرجل ؟ قال : من ؟ قال : محمد ، فيقول : أشهد أنه رسول الله ، فيقول : ما يدريك؟ أدركته ؟ قال : أشهد أنه رسول الله ، قال : فيقول : على ذلك عشت وعليه مت وعليه تبعث ﴾(١) .

من رحمة الله بالمؤمن :

عن ابن مسعود ﷺ قال : قال رسول الله "ﷺ وآله" :﴿ إن أرحم ما يكون الله بالعبد إذا وضع في حفرته ﴾(٢).

وعن أبي هريرة ﷺ عن رسول الله "ﷺ وآله" قال : ﴿ المؤمن في قبره في روضة خضراء، ويرحب له في قبره سبعون ذراعا ، وينور له في قبره كليلة البدر ﴾(٣).

الأنبياء والأولياء أحياء فى قبورهم :

قال سيدنا ومولانا رسول الله "ﷺ وآله" : ﴿ إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة ، فيه خلق آدم ، وفيه قبض ، وفيه النفخة ، وفيه الصعقة ، فأكثروا عليَّ من الصلاة فيه ، فإن صلاتكم معروضة عليَّ ﴾ قالوا : يا رسول الله ؛ وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت ؟ – يقولون : بليت – فقال : ﴿إن الله عز وجل حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء﴾(٤).

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسند أسماء .
(٢) الجامع الصغير.
(٣) ابن حبان" من موارد الظمآن " وزاد المنذري نسبته لأبى يعلى ورواه ابن أبى حاتم من طريق ابن لهيعة عن دراج أبي السمح.
(٤) رواه النسائي في كتاب الجمعة ، وابن ماجه فى كتاب الإقامة ، وكتاب الجنائز، والدارمى في كتاب الصلاة ، وأحمد في الجزء الرابع ، وأبو داود في كتاب الصلاة وكتاب الوتر .

عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله " ﷺ وآله " : ﴿الأنبياء أحيـاء فى قبـورهم يصلون﴾[1].

عن أبي مسعود الأنصارى رضي الله عنه قال : قال رسول الله " ﷺ وآله " : ﴿ أكثروا الصـلاة عليَّ فى يوم الجمعة ، فإنه ليس يصلى عليَّ أحد يوم الجمعة إلا عرضت عليَّ صلاته ﴾[2].

عن أوس بن أوس رضي الله عنه قال : قال رسول الله " ﷺ وآله " : ﴿ إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة، فيه خلق آدم ، وفيه قبض ، وفيه النفخة ، وفيه الصعقة ، فأكثروا عليَّ من الصـلاة فيه ، فإن صلاتكم معروضة عليّ ، إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء ﴾[3].

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله " ﷺ وآله " : ﴿ مررت ليلة أسرى بي على موسى عليه السلام يصلى فى قبره ﴾[4].

وفي رواية له : قال رسول الله " ﷺ وآله " : ﴿ مررت بموسى ليلة أسرى بي وهو قـائم يصلى في قبره عند الكثيب الأحمر ﴾[5].

وأخبر الله تعالى عن الشهداء بقوله : ﴿ بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُـونَ ﴾[6] ولـذلك لا يغسلون ولا يصلى عليهم ، ثبت ذلك فى الأحاديث الصحيحة في شهداء أحد وغيرهم .

وقال جابر : رأيتهم يخرجون على رقاب الرجال كأنهم رجال نوام حتى أصابت المسحاة قدم حمزة فانبعثت دمًا ، وأن جابر بن عبد الله أخرج أباه عبد الله بـن حـرام كأنمـا دفـن بالأمس[7].

---

(١) أخرجه البزار، والبيهقي ، وأبو يعلى ، وأبو نعيم فى "أخبار أصبهان" وذكره الهيثمى فى (المجمع)
(٢) أخرجه الحاكم والبيهقي.
(٣) أخرجه أحمد، وأبو داود ، والنسائي ، وابن ماجه ، وابن حبان ، والحاكم.
(٤) أخرجه بن حبان ، وإسناده صحيح على شرط البخاري ، وأخرجه مسلم والنسائي وأحمد
(٥) أخرجه بن حبان وأخرجه ابن أبى شيبة في المصنف وأحمد ، ومسلم في الفضائل ، والنسائي .
(٦) آل عمران : ١٦٩.
(٧) سيدنا حمزة بن عبد المطلب بن هاشم أبوعمارة عم النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأخوه من الرضاعة ، استشهد بأحد ، ولقبه النبي صلى الله عليه وآله وسلم أسد الله وسماه سيد الشهداء، راجع الإصابة (٢، ١٢١ ، ١٢٣) والأثر أخرجه البغوي بإسناد حسن، وأشار الحافظ في الفتح إلى شاهد له بإسناد صحيح عند ابن سعد ، راجع فتح الباري (٣ /٢٥٧) .

عن عبد الرحمن بن أبي صعصعة رضي الله عنه أنه بلغه أن عمرو بن الجموح وعبد الله بن عمرو الأنصاريين ثم السلميين كان قد حفر السيل قبرهما ، وكان قبرهما مما يلى السيل، وكانا فى قبر واحد ، وهما ممن استشهد فى يوم أحد[1] ، فحفر عنهما ليغيرا من مكانهما فوجـدا لم يـتغيرا كأنهما ماتا بالأمس ، وكان أحدهما قد جرح فوضع يده على جرحه فدفن وهـو كـذلك، فأميطت يده على جرحه ثم أرسلت فرجعت كما كانت ، وكان بين أحد وبين يوم حفر عنهما ست وأربعون سنة[2].

روى الترمذي في قصة أصحاب الأخدود أن الغلام الذي قتله الملك دفن قال : فيذكر أنه أُخرج في زمن عمر بن الخطاب وأصبعه على صدغه كما وضعها حين قتل . قال : حديث حسن غريب ، وقصة الأخدود مخرجة في صحيح مسلم ، وكانوا بنجران فى الفترة بين سيدنا عيسى عليه السلام وسيدنا محمد " صلى الله عليه وسلم وآله " ، وقد ذكرت مستوفاة في (البروج) في تفسير القرطبي .

وروي عن النبى " صلى الله عليه وسلم وآله " : ﴿ المؤذن المحتسب كالمتشحط فى دمه قـتلاً إن مـات لم يدود فى قبره ﴾[3].

الأولياء يقرءون القرآن في قبورهم :

أخرج الترمذي وحسنه والحاكم والبيهقى عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : ضرب بعض أصحاب النبى " صلى الله عليه وسلم وآله " خِباءه على قبر وهو لا يحسب أنه قبر، فإذا فيه إنسان يقـرأ سورة الملك حتى ختمها ، فأتى النبى "صلى الله عليه وسلم وآله" فأخبره ، فقال النبي "صلى الله عليه وسلم وآله" :﴿ هي المانعة

---

(١) عمرو بن الجموح بن زيد بن حرام الأنصاري من سادات الأنصار واستشهد بأحد . راجع الإصابة ، وعبد الله بن عمرو بن حرام الأنصاري والد جابر رضي الله عنه الصحابي المشهور، معدود في أهل العقبة وبدر، وكان من النقباء ، واستشهد بأحد. راجع الإصابة .

(٢) أخرجه مالك في موطئه كتاب الجهاد باب الدفن في قبر واحد من ضرورة ، وهذا الأثر يخالف في ظاهره ما رواه البخاري من أن جابراً استخرج أباه من قبر عمرو بن الجموح بعد ستة أشهر، وقد جمع الحافظ فى الفتح بينهما جمعاً حسناً فقال : فإما أن يكون المراد بكونهما في قبر واحد قرب المجاورة ، أو أن السيل خرق أحد القبرين فصارا كقبر واحد.

(٣) أورده العلامة المنذري في الترغيب والترهيب ، والهيثمي في مجمع الزوائد ، والمتقى الهندي في كنز العمال ، والطبراني في المعجم الكبير .

هي المنجية تنجيه من عذاب القبر ﴾ قال أبو القاسم السعد في كتـــاب الإفصـــاح : هـــذا تصديق من رسول الله " ﷺ وآله " بأن الميت يقرأ في قبره ، فإن عبد الله أخبره بذلك وصدقه رسول الله " ﷺ وآله " .

وأخرج ابن مندة عن طلحة عن عبيد الله ﷺ قال : أردت ما لى بالغابة فأدركنى الليل ؛ فأويت إلى قبر عبد الله بن عمرو بن حرام فسمعت قراءة من القبر فما سمعت أحسن منـــها ، فجئت إلى رسول الله "ﷺ وآله" فذكرت ذلك له .

فقال : ﴿ ذلك عبد الله ، ألم تعلم أن الله قبض أرواحهم فجعلها في قناديل من زبرجـــد وياقوت ثم علقها وسط الجنة ؟ فإذا كان الليل ردت إليهم أرواحهم ، فلا تزال كذلك حـــتى يطلع الفجر ، فإذا طلع الفجر ردت أرواحهم إلى مكانها الذي كانت فيه ﴾ .

وأخرج أبو نعيم في الحلية عن إبراهيم أن المهلبى قال : حدثنى الذين كانوا يمرون بالمصر في الأسحار قالوا : كنا إذا مررنا بجبانة قبر ثابت البنانى ؛ سمعنا قراءة القرآن .

وأخرج ابن مندة عن سلمة بن شبيب قال : سمعت أبا حماد الحفار – وكان ثقة ورعًا – قال : دخلت يوم الجمعة المقبرة نصف النهار، فما مررت بقبر إلا سمعت منه قراءة القرآن .

تعليم الملائكة المؤمن القرآن في قبره :

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله "ﷺ وآله" : ﴿ مـــن قـــرأ القرآن ثم مات ولم يستظهره أتاه ملك يعلمه في قبره فيلقى الله وقد استظهره ﴾[1].

الأولياء يجيبون المؤذن من قبورهم :

وأخرج اللالكائي في السنة عن يحى بن معين قال : قال لى حفار : أعجب ما رأينا مـــن هذه المقابر أنى سمعت من قبر – والمؤذن يؤذن – وهو يجيبه من القبر.

(١) الحديث في جمع الجوامع وقال أخرجه أبو الحسين بن بشران في فوائده ، وابن النجار عن أبي سعيد، ومسند الفردوس للديلمي.

أريج رائحة المسك والريحان والياسمين تفوح من قبور الصالحين:

عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال : كنت فيمن حفر لسعد بن معاذ قبره بالبقيع وكان يفوح علينا المسك كلما حفرنا من قبره ترابًا حتى انتهينا إلى اللحد[١].

عن محمد بن شرحبيل بن حسنة قال : أخذ إنسان قبضة تراب من تراب سعد فذهب بها فنظر إليها بعد ذلك ؛ فإذا هي مسك[٢].

وقال محمد بن أبي حاتم الوراق : سمعت غالب بن جبريل وهو الذي نزل عليه البخاري بخرتنك قال : وذكر قصة وفاة البخارى وفيها : ... فلما أدرجناه في أكفانه وصلينا عليه ووضعناه في حفرته ؛ فاح من تراب قبره رائحة طيبة كالمسك ودامت أيامًا ، وجعل الناس يختلفون إلى القبر أيامًا يأخذون من ترابه ، إلى أن جعلنا عليه خشبًا مشبكًا[٣].

وعن المغيرة بن حبيب أن عبد الله بن غالب الحراني لما دفن أصابوا من قبره رائحة المسك[٤]. ومن طريق أبي جعفر السراج عن بعض شيوخه قال : كشف قبر بقرب الإمام أحمد وإذ على صدر الميت ريحانة تهتز[٥].

عن مسكين بن بكير أن واردًا العجلي لما مات فحمل إلى حفرته، نزلوا ليدلوه فى حفرته، فإذا اللحد مفروش بالريحان ، فأخذ بعضهم من ذلك الريحان ، فمكث الناس يفعلون ذلك فأخذه الأمير وفرق الناس خشية الفتنة، ففقده الأمير من منزله لا يدرى كيف ذهب[٦].

---

(١) ابن سعد في الطبقات .
(٢) ابن سعد في الطبقات .
(٣) راجع هذه القصة في هدى الساري ص ٥١٨.
(٤) عبد الله بن غالب الحراني البصري صدوق قليل الحديث كما في التقريب ، راجع ترجمته في التهذيب – التقريب (الحلية لأبى نعيم) والقصة في : كتاب الأولياء لابن أبى الدنيا ، وأخرجه أبو نعيم في الحلية .
(٥) رواه ا بن الجوزي .
(٦) أخرجه ابن أبى الدنيا في كتاب الرقة والبكاء .

عن محمد بن مخلد الدوري الحافظ[1] قال : ماتت أمي فترلت ألحدها ، فانفرجت لي فرجة عن قبر بقربها ، فإذا رجل عليه أكفان جدد وعلى صدره طاقة ياسمين طرية ، فأخذتها فشممتها ، فإذا هي أذكى من المسك ، وشمها جماعة كانوا معي ، ثم رددتها إلى موضعها وسددت الفرجة .

تزاور الموتى في قبورهم :

عن أبي قتادة ﷺ قال : قال رسول الله "ﷺ وآله" : ﴿ إذا ولى أحدكم أخاه فليحسن كفنه ، فإنهم يتزاورون في قبورهم ﴾[2]. والمراد بتحسينه بياضه ونظافته وسبوغه وكثافته لا كونه ثمينا ، وأن يكون من حلال طيب .

وعن جابر ﷺ قال : قال رسول الله "ﷺ وآله" : ﴿ حسنوا أكفان موتاكم فإنهم يتباهون ويتزاورون في قبورهم ﴾[3].

وأخرج ابن عدي في الكامل من حديث أبي هريرة مرفوعا مثله ، وأخرج الخطيب في التاريخ من حديث أنس مرفوعا مثله .

وعن قيس بن قبيصة قال : قال رسول الله "ﷺ وآله" : ﴿ من لم يؤمن لم يؤذن له في الكلام ﴾ قيل : يا رسول الله ، وهل يتكلم الموتى ؟ قال : ﴿ نعم ، ويتزاورون ﴾[4].

أورد السيوطي في كتابه : (بشرى الكئيب بلقاء الحبيب) :

(١) محمد بن مخلد بن حفص أبو عبد الله الدوري العطار، كان أحد أهل الفهم موثوقاً به في العلم ، متسع الرواية ، مشهورًا بالديانة موصوفًا بالأمانة مذكورًا بالعبادة ، قال الدار قطني : ثقة مأمون ولد سنة ٢٣٣ هـ وتوفى ٣٣١ هـ ، راجع تاريخ بغداد . (٣/٣١٠ ، ٣١١) حيث ذكر القصة هناك مع اختلاف يسير في اللفظ.

(٢) الحديث في الجامع الصغير ورمز له بالصحة وذلك بالنسبة للجزء الأول من الحديث ، وفي جمع الجوامع قال : أخرجه أحمد ومسلم والنسائي وابن حبان وابن الجارود عن جابر، والترمذي وقال حسن غريب ، وابن ماجه والضياء المقدسي عن أبى قتادة، والخطيب عن أنس ، وقال الشوكاني في حديث أبى قتادة حسنه الترمذي ورجال إسناده ثقات ، أما الجزء الثاني من الحديث فقد خرجه الأرغياني في كتاب الأفراد.

(٣) قال السيوطي : أخرجه الحارث بن أبي أسامة في مسنده ، والعقيلي والوايلي في الإبانة .

(٤) قال السيوطي : أخرجه الشيخ ابن حبان في كتاب الوصايا.

قال السلفي : عود الروح إلى الجسد في القبر ثابت على الصحيح لجميع الموتى وإنما الخلاف في استمرارها في البدن ، وهو أن البدن يصير حيا بها كحالته في الدنيا أو حيا بدونها ، وهي حيث يشاء الله ، فإن ملازمة الحياة للروح أمر عادى لا عقلي ، هذا وإن البدن يصير بها حيا كحالته في الدنيا مما يجوزه العقل ، فإن صح به سمع اتبع ، وقد ذكره جماعة من العلماء ، ويشهد له صلاة موسى في قبره فلا تستدعى جسدا حيا ، وكذلك الصفات المذكورات في الأنبياء ليلة الإسراء كلها صفات لا أجساد ، ولا يلزم من كونها حياة حقيقة أن تكون الأبدان معها كما في الدنيا من الاحتياج إلى الطعام والشراب وغيرها من صفات الأجسام التي نشاهدها ، بل يكون لها حكم آخر . وأما الأول كالعلم والسماع فلا شك أن ذلك ثابت لجميع الموتى ، هذا كلام السبكي[(١)] .

قال اليافعي : مذهب أهل السنة أن أرواح الموتى ترد في بعض الأوقات من عليين أومن سجين إلى أجسادهم في قبورهم عند إرادة الله تعالى ، وخصوصا ليلة الجمعة ، ويجلسون ويتحدثون ، وينعم أهل النعيم ويعذب أهل العذاب ما دام في عليين أو سجين ، وفي القبر يشترك الروح والجسد[(٢)].

علم الموتى بزوارهم وأنسهم بهم :

عن السيدة عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله "ﷺ وآله" : ﴿ ما من رجل يزور أخاه ويجلس عنده إلا استأنس به ورد عليه حتى يقوم ﴾[(٣)].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما : قال رسول الله "ﷺ وآله" : ﴿ ما من أحد يمر بقبر أخيه المؤمن كان يعرفه في الدنيا فيسلم عيه إلا عرفه ورد عليه السلام ﴾[(٤)].

---

(١) شرح الصدور.
(٢) روض الرياحين لليافعي . ذكره السيوطي .
(٣) قال السيوطي : أخرجه ابن أبي لدنيا في كتاب " المفتون " انظر " شرح الصدور".
(٤) قال ابن رجب : خرجه ابن عبد البر، وقال عبد الحق الإشبيلي : إسناده صحيح ، يشير إلى أن رواته كلهم ثقات.

وقد شرع سيدنا ومولانا رسول الله "ﷺ وآله" لأمته أن يسلموا على أهل القبور سلام من يخاطبونه ممن يسمع ويعقل .

توالى الخيرات المعنوية والحسية على الشهداء في البرزخ :

قال تعالى : ﴿وَلاَ تَقُولُواْ لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبيلِ اللَّـهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاء وَلَكِن لاَّ تَشْعُرُونَ﴾(١) لأن من قتل فى سبيل الله أقدم على القتل لا طمعًا في جنة ، ولا خوفًا من نار ، ولا رغبة فيما دونهما ، ولكنه أقدم ليلقى الأحبة ، سيدنا محمدًا "ﷺ وآله" وحزبه ، وهذا الذي نراه قتيلاً بين الصفين لم يمت ، ولكنه رفع إلى حظيرة القرب حيًا يرزق ، لا يمضى نفس من الأنفاس إلا وتتوالى عليه الخيرات المعنوية والحسية ، أما الخيرات المعنوية فإنه يكتب له في صحيفته أعمال كل من هداهم الله تعالى على يده ، وأعمال من اهتدوا بهداهم إلى يوم القيامة، وقد يكون فى قبره وعشرات الملايين تعمل بعمله فيكتب الله له أعمالهم في صحيفته، لا ينقص ذلك من أعمالهم شيئًا ، قال "ﷺ وآله" : ﴿ من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة ﴾(٢) فذلك هو جزاؤهم ، وهم بتلك المثابة أحياء يرزقون خير الأرزاق من حيث لا يعلمون .

وكم من رجال قتلوا في سبيل الله ، ولهم أكبر قسط من عملنا وعلمنا ، لأنهم قتلوا في إعلاء كلمة الله وإحياء سنة رسوله "ﷺ آله" ، وهذه هي الشهادة الكبرى ، لأنه جاهد نفسه في ذات الله حتى أفلحت ، ثم خرج فارًا إلى الله تعالى حتى قتل بين الصفين .

وقد ورد في الحديث الصحيح أن أرواح الشهداء في أجواف طيور خضر تسكن سدرة المنتهى(٣)، وورد أيضًا أنهم يكونون طيورًا خضرًا يسبحون في الجنة يأوون إلى سدرة المنتهى ، فهم في نعيم مقيم في الدنيا ، ومشاهدة الوجه العلى الجميل يوم القيامة ، وورد أيضًا أن الله

---

(١) البقرة : ١٥٤.
(٢) رواه مسلم في كتاب العلم وكتاب الزكاة ، والنسائي في كتاب الزكاة ، وأحمد في الجزء الرابع، وابن ماجه في كتاب المقدمة ، والدرامي في كتاب المقدمة .
(٣) رواه الترمذي في كتاب فضائل الجهاد الباب ١٣ والدرامي في كتاب الجهاد الباب ١٨ وأحمد في الجزء السادس .

يفتح لهم وهم في قبورهم بابًا يشهدون منه أمكنتهم في الجنة ، فيسألون الله السرعة ، كما يفتح للمنافقين والكفار بابًا إلى النار فيتمنون تأخير وصولهم إليها .

أما الذين يرجعون إلى أهليهم من المجاهدين في الصف ، فإنهم يرجعون بالنصرة والغنيمة والمغفرة .

أما الذين يموتون قبل الملحمة فلهم رزقهم في البرزخ ، لا كمن جندل في الصف ، وإنما عين الله من قتل في هذا الموقف وخصهم بهذا الفضل العظيم لأنهم باعوا أنفسهم وأموالهم .

الحياة الروحانية للشهداء فى البرزخ :

قال تعالى : ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون﴾[1].

﴿ ولا تحسبن ﴾ أي : لا تظن ﴿ الذين قتلوا ﴾ يوم بدر وأحد ﴿ في سبيل الله ﴾ أي : في إعلاء كلمته ونصرة دينه ﴿ أمواتاً ﴾ كالذين يموتون في غير الجهاد ، ويستمر موتهم إلى يوم القيامة حتى ينفخ في الصور ﴿ بل أحياء عند ربهم يرزقون ﴾ بل هم أحياء عند ربهم .

ولما كانت أنواع الحياة تتفاوت كما قررنا فيما سبق ؛ فإن حياة الجماد تخالف حياة النبات ، وحياة النبات تخالف حياة الحيوان ، وحياة الحيوان تخالف حياة الإنسان ، وحياة الإنسان في الكون تغاير حياة من استشهد في سبيل الله ، فإنه بقتله في سبيل الله فقد الحياة الحيوانية ، فأعطاه الله تعالى حياة روحانية عنده سبحانه ، يتنعم بلوازم تلك الحياة الروحانية عند ربه مما يرزقه سبحانه به ؛ من الأنواع التي بها سعادة وبهجة وملاذ وأنس الأحياء عند ربهم ، فيرزقهم الله تعالى من فضله ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر .

والواجب علينا السمع والطاعة لله ورسوله ، تصديقًا لخبره وإيمانًا به سبحانه وتعالى ، فهم أحياء عند ربهم حياة فوق أن نتصورها ، لا حياة من هم عند أنفسهم أو عند الكون .

---

(١) آل عمران : ١٦٩.

وما تقول في قوم فروا إلى الله رغبة في الوصول إليه ، وألقوا بأنفسهم على ظبي السيوف وتحت سنابك الخيل ، حتى بذلوا آخر نفس من أنفاسهم شوقًا إلى نيل رضاه ، فصدقوا فيما عاهدوا الله عليه ، ووفوا في بيعهم فقبل سبحانه منهم ، وأعطاهم خيرًا مما تقربوا به إليه ؟ وهم أحياء يرزقون كما قال الله تعالى .

وليس للعقل بعد خبر الله تعالى أن يبحث عن هذا الفضل العظيم ، بل الواجب عليه أن يسارع إلى ميدان الجهاد ، فيلقى بنفسه كما ألقوا بأنفسهم ، ولديها ينكشف الحجاب عما تفضل به العلى الوهاب ، فإن العقل يحكم أن أرقى الحيوانات لا تدرك ملاذ الحياة الإنسانية – وهى المشهودة المسموعة الملموسة له – فكيف تدرك حياة من عند ربنا ؟ حياة من استشهد في سبيل الله فأحياه الله ورزقه وفرحه ؟ قال تعالى : ﴿ فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾[1].

قوله تعالى : ﴿ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[2].

﴿ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُم اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ﴾ الفرح : هو السرور الذي تدعو إليه سوابغ النعم والفوز بالأمل ، والمعنى أنهم مسرورون بما آتاهم الله من فضله بقتلهم فى سبيله سبحانه ، فإن الله أحياهم الحياة العالية ، وتفضل عليهم بخير رزقه الجامع لملاذ الروح والنفس والعقل والحس ، بحسب حياتهم التى أكرمهم الله بها ، فكان ما آتاهم الله من تلك الحياة وهذا الرزق موجبًا للفرح والمسرة ، وكأن الله تعالى يقول : يا عبادي الذين بذلوا أرواحهم وحياتهم في سبيل إعلاء كلمتي ؛ ونصرة لديني ؛ لأمنحنكم حياة روحانية عندى في دار قدسي ، ولأرزقنكم مما به بقاء تلك الحياة أبدياً ، ونيل مسراتها وملاذها وسعادتها .

﴿ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ ﴾ هذه الآية خبر من الله لنا عن شهداء بدر وأحد ، والسبب خاص والحكم عام ، فهو خبر عن جميع الشهداء الذين هم أحياء

---

(١) النساء : ٦٥.
(٢) آل عمران : ١٧٠.

عند ربهم ، والمعنى أن الشهداء الذين هم أحياء عند ربهم يرزقون ، يطلبون الفرح والمسرة من الله تعالى ﴿ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم ﴾ من إخوانهم الذين تركوهم على ما كانوا عليه من التسليم الأكمل لرسول الله "ﷺ وآله" ومن المسارعة إلى الجهاد إعلاء لكلمة الله ، وتلك المسرة والفرح باستبشارهم بهم ، لتحققهم أن إخوانهم لا يزالون محافظين على ما كانوا عليه وهم في الدار الدنيا ، وبتلك الحالة يفوزون بما فاز به الشهداء من الحياة الروحانية ، ورزق الله تعالى الذى منه الفوز بفضل الله تعالى وبرضوانه الأكبر ، وكمال النعمة بدوام تلك الخيرات أبدية إلى ما لا نهاية ، ومعنى ﴿ لم يلحقوا بهم ﴾ أي : لم يقتلوا في سبيل الله فيفوزوا بما فاز به من قتلوا قبلهم ، والفوز متحقق ولكن لا ينال إلا بالشهادة .

﴿ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ أن وما دخلت عليه مؤولة بمصدر مجرور بالباء المحذوفة بدل من الذين في قوله : ﴿ بالذين لم يلحقوا بهم ﴾ بأن لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، ونفى عنهم سبحانه وتعالى الخوف من لقاء الله تعالى الذى يجعل قلوب أهل الإيمان في فزع من الحساب ، لتحققهم بالتقصير عن القيام له سبحانه تعظيمًا وإجلالاً له تعالى .

وهذا الخوف لا يفارق قلوب العارفين بالله – خصوصًا عند الموت – إلا إذا طمأن الله قلوبهم بالبشائر ، قال الله تعالى : ﴿ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ ﴾[1].

ونفى عنهم الحزن على من يفارقونهم وما يفارقون من أهل وولد وآثار ، وهذا الحزن أيضًا لا يفارق القلوب إلا بما يتفضل الله به على المؤمن عند موته بالبشائر، منحنا الله هذا الفضل العظيم بإحسانه .

﴿ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ ﴾[2] يطلبون المسرة والفرح بالنعمة من الله تعالى، كما طلبوا منه المسرة بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ، والمسرة والفرح بنعمة تتوالى عليهم من الله تعالى .

---

(١) يونس : ٦٤.
(٢) آل عمران : ١٧١.

مقر الأرواح :

عن ابن مسعود ﷺ قال : قال رسول الله "ﷺ وآله" : ﴿ أرواح الشهداء في حواصل طير خضر تسرح في الجنة حيث شاءت ، ثم تأوي إلى قناديل تحت العرش ﴾[١].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي "ﷺ وآله" قال : ﴿ لما أصيب أصحابكم بأحد جعل الله أرواحهم في حواصل طير خضر ترد أنهار الجنة ، وتأكل من ثمارها ، وتأوي إلى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش ﴾[٢].

وعن أنس ﷺ أن حارثة ﷺ لما قتل ، قالت أمه : يا رسول الله ، قد علمت منزلة حارثة ، فإن يكن في الجنة أصبر، وإن يكن في غير ذلك ترى ما أصنع ؟ قال رسول الله "ﷺ وآله" : ﴿إنها جنات كثيرة وإنه في الفردوس الأعلى﴾[٣] .

وفي مراسيل عمرو بن الحبيب قال : سألت النبي "ﷺ وآله" عن أرواح المؤمنين فقال : ﴿في حواصل طير خضر تسرح في الجنة حيث شاءت....﴾[٤] .

وعن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله "ﷺ وآله" : ﴿ إن أرواح المؤمنين في السماء السابعة ينظرون إلى منازلهم في الجنة ﴾[٥] .

وعن وهب بن منبه ﷺ قال : إن لله في السماء السابعة دارا يقال لها البيضاء ، تجتمع فيها أرواح المؤمنين ، فإذا مات من أهل الدنيا أحد تلقته الأرواح يسألونه عن أخبار الدنيا كما يسأل الغائب عن أهله إذا قدم عليهم[٦] .

---

(١) مسلم ، وفي الفتح الكبير زيادة نسبته للترمذي .
(٢) الحديث في جمع الجوامع وقال أخرجه أحمد ، وسنن أبى داود ، والطبري والحاكم وصححه على شرط مسلم ووافقه الذهبي .
(٣) في صحيح البخاري باب " فضل من شهد بدرا ".
(٤) قال السيوطي : أخرجه الطبراني في مراسيل عمرو بن حبيب .
(٥) أخرجه أبو نعيم في الحلية في ترجمة وهب بن منبه .
(٦) قال السيوطي : أخرجه سعيد بن منصور في سننه ، انظر شرح الصدور .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى : ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الأنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الأخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ﴾[1] قال : سبب ممدود ما بين المشرق والمغرب بين السماء والأرض ، فأرواح الموتى وأروح الأحياء إلى ذلك السبب تتعلق النفس الميتة بالنفس الحية ، فإذا أذن لهذه الحية بالانصراف إلى جسدها لتستكمل رزقها ، فأمسكت الميتة ، وأرسلت الأخرى[2].

وقال صاحب الإفصاح : المنعم على جهات مختلفة :

منها : ما هو طائر في أشجار مختلفة في الجنة .

ومنها: ما هو في حواصل طير خضر .

ومنها: ما هو في حواصل طير كالزرازير .

ومنها: ما هو في أشجار الجنة .

ومنها : ما هو في صور تخلق لهم من ثواب أعمالهم .

ومنها : ما تسرح وترد إلى جثتها تزورها .

ومنها : ما تتلقى أرواح المقبوضين .

ومنها : ما هو في كفالة ميكائيل .

ومنها : ما هو في كفالة آدم .

ومنها : ما هو في كفالة إبراهيم[3].

قال القرطبي : وهذا قول حسن يجمع الأخبار حتى لا تتدافع[4].

---

(١) الزمر : ٤٢.
(٢) قال السيوطي : أخرجه جويبر في تفسيره.
(٣) ذكره شبيب بن إبراهيم في كتابه الإفصاح ، انظر التذكرة للقرطبي ، وشرح الصدور للسيوطي .
(٤) القرطبي في التذكرة .

وذكر البيهقي نحوه لما ذكر حديث ابن مسعود في أرواح الشهداء ، وحديث ابن عباس ، ثم أورده حديث البخاري عن البراء قال : لما توفى إبراهيم ابن النبي "ﷺ وآله" قال رسول الله "ﷺ وآله" : ﴿ إن له مرضعا في الجنة ﴾ .

ثم قال : يحكيه رسول الله "ﷺ وآله" عن ابنه إبراهيم عليه السلام بأنه يرضع في الجنة ، وهو مدفون بالبقيع في قبره بالمدينة(١) .

الموت قبل الموت حياة المجتبين

يقول الإمام المجدد أبو العزائم عليه السلام :

ظهورك للشهود الاعتبار	لأنك في كمال الاقتدار
جلالك جاذب للقرب جذبا	به حفظ العبودة للقرار
جمالك مثبت فقري وذلي	وجهلي سيدي بل واضطراري
ظهورك بالشئون به شهودى	جلالاً أو جمالاً في مداري
وفي حالى جمال أو جلال	فإنى العبد فى حال افتقاري
عطاؤك في الجلال جمال قرب	عطاؤك في الجمال ضيًا لساري
وفي موتي حياتي بعد حبي	حياتي عين موتي في اختياري
إذا ما مت قبل الموت أحيا	حياة المجتبين بها فخاري
شئون أظهرت غيبًا مصونًا	تليح صفاته بعد انتظاري
فأشهد قادرًا وأرى حكيما	تجلى ظاهرًا فمحا عثاري
وجسمي راحلاً ويرى مقيمًا	عجيب غفلتي بعد ادكاري
ودار إقامتي فردوس ربي	وأسكن للحضيض وللمثاري
وعهد "ألسْتُ" أنسى كيف هذا؟!	وفيه الوجه لاح بلا ستار
وتلك الدار فانية يقينًا	فدعها تمنحن إحسان باري

(١) ذكره السيوطي في شرح الصدور نقلا عن البيهقي .

ويقول في موضع آخر داعيا :

رَوِّح الـــرُّوحَ آنـــسِ القلـــبَ ربى ... فى جميـع الشـئون مـن غـير حجـب
فى ظهـــور الأقـــدار هبنـــا يقينًـــا ... واشـرح الصـدر بالرضـا والحـب
فى ظهـــور الأقـــدار طمـــئن قلوبًـــا ... حَصِّـنْهَا مـن موجبـات الشـوب
أشــهِدنَّا الممـــات فضـــلاً حيـــاةً ... أشـهِدنَّا الحيـاة خـير القـرب
علِّمَنَّـــا الـــيقين في كـــل شـــأن ... أشـهِدنَّا الجمـالَ مـن غـير ريـب
واقـــبض الـــرُّوحَ بـــاليمين وهبنـــا ... يـا إلهـى الـيقينَ بالوصـل يـنبي

أقسام الناس يوم القيامة بعد البعث والنشور :

يبين الإمام المجدد أبو العزائم ﷺ أن الناس يوم القيامة ينقسمون إلى أربعة أقسام :

القسم الأول : هم الذين يخرجون من القبور لهم أجنحة يطيرون بها إلى مسرات الحياة الثانية

ومنهم من يركب الحجب النورانية ، ومنهم من تؤمهم الملائكة إلى الفردوس ، وهؤلاء لا يمرون على الصراط ، ولا يرون الميزان ، ولا يحزنهم الفزع الأكبر ، قال سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَى أُوْلَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ لا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ لا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ هَـذَا يَوْمُكُمُ الَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾[1].

وهؤلاء المقربون والأبرار وأهل اليمين وردوا النار في الدنيا وساروا على الصراط فيها ، والنار التي وردوها هي مجاهدة أنفسهم فى ذات الله ، والصراط الذي اجتازوه هو السير على

---

(١) الأنبياء : ١٠١ – ١٠٣.

شريعة النبى "ﷺ وآله" بكمال أتباعه ، والحساب الذي أنجاهم الله منه هو مراقبة الله تعالى فى كل عمل ، قال الله تعالى فى الحديث القدسي: ﴿ لا وعزتى وجلالى لا أجمع لعبدى أمنين ، ولا أجمع له أبدًا خوفين ، فإن هو خافنى فى الدنيا أمننى يوم أجمع فيه عبادي عندي في حظيرة القدس ، فيدوم له أمنه ، وإن هو أمنني في الدنيا خافني يوم أجمع فيه عبادي لميقات يقوم معلوم فيدوم له خوفه ﴾[1] .

القسم الثاني : هم الذين لا يقام لهم ميزان ولا ينصب لهم صراط

وهم الذى قال الله عنهم : ﴿ فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً ﴾[2]، لأنهم كفروا بالله ، أو ماتوا على النفاق .

القسم الثالث : هم الذين يحاسبون حسابًا يسيرًا

وهم الذين يحاسبون حساباً يسيراً كما قال سبحانه ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا وَيَنقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴾[3] ، وكما قال تعالى : ﴿وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً عسى الله أن يتوب عليهم إن الله غفور رحيم﴾[4] وهم الذين مدحهم الله بقوله : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُواْ أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُواْ اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَى مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾[5]، وهم عامة أهل اليمين .

والحقيقة أن العصمة لم تثبت إلا لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، والله تعالى أخبرنا أنه يحب التوابين ويحب المتطهرين ، أسأل الله أن يمنحنا دوام التوبة ، ويهب لنا قوة يطهرنا بها من كل خاطر أو وارد يحجبنا عنه سبحانه وتعالى ، والتوبة هي الرجوع من المعاصي

---

(١) رواه السيوطي في الجامع الصغير والبيهقي عن أبى هريرة .
(٢) الكهف : ١٠٥.
(٣) الانشقاق : ٧-٩.
(٤) التوبة : ١٠٢.
(٥) آل عمران : ١٣٥.

إلى الطاعات ، والتطهير هو مجاهدة النفس لتزكو من فطرها ونزوعها إلى الغفلة والنسـيان لتدوم لها المراقبة .

القسم الرابع : هم الذين يحاسبون حسابًا شديدًا

قال تعالى: ﴿ وأما من أوتى كتابه وراء ظهره فسوف يدعو ثبوراً ويصلى سعيراً إنه كان فى أهله مسروراً إنه ظن أن لن يحور بلى إن ربه كان به بصيراً ﴾[1].

فتقرر أن الناس يوم القيامة منهم المقربون وهم الذين أنجاهم الله وينجى بشفاعتهم يـوم القيامة من شاء ...... ومنهم ، ومنهم ، نسأل الله تعالى أن يجعلنا بفضله مـن أهـل سـابقة الحسنى .

---

(١) الانشقاق : ١٠ ـ ١٥

الباب الثانى

جنة سيدنا آدم عليه السلام

سر إدخال سيدنا آدم عليه السلام الجنة وإهباطه منها :

لما كان سيدنا آدم عليه السلام هو المخلوق الذي تجلى فيه الحق لخلقه كما ورد ، أدخله في الجنة التي فيها مسرات الحس ونعيم الجسم ، وغذاء الروح من الحكمة ومحبة الله تعالى ، ليشتاق إليها بعد رده – وتلك الجنة هي طبقة من الفردوس – بدليل قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴾[1] وبدليل قوله سبحانه: ﴿ فَأَكَلا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا ﴾[2].

ومعلوم أن الجنة لا تقع فيها المعصية ، فقدر الله المعصية على سيدنا آدم في الجنة ليرده عنها عدلا ، بعد أن أدخله فضلا ، وليعلمه أنه أخرجه منها بذنب ، فكيف يدخل فيها من عصاه في الدنيا ؟! وليشجع خلقه على التوبة عند وقوع المعصية .

والله تعالى غرس الإنسان بيده في جنة عدنه ، فالإنسان شجرة ربه ، وهو السدرة التي رأسها مغروس في العرش ، وأطرافها مدلاة في الجنة ، وتلك الشجرة التي هو صورة الحق لها ثمر هو جمالها الذي يجب أن يحفظ لزارعها سبحانه .

فإذا تجاوز الإنسان حد العبودية وتناول ما هو خاص بربه ؛ عصى وغوى لحكمة بينت لك بعضها ، فرد إلى الأرض ليرتقي إلى مقامات القرب ، وليتجمل بجمال الخلافة ، فيكون مرآة لظهور معاني صفات ربه ، وحقيقة هي مظهر لظهور صفات نفسه وهي العبودية ، واسمع وسلم إن لم تذق ، فإن من حرم التسليم والذوق حرم الخير كله .

أودع الله أمانته في آدم ، فنسي آدم ونسب لنفسه ما ليس له ، فكان ما كان من ظهور سوءته ومن شدة وجله والله غالب على أمره ، قال سبحانه : ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾[3] وإن ما أكل آدم ما فيه من أمانة باريه ، منحنا الله الذوق ، وجملنا بالشوق ، وحفظنا من الإنكار ، إنه مجيب الدعاء[4].

---

(١) التين : ٥ .
(٢) طه : ١٢١ .
(٣) الأنبياء : ٣٥ .
(٤) الطهور المدار على قلوب الأبرار " للإمام المجدد أبى العزائم " بتصرف ".

هل هي جنة الخلد أم غيرها ؟ :

يقول الله تعالى لسيدنا آدم عليه السلام : ﴿ اسكن أنت وزوجك الجنة ﴾[1] قالت طائفة : أسكن الله آدم جنة الخلد التى يدخلها المؤمنون يوم القيامة ، وقال آخرون : هى جنة غيرها جعلها الله له وأسكنه إياها ليست جنة الخلد ، قال منذر بن سعيد فى تفسيره : وهذا قول تكثر الدلائل الشاهدة له والموجبة للقول به .

قال أبو الحسن الماوردى في تفسيره : واختلف الناس في الجنة التى أُسْكِنَاها على قولين :

أحدهما : أنها جنة الخلد .

الثاني : أنها جنة أعدها الله تعالى لهما وجعلها دار ابتلاء ، وليست هى جنة الخلد التى جعلها دار جزاء .

ومن قال بهذا اختلفوا فيه على قولين :

أحدهما : أنها فى السماء لأنه أهبطهما منها ، وهذا قول الحسن .

الثاني : أنها فى الأرض ، لأنه امتحنهما فيها بالنهي عن الشجرة التى نهيا عنها دون غيرها من الثمار ، وهذا قول ابن بحر ، وكان ذلك بعد أن أمر إبليس بالسجود لآدم عليه السلام ، والله أعلم بصواب ذلك . هذا كلامه .

وقال ابن الخطيب فى تفسيره : واختلفوا في الجنة المذكورة فى هذه الآية : هل كانت في الأرض أو في السماء ؟ وبتقدير أنها كانت في السماء ، فهل هي الجنة التي هي دار الثواب وجنة الخلد أو جنة أخرى ؟ .

---

(١) البقرة : ٣٥ .

فقال أبو القاسم البلخي وأبو مسلم الأصبهاني : هذه الجنة في الأرض ، وحملا الإهباط على الانتقال من بقعة إلى بقعة كما في قوله تعالى : ﴿ اهبطوا مصرًا ﴾[1].

القول الثاني : وهو قول الجبائي أن تلك الجنة كانت فى السماء السابعة .

والقول الثالث : أن هذه الجنة هي دار الثواب .

وقال أبو القاسم الرازي في تفسيره : واختلف في الجنة التى أسكنها آدم ؛ فقال بعض المتكلمين :كانت بستانًا جعله الله تعالى له امتحانًا ولم تكن جنة المأوى .

واختار أبو عيسى الرماني في تفسيره أنها جنة الخلد .

واختار ابن الخطيب التوقف في المسألة وقال : إن الكل ممكن ، والأدلة متعارضة ، فوجب التوقف وترك القطع .

وقال منذر بن سعيد : والقول بأنها جنة في الأرض ليست جنة الخلد قول أبي حنيفة وأصحابه ، وأن زيدًا المالكي يقول في تفسيره : سألت ابن نافع عن الجنة : أمخلوقة هي ؟ فقال: السكوت عن الكلام في هذا أفضل ، وابن عيينة يقول : في قول الله عز وجل : ﴿ إِنَّ لَكَ أَلاَّ تَجُوعَ فِيهَا وَلا تَعْرَى ﴾[2]، قال : يعني في الأرض .

وهذا وهب بن منبه يحكي أن آدم عليه السلام خلق في الأرض وفيها سكن ، وفيها نصب له الفردوس، وأنه كان بعدن ، وأن أربعة أنهار انقسمت من ذلك النهر الذى كان يسمى فردوس آدم .

إلى أن قال منذر بن سعيد : وأخرجه من مشرق جنة عدن ، وليس في جنة المأوى مشرق ولا مغرب لأنه لا شمس فيها ، إلى أن قال : وأخرجه إلى الأرض التى أخذ منها ، يعني أخرجه من الفردوس الذى نصب له في عدن في شرق أرض الهند.... إلى آخر ما قاله .

---

(١) البقرة : ٦١ .
(٢) طه : ١١٨.

الواجب على طالب كشف الحقائق :

يبين الإمام المجدد أبو العزائم أن الجنة كل مكان تجمل بالأشجار اليانعة حتى ستر الخارج منه عن الداخل فيه وستر الداخل عن الخارج وهذا معنى الجنة ، فالجَنة – بفـــتح الجـــيم – : البستان ، والجُنة – بضم الجيم – : الوقاية أو ما يستر به الإنسان نفسه من غيره ، والجِنة – بكسر الجيم – : هو كل ما يَرى ولا يُرى .

كما أن ما ورد من الأخبار في تعيين الشجرة التى أكل منها آدم بعد أن أبهم الله الأمـــر علينا ولم يبين لنا فيها بيانًا ، بل ولم يرد فى صحيح الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ما يعينها حقيقة ، فيكون البحث عنها لتعيينها بطريقة العقل والنقل مما لا ينفع علمه ولا يضر جهله ، لأن الله تعالى لو قدر أن في العلم بها رضًا له عن خلقه لبينها وعينها .

والواجب على طالب كشف الحقائق أن يتلقاها عن محدث أو منه ، أو يســـلك طريـــق الرياضة الفادحة لتزكو نفسه ، فإذا زكت نفسه جانست العالم الأعلى ، فكاشـــفها بتلـــك الحقائق مكاشفة يطمئن بها القلب بعد الإيمان الكامل ، وهذا هو طريق السلوك إلى الله .

ويتساءل الإمام المجدد في كتابه (أسرار القرآن) قائلاً : ما الحكمة في إسكانهما الجنة ؟ وفي معصيتهما وإهباطهما إلى الأرض ؟ وما السر في إزلال الشيطان إياهما عـــن الجنـــة ؟ – يقصد آدم وحواء عليهما السلام –

ويجيب قائلاً : أسكنهما الله الجنة وهو يعلم أنها ليست دار بقاء لهما الآن ، ليشـــهدهما سبحانه وتعالى ما فيها من النعيم والبهجة والهناءة ، ودوام العافية والصفاء ، فإذا أهبطـــا إلى الأرض تذكراها فحنَّا إليها وشوَّقا ذريتهما إليها .

وقدَّر سبحانه المعصية عليهما ليعلما أنهما أهبطا من دار النعيم والمسرة والبهجة بمعصية واحدة ، فيخافون أن يحرموا من الرجوع إليها إذا هم وقعوا في معاص أخـــرى فى الـــدنيا ، وكيف يطمع رجل أن يدخل الجنة التي أخرج الله منها آدم بمعصية واحدة بعد أن عصـــى الله تعالى في الأرض ؟! .

وحكمة وسوسة إبليس لآدم أن إبليس ما وسوس لآدم إلا بعد أن تحركت نفسه الأمارة بالسوء في وقت كان يجب عليها أن تسكن ، أمرها الله تعالى بالسكون إليه عند إسباغه سبحانه النعم المتوالية في الجنة فتحركت – حفظنا الله من شرورها – متمنية البقاء في الجنة ، فاتصل بها مجانسها إبليس وقوى عندها هذا الأمل فاشتد طلبها له ، فأقسم لآدم وزوجته إن أكلا من هذه الشجرة ينالا البقاء ، فكانت الحكمة أن يظهر آدم وزوجته عداوة تلك النفس التي يتصل بها إبليس فيزلهما عما هما فيه سواء أكان في الجنة أو في غيرها ، والعصمة بيد الله و العناية منه ، ونيل الخير في الدنيا والآخرة به سبحانه .

وفي بيان الحكمة من إسكان آدم عليه السلام الجنة إشارة عالية يتذوقها أهل المعرفة بالله؛ يوضحها لنا رضي الله عنه في قصيدة له فيقول :

هي الأسما تلوح بمقتضاها ... تليح الآي من معنى ضياها
جلال أو جمال إن تجلت ... حجاب أو شهود من هداها
ظهور وهي هي أزلا وأبدًا ... لتعرف بالمظاهر في علاها
هي الأسما ظهور أو بطون ... تعالت في النزاهة عن سواها
تراءت بالتنزل في شئون ... وهي غيب وفي أخفى خفاها
وقد ظهرت ولم تُشهد سموا ... وعين ظهورها يخفي بهاها
وأقرب من وريدي فيّ لكن ... جهِلْتُ مكانتي فمتى أراها؟!
وقد ظهرت بما أولت جمالاً ... ظلمتُ نسبُ لي جهلاً عطاها
وبدءا أشرقت لي أظهرتني ... وقد عُوهِدْتُ أن أهوى هواها
هي الأسما تراءت في شئون ... أنال بها السعادة في رضاها
ظلومًا صرتُ حيثُ جهلت نفسي ... وكنتُ النورَ بدءًا في حماها
أكلتُ بجنة الفردوس معنى ... نُهت عنه أطعتُ بها عِداها
رُدِدْتُ لحكمة هي رفع شأني ... إذا لبيتُ في كوني نداها
أَحَبَّ عَدوَّها جسمي وحسي ... وأطمع في عواطفها صفاها
ليظهر جل أبدعني جليا ... لِيُعرَفَ قد أرى نفسي هداها

هـــي الأسمـــاء أقـــرب لي وأولى بنفســي وهـــي غايـــة مبتغاهـــا
كمـــالي أن أخـــاف مقـــام ربي وروحـي قـد تشـاهد مـن يراهـا
فأســعد بالوصــول أنــال زلفــى تعــاد الــروح تشـهد مبتـداها

وفى معنى قول الله تعالى : ﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلاَ مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا ﴾[1] يبين ﷺ أنه في هذه الآية يعلمنا سبحانه وتعالى أنه أنعم على أبينا آدم نعمًا جسمانية بما حباه من تمتع حسه بجمال الجنة ، وبالتفضل على جسمه بشهى طعام الجنة ، وبالإحسان إلى عقله بتعقل آيات الجنة ، وبالمنة على روحه بتلقى الحكمة منه سبحانه وتعالى فى الجنة ، وهذا – والله أعلم – معنى قوله تعالى : ﴿ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ ﴾ .

لفظة ﴿ اسْكُنْ ﴾ تدل على الاستقرار فى الجنة زمنًا معينًا :

يقول جل اسمه : ﴿ اسكن ﴾ ولم يقل : استقر فى الجنة ولا : ملكتكها ، بل قال : ﴿اسكن﴾ من السكون ، وهو اللبث والاستقرار فيها زمنًا معينًا فإن في كل لفظة من ألفاظ القرآن إشارات عجيبة يفهمها أهل الذوق تدل على مراد الله تعالى أزلاً .

حواء خلقت قبل إدخال آدم الجنة وبيان العلاقة بين الأصل والفرع :

قوله سبحانه : ﴿ أنت وزوجك ﴾ يعين أن حواء خلقت قبل إدخال آدم الجنة ، خلقها سبحانه من ضلع من أضلاعه فكانت فرعًا منه ، وكان أصلاً لها ، وهذا هو السر الذى لأجله خلقت من ضلعه ليحصل منه السكون إليها ؛ والحب منها له ، فإن كل فرع يحب أصله ، وكل أصل يحب فرعه ، كما يحب الولد والده والوالد ولده في أصل الفطرة ، إلا من خبثت نفوسهم فكانت نفوسًا إبليسية فعقوا آباءهم .

من هذا نعلم أن الذين صاغ الله نفوسهم من أصفى الجواهر يحبون الله حبا جما ، لأنه سبحانه هو الذى خلقهم وأوجدهم وأمدهم بكل ما لابد لهم منه وأكمل .

---

(١) البقرة : ٣٥ .

إشارة إلى شيء من حقيقة نفس الإنسان :

وهنا نشير إلى شيء من حقيقة نفس الإنسان ، ومنه يذوق أهل الصفا طهورًا من حكمة إيجاده وكيف ينال السعادة :

خلق الله آدم من طين العزة المخلوق من نور سيدنا محمد "ﷺ وآله" ، وأعلمه أن نفسه الأمارة بالسوء أعدى عدو له، وأنه خلقه لحكمة علية كاشف بها الراسخين فى العلم، ومن سر تلك الحكمة أن فضله الله علي ملائكته إذا هو فقه سر خلق تلك النفس بعد أن أسجدهم له.

وحكمة خلق النفس الأمارة بالسوء أن يكون الإنسان في لهيب نار المجاهدة لهذا العدو اللدود ليفوز بمحاب الله ومراضيه ، وأن الله تعالى خلقها مفطورة على خواطر وهمم تضاد ما فطرت عليه النفس الملكية الفاضلة ، ولتلك النفس الأمارة بالسوء جنود وأعوان ، ومن أعظم جنودها الحس فالجسم وغيرهما ، وللنفس الفاضلة الملكية عناية بسابقة الحسنى .

أمر الله العبد بقهر تلك النفس الأمارة قهرًا يجعله يستخدمها فيما به نيل القرب من الله تعالى فينميها ولا يهملها ، ليغضب بها لله على أعدائه ، وينتقم بها لله من أعدائه ، ويدفع بها شر الأشرار ، كما يقهر الوحوش الكاسرة فيسخرها الإنسان لأغراضه .

قال الإمام التستري رضي الله عنه : إن الله تعالى أمر النفس الأمارة بالسوء أن تلتجئ إليه وتفتقر، بمعنى أنه إن أبدى عليها طاعة قالت : أعِنّي ، وإن حركت إلى معصية قالت : اعصمني ، وإن حركت إلى نعمة قالت : أوزعني ، وإن قال لها اصبري على البلاء قالت : صبرني .

وطلب من العبد أن لا يساكن قلبه أدنى وسوسة لها دون الرجوع عنها إلى ربه ، وجعل طبعها فى الأمر ساكنًا ، وفى النهى متحركًا ، وأمره بأن يسكن عن المتحرك ولا يتحرك عن الساكن بلا حول ولا قوة إلا بالله ، أي : لا حول له عن معصيته إلا بعصمته ، ولا قوة له على طاعته إلا بمعونته .

ثم أمر بدخول الجنة والأكل منها رغدًا حيث شاء ، ونصَّ عليه النهى عن الأكل من

الشجرة ، فلما دخل الجنة ورأى ما رأى قالت له النفس الأمارة : لو خلدنا ، وإنما لنا أجل مضروب إلى غاية معلومة .

فأتاه إبليس من قبل مساكنة قلبه بوسوسة نفسه فى ذلك ، فقال : هل أدلك على شجرة الخلد التى تتمناها فى هذه الدار وهى سبب البقاء والخلود ؟ وقال : ﴿مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَـذِهِ الشَّجَرَةِ إِلاَّ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴾[1]. فكانت دلالته هذه غرورًا ، وألحق به الله عز وجل وسوسة العدو لسابق علمه فيه وبلوغ تقديره وحكمه العادل عليه – انتهى .

المراد الإباحة وليس الأمر :

في قوله تعالى : ﴿ وكُلا منها رغداً حيث شئتما ﴾[2] أباح سبحانه بقوله : ﴿اسْكُنْ﴾ التمتع في الجنة بالجلوس والقيام والتنقل فيها ، وأباح له سبحانه ما فيها من الأغذية والأشربة والفاكهة ، وقوله : ﴿وكُلا ﴾ ليس المراد منه الأمر ، بل المراد منه الإباحة بدليل قوله : ﴿حيث شئتما﴾ والرغد : هو العيش الواسع الهنيء ، ولكنه سبحانه حظر عليهما شجرة عينها لهما تعيينًا لا يحتاج للشك .

الأمر والنهي سببان للسعادة والشقاء :

ثم يبين الإمام أبو العزائم في تفسيره أن الله تعالى تفضل فأباح لآدم سكنى الجنة ليتنعم فيها ، بجمال مناظرها ، ولذيذ نعمها ، وطيب نسيمها ، ويتروح فيها براح المؤانسة بعلي الملكوت ، وريحان البهجة بشهود معاني صفات الظاهر جل جلاله ، من حيث لا سبب يحجب المشاهد ، ولا خوف من فقد مطلوبه ، ولا حزن على فوات محبوبه ، ولكن الله جل جلاله أمن آدم بسكنى الجنة متمتعًا بكل ما ابتدعته يد القدرة فيها لحكمة خفيت عن العقول السليمة ، بل وعن أرواح الملائكة ، وسنشرح لك طرفًا من تلك الحكمة بعد .

---

(١) الأعراف : ٢٠ .
(٢) البقرة : ٣٥.

ولما كان الأمر بالسكنى لا يقتضى البقاء الأبدي فيها ، بل يفيد أن إسكانه فيها تكرمة له ليحيط علمًا بجمالها وما فيها من النعيم المقيم لأهلها ، فيشتاق إليها إذا فارقها ، قدَّر الله فى أزله أن يكون الأمر والنهي سببين للسعادة والشقاء ، وحجتين على سابقة الحسنى أو سـابقة السوءى ، فإن الله يشرح صدر من سبقت له الحسني لاجتنـاب المنـهيات والمسـارعة إلى المأمورات ، ويجعل من سبقت له الحسني عاجزًا عن إتيان ما نهى الله عنه لفقد الداعي ولفقـد من يعينه أو ما يعينه على المعصية ، أما من سبقت له السوءى ؛ فإن الله يستدرجه وييسر له ما به يقع فيما نهي عنه ، ويترك ما أمر الله به .

وكذلك كان الأمر فى آدم ، فإن الله تعالى قدر عليه المعصية ، ويسر له ما يعينه عليهـا من النفس الأمارة بالسوء التي تحركت في طلب الخلود ، ومن إبليس الـذي وسـوس إليـه بالوقوع في المعصية ، وجعل لتلك المعصية حكمة علية ، أعظمها عاقبة أن الله تعـالى أعلـم عباده أنه غفور رحيم ، يقبل التوبة ممن خالف أمره ونهيه وتاب إليه سبحانه .

وفي قول الله تعالي : ﴿ولا تقربا هذه الشجرة﴾ ليس المراد بالقرب هنا القرب المكاني ، بدليل قوله تعالي : ﴿ وكُلا منها رغداً حيث شئتما ﴾ بل المراد النهي عن الانتفاع بها بحسب ما تقتضيه مادتها ، والنهي شامل أنهما لا يقرباها معا ، ولا يقربها كل واحد منهما منفـردا ، لأن الله تعالي عيّن الشجرة بالإشارة إليها ، خلافا لما ظنه بعض المفسرين بأن المـراد نـوع الشجرة لا الشجرة بعينها دفعا لنسبة المعصية إلي آدم ، وهذا التأويل لا ينبغي بعد قوله تعالى: ﴿ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ﴾[1] .

وإنما يؤول غير الصريح من الأخبار التى تتحمل معانى كثيرة ، وليس أكثر صراحة من قوله تعالى : ﴿ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ﴾ومن تأول الصريح الذى ليس فيـه تلبـيس تشـبه بإبليس لتأويله حين امتنع عن السجود ، أعوذ بوجه الله الكريم من مخالفة أمره ونهيه .

---

(١) طه : ١٢١.

الفرق بين حركة النفس الأمارة بالسوء وحركة الروح :

ثم يبين ﷺ أن النفس الأمارة بالسوء من النار فهى متجانسة لإبليس ، وهى محل نظر إبليس وسمعه ، والروح هي اللطيفة الربانية الجوهرة النورانية تجانس ملكوت الله الأعلى ، وهى محل نظر الله تعالى وهى المأمورة بالحركة .

أما النفس الأمارة بالسوء فإنها مأمورة بالسكون ، فإذا تحركت أقل حركة بلمة أو بهمة أو بخاطر اتصل بها الوسواس الخناس الذى يوسوس فى صدور الناس ، فأوقعها في مخالفة ربها ، فإن لم يعصمها سبحانه وتعالى أو يتوب عليها هلكت .

وأما الروح فحركتها المسارعة إلى مغفرة ربها ، والاعتصام بحبل الله، والتعاون على البر والتقوى ، والتفكر في آلاء الله وآياته الجلية ، والتشبه بالملائكة المقربين ، وشتان بين حركة الروح وحركة الحس وحركة النفس الأمارة بالسوء .

والتوبة يجب أن تكون عملاً بالعقل والجسم والحس بمساعدة الروح الملكية بعناية الله وبتوفيقه .

أما عمل الحس فى التوبة : فالتباعد عما يسبب حركة النفس الأمارة بالسوء من المناظر والملموسات والمذوقات .

وأما عمل الجسم فى التوبة : فإذابة ما نبت من شحم ولحم بسبب الوقوع فيما حرم الله تعالى ؛ بطول الجوع والعطش والسهر .

وأما عمل العقل : فتصوير عقوبة الله تعالى والحرمان من النعيم المقيم بسبب ما ارتكبه من المعصية ؛ تصويرًا يوجب الحسرة والندم والخوف الشديد فيما إذا كانت المعصية لا حد لها فى القرآن .

أما إذا كان لها حد فالواجب على العاصى أن يسارع إلى أن يقيم الحد على نفسه على

يد المنفذ لأحكام الشريعة ، أما إذا تساهل الولاة فى إقامة الحدود فعلى التائب أن ينتظر من يقيم الحدود لتطهيره من نجاسة المعاصي بإقامة الحد عليه ، وهذا إن مات مات تائبًا ؛ لأن الله تعالى يأمرنا بقوله: ﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ .

هل يدخل أحد الجنة قبل يوم القيامة ؟ :

أول من دخل الجنة من البشر هو أبو البشر سيدنا آدم عليه السلام ﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلاَ مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا ﴾[١] ، وقال سبحانه ﴿ وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلاَ مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾[٢]، ولكن آدم عصى ربه بأكله من الشجرة التى نهاه الله عن الأكل منها فأهبطه الله من الجنة إلى دار الشقاء : ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى إِنَّ لَكَ أَلاَّ تَجُوعَ فِيهَا وَلا تَعْرَى وَأَنَّكَ لا تَظْمَأُ فِيهَا وَلا تَضْحَى فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لاَّ يَبْلَى فَأَكَلا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ﴾[٣].

وقد رأى سيدنا ومولانا رسول الله "صلى الله عليه وسلم وآله" الجنة ، ففي صحيح البخاري عن عمران بن حصين عن النبي "صلى الله عليه وسلم وآله" قال : ﴿ اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء ، واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء ﴾[٤].

ومن الذين يدخلون الجنة قبل يوم القيامة ؛ الشهداء ، ففي صحيح مسلم عن مسروق قال : سألنا عبد الله بن مسعود عن هذه الآية : ﴿ وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾[٥] .

(١) البقرة : ٣٥ .
(٢) الأعراف : ١٩ .
(٣) طه : ١١٥-١٢٣ .
(٤) صحيح البخاري ، كتاب بدء الخلق .
(٥) آل عمران : ١٦٩ .

قال : إنا قد سألنا عن ذلك فقال : ﴿ أرواحهم في أجواف طير خضر ، لهـا قناديـل معلقة بالعرش ، تسرح من الجنة حيث شاءت ، ثم تأوي إلى تلك القناديل ، فاطلع إليهم ربهم اطلاعة ، فقال : هل تشتهون شيئًا ؟ قالوا : أي شيء نشتهي ونحن نسرح من الجنـة حيـث شئنا .... ﴾ إلى أن قال : ﴿ فلما رأوا أنهم لن يتركوا من أن يسألوا قالوا : يا رب ، نريد أن ترد أرواحنا فى أجسادنا حتى نقتل في سبيلك مرة أخرى ، فلما رأى أن لـيس لهـم حاجـة تركوا﴾[1].

ومن مات عرض عليه مقعده من الجنة والنار بالغداة والعشي ، ففي صحيح مسلم عـن ابن عمر رضي الله عنهما أن سيدنا رسول الله " ﷺ وآله " قال : ﴿ إن أحـدكم إذا مـات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي ، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة ، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار ، يقال : هذا مقعدك حتى يبعثك الله إليه يوم القيامة ﴾[2].

---

(١) مشكاة المصابيح .
(٢) رواه مسلم في صحيحه .

الباب الثالث

الجنة بشرى للمؤمنين

البشرى من الله تعالى

يقول الله تعالى : ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِين آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ﴾[1].

هذه دعوة من الله تعالى إلى رسول الله "ﷺ وآله" يسوقها بشرى لمن آمن وعمل صالحًا، بمعنى : بشر يا حبيبي كل من آمن بي ربًا وبالإسلام دينًا ، وبك يا حبيبي يا محمد نبيًا ورسولاً ، وصدّق تصديقاً يقينيًا لك فيما أخبرت ، وقام عاملاً بما كُلف به من الأعمال الصالحة التى أمرناهم بها ، على الوجه الذى ارتضيناه خالصة نياهم ، خاشعة قلوبهم ، خاضعة أبدانهم ، فالعمل الصالح يصلح الله به الإنسان ظاهرًا وباطنًا ، وتصلح به الدنيا وتستقيم به الأمور ، وهذا هو ما يحبه الله من خلقه .

﴿ أن لهم جنات ﴾ : أي : لكل فرد مؤمن جنة خاصة به وعدناه بها ، والبشارة هي أولى الوظائف الربانية التى قلدها الله حبيبه سيدنا ومولانا محمدًا "ﷺ وآله" والتبشير للمؤمنين قيام منه "ﷺ وآله" بمراد الله تعالى فى قوله : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴾[2].

فما من عمل يقوم به المؤمن إلا ويعلمه "ﷺ وآله" علمًا يقينيًا ليس فيه شك ، قال تعالى: ﴿ وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾[3] وقوله "ﷺ وآله" : ﴿تعرض علىَّ أعمالكم ﴾ فيشهد رسول الله "ﷺ وآله" صالح الأعمال من المؤمنين ويفرح لها ، ويبشر أصحابها بما أمره الله سبحانه وتعالى ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِين آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ﴾ فيفرحون بما آتاهم ربهم من البشرى على لسان

---

(١) البقرة : ٢٥ .
(٢) الأحزاب : ٤٥-٤٦ .
(٣) التوبة : ١٠٥ .

المعصوم "ﷺ وآله"، فيعلمون لله شكرًا على هذه النعمة العظيمة ، وهى البشرى في الدنيا بما يصيرون إليه في الآخرة من نعيم مقيم فى الجنات ، جعلنا الله من أهل البشرى منه "ﷺ وآله" .

ولا يزال المؤمن طول عمره في بشرى من الحبيب تحقيقًا لقول الله تعالى له : ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِين آمَنُواْ ﴾ وبكل بشرى يزداد عملاً ، وبكل عمل يترله الله منازل من بعد منازل تتحير فيها الأفهام وتقف عند سواحلها الأقلام كما قال بعضهم :

مازلت أنزل من ودادك مترلاً تتحير الألباب عند نزوله

فالبشرى للمؤمنين الذين يعملون الصالحات بالجنات دائمة ، والفرحة لأرواحهم بسماع البشير تجعلها هائمة ، ليس لها من قرار إلا مع العمل الصالح ليل نهار ، في كل يوم جديد هم من البشرى فى تجديد ، ويسألون الله المزيد .

وسوق البشرى بالجنة للمؤمنين فيه دليل يقيني على وجود الجنة الآن وذلك لقوله تعالى فى آية أخرى : ﴿ أُعِدتْ للمُتقين ﴾(1) فالجنة سبق إعدادها وتجهيزها لأصحابها وما بقى إلا تبشيرهم بها لرفع هممهم لعمل الصالحات وإتيان القربات ، فهي بشرى يقينية بملك حاصل لمن قدم لنفسه خيرًا ، قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ﴾(2).

معنى البشارة :

بَشَر به بشرًا : فرح ، وبَشُرَ : أى حَسُنَ وجَمُلَ ، فهو بشير ، والجمع : بُشَراء ، وهى بشيرة : والجمع بشائر ، وأبْشَرت الأرض : أخرجت أول نبتها ، ومنها أيضًا : بشرت الناقة أو النخلة : بدأ أول إنتاجها ، بشرت الريح بالغيث : ساقت معها مزنًا ممطرًا ، واستبشر : فرح وسر .

---

(1) آل عمران : ١٣٣ .
(2) الحشر : ١٨.

والبشارة : الخبر السار ، ما يُعطاه المَبَشِّر . والبشرى : ما يبشَّرُ به ، والتبشير : الدعوة إلى الدين .

قال الفخر الرازى فى التفسير الكبير المجلد الأول : ... ما البشارة ؟ الجواب : إنها الخبر الذى يظهر السرور ، ولهذا قال الفقهاء : إذا قال لعبيده : أيكم بشر بقدوم فلان فهو حر ، فبشروه فرادى عُتق أولهم ، لأنه هو الذى أفاد خبره السرور ، ولو قال مكان بشرني : أخبرني ، عتقوا جميعًا – وهذا هو الفرق بين البشارة والإخبار – لأنهم جميعًا أخبروه ، ومنه البَشَرة لظاهر الجلد ، وتباشير الصبح : ما ظهر من أوائل ضوئه .

ويقول القشيري في قوله تعالى : ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِين آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقاً قَالُواْ هَـذَا الَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُواْ بِهِ مُتَشَابِهاً وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾(١) .

هذه البشارة بالجنان تتضمن تعريفًا بنعم مؤجلة لعموم المؤمنين على الوصف الذى يبين بلسان التفسير ، ويشير إلى البشارة للخواص بنعم معجلة مضافة إلى تلك النعم يتيحها الله لهم على التخصيص ، فتلك المؤجلة جنان المثوبة ، وهذه جنان القربة ، وتلك رياض النزهة ، وهذه رياض الزلفة ، بل تلك حدائق الأفضال ، وهذه حقائق الوصال ، وتلك رفع الدرجات، وهذه رَوْح المناجاة ، وتلك قضية جوده ، وهذه الاشتغال بوجوده ، وتلك راحة الأبشار ، وهذه نزهة الأسرار ، وتلك لطف العطاء للظواهر ، وهذه كشف الغطاء عن السرائر، وتلك لطف نواله وأفضاله ، وهذه كشف جماله وجلاله .

وكما أن أهل الجنة تتجدد عليهم النعم فى كل وقت ، فالثاني عندهم على ما يظنون كالأول ، فإذا ذاقوه وجدوه فوق ما تقدم ، فكذلك أهل الحقائق أحوالهم في السرائر أبدًا فى الترقي ، فإذا رُقّي أحدهم عن محله توهم أن الذي سيلقاه في هذا النَّفَس مثل ما تقدم ، فإذا ذاقه وجده فوق ذلك .

---

(١) البقرة : ٢٥ .

ويبين الإمام المجدد أبو العزائم ﷺ في شرح معنى قوله تعالى : ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِين آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ.... ﴾[1] أنه بعد أن قرر سبحانه وتعالى الحجج على صدق رسول الله "ﷺ وآله" ؛ بشر من أطاعه واتبعه بنعيم مقيم ومسرة دائمة لا تنتهى أبد الآبدين ، كيف لا ؟ وقدر ذرة فى الجنة خير من الدنيا وما فيها ، لأنها دار البقاء فى بهجة وفرح وأنس ، والدنيا وما فيها لو لم يكن فيها إلا الموت لكفاها تعسة ؛ إذا خالف الإنسان فيها أمر ربه ووصايا نبيه .

﴿ وَبَشِّرِ الَّذِين آمَنُواْ ﴾ أما البشرى : فهى الخير بما يسر السامع بخبر لم يكن سمعه من قبل ، والذي يبشر رسول الله "ﷺ وآله" وورثته من بعده ، ﴿ الَّذِين آمَنُواْ ﴾ يعنى صدّقوا الله ورسوله "ﷺ وآله" .

شُعَبُ الإيمانِ أعمالٌ صالحات :

﴿ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ ﴾ يشير إلى المؤمنين ، لأن شعب الإيمان بضع وسبعون شعبة ، كل واحدة منها عمل صالح ، وهذه الآية دلت دلالة صريحة على أن الإيمان الذى هو التصديق بالقلب لا يكفي للنجاة ؛ بل لابد من العمل الصالح .

وإن كثيرا من المحدثين يقولون : الإيمان تصديق وعمل ، والإسلام تصديق وعمل ، فالإيمان والإسلام سواء ، وكثيرًا من علماء القلوب يقولون : إن العقيدة لا تكفى فى نجاة الإنسان يوم القيامة ، ولكن جهل بعض أدعياء العلم فرموهم بما هم برآء منه .

ومعنى قولهم رضي الله عنهم : إن العقيدة التي بلغت رتبة العين تؤثر على المعتقد تأثيرًا قويًا حتى لا يخالف الشريعة فى نفس ولا أكثر ، لأن المعتقد حقًا مترل عقيدته من اليقين مترلة من يعلم أن فى هذه الغاية سبُعًا كاسرًا ، أو أن فى هذا المكان كترًا ، فالأول لا يتجاوز مكان الثاني ، والثاني يحرص على نيل ما فى هذا الكتر ، كذلك أهل القلوب بلغ بهم اليقين الحق

---

(١) البقرة : ٢٥ .

مبلغًا كأنهم يرون الله تعالى ، وأقل مراتب اليقين أن يرى الإنسان النار والجنة وما يقرب إليهما وما يبعد عنهما كما قال الله تعال : ﴿كَلاَّ لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾[1]

وهنا ننبه فكرك أيها السامع إلى أن الله تعالى يقول : ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِين آمَنُواْ ﴾ وهو رب العالمين ، ولكن نرى كثيرًا ممن جهلوا الأدب مع الله تعالى ثم مع خلقه يقولون : إن فلانًا كافر، لأنه ترك كذا وكذا من السنة ، أو ترك كذا من الرغائب ، فينفرون الخلق ويفتحون باب الفتن على مصراعيه ، ويحكمون على الله الذي يقول : ﴿ إِنِ الحكْمُ إِلاَّ لِلّهِ ﴾[2] كأنهم يقيمون الحجة على أنفسهم أنهم علموا الغيب المصون ، واطلعوا على القدر المكنون .

ويقول سيدنا رسول الله "ﷺ وآله" : ﴿ إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى لا يكون بينها وبينه إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها ، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى لا يكون بينها وبينه إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها ﴾ أو يقولون : إننا لا نتشبه بسلفنا الصالح .

إذا كان الله تعالى يبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالجنات ؛ فكيف يكون حال من شاب إيمانهم شوب أباطيل الإفرنج ودعاتهم الذين كذبوا على الشرق ، ومن الغريب أن أكثر الذين تربوا فى بلادهم من الشرقيين يصدقونهم ، ولو أن شرقيًا اكتشف حقيقة من الحقائق التى لا مراء فيها لاستهانوا به ، وماذا تقول في قوم لا يطلبون الحقائق وليسوا من أهلها ، وإنما يتبعون من غير تعقل كل قوي قهر غيره واحتل أرضه ، وهذا نهاية الكمال عندهم ؟! .

البشرى على قدر المبشِّر بها :

﴿ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ ﴾ لما كانت البشرى من الله تعالى تقتضى أن المبشر به مناسب للمعطي الوهاب سبحانه ؛ والله يعلم أن القلوب تحب الطمأنينة بهذه البشرى افتتح الكلام بقوله :

---

(١) التكاثر : ٥ – ٦ .
(٢) يوسف : ٦٧ .

﴿أن﴾ التي تؤكد الخبر وتجعله يقينًا كما قال الخليل عليه السلام ﴿وَلَـٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ بعد أن بشره الله تعالى بأنه خليله ، فتصديق البشرى شيء ؛ وطمأنينة القلب شيء آخر ، فأتى الله بـ ﴿ أن ﴾ التوكيدية ليقوي اليقين في القلوب بهذه البشرى ، ويكون السامع واثقًا تمام الثقة بأن الله تعالى أعد له ما بشر به وهو سبحانه الصادق فى وعده ؛ العليم بما يسر عباده .

لكل مؤمن جنة خاصة :

و﴿ جنات ﴾ جمع جنة ، إشارة إلى أن لكل مؤمن جنة خاصة ، ربما كانت أوسع من الأرض جميعًا ، كما قال سبحانه : ﴿ وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[1] وتلك الجنة آهلة بما بينه سبحانه في القرآن المجيد : بمقصورات وخيام ، وأنهار من ماء ولبن وخمر وعسل ، ومن حور وولدان ، وزوجات مطهرات ، ونعيم مقيم .

والجنة هي بستان التفت أشجارها حتى سترت من بداخلها عن خارجها ، وكملت كمالاً ابتهج به الرائى وتمتع به المحتاج ، قال تعالى : ﴿ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ﴾ أي : من تحت أشجارها ونباتها .

رزق الجنة متجدد دائمًا :

﴿ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقاً قَالُواْ هَـٰذَا الَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُواْ بِهِ مُتَشَابِهاً ﴾ يعني كلما تفضل الله عليهم من تلك الجنة برزق ؛ وهذا الرزق من ثمارها ؛ تذكروا ما كان يتفضل الله به من الثمار ، فحصل لهم الأنس والبهجة برؤية ما كانوا يعهدونه في الدنيا ، فلما ذاقوه وشموه ولمسوه ظهر لهم ما أعده الله فيه من الرائحة الطيبة والطعم الشهي ، فتحققوا أنه غير ما كان في الدنيا ، فازدادوا مسرة وحبورًا وشكرًا لله .

---

(١) آل عمران : ١٣٣ .

وليس المراد أن الثمار هي التي قدمت لهم في الدنيا ، ولكن الكلام على حذف مضاف، يعني : هذا النوع الذي رزقنا به من قبل أو شبهه ، أو على حذف حرف الجر ، أي: هذا من الذى رزقنا به من قبل ، ولنا أن نؤول هذه الآية بمعنى : أن الذي يقدم لأهل الجنة من الثمار يقدم لهم مرة ثانية فيظنونه من نوع واحد ؛ وإذا به يختلف في الطعم والشم واللمس ، فيعجبون ، لأن الشكل واللون لا يختلفان عما قدم لهم أولاً ، ويأخذ العجب منهم كل مأخذ .

فتتجلى لهم عجائب قدرة الله وأسرار تصريفها في الحقائق ، ويقول لهم الملك : إن الشكل واللون واحد ، ولكنهما يتفاوتان في الطعم والريح من لذة وطيب ، ويكون هذا مزيد شهود لهم في معاني قدرة الله وحكمته ، وهذا معنى قوله تعالى : ﴿ ولدينا مزيد ﴾[1] فما من شيء في الجنة إلا وهو يتغير من حسن إلى أحسن ، ومن جمال إلى أجمل ، وسبحان من أكرم أحبابه بما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر .

ولك أن تقول : ﴿ هَـذَا الذي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ﴾ أي: بشرنا به ، بمعنى وُعِدْنَا ؛ بالبناء للمجهول، أي : أن الله تعالى وعدنا بهذا رزقا لنا ، فنحن رُزِقْنَاهُ فى الدنيا بخبر رسول الله "ﷺ وآله" ، وهذا أقرب إلى الفهم وإن لم يقل به أحد من السابقين ، كما يقول أهل الجنة : ﴿ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا ﴾[2] .

﴿ وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ ﴾ : خلق الله الإنسان مفطورًا على الأنس ، وخصوصًا مما لابد له منه ، ولما كان أشهر ما يأنس به الإنسان وينال به بهجته ومسرته الزوجة الصالحة الجميلة ؛ بشرنا الله تعالى بأن لنا أزواجًا فى الجنة ، وهنا يلحظ القارئ أن أزواج الجنة مطهرة مما يعترى أزواج الدنيا من الحيض والمرض والبول والغائط ، مما ينغص الحياة ، ولا ينال الطهر فى تلك الدار الدنيا لأنها دار البلاء ، وشر البلاء فى هذه الدار الدنيا سببه النساء لفقد الأخلاق الجميلة منهن – قبل دخولهن الجنة – التي بها يكمل جمال الزوج .

---

(١) ق : ٣٥ .
(٢) الأعراف : ٤٤ .

البشرى طمأنينة للقلوب :

﴿ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ كمال البشرى أن هذه الكلمة تطمئن بها قلوب أهل الجنة، وأي إنسان في أكمل النعيم وأتم الصفاء يخطر على قلبه الموت ويأنس ولو كان ملكًا نافذًا الكلمة مطلق التصرف ؟ فإن ذكر الموت ينغص كل نعيم ، وكفى بالدنيا تعسة أن فى آخرها الموت ، هنا يناسب أن نتمثل ما فى هذه الآية :

فلما سمع المؤمنون قوله تعالى : ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِين آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ ﴾ تشوقوا إلى تلك البشرى من الله تعالى وتحققوا أنها كمال النعمة ، فقال سبحانه : ﴿ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ ﴾ أي: بساتين ، وهم في تلك الدار الدنيا في عناء من تحمل الشدائد في سقي البساتين ، وخصوصًا في زمن تحكم فيه من لا رحمة في قلوبهم ، فأزال الله من قلوبنا ما خطر بها بقوله : ﴿ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ﴾ .

ولكن تذكرنا أن تلك الأشجار تثمر ثمرًا من محفوظ النوع والطعم والريح ، وذلك يجعل مستعمله ربما يمل منه ، فأغاثنا الله وأزال ما خطر بقلوبنا فقال تعالى : ﴿ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقاً قَالُواْ هَـذَا الَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُواْ بِهِ مُتَشَابِهاً ﴾ وإذا به كالذى رزقوا من قبل لونًا وشكلاً ؛ لا رائحة وطعمًا، فتمت المسرة والابتهاج ، وتمت محبتهم في المتفضل عليهم لمزيد إحسانه ، فتتجدد لهم المسرة والحبور في كل نفس بما لم يكن يخطر على بالهم ، ولا سبق لهم أنهم تمتعوا به من قبل ، قال تعالى : ﴿ ولدينا مزيد ﴾[1].

اطمأنت قلوب القوم بما أوتوه من هذا النعيم بوعد الله الصادق في الدنيا ، ولكن رغبوا أن يكون لهم في الجنة أنيس يشاكلهم مما كانوا يأنسون به في الدنيا ، فعلم الله ما في نفوسهم فقال : ﴿ وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ ﴾ ولفظ ﴿ مطهرة ﴾ يشمل الكمال الذي لا يعتوره نقص من حيض ونفاس وبول وغائط ونوم وملل وفتور ومرض ينغص الحياة .

---

(١) ق : ٣٥ .

فلما أن بشرنا بهذا الذي هو كمال أنسنا تبادر إلى الفكر مصيبة الموت فيها ، فأزال الله عنا هذا الخاطر فقال سبحانه : ﴿ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ وهو معنى قوله "ﷺ وآله" : ﴿تمام النعمة الجنة﴾ فكانت الحياة في الجنة حياة الأنس لا تشوبها وحشة ، وفرحًا لا يشوبه حزن ، ولذة لا يشوبها ألم ، وخيرًا لا يشوبه شر ، وبقاء لا يشوبه موت ولا فناء ، كما قال تعالى : ﴿ ادْخُلُوهَا بِسَلاَمٍ آمِنِينَ ﴾[1] ، وقوله تعالى: ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ لاَ يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴾[2] .

نصيحة لكل مؤمن :

ثم ينصح الإمام رضي الله عنه كل مؤمن بقوله : أيها المؤمن : إن الله صورك فى رحم أمك ، وأخرجك طفلاً ، فوجدت ما لابد لك منه وأكمل ، من والدة تحنو عليك ، وغذاء يناسب طفوليتك ، وألقى عليك محبة منه ، فأدخل بوجودك السرور على والديك وإخوتك ، فلا ينظر إليك أحد إلا وعطف عليك ، وقبلك وضمك إلى صدره ، ووجدت أرضًا تقلك ، وسماء تظلك ، وكواكب تضيء لك ، وأنهارًا تجري من حولك ، ونباتات متنوعة لقوتك ، ولباسك ، ووجدت نسيمًا عليلاً لمسرتك ، فتتنفس فيه لحياتك ، ووجدت من الخيرات ما لا تحصى ولا تعد ، وكل ذلك وهو غنى عنك ، وأنت الفقير إليه سبحانه ، فهل بلغ من جهلك بربك أن تنسى ما أنعم به عليك مما لو كلفت بأقل القليل منه لعجزت أنت والناس جميعًا ، وهذا فعل القوي الغني الكبير المتعال .

فهل تذكرت أيها المؤمن فذكرت ، أو استحضرت فحضرت ، أم نسيت نعماه فلم ينسك ، وخالفت أمره فلم يسرع بالعقوبة ، وبارزته بالمعصية فغفر لك وعفا عنك ، وهذا شأن الرب الكبير المتعال .

فهلا فكرت فى الحال والمآل ، فخجلت من إحسانه إليك وإساءتك إلى نفسك ، فإنه سبحانه ما أغدقه عليك من النعم بعد أن أوجدك من العدم وأعد لك سبحانه ملكًا كبيرًا

---

(١) الحجر : ٤٦ .
(٢) الحجر : ٤٧ – ٤٨ .

مقيمًا وبشرك ؛ إلا لتشكره وتذكره فلا تنساه سبحانه ولا تعصيه ، وأن تعبده وتوحده فلا تخالفه ولا تجحده .

أيها المؤمن : إن ربك يحبك ، ويحب لك دار الكرامة ، فسارع إلى العمل بأوامره وترك نواهيه ، فإنك ضعيف لا تقوى على عقوبته ، واسأله أن يقيمك حيث يحب ويرضى ، ولا تسارع إلى ما يكرهه فتعصيه للطمع فى الدنيا ، أو للخوف من العبيد أمثالك ، فإن الإنس والجن لو اجتمعوا على أن ينفعوك بما لم يقدره الله لك ما فعلوا ، لأنه هو الضار النافع ، ولكنه وضع الأشياء لتدرك العقول بها العلم بالله الذى وضعها ، أعاذنا الله وإياك يا أخي من أن تحجبنا الأسباب عنه سبحانه ، أو أن يدعونا الحظ والهوى أن نطمع فيما يفنى ونترك ما يبقى .

العارفون بالله يشهدون الجنة عين يقين :

العارفون بالله تلوح لهم البشرى عند شهودهم فجر الحقائق بعد ذوق معاني القرآن العظيم ، فتكون البشرى لهم سماعًا بالتلقى عن الحق مع النزاهة ، يرتشفون طهور القرآن ويتبادلون راح الهدى من الساقي الحق .

وفى هذا يقول ﷺ :

وفي فجر إيضاح الحقائق لاح لي ... شهود قرآن بعد ذوق مباديه
سمعت من الحق العليّ كلامه ... منزهة أسراره أنا قاريه
رشفت طهورًا بعد ترتيل آيه ... تناولت هذا الراح والحق ساقيه
إلى هيكلي وافى الضياء معبرًا ... وقد وضحته الروح وهو يعانيه
فيا هيكلي إذ لا انتساب ونسبة ... يجانسه حتى يصح تجليه
فلاحت له روحي بمعنى جمالها ... بسر ملابسة تناسب دانيه
بأمل وطمع بعد بسط وبهجة ... لينقاد للعليا بداعي أمانيه
فحن إلى البشرى بأنس ولذة ... ومال عن الدنيا لمن هو داعيه
إلى جنة الخلد التي قد تجملت ... بحور وولدان وفضل يوليه

ومــال إلى الأخــرى وللــروح حكمــة ... وســـر خفـــي بالرياضـــة يدريــه
ولمـا لهـا انقـاد ارتقـت أفـق حقهـا ... ووافتـــه في حلـــل الجمـــال تهنيــه
نمــا شـــوقه للاتصـــال لهــا بهــا ... فصـــارت بأخبـــار الجنـــان توافيــه
وحجّبـــت الأســـرار عنـــها لأنهــا ... لقـــد علمـــت بمقامـــه ومراقيــه
علـــى ســـلم التقييـــد ســـارت بـــه إلى ... مشـــاهدة المـــأمول لا نـــور باريــه

إلى أن يقول :

هـــو الجســـم لا ينفـــك والقيـــد شـــأنه ... هي الروح والإطـلاق صـحت معانيـه
وضـــدان هـــذا بـــالقيود عروجـــه ... وتلـك بـلا قيـد فـذق سـر خافيـه
تشـــاهد بالتشـــبيه أنـــوار ربهـــا ... وذا الجســـم لا يـــدري بـــلا تنزيـه
فتشـــهده في مقعـــد الصـــدق مـــترلاً ... علـــى بـــيّن الأنـــوار والحـــق هاديـه
جهـــاد فـــلا ينفـــك والـــروح كلمـــا ... أضـــاء ســـبيل القـــرب وافـــت تناديـه
إلى الكـــون والتقييـــد يســـكن دائمـــا ... وتســـكن للحـــق المـــبين تجليـــه
بـــه هيكلـــي يرقـــى إلى حظـــوة العلـــى ... إلى حضـــرة الملكـــوت في أفـــق عاليـــه
ومـــن غـــير هـــذا لا ســـبيل إلى العلـــى ... وكيف التخلي مـن حضـيض أمانيـه؟!
جهـــاد بـــه الوســـط ارتقـــى وسمـــا إلى ... مقامـــات أعلـــى حظـــوة التشـــبيه
ونُـــوِّل مـــن حـــوض الحبيـــب محمـــد ... مُـــداماً لنـــا يعطـــى بمحـــض أياديـه
صـــلاة علـــى ذات الحبيـــب محمـــد ... بـــه نحـــظ بالرضـــوان مـــن باريـه

الباب الرابع

من موجبات الجنة

الجنة ليست بالتمني :

ليست الجنة بالتمني ؛ ولكنه الجهاد والعمل الصالح والمراقبة والحذر من آفات كثيرة تحيط بالعمل الصالح ، من العجب والرياء واحتقار من لم يفعل مثله ، وربما ظن المرء انفراده عن الناس بالمسارعة إلى الجنة ؛ وقد ابتلي بخفي الشرك ودقيق الرياء مما لا يتفطن إليه الجاهل المغرور .

لذلك تجد أن الأعمال الصالحات تنتج بفضل الله تعالى من الثواب أنواعًا لا حصر لها ، وتبدأ الأعمال الصالحات التى هي الإسلام الظاهر بتحقيق الإيمان وهو باطن الإسلام ، إذ الأعمال بالنيات ، والأعمال عمل الجوارح الظاهرة ، والنيات عمل القلوب الباطنة ، فالإسلام والإيمان وجهان لعملة واحدة هى الدين الذى أخبر الحق عن أصحابه فقال : ﴿وَالْعَصْرِ إِنَّ الإِنسَانَ لَفِى خُسْرٍ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾[1].

والمتتبع لآيات القرآن الكريم من البدء للختام فى آيات الجنة يجد أنها وردت ثوابًا لأنواع من العمل الصالح ، وأوضحت السنة المطهرة ذلك بتفصيل لم يعهد فى شريعة سبقت ؛ ولا في قول نبي مضى .

ومن المواضع التي نص القرآن على استحقاق أهل الجنةِ الجنةَ بالإيمان والأعمال الصالحة قوله تعالى : ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِين آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقاً قَالُواْ هَـذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُواْ بِهِ مُتَشَابِهاً وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾[2]، وقوله سبحانه : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَّهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِـلاًّ ظَلِيلاً ﴾[3]، وقوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ لاَ نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلاَّ

---

(١) العصر.
(٢) البقرة : ٢٥ .
(٣) النساء : ٥٧ .

وُسْعَهَا أُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾[1]، وقوله : ﴿ وَعَدَ اللَّـهُ الْمُـؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّـاتِ عَـدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾[2]، وقوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُـواْ وَعَمِلُـواْ الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ دَعْوَاهُمْ فِيهَـا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلاَمٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾[3].

وقوله تعالى : ﴿ أُوْلَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَـا مِـنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَائِكِ نِعْـمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴾[4].

وقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُوْلَئِكَ لَهُمُ الـدَّرَجَاتُ الْعُلَـى جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاء مَن تَزَكَّى ﴾[5]، وفي بعـض الأحيان يذكر أنهم استحقوا الجنة لتحقيقهم أمرًا من أمور الإيمان أو عملاً صـالحًا ، وقـد يفصل في الأعمال الصالحة ، ويطيل في ذلك .

ففي بعض الأحيان يذكر أنهم استحقوا الجنة بالإيمان والإسلام ﴿ يَا عِبَـادِ لا خَـوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ ادْخُلُـوا الْجَنَّـةَ أَنـتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴾[6].

وأحيانًا يذكر أنهم استحقوها لأنهم أخلصوا دينهم لله : ﴿ إِلاَّ عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِـينَ أُوْلَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ فَوَاكِهُ وَهُم مُّكْرَمُونَ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴾[7].

---

(١) الأعراف : ٤٢ .
(٢) التوبة : ٧٢ .
(٣) يونس : ٩ – ١٠ .
(٤) الكهف : ٣١ .
(٥) طه : ٧٥ – ٧٦ .
(٦) الزخرف : ٦٨ – ٧٠ .
(٧) الصافات : ٤٠ – ٤٣ .

وأحيانًا يذكر استحقاقهم لها لقوة ارتباطهم بالله ورغبتهم إليه وعبادقم له : ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاء بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾(1).

ومن الأعمال الصبر والتوكل : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾(2).

ومنها الاستقامة على الإيمان : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾(3).

ومنها الإخبات إلى الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُواْ إِلَى رَبِّهِمْ أُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ الجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾(4).

ومن ذلك الخوف من الله : ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ﴾(5).

ومن ذلك بغض الكفرة المشركين وعدم موادقم ﴿ لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءهُمْ أَوْ أَبْنَاءهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾(6).

وفي بعض الأحيان تفصل الآيات في ذكر الأعمال الصالحة التي يستحق بها أصحابها الجنة تفصيلاً كثيرًا ، فذكر في سورة الرعد أنهم استحقوها باعتقادهم أن ما أنزل على

---

(1) السجدة : ١٥ – ١٧ .
(2) العنكبوت : ٥٨ – ٥٩ .
(3) الأحقاف : ١٣ – ١٤ .
(4) هود : ٢٣ .
(5) الرحمن : ٤٦ .
(6) المجادلة : ٢٢ .

الرسول "ﷺ وآله" هو الحق ، وبوفائهم بالعهود ، وعدم نقضهم الميثاق ، ووصلهم ما أمر الله بوصله ، وخشيتهم لله ، وخوفهم من سوء الحساب ، وصبرهم لله ، وإقام الصلاة ، والإنفاق سرًا وعلانية ، ودرئهم بالحسنة السيئة ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلاَ يِنقُضُونَ الْمِيثَاقَ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الحِسَابِ وَالَّذِينَ صَبَرُواْ ابْتِغَاء وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلاَنِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُوْلَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالمَلاَئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ سَلاَمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾[1].

وفي مطلع سورة (المؤمنون) حكم أن الفلاح إنما هو للمؤمنين ، ثم بين الأعمال التى تؤهلهم للفلاح ، وأعلمنا أن فلاحهم إنما يكون بإدخالهم الفردوس خالدين فيها أبدًا ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ إِلاَّ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاء ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ أُوْلَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾[2].

وقد حدثنا الرسول "ﷺ وآله" عن ثلاثة أعمال عظيمة يستحق بها أصحابها الجنة ، فقد روى مسلم في صحيحه عن عياض بن حماد المجاشعي أن سيدنا ومولانا رسول الله "ﷺ وآله" قال ذات يوم فى خطبته : ﴿ ... وأهل الجنة ثلاثة : ذو سلطان مقسط متصدق موفق ، ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قربى ومسلم ، وعفيف متعفف ذو عيال ﴾[3].

---

(١) الرعد : ١٩ : ٢٤ .
(٢) المؤمنون : ١ – ١١ .
(٣) رواه مسلم ، شرح النووي على مسلم .

من موجبات الجنة في القرآن الكريم :

مما ورد في الآيات من موجبات الجنة في القرآن الكريم ما يلي :

١- توحيد الحق : ﴿ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ ﴾(١).

٢- الجهاد والصبر على الشدائد : ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء وَزُلْزِلُواْ حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ ﴾(٢)، ويقول سبحانه : ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴾(٣).

٣- الحذر من الشيطان : ﴿ يَا بَنِي آدَمَ لاَ يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ ﴾(٤).

٤- بذل النفس والمال في سبيل الله لإعلاء كلمته وإبطال الكفر : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ ﴾(٥). ﴿ وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴾(٦).

٥- التواضع مع الشريعة ومع الخلق وعمل الصالحات : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُواْ إِلَى رَبِّهِمْ أُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ الجَنَّةِ ﴾(٧).

٦- التوبة والإيمان والعمل الصالح ، والتوبة هي الإقلاع عن الباطل قولاً وعملاً واعتقادًا ، والرجوع إلى الحق قولاً وعملاً واعتقادًا ، قال سبحانه فى سورة مريم بعد

(١) المائدة : ٧٢ .
(٢) البقرة : ٢١٤ .
(٣) آل عمران : ١٤٢ .
(٤) الأعراف : ٢٧ .
(٥) التوبة : ١١١ .
(٦) الإنسان : ١٢ .
(٧) هود : ٢٣ .

ذكر النبيين والصالحين : ﴿ فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلا يُظْلَمُونَ شَيْئًا جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلاَّ سَلامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴾(١).

٧- التضرع لله وسؤاله عز شأنه : ﴿ وَاجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴾(٢). وقال سيدنا ومولانا رسول الله "ﷺ وآله" : ﴿ إذا قال العبد : اللهم إني أسألك الجنة ، قالت الجنة : اللهم أسكنه عندي ، وإذا قال : اللهم أجرني من النار ، قالت النار : اللهم أجره مني ﴾ .

٨- المغفرة وبعدها تكون الجنة : ﴿ قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴾(٣).

٩- هي وعد الله للمقبلين عليه : ﴿ وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾(٤). وهي الفوز العظيم ﴿ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾(٥).

١٠- مخالفة الهوى وخوف المقام بين يدى ذى الجلال والإكرام : ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴾(٦).

١١- العبودية ، وهى انكسار العبد تحت أوامر الشرع وخروجه عن نفسه ليجري عليه الأمر والنهي : ﴿ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴾(٧).

---

(١) مريم : ٥٩ – ٦٣ .
(٢) الشعراء : ٨٥ .
(٣) يس : ٢٦ .
(٤) فصلت : ٣٠ .
(٥) الحشر : ٢٠.
(٦) النازعات : ٤١ .
(٧) الفجر : ٢٧ – ٣٠ .

١٢- أهل الجهاد لأعداء الله ، وأهل الهجرة مع الحبيب المصطفى "ﷺ وآله" والمهاجرون بعده من المعصية إلى الطاعة ، والمتحملون الأذى لتعلو كلمة الله هم أصحاب الجنة، قال تعالى بعد أن ذكر أهل الذكر وأهل الفكر والمسكنة والرجاء : ﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لاَ أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخْرِجُواْ مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُواْ وَقُتِلُواْ لأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّن عِندِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِندَه حُسْنُ الثَّوَابِ ﴾[1]. وقال تعالى :﴿ الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون يبشرُهُم ربُّهم برحمةٍ منه ورضوانٍ وجناتٍ لهم فيها نعيمٌ مقيمٌ خالدين فيها أبداً إن اللهَ عنده أجرٌ عظيمٌ ﴾[2].

١٣- إيمان أهل الكتاب بالنبي "ﷺ وآله" : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُواْ وَاتَّقَوْاْ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلأدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴾[3].

١٤- معرفة الحق سبحانه وتصديق رسله ، واتباع أوامره والتجرد من المعاصي والمخالفات ، قال الله تعالى على لسان سحرة فرعون حين تجلى لهم الحق فأذعنوا له وأصروا عليه وواجهوا التحدي بأقوى منه ؛ قالوا لفرعون بعد أن توعدهم ما أخبرنا الله به : ﴿ قَالُوا لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لا يَمُوتُ فِيهَا وَلا يَحْيَى وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُوْلَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاء مَن تَزَكَّى ﴾[4].

---

(١) آل عمران : ١٩٥ .
(٢) التوبة : ٢٠ – ٢٢ .
(٣) المائدة : ٦٥ .
(٤) طه : ٧٢ – ٧٦ .

١٥- إخلاص العمل لله تعالى فلا ينظر إليه صاحبه ولا يعتمد عليه ، بل يرجو رحمة الله ويخاف عذابه ، وهؤلاء هم الذين استخلصهم الحق لنفسه فجعلهم مصابيح هدى وكواكب هداية ﴿ إِلاَّ عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ أُوْلَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ فَوَاكِهُ وَهُم مُّكْرَمُونَ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِن مَّعِينٍ بَيْضَاء لَذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ لا فِيهَا غَوْلٌ وَلا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴾[١].

١٦- الصبر على البلاء ومثاله سيدنا أيوب عليه السلام ، وأهل القوة في أداء أوامر الله سيدنا إبراهيم وسيدنا إسحق وسيدنا يعقوب عليهم السلام أولي الأيدي والأبصار ، أصحاب الخير العاملون به ، التالون للقرآن ، أهل التقوى ، يقول الله تعالى : ﴿هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ جَنَّاتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ الأَبْوَابُ مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾[٢].

١٧- المحافظة على الصلاة في مواعيدها وهيئاها : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلاتِهِمْ يُحَافِظُونَ أُوْلَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ ﴾[٣].

١٨- مقاطعة الكفار وبضائعهم والتعامل معهم ﴿ لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءهُمْ أَوْ أَبْنَاءهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[٤].

---

(١) الصافات : ٤٠ – ٤٩ .
(٢) ص : ٤٩ – ٥٣ .
(٣) المعارج : ٣٤ – ٣٥ .
(٤) المجادلة : ٢٢ .

من موجبات الجنة فى أنوار السنة :

١- عن معاذ ﷺ : قال "ﷺ وآله" : ﴿ من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة ﴾ .

٢- من شهد ميتًا حتى يصلى عليه أو يدفن ، قال "ﷺ وآله" : ﴿ من أصبح منكم اليوم صائما ؟ ﴾ قال الصديق : أنا ، قال : ﴿ من أطعم منكم اليوم مسكينًا ؟ ﴾ قال الصديق : أنا ، قال : ﴿ من تبع منكم اليوم جنازة ؟ ﴾ قال الصديق : أنا ، فقال "ﷺ وآله" : ﴿ ما اجتمعت هذه الخصال قط فى رجل إلا دخل الجنة ﴾ .

٣- عن السيدة عائشة رضي الله عنها : قال "ﷺ وآله" : ﴿ من أدخل على أهل بيت من المسلمين سرورًا لم يرض الله له ثوابًا دون الجنة ﴾ .

٤- إطعام الطعام : عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه : قال " ﷺ وآله " : ﴿ أيما مؤمن أطعم مؤمنًا على جوع أطعمه الله يوم القيامة من ثمار الجنة ، وأيما مؤمن سقى مؤمنًا على ظمإ سقاه الله يوم القيامة من الرحيق المختوم ، وأيما مؤمن كسا مؤمنًا على عري كساه الله يوم القيامة من حلل الجنة ﴾ .

٥- عن جابر بن عبد الله ﷺ : قال " ﷺ وآله " : ﴿ ثلاث من كن فيه نشر الله عليه كنفه وأدخله جنته : رفق بالضعيف ، وشفقة على الوالدين ، وإحسان إلى المملوك . وثلاث من كن فيه أظله الله عز وجل تحت عرشه يوم لا ظل إلا ظله : الوضوء على المكاره ، والمشي إلى المساجد في الظلام ، وإطعام الجائع ﴾ .

٦- عن أبي الدرداء ﷺ : قال " ﷺ وآله " : ﴿ من رد عرض أخيه رد الله عن وجهه النار يوم القيامة ﴾ .

٧- عن أبي هريرة ﷺ : قال رسول الله " ﷺ وآله " : ﴿ من وقاه الله شر ما بين لحييه وشر ما بين رجليه دخل الجنة ﴾ أي : حفظ لسانه وحفظ فرجه .

٨–دخل سيدنا رسول الله " ﷺ وآله " المسجد وهو يقول : ﴿ أيكم يسره أن يقيه الله عز وجل من فيح جهنم ؟ قلنا : يا رسول الله كلنا يسره ، قال : من أنظر معسرًا أو وضع له وقاه الله من فيح جهنم ﴾ .

٩–عن معاذ رضي الله عنه : قال رسول الله " ﷺ وآله " : ﴿ ألا أخبركم عن ملوك الجنة ؟ قلت: بلى ، قال : كل رجل ضعيف مستضعف ذو طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره ﴾ . الطمر : الثوب البالي .

١٠– وخرج الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما : قال "ﷺ وآله" : ﴿إن الله عز وجل ناجى موسى بمائة ألف وأربعين ألف كلمة فى ثلاثة أيام ، فلما سمع موسى كلام الآدميين مقتهم لما وقع فى مسامعه من كلام الرب جل وعز، وكان فيما ناجاه: يا موسى ، إنه لم يتصنع لي المتصنعون بمثل الزهد في الدنيا ، ولم يتقرب إليّ المتقربون بمثل الورع عما حرمت عليهم ، ولم يتعبد لى المتعبدون بمثل البكاء من خشيتي ، قال موسى : يا رب البرية كلها ويا مالك يوم الدين ويا ذا الجلال والإكرام ؛ ماذا أعددت لهم وماذا جزيتهم ؟ قال : أما الزهاد في الدنيا فإني أبحتهم جنتي يتبوءون منها حيث شاءوا ، وأما الورعون عما حرمت عليهم فإذا كان يوم القيامة لم يبق عبد إلا ناقشته وفتشته إلا الورعون ، فأنى أستحييهم وأجلهم وأكرمهم فأدخلهم الجنة بغير حساب ، وأما البكاءون من خشيتي فأولئك لهم الرفيق الأعلى لا يشاركون فيه﴾.

١١– عن أبي أمامة رضي الله عنه : قال "ﷺ وآله" : ﴿ يبعث العالم والعابد فيقال للعابد: ادخل الجنة ، ويقال للعالم : قف حتى تشفع للناس ﴾ .

١٢– قال "ﷺ وآله" : ﴿ ما من رجل تعلم كلمة أو كلمتين أو ثلاثًا أو أربعًا أو خمسًا مما فرض الله عز وجل فيتعلمهن ويعلمهن ؛ إلا دخل الجنة ﴾ ... رواه أبو نعيم فى

رياضة المتعلمين .

١٣- عن عمر رضي الله عنه : قال "صلى الله عليه وسلم وآله" : ﴿ أيما مسلم شهد له أربعة بخير أدخله الله الجنة، فقلنا : وثلاثة ، قال : وثلاثة ، فقلنا : واثنان ، قال : واثنان ، ثم لم نسأل عن الواحد﴾ .

١٤- عن أبي هريرة رضي الله عنه : قال "صلى الله عليه وسلم وآله" : ﴿ ما تعدون الشهداء فيكم ؟ قالوا : يا رسول الله ؛ من قتل في سبيل الله فهو شهيد ، قال : إن شهداء أمتي إذا لقليل ، قالوا: فمن يا رسول الله ؟ قال : من قتل فى سبيل الله فهو شهيد ، ومن مات في سبيل الله فهو شهيد ، ومن مات في الطاعون فهو شهيد ، ومن مات بالبطن فهو شهيد ﴾ . قال ابن مقسم : أشهد على أبيك _ يعني أبا صالح _ أنه قال : والغريق شهيد . وفى رواية : الشهداء خمسة : المطعون ، والمبطون ، والغريق ، وصاحب الهدم ، وفى رواية : والنفساء يقتلها ولدها جمعًا شهادة .

١٥- عن أنس رضي الله عنه ، قال "صلى الله عليه وسلم وآله" : ﴿ ما من مسلم يموت له ثلاثة لم يبلغوا الحنث إلا أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهم ﴾ وفي إحدى رواياته : ﴿ من احتسب ثلاثة من صلبه دخل الجنة ﴾ .

١٦- عن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام : قال " صلى الله عليه وسلم وآله " : ﴿ من قرأ القرآن فاستظهره فأحل حلاله وحرم حرامه أدخله الله به الجنة ، وشفعه في عشرة من أهل بيته كلهم قد وجبت له النار ﴾ .

١٧- عن بريدة رضي الله عنه قال " صلى الله عليه وسلم وآله " : ﴿من قرأ القرآن وتعلمه وعمل به أُلبس والداه يوم القيامة تاجًا من نور ضوءه مثل ضوء الشمس ، ويكسى والداه حلتين لا تقوم لهما الدنيا فيقولان : بما كسينا هذا ؟ فيقال : بأخذ ولدكما القرآن﴾.

١٨- عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : جاء رجل إلى رسول الله "صلى الله عليه وسلم وآله" فقال : وا

ذنوباه ، فقال هذا القول مرتين أو ثلاثًا ، فقال "ﷺ وآله" : ﴿ قل : اللهم مغفرتك أوسع من ذنوبي ، ورحمتك أرجى عندي من عملي ، فقالها ، ثم قال : عد ، فعاد ، ثم قال : عد ، فعاد ، ثم قال : قم فقد غفر الله لك ﴾ أخرجه الحاكم .

١٩- عن أنس رضي الله عنه : قال "ﷺ وآله" : ﴿ من أصلح بين الناس أصلح الله أمره وأعطاه بكل كلمة بها عتق رقبة ، ورجع مغفورًا له ما تقدم من ذنبه ﴾ .

٢٠- عن أبي الدرداء رضي الله عنه : قال "ﷺ وآله" : ﴿ ليبعثن الله أقوامًا يوم القيامة في وجوههم النور ، على منابر اللؤلؤ ، يغبطهم الناس ، ليسوا بأنبياء ولا شهداء ، فجثا أعرابي على ركبتيه فقال : يا رسول الله ؛ جلهم لنا نعرفهم ، قال: هم المتحابون في الله من قبائل شتى وبلاد شتى ؛ يجتمعون على ذكر الله يذكرونه ﴾ وفي روايات أخرى : ﴿المتحابون في الله ؛ والمتباذلون في الله ؛ والمتلاقون في الله﴾ وفي رواية أخرى : أنه "ﷺ وآله" قرأ الآية : ﴿ أَلا إِنَّ أَوْلِيَاء اللَّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[1].

في ثواب من قدَّم ولداً :

عن أبي حسان رضي الله عنه قال : قلت لأبي هريرة رضي الله عنه : إنه مات لى ابنان فما أنت محدثي عن رسول الله "ﷺ وآله" تطيب به أنفسنا عن موتانا ؟ قال : ﴿ نعم صغارهم دعاميص الجنة يتلقى أحدهم أباه – أو قال : أبويه – فأخذ بثوبه – أو قال : بيده – كما آخذ أنا بصنفة ثوبك هذا ، فلا يتناهى – أو قال : فلا ينتهي – حتى يدخله الله وأبويه الجنة ﴾[2].

وخرج أبو داوود الطيالسي قال حدثنا شعبة ، عن معاوية بن قرة ، عن أبيه أن النبى "ﷺ وآله" كان يختلف إليه رجل من الأنصار معه ابن له ، فقال له رسول الله "ﷺ وآله" ذات يوم : ﴿ أتحبه يا فلان ؟ ﴾ فقال : نعم . قال : ﴿ أحبك الله كما أحببته ﴾ . ففقده النبى

(١) يونس : ٦٢ .
(٢) صحيح مسلم ، مسند الإمام أحمد . والصِّنفة : الترف أو الزاوية من الثوب .

"ﷺ وآله" فسأل عنه فقالوا : يا رسول الله ؛ مات ابنه ، فقال رسول الله "ﷺ وآله" : ﴿أما ترضى ، أو لا ترضى أن لا تأتى بابًا من أبواب الجنة إلا جاء يسعى حتى يفتحه لك﴾ فقالوا: يا رسول الله ، أله وحده أم لنا كلنا ؟ فقال رسول الله "ﷺ وآله" : ﴿ بل كلكم ﴾[1]. وذكره أبو عمرو في التمهيد أيضًا ، وقال : هذا حديث ثابت صحيح .

وخرج أبو داود الطيالسي في مسنده قال : حدثنا هشام ، عن قتادة ، عن راشد ، عن عبادة بن الصامت : أن رسول الله "ﷺ وآله" قال : ﴿والنفساء يجرها ولدها يوم القيامة بسرره إلى الجنة ﴾[2].

هذا الحديث يدل على أن صغار أولاد المؤمنين في الجنة ، وهو قول أكثر أهل العلم ، وهو مقتضى ظاهر قول الله عز وجل : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾[3].

وقد أنكر بعض العلماء الخلاف فيهم ، وهذا فيما عدا أولاد الأنبياء عليهم السلام ، فإنه قد تقرر الإجماع على أنهم فى الجنة ، حكاه أبو عبد الله المازري ، ودعاميص : جمع دُعموص ، وهو دويبة تغوص في الماء والجمع دعاميص ، قال الأعمش :

فما ذنبنا أن جاش لى بحر علمكم وبحرك ساج لا يوارى الدعامصا

وقد قيل : إن الدعموص يراد به : الآذن على الملوك المتصرف بين أيديهم .

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي "ﷺ وآله" : ﴿ من مات له ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث كانوا له حجابًا من النار وأدخل الجنة ﴾[4].

---

(١) أبو داود الطيالسي .
(٢) أبو داود الطيالسي .
(٣) الطور : ٢١ .
(٤) صحيح البخاري .

قال القرطبي : قوله عليه الصلاة والسلام : ﴿ لم يبلغوا الحنث ﴾ معناه عند أهل العلم: لم يبلغوا الحلم ولم يبلغوا أن يلزمهم حنث .

وقد روى الترمذي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله "ﷺوآله" : ﴿ من قدم ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحلم كانوا له حصنًا حصينًا من النار ﴾ .

قال أبو ذر : قدمت اثنين ، قال : ﴿ واثنين ﴾ .

فقال أبيّ بن كعب سيد القراء رضي الله عنه: قدمت واحدًا ، قال: ﴿ وواحدًا ولكن إنما ذاك عند الصدمة الأولى ﴾[1].

وفي هذا كله دليل على أن أطفال المسلمين في الجنة لأن الرحمة إذا نزلت بآبائهم استحال أن يرحموا من أجل من ليس بمرحوم .

قال أبو عمر بن عبد البر : وهذا إجماع من العلماء في أن أطفال المسلمين في الجنة ولم يخالف في ذلك إلا فرقة شذت من الجرة ، فجعلتهم في المشيئة وهو قول مهجور مردود بإجماع الحجة الذين لا يجوز مخالفتهم ولا يجوز على مثلهم الغلط .

الجنة قيعان وبيان غراسها :

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله "ﷺ وآله" : ﴿ لقيت إبراهيم عليه الصلاة والسلام ليلة أسرى بي فقال : يا محمد ؛ أقرئ أمتك مني السلام ، وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة عذبة الماء ، وأنها قيعان ، وأن غراسها سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ﴾[2].

(١) سنن الترمذي ، تفسير القرطبي .
(٢) سنن الترمذي ، والقرطبي في تفسيره .

عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله "ﷺ وآله" مر به وهو يغرس غرسًا فقال : ﴿يا أبا هريرة، ما الذي تغرس ؟ قال : ألا أدلك على غراس خير من هذا ؟ سبحان الله ، والحمد لله، ولا إله إلا الله ، والله أكبر ، يغرس لك بكل واحدة شجرة في الجنة﴾[١].

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه ، عن النبي "ﷺ وآله" قال: ﴿ من قال : سبحان الله العظيم وبحمده ، غرست له نخلة فى الجنة ﴾[٢].

والذكر طاعة لله عز وجل في امتثال أمره ، واجتناب نهيه ، روي عن النبي "ﷺ وآله" أنه قال : ﴿ من أطاع الله فقد ذكر الله وإن أقل صلاته وصومه وصنيعه للخير، ومن عصى الله فقد نسي الله وإن كَثَّرَ صلاته وصومه وصنيعه للخير ﴾[٣].

يقول القرطبي : حقيقة الذكر طاعة الله تعالى فى امتثال أمره واجتناب نهيه .

وقال سعيد بن جبير ﷺ : الذكر طاعة الله، فمن لم يطعه لم يذكره ؛ وإن أكثر التسبيح والتهليل وقراءة القرآن .

الأعمال الصالحة مهور الحور العين

الشهادة في سبيل الله تعالى :

أخرج الترمذي من حديث المقدام بن معد يكرب قال : قال رسول الله "ﷺ وآله" : ﴿للشهيد عند الله ست خصال ...﴾ الحديث وفيه : ﴿ ويزوج باثنتين وسبعين زوجة من الحور العين ﴾ .

(١) سنن ابن ماجه، والقرطبي في تفسيره .
(٢) سنن الترمذي وغيره .
(٣) سنن الدرامي ، والقرطبي في تفسيره .

كنس المساجد :

عن أنس رضي الله عنه أن النبي "ﷺ وآله" قال : ﴿ كنس المساجد مهور الحور العين ﴾ وعن أبي قرصافة رضي الله عنه قال : سمعت النبي "ﷺ وآله" يقول : ﴿ إخراج القُمامة من المسجد مهور الحور العين ﴾.

قبضات تمر وفلق خبز :

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله "ﷺ وآله" قال : ﴿ مهور الحور العين قبضات التمر وفِلق الخبز ... قال أبو هريرة رضي الله عنه : يتزوج أحدكم فلانة بنت فلان بالمال الكثير ويدع الحور العين باللقمة والتمرة والكسوة .

الصيام في رمضان :

حدث الشعبي عن نافع بن بردة عن أبي مسعود الغفاري سمع رسول الله "ﷺ وآله" يقول : ﴿ ما من عبد يصوم يومًا من رمضان إلا زوج زوجة من الحور العين فى خيمة من درة مجوفة ، مما نعت الله " حور مقصورات في الخيام "[(١)]، على كل امرأة منهن سبعون حلة ليس منها حلة على لون الأخرى ، ويعطى سبعون لونًا من الطيب ليس منهن لون على ريح الآخر ، لكل امرأة منهن سبعون سريرًا من ياقوتة حمراء موشحة بالدر والياقوت ، على كل سرير سبعون فراشًا ، على كل فرش أريكة ، لكل امرأة منهن سبعون ألف وصيفة لحاجتها ، وسبعون ألف وصيف ، مع كل وصيف صفحة من ذهب فيها لون من طعام ، تجد لآخر لقمة لذة لم تجد لأوله ، ويعطى زوجها مثل ذلك على سرير من ياقوت أحمر ، عليه سواران من ذهب ، موشح بياقوت أحمر ، هذا بكل يوم صامه من شهر رمضان سوى ما عمل من الحسنات ﴾ .

وروى عن يحي بن عيسى بن ضرار السعدي – وكان قد بكى شوقًا إلى الله ستين عامًا – قال : رأيت كأن ضفة نهر يجرى بالمسك الأذفر حافتاه شجر اللؤلؤ ونبت من قضبان الذهب ،

---

(١) الرحمن : ٧٢ .

فإذا بجوار مزينات يقلن بصوت واحد : سبحان المسبح بكل لسان ، سبحان الموجود بكل مكان ، سبحان الدائم فى كل زمان ، سبحانه سبحانه ، قال : فقلت : من أنتن ؟ قلن : خلق من خلق الله سبحانه ، قلت : وما تصنعن ها هنا ؟ فقلن :

ينـــاجون رب العـــالمين لحقهـــم وتســرى همــوم القــوم والنــاس نُــوَّمُ
ذَرَانَـــا إلـــهُ النـــاس ربُّ محمــد لقــوم علــى الأقــدام بالليــل قُــوَّمُ

فقلت : بخ بخ ، لهو من هؤلاء ، لقد أقر الله أعينهم ، فقلن : أما تعرفهم ؟ فقلت : والله ما أعرفهم ، قلن : هؤلاء المتهجدون بالليل أصحاب السهر .

حوراء تخرج من تفاحة :

ذكر القرطبي في تفسير سورة الواقعة عن خالد بن الوليد ﷺ عن رسول الله "ﷺ وآله" : ﴿إن الرجل من أهل الجنة ليمسك التفاحة من تفاح الجنة ، فتتعلق في يده ، فتخرج منها حوراء لو نظرت للشمس لأخجلتها من حسنها ولا تنقص التفاحة﴾ فقال رجل : يا أبا سليمان إن هذا العجب لا ينقص منه شيء .

وقال ابن عباس رضي الله عنهما : خلق الله الحور من أصابع رجليها إلى ركبتها من الزعفران ، ومن ركبتيها إلى ثدييها من المسك ، ومن ثدييها إلى عنقها من العنبر، ومن عنقها إلى رأسها من الكافور الأبيض ، وشعرها القرنفل ، عليها سبعون حلة مثل شقائق النعمان .

وفى قول سيدنا ومولانا رسول الله " ﷺ وآله " : ﴿ للشهيد عند الله ست خصال...﴾ الحديث وفيه : ﴿ ويزوج باثنتين وسبعين زوجة من الحور العين ﴾ يقول القرطبي : وهذا يؤيد ما ذكرناه فى حديث أبي هريرة : ﴿ لكل واحد منهم زوجتان ﴾ أن ذلك من نساء الدنيا ، وقال يحي بن معاذ : ترك الدنيا شديد ، وفوت الجنة أشد ، وترك الدنيا مهر الآخرة .

ختمة قرآن :

قال محمد بن النعمان المقري : كنت قاعدًا عند الجلا المقري بمكة في المسجد الحرام إذا مر بنا شيخ طويل نحيل الجسم عليه أطمار خلقه ، فقام إليه الجلا ووقف معه ساعة ثم انصرف إلينا ، فقال : هل تعرفون من هذا الشيخ ؟ فقلنا : لا ، فقال : ابتاع من الله حوراء بأربعة آلاف ختمة ، فلما أكملها رآها فى المنام فى حليها وحللها ، فقال : لمن أنت ؟ فقالت : أنا الحوراء التي ابتعتني من الله تعالى بأربعة آلاف ختمة ، هذا الثمن ، فما نحلتي أنا منك ؟ قال : ألف ختمة ، قال الجلا : فهو يعمل فيها بعد .

قيام الليل :

روي عن سحنون أنه قال : كان بمصر رجل يقال له : سعيد ، وكانت له أم من المتعبدات ، وكانت إذا قام من الليل يصلى تقوم والدته خلفه ، فإذا غلب عليه النوم ونعس تناديه والدته : يا سعيد ، إنه لا ينام من يخاف النار ويخطب الحور الحسان ، فيقوم مرعوبًا .

ويروى عن ثابت أنه قال : كان أبي من القوامين لله فى سواد الليل ، قال : رأيت ذات ليلة فى منامي امرأة لا تشبه النساء ، فقلت لها : من أنت ؟ فقالت : حوراء ، أمة الله ، فقلت لها : زوجيني نفسك ، فقالت : اخطبني من عند ربى وأمهرني ، فقلت : وما مهرك ؟ فقالت: طول التهجد .

وقال مضر القارئ : غلبني النوم ليلة فنمت عن حزبي ، فرأيت في منامي – فيما يرى النائم – جارية كأن وجهها القمر المستتم ومعها رق فقالت : أتقرأ أيها الشيخ ؟ قلت : نعم ، فقالت : أقرأ هذا الكتاب ، ففتحته ، فإذا فيه مكتوب ، فوالله ما ذكرتها قط إلا ذهب عني النوم:

ألهتـــك اللذائـــــذُ والأمـــــاني عـــن الفـــردوس والظلـــل الـــدواني
ولـــذةُ نومـــة عـــن خـــير عـــيش مـــع الخـــيرات في غـــرف الجنـــان
تـــيقظ مـــن منامـــك إن خـــيرًا مـــن النـــوم التهجـــدُ بـــالقرآن

وقال مالك بن دينار : كان لي أحزاب أقرؤها كل ليلة ، فنمت ذات ليلة ، فإذا أنا فى المنام بجارية ذات حسن وجمال وبيدها رقعة ، فقالت : أتحسن أن تقرأ ؟ فقلت : نعم ، فـــدفعت إليَّ الرقعة ، فإذا فيها هذه الأبيات :

هـــاك النـــوم عـــن طلـــب الأمـــاني وعـــن تلـــك الأوانـــس في الجنـــان
تعـــيش مخلـــدًا لا مـــوت فيهـــا وتلـــهو في الخيـــام مـــع الحســـان
تنبـــه مـــن منامـــك إن خـــيرًا مـــن النـــوم التهجـــد بـــالقرآن

أهل الخير فى الجنة :

قال تعالى : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَؤُوا كِتَابِيهْ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيهْ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْـــلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴾[1].

قيل: ﴿ عيشة راضية ﴾ : عيش يرضاه لا مكروه فيه أو يرضـــى بهـــا صـــاحبها ، وفى الصحيح عن النبي "ﷺ آله" ﴿ أنهم يعيشون فلا يموتون أبدًا ، ويصحون فلا يمرضون أبـــدًا ، وينعمون فلا يرون بؤسًا أبدًا ، ويشبون فلا يهرمون أبدًا ﴾ .

﴿ في جنة عالية ﴾ : عظيمة في النفوس ﴿ قطوفها دانية ﴾ : قريبة التناول ، يتناولها القائم والقاعد والمضطجع . القطوف : جمع قطف وهو ما يقطف من الثمار .

﴿ كلوا واشربوا هنيئاً ﴾ لا تكدير فيها ولا تنغيص .

---

(١) الحاقة : ١٩ ـ ٢٤ .

وإذا كان الرجل من أهل الخير يدعو إليه ويأمر به ويكثر تبعه عليه ؛ دعي باسمه واسم أبيه فيتقدم ، حتى إذا دنا أخرج له كتاب أبيض بخط أبيض ، في باطنه الحسنات وفي ظاهره السيئات ، فيبدأ بالسيئات فيقرأها فيشفق ويصفر وجهه ، ويتغير لونه ، فإذا بلغ آخر الكتاب وجد فيه " هذه سيئاتك وقد غفرت لك " فيفرح عند ذلك فرحًا شديدًا .

ثم يقلب كتابه فيقرأ حسناته فلا يزداد إلا فرحًا ، حتى إذا بلغ آخر الكتاب وجد فيه "هذه حسناتك قد ضوعفت لك" فيبيض وجهه ، ويؤتى بتاج فيوضع على رأسه ، ويكسى حلتين ، ويحلى كل مفصل منه ، ويطول ستين ذراعًا – وهى قامة آدم عليه السلام – ويقال له: انطلق إلى أصحابك فأخبرهم وبشرهم أن لكل إنسان منهم مثل هذا .

فإذا أدبر قال : ﴿ هاؤم اقرءوا كتابيه إني ظننت أني ملاق حسابيه ﴾ قال الله تعالى: ﴿ فهو في عيشة راضية ﴾ أي : مرضية قد رضيها ﴿ في جنة عالية ﴾ في السماء ﴿ قطوفها ﴾ ثمارها وعناقيدها ﴿ دانية ﴾ أي : أدنيت منهم ، فيقول لأصحابه : هل تعرفونى ؟ فيقولون : قد غمرتك كرامة ، من أنت ؟ فيقول : أنا فلان ابن فلان ؛ أبشر كل رجل منكم بمثل هذا ﴿كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم فى الأيام الخالية﴾ أي : قدمتم في الدنيا .

الباب الخامس

من جمالات الجنة ونعيمها وبيان أنها طالبة ومطلوبة

الفصل الأول

من جمالات الجنة ونعيمها

فضل نعيم الجنة على متاع الدنيا :

متا ع الدنيا واقع مشهود ، ونعيم الجنة غيب موعود ، والناس يتأثرون بما يرون ويشاهدون ، ويثقل على قلوبهم ترك ما بين أيديهم إلى شيء ينالونه في الزمن الآتي ، فكيف إذا كان الموعود يُنال بعد الموت ؟ من أجل ذلك قارن الحق تبارك وتعالى بين متا ع الدنيا ونعيم الجنة، وبيَّن أن نعيم الجنة خير من الدنيا وأفضل ، وأطال في ذم الدنيا وبيان فضل الآخرة ، وما ذلك إلا ليجتهد العباد فى طلب الآخرة ونيل نعيمها .

وتجد ذم الدنيا ومدح نعيم الآخرة ، وتفضيل ما عند الله على متا ع الدنيا القريب العاجل فى مواضع كثيرة ، كقوله تعالى : ﴿ لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلاً مِّنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ لِّلأَبْرَارِ ﴾[1]، وقوله : ﴿ وَلا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾[2].

وقال في موضع آخر : ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾[3].

سر أفضلية نعيم الآخرة على متاع الدنيا :

ولو ذهبنا نبحث فى سر أفضلية نعيم الآخرة على متا ع الدنيا لوجدناه من وجوه متعددة:

---

(١) آل عمران : ١٩٨ .
(٢) طه : ١٣١ .
(٣) آل عمران : ١٤ ــ ١٥ .

أولاً : متاع الدنيا قليل

قال تعالى : ﴿ قُلْ مَتَاعُ الدَّنْيَا قَلِيلٌ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَى ﴾[١] .

وقد صور لنا الرسول "ﷺ وآله" قلة متاع الدنيا بالنسبة إلى نعيم الآخرة بمثال ضربه فقال : ﴿ والله ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم إصبعه هذه – وأشار بالسبابة – في اليم ، فلينظر بم ترجع ﴾[٢]. ما الذي تأخذه الإصبع إذا غمست فى البحر الخضم ، إنها لا تأخذ منه قطرة ، هذا هو نسبة الدنيا إلى الآخرة .

ولما كان متاع الدنيا قليلاً ؛ فقد عاتب الله المؤثرين لمتاع الدنيا على نعيم الآخرة : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُواْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ ﴾[٣].

ثانياً : نعيم الآخرة أفضل

نعيم الآخرة أفضل من حيث النوع ، فثياب أهل الجنة وطعامهم وشرابهم وحليهم وقصورهم ؛ أفضل مما في الدنيا ، بل لا وجه للمقارنة ، فإن موضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها، ففي صحيح البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول " ﷺ وآله ": ﴿موضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها﴾[٤]. وفى الحديث الآخر الذى يرويه البخاري ومسلم أيضًا عن أبي هريرة قال : قال رسول الله "ﷺ وآله" : ﴿ ولقاب قوس أحدكم من الجنة خير مما طلعت عليه الشمس ﴾[٥].

وقارن نساء أهل الجنة بنساء الدنيا لتعلم فضل ما في الجنة على ما في الدنيا ، ففي صحيح البخاري عن أنس ﷺ قال : قال رسول الله "ﷺ وآله" : ﴿ لو أن امرأة من نساء

(١) النساء : ٧٧ .
(٢) صحيح مسلم .
(٣) التوبة : ٣٨ .
(٤) مشكاة المصابيح .
(٥) مشكاة المصابيح ، والقاب : الموضع والمقدار .

أهل الجنة اطلعت على الأرض لأضاءت ما بينهما ، ولملأت ما بينهما ريحًا ، ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها ﴾[١].

ثالثاً : الجنة خالية من شوائب الدنيا

الجنة خالية من شوائب الدنيا وكدرها : فطعام أهل الدنيا وشرابهم يلزم منه الغائط والبول ، والروائح الكريهة ، وإذا شرب المرء خمر الدنيا فقد عقله ، ونساء الدنيا يحضن ويلدن ، والحيض أذى ، والجنة خالية من ذلك كله ، فأهلها لا يبولون ولا يتغوطون ، ولا يبصقون ولا يتفلون ، وخمر الجنة كما وصفها خالقها ﴿ بَيْضَاء لَذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ لا فِيهَا غَوْلٌ وَلا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴾[٢] وماء الجنة لا يأسن ، ولبنها لا يتغير طعمه ﴿ أَنْهَارٌ مِّن مَّاء غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ ﴾[٣] ، ونساء أهل الجنة مطهرات من الحيض والنفاس وكل قاذورات نساء الدنيا ، كما قال تعالى : ﴿ وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ ﴾[٤].

وقلوب أهل الجنة صافية ، وأقوالهم طيبة ، وأعمالهم صالحة ، فلا تسمع في الجنة كلمة نابية تكدر الخاطر ، وتعكر المزاج ، وتستثير الأعصاب ، فالجنة خالية من باطل الأقوال والأعمال ﴿ لاَّ لَغْوٌ فِيهَا وَلا تَأْثِيمٌ ﴾[٥]، ولا يطرق المسامع إلا الكلمة الصادقة الطيبة السالمة من عيوب كلام أهل الدنيا ﴿ لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلا كذاباً ﴾[٦]، ﴿ لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلاَّ سَلامًا ﴾[٧] ، ﴿ لاَّ تَسْمَعُ فِيهَا لاغِيَةً ﴾[٨]، إنها دار الطهر والنقاء و الصفاء الخالية من الأوشاب والأكدار ، إنها دار السلام والتسليم ﴿ لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلا تَأْثِيمًا إِلاَّ قِيلاً سَلامًا سَلامًا ﴾[٩] .

---

(١) مشكاة المصابيح ، والنصيف : الخمار .
(٢) الصافات : ٤٦ – ٤٧ .
(٣) محمد : ١٥ .
(٤) البقرة : ٢٥ .
(٥) الطور : ٢٣ .
(٦) النبأ : ٣٥ .
(٧) مريم : ٦٢ .
(٨) الغاشية : ١١ .
(٩) الواقعة : ٢٥ – ٢٦ .

ولذلك فإن أهل الجنة إذا خلصوا من النار حبسوا على قنطرة بين الجنة والنار، ثم يهذبون وينقون بأن يقتص لبعضهم من بعض، فيدخلون الجنة وقد صفت منهم القلوب، وزال ما في نفوسهم من تباغض وحسد ونحو ذلك مما كان في الدنيا، وفي الصحيحين في صفة أهل الجنة عند دخول الجنة: ﴿لا اختلاف بينهم ولا تباغض، قلوبهم قلب واحد، يسبحون الله بكرة وعشياً﴾[١]. وصدق الله إذ يقول: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾[٢].

والغل : الحقد ، وقد نقل عن ابن عباس رضي الله عنهما والإمام علي بن أبي طالب عليه السلام أن أهل الجنة عندما يدخلون الجنة يشربون من عين فيُذهب الله ما في قلوبهم من غل ، ويشربون من عين أخرى فتشرق ألوانهم وتصفو وجوههم[٣]، ولعلهم استفادوا هذا من قوله تعالى : ﴿ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴾[٤] .

رابعاً : نعيم الدنيا زائل ونعيم الآخرة باق دائم

ولذلك سمى الحق تبارك وتعالى ما زين للناس من زهرة الدنيا متاعًا ، لأنه يُتمتع به ثم يزول ، أما نعيم الآخرة فهو باق ليس له نفاد ﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ ﴾[٥] ، ﴿ إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِن نَّفَادٍ ﴾[٦] ، ﴿ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وِظِلُّهَا ﴾[٧] .

وقد ضرب الله الأمثال لسرعة زوال الدنيا وانقضائها ﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاء أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاء فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا

---

(١) رواه البخاري .
(٢) الحجر: ٤٧ .
(٣) التذكرة للقرطبي.
(٤) الإنسان : ٢١ .
(٥) النحل : ٩٦ .
(٦) ص : ٥٤ .
(٧) الرعد : ٣٥ .

وَخَيْرٌ أَمَلاً ﴾[1]، فقد ضرب الله مثلاً لسرعة زوال الدنيا وانقضائها بالماء النازل من السماء الذى يخالط نبات الأرض فيخضر ويزهر ويثمر ، وما هي إلا فترة وجيزة حتى تزول بهجته، فيذوي ويصفر ، ثم تعصف به الرياح في كل مكان ، وكذلك زينة الدنيا من الشباب والمال والأبناء والحرث والزرع ؛ كلها تتلاشى وتنقضي ، فالشباب يذوي ويذهب، و الصحة والعافية تبدل هرمًا ومرضًا ، والأموال والأولاد قد يذهبون ، وقد ينتزع الإنسان من أهله وماله.

أما الآخرة فلا رحيل ، ولا فناء ، ولا زوال : ﴿ وَلَدَارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ﴾[2] .

خامساً : الحياة الدنيا متاع الغرور

العمل لمتاع الدنيا ونسيان الآخرة يعقبه الحسرة والندامة ودخول النيران ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَما الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾[3].

ومن جمال صور أهل الجنة أنهم يكونون جردًا مردًا كأنهم مكحلون ، وكلهم يدخل الجنة فى عمر القوة والفتوة والشباب أبناء ثلاث وثلاثين ، ففي مسند أحمد وسنن الترمذى عن معاذ ابن جبل عن سيدنا ومولانا رسول الله "ﷺ وآله" قال : ﴿ يدخل أهل الجنة جردًا مردًا ، كأنهم مكحلون ، أبناء ثلاث وثلاثين ﴾[4] .

وأهل الجنة – كما جاء في حديث أبي هريرة ﷺ في الصحيحين – ﴿ لا يبصقون ، ولا يتمخطون ، ولا يتغوطون ﴾[5].

---

(١) الكهف : ٤٥ – ٤٦ .
(٢) النحل : ٣٠ – ٣١ .
(٣) آل عمران : ١٨٥ .
(٤) صحيح الجامع .
(٥) هو جزء من حديث طويل .

وأهل الجنة لا ينامون ، فقد جاء في حديث جابر بن عبد الله ، وعبد الله بـن أبي أوفى رضي الله عنهما ؛ أن سيدنا ومولانا رسول الله "ﷺ وآله" قال : ﴿ النوم أخو المـوت ، ولا ينام أهل الجنة ﴾ .

يقول الإمام أبو العزائم رضي الله عنه :

يَا قَلْبُ فَكِّرْ..تَرَ ٱلدُّنْيَا أَبَاطِيلاَ وَٱقْرَأْ أَيَا قَلْبُ قُرْآنًا وَتَنْزِيلاَ
خَلِّ ٱلْهَوَىٰ..وَٱدَّكِرْ فَٱللَّهْوُ مَفْسَدَةٌ أَقْبِلْ عَلَى ٱللَّهِ تُعْطَ ٱلْخَيْرَ مَأْمُولاَ
ٱلْمَوْتُ يَا قَلْبُ إِنْ حَقَّقْتَ نَازِلَةٌ لَمْ يُبْقِ حَيًّا فَخَلِّ ٱلْقَالَ وَٱلْقِيلاَ
وَٱلدَّارُ دَارُ بَلاَءٍ إِنْ رَضِيتَ بِهَا وَكَيْفَ تَرْضَىٰ بِدَارِ ٱلْبُعْدِ مَأْمُولاَ؟!
دُنْيَاكَ دَارُ فَنَاءٍ لاَ بَقَاءَ لَهَا أَقْبِلْ عَلَى ٱللَّهِ تُعْطَ ٱلْخَيْرَ مَوْصُولاَ
ٱلْمَوْتُ عِبْرَةُ مَنْ فَازُوا بِسَابِقَةٍ مِنْ رَبِّهِمْ لَمْ يَرَوْا زُورًا وَتَأْوِيلاَ
فَرُّوا إِلَى ٱللَّهِ مِنْ دُنْيَا وَآخِرَةٍ لَمْ يَشْهَدوا غَيْرَهُمْ غَيْرًا وَتَبْدِيلاَ
أَحْيَاهُمُو ٱلْحُبُّ فِي شُغْلٍ بِخَالِقِهِمْ حَتَّىٰ بِهِ ٱتَّصَلُوا قُرْبًا وَتَمْثِيلاَ

في الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت :

قال الله تعالى : ﴿ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاء بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾(١) .

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله "ﷺ وآله" : ﴿قال الله عز وجل: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ، ولا خطر علـى قلـب بشـر﴾ مصداق ذلك في كتاب الله : ﴿ فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاء بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ .

---

(١) السجدة : ١٦-١٧.

وفي لفظ آخر فيهما يقول الله عز وجل : ﴿ أعددت لعبادي الصالحين ما لا عـين رأت، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، ذخرًا بله[1] ما أطلعتكم عليه ﴾ ثم قرأ : ﴿ فـلا تعلم نفس .... ﴾ الآية .

وفى صحيح مسلم من حديث سهل بن سعد الساعدي قال : شهدت مع النبي "ﷺ وآله" مجلسًا وصف فيه الجنة حتى انتهى ، ثم قال في آخر حديثه : ﴿ فيها ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ﴾ – ثم قرأ هذه الآية – : ﴿ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاء بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ .

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله "ﷺ وآله" : ﴿لقاب قوس أحدكم في الجنة خير مما طلعت عليه الشمس أو تغرب﴾ .

أقل ظفر في الجنة يجمِّل ما بين السموات والأرض :

روى الترمذي عن داود بن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه عن جده عن النبي "ﷺ وآله" قال : ﴿ لو أن أقل ظفر مما فى الجنة بدا لتزخرفت له ما بين خوافق السموات والأرض ، ولو أن رجلاً من أهل الجنة اطلع فبدا أساوره لطمس ضوء الشمس كما تطمس الشمس ضوء الكواكب ﴾ .

وفى رواية أخرى : ﴿ لو أن أقل ظفر من الجنة برز للدنيا لتزخرفت له ما بين السماء والأرض ﴾ .

جمال بناء الجنة وتكوينها :

عن أنس بن مالك وأبي سعيد الخدري وعبد الله بن عمرو رضي الله عنهم : وكيف يقدر قدر دار غرسها الله بيده ، وجعلها مقرًا لأحبابه ، وملأها من رحمته وكرامته ورضوانه ،

---

(١) بَلْهَ : غير .

ووصف نعيمها بالفوز العظيم ، وملكها بالملك الكبير، وأودعها جميع الخير بحذافيره ، وطهرها من كل عيب وآفة ونقص ، فإن سألت عن أرضها وتربتها فهي المسك والزعفران ، وإن سألت عن سقفها فهو عرش الرحمن ، وإن سألت عن بلاطها فهو المسك الأذفر، وإن سألت عن حصبائها فهو اللؤلؤ والجوهر، وإن سألت عن بنائها فلبنة من فضة ولبنة من ذهب ، وإن سألت عن أشجارها فما فيها شجرة إلا وساقها من ذهب وفضة لا من الحطب والخشب، وإن سألت عن ثمرها فأمثال القلال – القُلة : الجرّة ، والجمع : قُلل و قِلاَل – ألين من الزبد وأحلى من العسل .

وإن سألت عن ورقها فأحسن ما يكون من رقائق الحلل ، وإن سألت عن أنهارها فأنهار من ماء غير آسن ، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه ، وأنهار من خمر لذة للشاربين ، وأنهار من عسل مصفى .

وإن سألت عن طعامهم ففاكهة مما يتخيرون ، ولحم طير مما يشتهون ، وإن سألت عن شرابهم فالتسنيم والزنجبيل والكافور، وإن سألت عن آنيتهم فآنية من الذهب والفضة فى صفاء القوارير.

وإن سألت عن سعة أبوابها فبين المصراعين مسيرة أربعين من الأعوام ، وليأتين عليه يوم وهو كظيظ من الزحام ، وإن سألت عن تصفيق الرياح لأشجارها فإنها تستفز بالطرب لمن يسمعها ، وإن سألت عن ظلها ففيها شجرة واحدة يسير الراكب المجد السريع فى ظلها مائة عام لا يقطعها ، وإن سألت عن سعتها فأدنى أهلها يسير في ملكه وسرره وقصوره وبساتينه مسيرة ألف عام .

وإن سألت عن خيامها وقبابها فالخيمة الواحدة من درة مجوفة طولها ستون ميلاً من تلك الخيام ، وإن سألت عن علاليها وجواسقها (قصورها) فهي غرف من فوقها غرف مبنية تجرى من تحتها الأنهار ، وإن سألت عن ارتفاعها فانظر إلى الكوكب الطالع أو الغارب في الأفق الذي لا تكاد تناله الأبصار .

وإن سألت عن لباس أهلها فهو الحرير والذهب ، وإن سألت عن فراشها فبطائنها من إستبرق مفروشة في أعلى الرتب ، وإن سألت عن أرائكها فهي الأسرة عليها البشخانات وهي الحجال مزررة بأزرار من ذهب ، فما لها من فروج ولا خلال . (الحَجَلة – بالتحريك – : بيت كالقبة يُستر بالثياب ويكون له أزرار كبار ، والجمع : حِجَال ، والجحلة : سَتر يُضرب فوق السرير).

وإن سألت عن وجوه أهلها وحسنهم فعلى صورة القمر ، وإن سألت عن أسنانهم فأبناء ثلاث وثلاثين على صورة آدم عليه السلام أبي البشر ، وإن سألت عن سماعهم فغناء أزواجهم من الحور العين ، وأعلى منه سماع أصوات الملائكة والنبيين ، وأعلى منها خطاب رب العالمين

وإن سألت عن مطاياهم التي يتزاورون عليها ؛ فنجائب إن شاء الله مما شاء تسير بهم حيث شاءوا من الجنان ، وإن سألت عن حليهم وشارتهم فأساور الذهب واللؤلؤ على الرؤوس ملابس التيجان ، وإن سألت عن غلمانهم فولدان مخلدون كأنهم لؤلؤ مكنون .

وإن سألت عن عرائسهم وأزواجهم ، فهن الكواعب الأتراب ، اللائي جرى في أعضائهن ماء الشباب ، فللورد والتفاح ما لبسته الخدود ، وللرومان ما تضمنته النهود ، وللؤلؤ المنظوم ما حوته الثغور ، وللرقة واللطافة ما دارت عليه الخصور ، تجرى الشمس من محاسن وجهها إذا برزت ، ويضئ البرق من بين ثناياها إذا ابتسمت .

إذا قابلت حِبها فقل ما تشاء في تقابل النيرين ، وإذا حادثته فما ظنك بمحادثة الحبيبين ، وإن ضمها إليه فما ظنك بتعانق الغصنين ، ويرى وجهه في صحن خدها ، كما يرى في المرآة جلاها صيقلها ، ويرى مخ ساقها من وراء اللحم لا يستره جلدها ولا عظمها ولا حللها ، لو اطلعت على الدنيا لملأت ما بين السماء والأرض ريحا ولاستنطقت أفواه الخلائق تسهيلاً وتكبيرًا وتسبيحًا ، ولتزخرف لها ما بين الخافقين ، ولأغمضت عن غيرها كل عين ، ولطمست ضوء الشمس كما تطمس الشمس ضوء النجوم ، ولآمن من على ظهرها بالله الحي القيوم .

ونصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها ، ووصالها أشهى إليه من جميع أمانيها ، ولا

تزداد على طول الأحقاب إلا حسنًا وجمالاً ، ولا يزداد لها طول المدى إلا محبة ووصالاً ، مبرأة من الحبل والولادة والحيض والنفاس ، مطهرة من المخاط والبصاق والبول والغائط وسائر الأدناس ، لا يفنى شبابها، ولا تبلى ثيابها ، ولا يخلق ثوب جمالها ، ولا يمل طيب وصالها ، قد قصرت طرفها على زوجها ، فلا تطمح لأحد سواه ، وقصر طرفه عليها فهي غاية أمنيته وهواه .

إن نظر إليها سرته ، وإن أمرها بطاعته أطاعته ، وإن غاب عنها حفظته ، فهو معها في غاية الأماني والأمان ، هذا ولم يطمثها قبله إنس ولا جان ، كلما نظر إليها ملأت قلبه سرورًا ، وكلما حدثته ملأت أذنه لؤلؤًا منظوماً ومنثورًا ، وإذا برزت ملأت القصر والغرفة نورًا .

وإن سألت عن السن فأتراب في أعدل سن الشباب ، وإن سألت عن الحسن فهل رأيت الشمس والقمر، وإن سألت عن الحدق فأحسن سواد في أصفى بياض في أحسن صور، وإن سألت عن القدود فهل رأيت أحسن الأغصان ، وإن سألت عن النهود فهي الكواعب ، نهودهن كألطف الرومان ، وإن سألت عن اللون فكأنه الياقوت والمرجان

وإن سألت عن حسن الخلق فهن الخيرات الحسان ، اللاتي جمع لهن بين الحسن والإحسان ، فأعطين جمال الباطن والظاهر ، فهن أفراح النفوس وقرة النواظر .

وإن سألت عن حسن العشرة ولذة ما هنالك فهن العُرُبُ المتحببات إلى الأزواج ، بلطافة التبعل التي تمتزج بالروح أي امتزاج .

فما ظنك بامرأة إذا ضحكت في وجه زوجها أضاءت الجنة من ضحكها ، وإذا انتقلت من قصر إلى قصر قلت : هذه الشمس متنقلة في بروج فلكها ، وإذا حاضرت زوجها فيا حسن تلك المحاضرة ، وإذا خاصرته فيا لذة المعانقة والمخاصرة .

وحديثها السحر الحلال لو أنه لم يجن قتل المسلم المتحرز
إن طال لم يُملل ، وإن هي حدثت ود المحدث أنها لم توجز

وإن غنت فيا لذة الأبصار والأسماع، وإن آنست وأمتعت فيا حبذا تلك المؤانسة والإمتاع ، وإن قبلت فلا شيء أشهى إليه من ذلك التقبيل ، وإن نولت فلا ألذ ولا أطيب من ذلك التنويل .

يوم المزيد وزيارة العزيز الحميد :

هذا ، وإن سألت عن يوم المزيد وزيارة العزيز الحميد ؛ ورؤية وجهه المتره عن التمثيل والتشبيه ؛ كما ترى الشمس في الظهيرة والقمر ليلة البدر كما تواتر عن الصادق المصدوق النقل فيه ، وذلك موجود في الصحاح والسنن والمسانيد ؛ من رواية جرير وصهيب وأنس وأبي هريرة وأبي موسى وأبي سعيد رضي الله عنهم ، فاستمع يوم ينادى المنادي : يا أهل الجنة ، إن ربكم تبارك وتعالى يستزيركم فحي على زيارته ، فيقولون : سمعًا وطاعة، وينهضون إلى الزيارة متبادرين ، فإذا بالنجائب قد أعدت لهم فيستوون على ظهرها مسرعين ، وحتى إذا انتهوا إلى الوادي الأفيح الذي جعل لهم موعدًا وجمعوا هناك فلم يغادر الداعي منهم أحدًا....

إلى قولهم : ثم نصبت لهم منابر من نور ، ومنابر من لؤلؤ ، ومنابر من زبرجد ، ومنابر من ذهب ، ومنابر من فضة ، وجلس أدناهم – وحاشاهم أن يكون فيهم دني – ، على كثبان المسك ما يرون أن أصحاب الكراسي فوقهم العطايا .

حتى إذا استقرت بهم مجالسهم ؛ واطمأنت بهم أماكنهم ؛ نادي المنادي : يا أهل الجنة ، إن لكم عند الله موعدًا يريد أن ينجزكموه ، فيقولون : ما هو ؟ ألم يُبيض وجوهنا ، ويثقل موازيننا، ويدخلنا الجنة ويزحزحنا عن النار ؟ .

فبينما هم كذلك إذ سطع لهم نور أشرقت له الجنة ، فرفعوا رؤوسهم فإذا الجبار – جل جلاله وتقدست أسماؤه – وقد أشرف عليهم من فوقهم وقال : يا أهل الجنة سلام عليكم ، فلا ترد هذه التحية بأحسن من قولهم : اللهم أنت السلام ، ومنك السلام ، تباركت يا ذا الجلال والإكرام .

فيتجلى لهم الرب تبارك وتعالى ويضحك إليهم ويقول : يا أهل الجنة ، فيكون أول ما

يسمعون منه تعالى : أين عبادي الذين أطاعوني بالغيب ولم يروني ، فهذا يوم المزيد .

فيجتمعون على كلمة واحدة : قد رضينا فَارْضَ عنا .

فيقول : يا أهل الجنة ، إني لو لم أرض عنكم لم أسكنكم جنتي ، هذا يوم المزيد فاسألوني ، فيجتمعون على كلمة واحدة : أرنا وجهك ننظر إليه ، فيكشف لهم الرب جل جلاله الحجب ويتجلى لهم فيغشاهم من نوره ما لولا أن الله تعالى قضى أن لا يحترقوا لاحترقوا ، ولا يبقى فى ذلك المجلس أحد إلا حاضره ربه تعالى محاضرة حتى إنه يقول : يا فلان أتذكر يوم فعلت كذا وكذا – يذكره ببعض غدراته في الدنيا – فيقول : يا رب ألم تغفر لي ؟ فيقول : بمغفرتي بلغت مترلتك هذه .

فيا لذة الاستماع بتلك المحاضرة ، ويا قرة عيون الأبرار بالنظر إلى وجهه الكريم في الدار الآخرة ، ويا ذلة الراجعين بالصفقة الخاسرة ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴾[1] .

فحي على جنات عدن فإنها منازلك الأولى وفيها المخيم
ولكننا سبي العدو فهل ترى نعود إلى أوطاننا ونسلم

هل تفضل جنة جنة ؟ :

قال الله تعالى : ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾[2]. ثم وصفهما ، ثم قال بعد ذلك : ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾[3].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما في تأويل قوله تعالى : ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾ أي : بعد أداء الفرائض جنتان . قيل : على حدة ، فلكل خائف جنتان ، وقيل : جنتان لجميع الخائفين ، والأول أظهر .

(١) القيامة : ٢٢ ــ ٢٥ .
(٢) الرحمن : ٤٦.
(٣) الرحمن : ٦٢.

قال الترمذي محمد بن على : جنة لخوفه من ربه ، وجنة لتركـه لشـهوته ، والمقـام : الموضع، أي : خاف مقامه بين يدي ربه للحساب فترك المعصية ، وقيل : خاف قيام ربه عليه ، أي: إشرافه واطلاعه عليه ، بيانه : ﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ﴾[1].

وقال مجاهد والنخعي : هو الرجل يهم بالمعصية فيذكر الله ؛ فيدعها من خوفه .

وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي "ﷺ وآله" أنه قال :﴿الجنتان بسـتانان في عرض الجنة ، كل بستان مسيرة مائة عام ، في وسط كل بستان دار من نور على نـور ، وليس منها شيء إلا يهتز نعمة وخضرة ، قرارها ثابت وشجرها نابت ﴾ ذكـره الهـروي والثعلبي أيضًا من حديث أبي هريرة ﷺ .

وقيل : إن إحدى الجنتين أسافل القصور ؛ والأخرى أعاليها .

وقال مقاتل : هما جنة عدن ، وجنة نعيم .

وقوله تعالى : ﴿ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما : أي : وله مـن دون الجنتين الأولين جنتان أخريان ، قال ابن عباس : ومن دونهما ، أي : في الدرج ، والجنات لمن خاف مقام ربه فيكون في الأولين : النخل والشجر ، وفى الأخريين : الزرع والنبات ومـا انبسط .

وقال الماوردي : ويحتمل أن يكون ﴿ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴾ لأتباعه لقصور مترلتهم عن مترلته ، إحداهما: للحور العين ، والأخرى : للولدان المخلدين ليتميز فيها الذكور من الإناث .

وقال ابن جريج : هي أربع جنان : جنتان منها للسابقين المقربين فيهما من كل فاكهـة زوجان وعينان تجريان ، وجنتان لأصحاب اليمين فيهما فاكهة ونخل ورمان ، وفيهما عينـان نضاختان .

---

(١) الرعد : ٣٣

وقال ابن زيد : الأوليان من ذهب للمقربين ، والأخريان من وَرِق " أي: فضة " لأصحاب اليمين .

ويقول القرطبي : وإلى هذا ذهب الحليمي أبو عبد الله الحسين بن الحسين في كتاب منهاج الدين له ، واحتج لما روى سعيد بن جبير عن ابن عباس ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ﴾ إلى قوله: ﴿ مُدْهَامَّتَانِ ﴾(١). قال : هاتان للمقربين ، وهاتان لأصحاب اليمين ، وعن أبي موسى الأشعري نحو ذلك .

ولما وصف الله الجنتين أشار إلى الفرق بينهما ، فقال في الأولين : ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾(٢) . وفي الأخريين : ﴿ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴾(٣). أي : فوارتان بالماء ، لكنهما ليستا كالجاريتين لأن النضخ دون الجري .

وقال : ﴿ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴾(٤) : معروف وغريب ، أو رطب ويابس ، فعم ولم يخص ، وفي الأخريين : ﴿فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾(٥). ولم يقل : من كل فاكهة ، وقال في الأولين : ﴿ مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ﴾(٦) . هو الديباج ، وفي الأخريين: ﴿ مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وعبقري حِسَانٍ ﴾(٧).

والعبقري : الوشي ، ولا شك أن الديباج أعلى من الوشي ، والرفرف كسر الخباء ، ولا شك أن الفرش المعدة للاتكاء عليها أفضل من فضل الخباء .

وقال في الأولين في صفة الحور العين : ﴿ كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ ﴾(٨). وفي الأخريين: ﴿ فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ ﴾(٩). وليس كل حسن كحسن الياقوت والمرجان .

---

(١) الرحمن : ٦٤.
(٢) الرحمن : ٥٠ .
(٣) الرحمن : ٦٦.
(٤) الرحمن : ٥٢ .
(٥) الرحمن : ٦٨.
(٦) الرحمن : ٥٤ .
(٧) الرحمن : ٧٦.
(٨) الرحمن : ٥٨ .
(٩) الرحمن : ٧٠ .

وقال في الأولين : ﴿ ذَوَاتَا أَفْنَانٍ ﴾[1]. وفي الأخريين : ﴿ مدهامتان ﴾ أي : خضروان، كأنهما من شدة خضرتهما سوداوان ، ووصف الأوليين بكثرة الأغصان ، والأخريين بالخضرة وحدها .

وفي هذا كله تحقيق للمعنى المقصود ، ولعل ما لم يذكر من تفاوت ما بينهما أكثر مما ذكر .

فإن قيل : كيف لم يذكر أهل هاتين الجنتين كما ذكر أهل الجنتين الأوليين ؟ قيل : الجنان الأربع لمن خاف مقام ربه .

إلا أن الخائفين لهم مراتب ، فالجنتان الأوليان لأعلى مراتب العباد رتبة فى الخوف من الله تعالى ، والجنتان الأخريان لمن قصر حاله في الخوف من الله تعالى .

يقول القرطبي : فهذا قول ، والقول الثاني : أن الجنتين في قوله تعالى : ﴿ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴾ أعلى وأفضل من الأوليين ، ذهب إلى هذا الضحاك ، وأن الجنتين الأوليين من ذهب وفضة ، والأخريين من ياقوت وزمرد .

وقوله تعالى : ﴿ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴾ أي : من أمامهما ومن قبلهما ، وإلى هذا القول ذهب أبو عبد الله محمد الترمذي الحكيم في فوائد الأصول ، وقال : ومعنى : ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴾ أي : دون هاتين إلى العرش ، أي : أدنى وأقرب إلى العرش . وقال مقاتل : الجنتان الأوليان : جنة عدن وجنة النعيم ، والأخريان : جنة الفردوس وجنة المأوى .

إذا سألتم الله فاسألوه الفردوس :

يقول القرطبي : ويدل على هذا قوله عليه الصلاة والسلام : ﴿ إذا سألتم الله فاسألوه الفردوس ﴾ الحديث ، قال الترمذى : وقوله : ﴿ فِيهِمَا عَيْنَانِ نضاختَانِ ﴾ أي : بألوان

---

(١) الرحمن : ٤٨ .

الفواكه والنعيم والجواري المزينات ، والدواب المسرجات ، والثياب الملونات ، وهذا يدل على أن النضخ أكثر من الجري .

وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما فيما أورده القرطبي : نضاختان ، أي : فوارتان بالماء، والنضخ – بالخاء – أكثر من النضح – بالحاء – وعنه أيضًا أن المعنى : نضاختان بالخير والبركة ، قاله الحسن ومجاهد .

وعن ابن عباس أيضًا وابن مسعود رضي الله عنهم : تنضخ على أولياء الله بالمسك والكافور والعنبر في دور أهل الجنة كما ينضخ رش المطر ، وقال سعيد بن جبير : بأنواع الفاكهة والماء .

وقوله تعالى : ﴿ فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴾ قال بعض العلماء : ليس الرمان والنخل من الفاكهة لأن الشيء لا يعطف على نفسه ، وهذا ظاهر الكلام ، وقال الجمهور : هما من الفواكه ، وإنما أعاد ذكر النخل والرمان لفضلهما على الفواكه كقوله تعالى : ﴿ حَافِظُواْ عَلَى الصَّلَوَاتِ والصَّلاَةِ الْوُسْطَى﴾[1]. وقوله : ﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَال ... ﴾[2].

وقيل : إنما كررهما لأن النخل والرمان كانا عندهم في ذلك الوقت بمترلة البُر عندنا ، لأن النخل عامة قوهم ، والرمان كالثمرات ، فكان يكثر غرسها عندهم لحاجتهم إليها ، وكانت الفواكه عندهم من ألوان الثمار التي يعجبون بها ، إنما ذكر الفواكه ثم ذكر النخل والرمان لعمومهما وكثرهما عندهم من المدينة إلى مكة وما والاهما من اليمين ، فأخرجهما في الذكر من الفواكه ، وأفرد الفواكه على حدهما .

وقوله تعالى : ﴿ فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ ﴾[3]. يعني : النساء ، والواحدة : خيرة ، قال الترمذي : الخيرة ما اختارهن الله فأبدع خلقهن باختياره ، واختيار الله لا يشبه اختيار

---

(١) البقرة : ٢٣٨.
(٢) البقرة : ٩٨.
(٣) الرحمن : ٧٠ .

الآدميين ، ثم قال : ﴿ حسان ﴾ فوصفهم بالحسن ، فإذا وصف خالق الشيء شيئًا بالحسن، فمن ذا الذي يقدر أن يصف حسنهن ؟ فانظر ما هنالك .

وفي الأوليين ذكر بأهن قاصرات الطرف وكأهن الياقوت والمرجان ، فانظر كم بين الخيرة وهي مختارة الله وبين قاصرات الطرف ؟ .

ثم قال : ﴿ حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ﴾[1] وقال في الأوليين : ﴿ فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ ﴾[2] قصرن طرفهن على الأزواج ، ولم يذكر أهن مقصورات ، فدل على أن المقصورات أعلى وأفضل .

ويذكر القرطبي أنه روي : أن سحابة مطرت من العرش فخلقن من قطرات الرحمة ، ثم ضرب على كل واحدة منهن خيمة على شاطئ الأهار سعتها أربعين ميلاً ، ولها باب ، حتى إذا حل ولي الله بالخيمة انصرعت الخيمة عن باب ليعلم ولي الله أن أبصار المؤمنين من الملائكة والخدم لم تأخذها ، فهي مقصورة قد قصر بها عن أبصار المخلوقين ، والله أعلم .

متكئين على رفرف خضر :

ثم قال تعالى : ﴿ مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ ﴾[3]. اختلف في الرفرف ما هو ؟ :

فقيل : كسر الخباء وجوانب الدرع وما تدلى منها ، والواحدة رفرفة .

وقيل : الرفرف شيء إذا استوى عليه صاحبه رفرف به وأهوى به كالمرجاج يمينًا وشمالاً ورفعًا وخفضًا يتلذذ به مع أنيسته ، واشتقاقه على هذا من : رف يرف ، إذا ارتفع ، ومنه : رفة الطائر لتحريكه جناحيه في الهواء ، ورفرف الطائر أيضًا : إذا حرك جناحيه حول الشيء يريد أن يقع عليه .

---

(١) الرحمن : ٧٢ .
(٢) الرحمن : ٥٦ .
(٣) الرحمن : ٧٦ .

وذكر في الأولين : ﴿ مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ﴾[1]، وقال هنا : ﴿متكئين على رفرف خضر ﴾ فالرفرف هو مستقر الولي على شيء إذا استوى عليه الولي رفرف به ، أي : طار به هكذا وهكذا حيث ما يريد كالمرجاج .

وروى لنا حديث المعراج أن رسول الله "ﷺ وآله" لما بلغ سدرة المنتهى جاءه الرفرف فتناوله من جبريل وطار به إلى سند العرش ، فذكر أنه طار بي يخفضني ويرفعني حتى وقف بي على ربي ، ثم لما حان الانصراف تناوله ، فطار به خفضًا ورفعًا يهوي به حتى أدله إلى جبريل عليه السلام ، وجبريل يبكي ويرفع صوته بالتحميد .

والرفرف خادم من الخدم بين يدي الله تعالى له خواص الأمور في محل الدنو والقربة ، كما أن البراق دابة يركبها الأنبياء صلوات الله عليهم مخصصة بذلك في أرضه ، فهذا الرفرف الذي سخره الله لأجل الجنتين الدانيتين هو متكؤهما وفرشهما ، يرفرف بالولي على حافات تلك الأنهار وشطوطها حيث شاء إلى خيام أزواجه الخيرات الحسان .

ثم قال تعالى : ﴿ وَعَبْقَرِي حِسَانٍ ﴾[2]. والعبقري : ثياب منقوشة تبسط ، فإذا قال خالق النقوش : إنها حسان ؛ فما ظنك بتلك العباقر ؟ والعبقري : قرية من ناحية اليمين – فيما بلغنا – ينسج فيها بسط منقوشة ، فذكر الله ما خلق في هاتين الجنتين من البسط المنقوشة الحسان والرفرف الخضر ، وإنما ذكر لهم من الجنان ما يعرفون أسماءها هنا ، فبات تفاوت هاتين الجنتين .

---

(١) الرحمن : ٥٤ .
(٢) الرحمن : ٧٦ .

الفصل الثانى

الجنة طالبة ومطلوبة

المؤمنون يدعون ربهم سبحانه :

قال الله تعالى : ﴿ رَّبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُواْ بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأبْرَارِ رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلاَ تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لاَ تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴾[1].

ومن بين معاني هذه الآية الكريمة : وآتنا ما وعدتنا على ألسنة رسلك من دخول الجنة ، وقيل : وآتنا ما وعدتنا على الإيمان برسلك ، وقيل ، المعنى : آتنا ما وعدتنا من النصر والظفر على ألسنة رسلك .

وقد أشكل على بعض الناس سؤالهم أن ينجز الله لهم ما وعدهم به مع أنه تعالى فاعل ذلك ولابد .

ودعاؤهم هذا تعبد محض كقوله سبحانه : ﴿ قال رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ ﴾[2]. وقول الملائكة ما أورده الله تعالى : ﴿ فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا ﴾[3].

كما أن الوعد معلق بشروط ، منها : الرغبة إليه سبحانه وتعالى وسؤاله أن ينجزه لهم ، كما أنه معلق بالإيمان وموافقتهم به وأن لا يلحقه ما يحبطه ، فإذا سألوه سبحانه أن ينجز لهم ما وعدهم تضمن ذلك توفيقهم وتثبيتهم وإعانتهم على الأسباب التى ينجز بها وعده ، وهذا يوضح ما ذكره الإمام المجدد أبو العزائم عليه السلام في كتابه " أسرار القرآن " في معنى قول الله

---

(١) آل عمران : ١٩٣ ـ ١٩٤.
(٢) الأنبياء : ١١٢.
(٣) غافر : ٧.

تعالى: ﴿ أَنتَ مَوْلاَنَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾[1]. أي : أظهرنا عليهم واقهرهم لنا ، وتفضل علينا أن يكون قهرهم بنا .

وأما قوله : ﴿ رب احكم ﴾ فهذا سؤال له سبحانه وتعالى أن ينصرهم على أعدائهم فيحكم عليهم بالنصر والغلبة ، وكذلك سؤال الملائكة ربهم أن يغفر للتائبين وهو من الأسباب التى يمنحهم بها المغفرة ، فهو سبحانه نصب الأسباب التى يفعل بها ما يريده بأوليائه وأعدائه وجعلها أسبابًا لإرادته ؛ كما جعلها أسبابًا لوقوع مراده ؛ وهو الغنى عنها .

والله تعالى خلق الأسباب التى توجب محبته وغضبه ، فهو يحب ويرضى ويغضب ويسخط عن الأسباب التى خلقها وشاءها ، فالكل منه وبه، مبتدأ من مشيئته وعائد إلى حكمته وحده ، وهذا باب عظيم من أبواب التوحيد لا يلجه إلا العالمون بالله تعالى ، يقول رضي الله عنه :

أتشهد غير الله فى الكون فاعل ... وتطلب منه العون إنك جاهل
وتخضع للأغيار والله قادر ... وتحسب يا مغرور أنك عاقل
فوحد فرب العرش مولى منزها ... فكل السوى والغير لا شك باطل
إذا ما رأت عيناك غيره مشرك ... ومن حلل التوحيد عارٍ وباطل
تأمل بتدبير تر الله واحدا ... ومظهر أسماء الصفات دلائل

يقول الله تعالى : ﴿ قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاء وَمَصِيرًا لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ كَانَ عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مَسْئُولاً ﴾[2]. يسأله إياه عباده المؤمنون ، ويسأله إياه ملائكته لهم ، فالجنة تسأل ربها أهلها ، وأهلها يسألونه إياها ، والملائكة تسألها لهم ، والرسل يسألونه إياه لهم ولاتباعهم ، ويوم القيامة يقيمهم سبحانه بين يديه يشفعون فيها لعباده المؤمنين ، وفى هذا تمام ملكه وإظهار رحمته وإحسانه وجوده وكرمه

---

(١) البقرة : ٢٨٦.
(٢) الفرقان : ١٥ـ ١٦.

وإعطائه ما سئل ما هو من لوازم أسمائه وصفاته واقتضائها لآثارها ومتعلقاتها ، فلا يجوز تعطيلها من آثارها وأحكامها .

فالرب تعالى جواد له الجود كله ويحب أن يُسأل ويُطلب منه ويُرغب إليه ، فخلق من يسأله وألهمه سؤاله وخلق له ما يسأله إياه ، فهو خالق السائل وسؤاله وذلك لمحبته سؤال عباده له ورغبتهم إليه وطلبهم منه ، وأحب خلقه إليه أكثرهم وأفضلهم له سؤالاً ، وهو يحب الملحين في الدعاء ، وكلما ألح العبد في السؤال أحبه وقربه وأعطاه .

وفى الحديث : ﴿ من لم يسأل الله يغضب عليه ﴾[١]. فلا إله إلا هو .

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله "ﷺ وآله" : ﴿ ما من مسلم يسأل الله الجنة ثلاثًا إلا قالت الجنة : اللهم أدخله الجنة ، ومن استجار من النار بالله ثلاثًا قالت النار : اللهم أجره من النار ﴾[٢].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال : قال رسول الله "ﷺ وآله" : ﴿ ما سأل الله عبد الجنة في يوم سبع مرات إلا قالت الجنة : يا رب إن عبدك فلانًا يسألني فأدخلنيه ﴾[٣].

وعنه أيضًا أنه قال : قال رسول الله "ﷺ وآله" : ﴿ ما استجار عبد من النار سبع مرات إلا قالت النار : إن عبدك فلان استجار مني فأجره ، ولا يسأل عبد الجنة سبع مرات إلا قالت الجنة : يا رب إن عبدك فلانًا سألني فأدخله الجنة ﴾[٤].

وعنه أيضًا : قال رسول الله "ﷺ وآله" : ﴿ من قال : أسأل الله الجنة سبعًا ، قالت الجنة: اللهم أدخله الجنة ﴾[٥].

(١) الترمذي في الدعوات .
(٢) الترمذي في صفة الجنة ، وغيره .
(٣) أبو نعيم في صفة الجنة .
(٤) أبو يعلي في مسنده .
(٥) الطيالسي في مسنده .

وعن أبي هريرة ﷺ أنه قال : قال رسول الله "ﷺ وآله" : ﴿ أكثروا مسألة الله الجنة واستعيذوا به من النار فإنهما شافعتان مشفعتان ، وإن العبد إذا أكثر مسألة الله الجنة قالت الجنة : يا رب عبدك هذا الذي سألنيك فأسكنه إياي ، وتقول النار : يا رب عبدك هذا الذي استعاذ بك مني فأعذه ﴾[١].

ومن حديث جابر في قصة صلاة معاذ وتطويله بهم أن النبي "ﷺ وآله" قال للفتى – يعنى الذي شكاه – : ﴿ كيف تصنع يا ابن أخي إذا صليت ؟ ﴾ قال : أقرأ بفاتحة الكتاب ، وأسأل الله الجنة ، وأعوذ به من النار ، وإني لا أدري ما دندنتك ودندنة معاذ ؟ فقال النبي "ﷺ وآله" : ﴿ إني ومعاذ حولها ندندن ﴾[٢].

الجنة طالبة لأهلها :

ومن حديث الليث عن معاوية بن صالح عن عبد الملك بن أبي بشير يرفع الحديث : ﴿ما من يوم إلا والجنة والنار يسألان ؛ تقول الجنة : يا رب قد طابت ثماري ، واطردت أنهاري، واشتقت إلى أوليائي، فعجل إليّ بأهلي...﴾ .

فالجنة تطلب أهلها بالذات وتجذبهم إليها جذبًا ، والنار كذلك ، وقد أمرنا سيدنا ومولانا رسول الله "ﷺ وآله" أن لا نزال نذكرهما ولا ننساهما ، ويقول عبد الله بن عمر رضي الله عنهما : سمعت رسول الله "ﷺ وآله" يقول : ﴿ لا تنسوا العظيمتين ﴾ قلنا : وما العظيمتان يا رسول الله ؟ قال : ﴿ الجنة والنار ﴾[٣].

وذكر أبو بكر الشافعي من حديث كليب بن حرب قال : سمعت رسول الله "ﷺ وآله" يقول : ﴿ اطلبوا الجنة جهدكم ، واهربوا من النار جهدكم ، فإن الجنة لا ينام طالبها ، وإن

---

(١) أبو نعيم في صفة الجنة .
(٢) أبو داود في الصلاة ، والدندنة : صوت تسمع نغمته ولا يُدرى معناه .
(٣) أبو نعيم في صفة الجنة.

النار لا ينام هاربها ، وإن الآخرة اليوم محفوفة بالمكاره ، وإن الدنيا محفوفة باللذات والشهوات ، فلا تلهينكم عن الآخرة ﴾[1].

وعند الحشر يوم الحساب بعد النفخ والمجيء إلى موقف العرض على الله ، نرى الجنة تتقرب من المؤمنين ، قال تعالى : ﴿ وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴾[2].

أي : قربت الجنة للمتقين حتى يشاهدوها من أرض الموقف ، ويقفون على ما فيها من النعيم والمحاسن فيسرون وتنشرح صدورهم ويفرحون بأنهم محشورون إليها فائزون بها ، وكلمة ﴿ غير بعيد ﴾ تأكيد من الله للإزلاف ﴿ هذا ما توعدون ﴾ هذا النعيم وهذه الجنة وهذا الثواب وهذا الإزلاف ؛ هو ما كنتم توعدون به في الدنيا على لسان رسلي وقد صدقتموهم وآمنتم ورجعتم إليَّ وحفظتم عهدي وأمري ، فادخلوها اليوم بسلام آمنين من زوال النعم وحلول النقم ، ومفاض عليكم بأنوار السلام من الله تعالى وملائكته عليكم ؛ جزاءً من ربك عطاءً حسابا على عقيدتكم الإيمانية وسريرتكم المرضية وسيرتكم الذكية .

في ليلة الإسراء أتى سيدنا ومولانا رسول الله "ﷺ وآله" على واد فوجد فيه ريحًا طيبة باردة وريح مسك ، وسمع صوتًا جميلاً فقال : ﴿ ما هذا يا جبريل ؟ قال : هذا صوت الجنة تقول : رب آتني ما وعدتني ، فقد كثرت غرفي ، وإستبرقي ، وحريري ، وسندسي ، وعبقري ، ولؤلؤي ، ومرجاني ، وفضتي ، وذهبي ، وأكوابي ، وصحافي ، وأباريقي ، ومراكبي ، وعسلي ، ومائي ، ولبني ، وخمري ، فآتني ما وعدتني .

قال : لك كل مسلم ومسلمة ، ومؤمن ومؤمنة ، ومن آمن بي وبرسلي وعمل صالحًا ولم يشرك بي شيئًا ، ولم يتخذ من دوني أندادًا ، ومن خشيني فهو آمن ، ومن سألني فقد أعطيته ، ومن أقرضني جازيته ، ومن توكل عليَّ كفيته ، إنني أنا الله لا إله إلا أنا ، لا أخلف الميعاد ، قد أفلح المؤمنون ، وتبارك الله أحسن الخالقين ، قالت : قد رضيت ﴾ .

---

(١) الطبراني في الكبير .
(٢) ق : ٣١ – ٣٢ .

سلفنا الصالح وشوقهم إلى الجنة :

وصف الله تعالى الجنات فى كتابه الكريم وصفًا يقوم مقام العيان فى غير ما سورة من القرآن ، ومن أكثر ذلك فى سورة الواقعة والرحمن ، وهل أتاك حديث الغاشية ، وسورة الإنسان ، وغيرها ، وبيّن ذلك نبينا "ﷺ وآله" بأوضح بيان .

ذكر ابن وهب قال : وحدثنا ابن زيد قال : إن رسول الله "ﷺ وآله" ليقرأ ﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ ﴾[1]. وقد أنزلت عليه وعنده رجل أسود قد كان يسأل النبي "ﷺ وآله" ، فقال له عمر بن الخطاب : حسبك لا تثقل على النبي "ﷺ وآله" ، قال : ﴿دعه يا ابن الخطاب﴾ قال : فنزلت عليه هذه السورة وهو عنده ، فلما قرأ عليه وبلغ صفة الجنان زفر زفرة فخرجت نفسه ، فقال رسول الله "ﷺ وآله" : ﴿ أخرج نفس صاحبكم _ أو أخيكم _ الشوق إلى الجنة ﴾[2].

(١) الإنسان : ١.
(٢) السيوطي في الدر المنثور، والقرطبي في تفسيره .

الباب السادس

الجنة موجودة الآن

إجماع الأمة على وجود الجنة الآن :

لم يزل أصحاب سيدنا ومولانا رسول الله "ﷺ وآله" والتابعون وتابعوهم وأهل السنة والحديث قاطبة وفقهاء الإسلام وأهل التصوف والزهد على اعتقاد وجود الجنة الآن ، ويثبتون ذلك مستندين إلى نصوص الكتاب والسنة وما علم من أخبار الرسل كلهم من أولهم إلى آخرهم صلوات الله وسلامه عليهم ، فإنهم دعوا الأمم إليها وأخبروا بها .

وقد دل على ذلك من القرآن قول الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى عِندَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى ﴾(١).

وقد رأى رسول الله "ﷺ وآله" سدرة المنتهى ورأى عندها جنة المأوى .

كما في الصحيحين من حديث أنس في قصة الإسراء وفي آخره : ﴿ ثم انطلق جبريل حتى انتهى إلى سدرة المنتهى فغشيها ألوان لا أدرى ما هي ، قال : ثم دخلت الجنة فإذا فيها جنابذ اللؤلؤ وإذا ترابها المسك ﴾(٢).

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله "ﷺ وآله" قال : ﴿ إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي ، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة ، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار ، فيقال : هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة ﴾(٣).

ومن حديث البراء بن عازب قال : خرجنا مع رسول الله "ﷺ وآله" في جنازة رجل من الأنصار – فذكر الحديث بطوله وفيه – : ﴿فينادي منادٍ من السماء أن صدق عبدي فأفرشوه من الجنة ، وألبسوه من الجنة ، وافتحوا له بابًا إلى الجنة ، فيأتيه من روحها وطيبها ....﴾ وذكر الحديث(٤) .

---

(١) سورة النجم آية ١٣ـ ١٥.

(٢) حديث صحيح أورده البخاري في أحاديث الأنبياء ، ومسلم في الإيمان ، وجنابذ : جمع جُنبُذه ـ بضم الجيم والباء ـ وهي ما ارتفع من البناء وهي تشبه القباب ، وهي فارسية معربة ، وهي في رواية البخاري " حبايل " انظر فتح الباري لابن حجر العسقلاني.

(٣) رواه البخاري في الجنائز ، ومسلم في الجنة وصفة نعيمها .

(٤) رواه أحمد والحاكم في المستدرك وصححه ووافقه الذهبي .

ومن حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسـول الله "ﷺ وآلـه" : ﴿ إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه إنه ليسمع قرع نعالهم ، قال : فيأتيه ملكان فيقعدانه فيقولان له : ما كنت تقول في هذا الرجل ؟ قال : فأما المؤمن فيقول : أشـهد أنـه عبـد الله ورسوله ، قال : فيقولان له : انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله مقعدًا في الجنة ﴾ قال نبي الله "ﷺ وآله" : ﴿ فيراهما جميعًا ﴾(١).

ومن حديث البراء بن عازب الطويل في قبض الروح : ﴿ ثم يفتح له باب مـن الجنـة وباب من النار فيقال : هذا كان منزلك لو عصيت الله تعالى أبدلك الله به هذا ، فإذا رأى ما في الجنة قال : رب عجل قيام الساعة كيما أرجع إلى أهلي ومالي، فيقال : اسكن ﴾(٢).

وفي مسند البزار وغيره من حديث أبي سعيد قال : شهدنا مع النبي "ﷺ وآله" جنازة ، فقال رسول الله "ﷺ وآله" : ﴿ أيها الناس ، إن هذه الأمة تبتلى في قبورها ، فإذا دفن الإنسان وتفرق عنه أصحابه جاءه ملك في يده مطراق فأقعده فقال : ما تقول في هذا الرجل ؟- يعـني محمدًا – "ﷺ وآله" فإن كان مؤمنًا قال : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبـده ورسـوله، فيقولون له : صدقت ، ثم يفتح له باب إلى النار فيقولون : هذا كان منزلك لو كفرت بربـك ، فأما إذا آمنت به فهذا منزلك ، فيفتح له باب إلى الجنة ، فيريد أن ينهض إلى الجنة فيقولون له : اسكن... ﴾ وذكر الحديث(٣).

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال : انخسفت الشمس على عهـد رسـول الله "ﷺ وآله" ... فذكر الحديث وما فيه فقال : ﴿ إن الشمس والقمر آيتان من آيـات الله لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته ، فإذا رأيتم ذلك فاذكروا الله ﴾ فقالوا : يا رسـول الله رأينـاك تناولت شيئًا في مقامك ثم رأيناك تكعكعت، فقال : ﴿ إني رأيت الجنة و تناولت عنقودًا ولـو أصبته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا ، ورأيت النار فلم أر منظرا كاليوم قط أفظع ، ورأيت أكثـر

---

(١) رواه البخاري في الجنائز، ومسلم في الجنة وصفة نعيمها، وقرع النعال : صوت النعال من شدة وطء الناس لها .

(٢) أبو داود عن البراء وعن أنس رضي الله عنهما.

(٣) الهيثمي في المجمع وعزاه البزار عن أبى سعيد وقال : ورجاله رجال الصحيح ، ولبعضه شاهد عند مسلم .

أهلها النساء ﴾ قالوا : بم يا رسول الله ؟ قال ﴿بكفرهن ﴾ قيل : أيكفرن بالله ؟ قال : ﴿يكفرن العشير، ويكفرن الإحسان ، ولو أحسنت إلى إحداهن الدهر كله ثم رأت منك شيئًا قالت : ما رأيت منك خيرًا قط ﴾(١).

وفي صحيح البخاري عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما عن النبي "ﷺ وآله" في صلاة الخوف قال : ﴿قد دنت مني الجنة حتى لو اجتزأت عليها لجئتكم بقطاف من قطافها، ودنت مني النار حتى قلت : أي رب وأنا معهم ، فإذا امرأة – حسبت أنه قال : تخدشها هرة – قلت : ما شأن هذه ؟ قالوا : حبستها حتى ماتت جوعًا ، لا أطعمتها ولا أرسلتها تأكل﴾(٢).

وفي هذا الحديث الشريف بيان لرحمة الإسلام حتى بالحيوانات ، وأن الله تعالى يؤاخذ الإنسان بذنب سوء معاملة الحيوان ، وفي هذا رد على من يدّعون الرفق بالحيوان ويقتلون الإنسان ويتهمون الإسلام بالعنف والإرهاب ، وحقيقة الأمر أن الإسلام يدعو – أول ما يدعو – إلى مكارم الأخلاق لقول رسول الله "ﷺ وآله" ﴿ إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق﴾.

وفي صحيح مسلم من حديث جابر في هذه القصة قال : ﴿ عرض عليّ كل شيء تولجونه ، فعرضت عليّ الجنة حتى تناولت منها قطفًا فقصرت يدي عنها ، وعرضت عليّ النار فرأيت فيها امرأة من بني إسرائيل تعذب في هرة لها ...﴾(٣). وذكر الحديث .

ومن حديث كعب بن مالك قال : قال رسول الله "ﷺ وآله" : ﴿ إنما نسمة المؤمن طير يعلق في شجر الجنة حتى يرجعها الله إلى جسده يوم القيامة ﴾(٤).

وهذا صريح في دخول الروح الجنة قبل يوم القيامة ، ومثله حديث كعب بن مالك أيضًا عن النبي "ﷺ وآله" : ﴿ إن أرواح الشهداء في حواصل طير خضر تعلق في ثمر الجنة أو

(١) البخاري في الكسوف واللفظ له ، ومسلم في الكسوف . وقوله : تكعكعت أي : تراجعت وتأخرت . ويكفرن العشير : يجحدن الحق.
(٢) البخاري في الآذان . والهرة : القطة .
(٣) مسلم في الكسوف .
(٤) مالك في الجنائز، وأحمد ، وابن ماجه ، ونسمة المؤمن : روحه.

شجر الجنة﴾[1].

ومن حديث أبي هريرة أن رسول الله "ﷺ وآله" قال : ﴿لما خلق الله تعالى الجنة والنار ؛ أرسل جبريل إلى الجنة فقال : اذهب فانظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها ، فذهب فنظر إليها وإلى ما أعد الله لأهلها فيها ، فرجع فقال : وعزتك لا يسمع بها أحد إلا دخلها ، فأمر بالجنة فحفت بالمكاره ، فقال : فارجع فانظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها ، قال : فنظر إليه ثم رجع فقال : وعزتك لقد خشيت أن لا يدخلها أحد .

قال : ثم أرسله إلى النار، قال : اذهب فانظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها ، قال : فنظر إليها فإذا هي يركب بعضها بعضًا ، ثم رجع فقال : وعزتك وجلالك لا يدخلها أحد يسمع بها ، فأمر بها فحفت بالشهوات ، ثم قال : اذهب فانظر إلى ما أعددت لأهلها فيها، فذهب فنظر إليها فرجع فقال : وعزتك لقد خشيت أن لا ينجو منها أحد إلا دخلها﴾[2].وقال "ﷺ وآله" : ﴿ حجبت الجنة بالمكاره ، وحجبت النار بالشهوات ﴾[3].

وفى صحيح البخاري من حديث أنس رضي الله عنه عن النبى "ﷺ وآله" قال : ﴿ بينما أنا أسير في الجنة وإذا بنهر في الجنة حافتاه قباب الدر المجوف ، قال : قلت : ما هذا يا جبريل ؟ قال : هذا الكوثر الذي أعطاك ربك ، فضرب الملك بيده فإذا طينه المسك الأذفر ﴾[4].

الملك الكبير المعبر عنه بالجنة :

يقول الإمام المجدد أبو العزائم عليه السلام[5]: الجنة معلومة لغة وشرعًا ، بينها القرآن المجيد ولا خلاف بين المسلمين في الجنة ، وإن اختلف بعض من لا ذوق لهم في أنها هل هي موجودة؟ وأين مكانها ؟ .

---

(١) الترمذي في فضائل الجهاد، و قال : حسن صحيح ، وله شاهد عند مسلم في الإمارة .
(٢) أبو داود ، وأحمد.
(٣) البخاري في الرقاق، ومسلم في الجنة .
(٤) البخاري في التفسير، والدر المجوف : اللؤلؤ المفرغ من الداخل .
(٥) في كتابه "الطهور المدار على قلوب الأبرار" .

وهذا الخلاف مردود على أهله لأن القرآن أثبت وجودها ، وأثبت أنها في عليين وأن النار في سجين ، بدليل قوله تعالى : ﴿ كَلاَّ إِنَّ كِتَابَ الأَبْرَارِ لفي عِلِّيِّينَ ﴾[1]. ثم قال : ﴿إِنَّ الأَبْرَارَ لفي نَعِيمٍ عَلَى الأَرَائِكِ يَنظُرُونَ﴾[2]. وقال سبحانه :﴿ كَلاَّ إِنَّ كِتَابَ الفُجَّارِ لفي سِجِّينٍ ﴾[3]. ثم قال : ﴿ وَإِنَّ الْفُجَّار لَفِي جَحِيمٍ ﴾[4]، وقد عينت السنة مكان الجنة في حديث الإسراء والمعراج ، وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى عِندَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى ﴾[5].

الإنسان شجرة ربه سبحانه :

إلى أن يقول ﷺ : بينت لك أنواع الجنان ، والجنة الآجلة ثمان درجات ، ومفاتيحها جوارحك المجترحة : القلب وجنوده ، ولما كان آدم هو المخلوق الذى تجلى فيه الحق لخلقه كما ورد ؛ أدخله في الجنة التي فيها مسرات الحس ونعيم الجسم وغذاء الروح من الحكمة ، ومحبة الله تعالى ، ليشتاق إليها بعد رده ، وتلك الجنة هي طبقة من الفردوس بدليل قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴾[6]. وبدليل : ﴿ فَأَكَلا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا ﴾[7]، ومعلوم ومعلوم أن الجنة لا تقع فيها معصية ، فقدر الله المعصية على آدم في الجنة ليرده عنها عدلاً ، بعد أن أدخله فضلاً ، وليعلمه أنه أخرجه منها بذنب فكيف يدخل فيها من عصاه في الدنيا ؟! وليشجع خلقه على التوبة عند وقوع المعصية .

وقد بينت لك أن الله غرس الإنسان بيده في جنة عدنه ، فالإنسان شجرة ربه ، وهو السدرة التي رأسها مغروس في العرش ، وأطرافها مدلاة على الجنة ، وتلك الشجرة التى هي صورة الحق لها ثمر هو جمالها الذى يجب أن يحفظ لزراعها سبحانه[8] فإذا تجاوز الإنسان حد

---

(١) المطففين : ١٨.
(٢) المطففين : ٢٢-٢٣.
(٣) المطففين : ٧.
(٤) الانفطار : ١٤.
(٥) النجم : ١٣- ١٥.
(٦) التين : ٥.
(٧) طه : ١٢١.
(٨) يقول الله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الأَرْضِ نَبَاتًا ﴾ نوح : ١٧.

العبودية وتناول ما هو خاص بربه عصى وغوى لحكمة بينت له بعضها ، فـرد إلى الأرض ليرتقى إلى مقامات القرب وليتجمل بجمال الخلافة ، فيكون مرآة لظهور معاني صفات ربه ، وحقيقة هي مظهر لظهور صفات نفسه وهي العبودية ، واسمع وسلم إن لم تذق ، فإن مـن حرم التسليم والذوق حرم الخير كله .

أودع الله أمانته في آدم ، فنسي آدم ونسب لنفسه ما ليس له ، فكان ما كان من ظهور سوءته ومن شدة وجله ، والله غالب على أمره ، قال سبحانه : ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّـرِّ وَالْخَيْـرِ فِتْنَةً﴾[1]. وإن ما أكل آدم ما فيه من أمانة باريه ، منحنا الله الـذوق ، وجملنا بالشـوق ، وحفظنا من الإنكار ، إنه مجيب الدعاء .

مكان الجنة :

يقول الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى عِندَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى عِندَهَا جَنَّةُ الْمَـأْوَى ﴾[2]. وقيل : إن سدرة المنتهى فوق السماء وسميت بذلك لأنها ينتهي إليها ما يترل مـن عنـد الله فيقبض منها ، وما يصعد إليها فيقبض منها .

في قول الله تعالى : ﴿ عندها جنة المأوى ﴾ تعريف بموضع جنة المأوى وأنها عند سـدرة المنتهى ، قيل : هي التي يصير إليها المتقون ، وقيل : هي الجنـة الـتي يصـير إليهـا أرواح الشهداء، قاله ابن عباس رضي الله عنهما .

وقيل : هي الجنة التي آوى إليها آدم عليه السلام إلى أن أخرج منها وهى في السـماء السابعة ، وقيل : إن أرواح المؤمنين كلهم في جنة المأوى، وإنما قيل لها جنة المأوى لأنها تأوي إليها أرواح المؤمنين وهي تحت العرش فيتنعمون بنعيمها ويتنسمون بطيب ريحها ، وقيل : لأن جبريل وميكائيل عليهما السلام يأويان إليها ، والله أعلم .

---

(١) الأنبياء : ٣٥.
(٢) النجم : ١٣- ١٥.

وعن الإمام عليّ كرم الله وجهه وابن الزبير رضي الله عنه وجماعة : جنةُ المأوى ، أي : ستره بظلاله ودخل فيه .

ويقول ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله تعالى : ﴿وَفِى السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾[1]: هو الجنة ، وكذلك تلقاه الناس عنه .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : الجنة فوق السماء السابعة ، ويجعلها الله حيث شاء يوم القيامة ، وجهنم في الأرض السابعة[2].

وقال مجاهد : قلت لابن عباس : أين الجنة ؟ قال : فوق سبع سموات ، قلت : فأين النار؟ قال: تحت سبعة أبحر مطبقة[3].

وروي فيما ذكره ابن منده : الجنة في السماء الرابعة ، فإذا كان يوم القيامة جعلها الله حيث شاء ، والنار في الأرض السابعة فإذا كان يوم القيامة جعلها الله حيث شاء[4].

وروى فيما ذكره أبو بكر بن أبي شيبة : الجنة مطوية معلقة بقرون الشمس تنشر في كل عام مرة ، وإن أرواح المؤمنين في طير كالزرازير يتعارفون ويرزقون من ثمر الجنة[5].

ومعنى أن الجنة معلقة بقرون الشمس ما يحدثه الله سبحانه وتعالى بالشمس في كل سنة مرة من أنواع الثمار والفواكه والنبات ، جعل الله تعالى ذلك مذكِّرًا بتلك الجنة وآية دالة عليها ، وإلا فالجنة عرضها السموات والأرض ، وهي فوق الشمس وأكبر منها .

سدرة المنتهى :

قيل : اختلف لم سميت سدرة المنتهى على أقوال منها :

---

(١) الذاريات : ٢٢.
(٢) أبو نعيم في صفة الجنة .
(٣) أبو نعيم في صفة الجنة .
(٤) أبو نعيم في صفة الجنة .
(٥) أبو نعيم في صفة الجنة . والزرزور : طائر .

عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه ينتهي إليها كل ما يهبط من فوقها ويصعد من تحتها .

وقال الضحاك رضي الله عنه: الأعمال تنتهي إليها وتقبض منها .

وقال كعب رضي الله عنه: لانتهاء الملائكة إليها ووقوفهم عندها .

وقال الربيع بن أنس رضي الله عنه: سميت سدرة المنتهى لأنها ينتهي إليها أرواح الشهداء .

وقال قتادة رضي الله عنه : تنتهي إليها أرواح المؤمنين .

وقال الإمام عليّ عليه السلام والربيع بن أنس رضي الله عنه لأنه ينتهي إليها كل من كان على سنة محمد "صلى الله عليه وسلم وآله " ومنهاجه .

وقال الإمام أبو العزائم عليه السلام : و هى التي تنتهي إليها علوم الخلائق على قدر العقول ، ولديها وقف الروح الأمين تكاد الهيبة تذهب به .

وقيل : سميت بذلك لأن من رفع إليها فقد انتهى في الكرامة .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه لما أسرى برسول الله " صلى الله عليه وسلم وآله " انتهى به إلى سدرة المنتهى فقيل له: هذه سدرة المنتهى ينتهي إليها كل أحد خلا من أمتك على سنتك ، فإذا هي شجرة يخرج من أصلها أنهار من ماء غير آسن ، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه ، وأنهار من خمر لذة للشاربين ، وأنهار من عسل مصفى ، وإذا هي شجرة يسير الراكب المسرع في ظلها مائة عام لا يقطعها والورقة منها تغطي الأمة كلها ، وهذا أورده القرطبي عن الثعلبي .

من مفاتيح الجنة

مفتاح الجنة : لا إله إلا الله

روى البيهقي عن معاذ بن جبل ، أن رسول الله "ﷺ وآله" قال له حين بعثه إلى الـــيمن : ﴿إنك ستأتي أهل الكتاب فيسألونك عن مفتاح الجنة ، فقل : شهادة أن لا إله إلا الله﴾[1].

وفي البخاري : وقيل لوهب : أليس مفتاح الجنة لا إله إلا الله ؟ قال : بلى ، ولكن ليس مفتاح إلا وله أسنان ، فإن جئت بمفتاح له أسنان فتح لك ، وإلا لم يفتح لك[2].

الأسنان عبارة عن توحيد الإله وعبادته جميعًا ، وعن توحيده أيضًا فقط .

قال الله تعالى : ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِين آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾[3] ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً﴾[4]وهو في القرآن كثير ؛ الإيمان مع العمل .

وفى الصحيحين عن أبي ذر رضي الله عنه وغيره عن النبى "ﷺ وآله" أنه قال : ﴿ من مات لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة ﴾ قلت : وإن زنى وإن سرق ؟ قال : ﴿ وإن زنى وإن سرق﴾[5].

وذكر الطبراني من حديث موسى بن عقبة عن إسحاق بن يحي بن طلحـــة ، عـــن أبي هريرة، قال : قال رسول الله "ﷺ وآله" : ﴿حضر ملك الموت عليه السلام رجلاً فنظر في كل عضو من أعضائه لم يجد فيه حسنة ، ثم شق عن قلبه فلم يجد فيه شيئًا ، ثم فك عن لحييه فوجـــد طرف لسانه لاصقًا بحنكه يقول : لا إله إلا الله ، فقال : وجبت لـــك الجنـــة بقـــول كلمـــة الإخلاص﴾ .

---

(١) الأسماء والصفات للبيهقي.
(٢) صحيح البخاري في كتاب الجنائز.
(٣) البقرة : ٢٥ .
(٤) الكهف : ١٠٧ .
(٥) صحيح البخاري ، صحيح مسلم .

وعن أنس أن النبي "ﷺ وآله" – ومعاذ رديفه على الرحل – قال : ﴿ يا معاذ بن جبل﴾ قال : لبيك يا رسول الله وسعديك – ثلاثًا – : قال : ﴿ ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله صدقًا من قلبه إلا حرمه الله على النار ﴾. قال : يا رسول الله أفلا أخبر به الناس فيستبشروا ؟ قال : ﴿ إذًا يتكلوا ﴾(١). وعن رفاعة الجهني قال : قال رسول الله "ﷺ وآله" : ﴿ أشهد عند الله لا يموت عبد يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله صدقًا من قلبه ثم يسدد إلا سلك في الجنة﴾(٢).

وعن عبد الله بن عمرو أن رسول الله "ﷺوآله" قال : ﴿ إن الله يستخلص رجلاً من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة فينشر عليه تسعة وتسعين سجلاً ، كل سجل مثل مد البصر ، ثم يقول : أتنكر من هذا شيئًا ؟ ظلمك كتبتي الحافظون ؟ فيقول : لا يارب ، فيقول : أفلك عذر ؟ فيقول : لا يارب ، فيقول الله تعالى : بلى إن لك عندنا حسنة فإنه لا ظلم عليك اليوم ، فتخرج بطاقة فيها : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ، فيقول: أحضر وزنك ، فيقول : يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات ؟ فقال : إنك لا تُظلم ، قال: فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة ؛ فطاشت السجلات وثقلت البطاقة فلا يثقل مع اسم الله شيء ﴾(٣).

قال رسول الله "ﷺ وآله" : ﴿ مفتاح الجنة : شهادة أن لا إله إلا الله ﴾(٤). وعن أنس قال : قال أعرابي : يا رسول الله ، ما مفتاح الجنة ؟ قال : ﴿ لا إله إلا الله ﴾(٥).

مفتاح الجنة : لا حول ولا قوة إلا بالله

ومن حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : قال رسول الله "ﷺ وآله" : ﴿ ألا أدلك على باب من أبواب الجنة ؟ ﴾ قلت : بلى ، قال : ﴿ لا حول ولا قوة إلا بالله ﴾(٦).

---

(١) رواه البخاري ومسلم .
(٢) رواه الإمام أحمد في المسند ، وقال الأرناءوط : إسناده صحيح .
(٣) رواه الترمذي ، وابن ماجه ، وأحمد في المسند ، وابن حبان ، والحاكم ، وقال : صحيح .
(٤) أحمد في المسند.
(٥) أبو نعيم صفة الجنة.
(٦) أحمد في المسند.

مفتاح الجنة : الصلاة

قال أبو داود الطيالسي : حدثنا سليمان بن معاذ الضبي ، عن أبي يحي القتات ، عن مجاهد ، عن جابر ابن عبد الله قال : قال رسول الله "ﷺ وآله" : ﴿ مفتاح الصلاة الوضوء، ومفتاح الجنة الصلاة ﴾[1].

السيوف مفاتيح الجنة :

ذكر أبو الشيخ من حديث الأعمش عن مجاهد عن يزيد بن سخبرة قال : إن السيوف مفاتيح الجنة[2].

لكل مطلوب مفتاح يفتح به :

وقد جعل الله سبحانه لكل مطلوب مفتاحًا يفتح به ، فجعل مفتاح الصلاة الطهور ، كماقال "ﷺ وآله" : ﴿ مفتاح الصلاة الطهور ﴾ ، ومفتاح الحج : الإحرام ، ومفتاح البر: الصدق ، ومفتاح الجنة : التوحيد ، ومفتاح العلم : حسن السؤال وحسن الإصغاء ، ومفتاح النصر والظفر : الصبر، ومفتاح المزيد : الشكر ، ومفتاح الولاية : المحبة والذكر ، ومفتاح الفلاح : التقوى ، ومفتاح التوفيق : الرغبة والرهبة ، ومفتاح الإجابة : الدعاء ، ومفتاح الرغبة في الآخرة : الزهد في الدنيا ، ومفتاح الإيمان : التفكر فيما دعا الله عباده إلى التفكر فيه.

ومفتاح الدخول على الله : إسلام القلب وسلامته له ، والإخلاص له في الحب والبغض والفعل والترك .

ومفتاح حياة القلب : تدبر القرآن ، والتضرع بالأسحار ، وترك الذنوب .

ومفتاح حصول الرحمة : الإحسان في عبادة الخالق والسعي في نفع عبيده .

---

(١) سنن الترمذي ، ومسند الإمام أحمد.
(٢) مسلم في الجهاد بلفظ " ... واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف " .

ومفتاح الرزق : السعي مع الاستغفار والتقوى .

ومفتاح العز : طاعة الله ورسوله ، ومفتاح الاستعداد للآخرة : قصر الأمل .

ومفتاح كل خير : الرغبة في الله والدار الآخرة .

فينبغي للعبد أن يعتني كل الاعتناء بمعرفة المفاتيح وما جعلت المفاتيح له ، والله تعالى من وراء توفيقه وفضله له الملك وله الحمد وله النعمة والفضل ﴿ لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾[1] .

(١) الأنبياء : ٢٣.

الباب السابع

الطريق إلى الجنة

الإيمان هو الطريق إلى الجنة :

قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴾[1] .

الهداية هنا بمعنى يدلهم على الخير وطريقه بواسطة المنهج الذي ارتضاه لنا ووضح لنا فيه الحق جليًا ، فمن أقبل على الله بالإيمان به سبحانه يمن عليه بعطية أخرى ؛ ألا وهي الهداية إلى الطاعات ، وإذا كانت الهداية إلى العمل الصالح من الله ، أقدم المؤمن على العمل بحب الله فيجعله يتحمل مشقة الطاعة بل تصبح المشقات عنده لذة ، فمن آمن بالله يهديه سبحانه منهج العمل الذي يحبه ويصلح للقرب منه ، فيصلح بذلك حاله في الدنيا وتجرى من تحته الأنهار في جنات النعيم .

إن الذين آمنوا ، بسبب إيمانهم يهديهم ربهم إلى الاستقامة وبلوغ الكرامة وسلوك السبيل المؤدية إلى الجنة وإلى ما يشتهونه فيها ، ولهم فيها ما تشتهى أنفسهم وهم فيها خالدون ، فهم في جنات النعيم بكل ألوانه وأنواعه المتعددة مما يعلمونه ومما لا يعلمونه ، روي أن أهل الجنة في الجنة إذا اشتهى أحدهم شيئًا قال : سبحانك اللهم ، فيترل بين يديه ، رواه ابن جريج وسفيان بن عيينة .

ويقول الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً ... ﴾[2] .

ذكر – جل وعلا – في هذه الآية الكريمة أن الأعمال الصالحة والإيمان سبب في نيل جنات الفردوس .

---

(١) يونس : ٩ .
(٢) الكهف : ١٠٧ .

والآيات الموضحة لكون العمل الصالح سببًا في دخول الجنة كثيرة جدًا ،كقوله تعالى : ﴿ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴾(١)، وقوله سبحانه: ﴿ وَنُودُواْ أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾(٢)، أي : بسببه . وقوله تعالى : ﴿ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ التي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾(٣). وقوله تعالى : ﴿ إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلا يُظْلَمُونَ شَيْئًا جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ ﴾(٤)الآية ، إلى غير ذلك من الآيات .

ومما أشار إليه الألوسي في تفسيره ﴿ إن الذين آمنوا ﴾ أي : آمنوا بآيات ربهم ولقائه سبحانه ﴿ وعملوا الصالحات ﴾ من الأعمال ﴿ كانت لهم ﴾ فيما سبق من حكم الله تعالى ووعده ، فإن أثر الرحمة ليصل إليهم بمقتضى الرأفة الأزلية بخلاف ما مر من جعل جهنم للكافرين نزلاً .

﴿ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلا ﴾ أي : أن جُعل بمعنى ما يهيأ للنازل ، فالمعنى : كانت لهم ثمار جنات الفردوس نزلاً، أو جُعلت نفس الجنات نزلاً مبالغة في الإكرام ، وفيه إيذان بأنها عندما أعد الله تعالى لهم على لسان النبوة من قوله تعالى : ﴿ أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ﴾ وإن جُعلت بمعنى المنزل: فالمعنى ظاهر .

﴿ خَالِدِينَ فِيهَا ﴾ : وحقق أنها حال مقارنة ، والمعتبر في المقارنة زمن الحكم ، وهو كونهم في الجنة ، وهم بعد حصولهم فيها مقارنون له إذ لا آخر له فتأمل ولا تغفل .

﴿ لا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلا ﴾: لا يتصور أن يكون شيء أعز عندهم وأرفع منها حتى تنازعهم إليه أنفسهم وتطمح إليه أبصارهم ، وإن تفاوتت درجاتهم ، والحاصل أن المراد من عدم طلب التحول عنها كونها أطيب المنازل وأعلاها .

---

(١) الكهف : ٢ ـ ٣ .
(٢) الأعراف : ٤٣ .
(٣) الزخرف : ٧٢ .
(٤) مريم : ٦١ .

وقيل في وجه التأكيد : إنهم إذا لم يريدوا الانتقال لا ينتقلون لعدم الإكـراه فيهـا ، وعدم إرادة النقلة عنها، فلم يبق إلى الخلود .... وفيها إيذان بأن الخلود لا يورثهم مللاً . "روح المعاني بتصرف".

قال القاضي البيضاوي في تفسيره "الفردوس" : أعلى درجات الجنة ، وأصله البستان الذى يجمع الكرم والنخل. ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا ﴾ حال مقدرة ﴿ لا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلاً ﴾ تحولاً ؟؛ لا يجدون أطيب منها حتى تنازعهم إليه أنفسهم ، ويجوز أن يراد به تأكيد الخلود .

وقال محمد بن مصلح القوجوي الحنفي في كتابه "حاشية شيخ زاده على البيضاوي": قال بعضهم : إنه تعالى جعل الجنة بكليتها نزلاً للمؤمنين ، والكريم إذا أعطى النزل أولاً فلا بد أن يتبعه بالخلعة والكرامة الزائدة ، وما بعد الجنة إلا رؤيته تعالى .

وأورد الإمام محمد بن عبد الله بن أبي زمنين في كتابه "تفسير القرآن العزيز" عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : الفردوس جبل في الجنة تنفجر منه أنهار الجنة .

قال ابن عطية الأندلسي في كتابه : "المحرر الوجيز" لما فرغ من ذكر الكفرة والأخسرين أعمالاً عقب بذكر حالة المؤمنين ليظهر التباين ، وفي هذا بعث النفوس على اتباع الحسن القويم .

قال : والحول : بمعنى التحول ، ومنه قول الشاعر :

لكل دولة أجل ثم يتاح لها حول . أ.هـ .

قال ابن كثير في كتابه "تفسير القرآن العظيم" يقول تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً ﴾ يخبر تعالى عن عباده السعداء ، وهم الذين آمنوا بالله ورسله ، وصدقوهم فيما جاؤوا به ؛ لهم جنات الفردوس ، ثم ذكر أقوال العلماء وما جاء في بعض الأحاديث .

﴿ نزلاً ﴾ : أي : ضيافة ، فإن النزل هو الضيافة .

قوله : ﴿ خالدين فيها ﴾ أي : مقيمين ساكنين فيها ، لا يظعنون عنها أبدًا .

﴿ لا يبغون عنها حولاً ﴾ أي : لا يختارون غيرها ولا يحبون سواها ، وكما قال الشاعر:

فحلت سويدا القلب ، لا أنا باغياً سواها ، ولا عن حبها أتحول

وفي قوله سبحانه : ﴿ لا يبغون عنها حولاً ﴾ تنبيه على رغبتهم فيها ، وحبهم لها ، مع أنه قد يتوهم فيمن هو مقيم في المكان دائمًا أن يسأمه ويمله ، فأخبر أنهم – مع هذا الدوام والخلود السرمدي – لا يختارون عن مقامهم ذلك متحولاً ولا انتقالاً ولا ظعنًا ولا رحلة ولا بدلاً. أ. هـ .

قال ابن عادل الدمشقي الحنبلي في كتابه "اللباب في علوم الكتاب" : ويقال : كَرْمٌ مفردس ، أي : معرش ، ولهذا سميت الروضة التي دون اليمامة فردوسًا .

وإضافة جنات إلى الفردوس إضافة تبين وجمعه فراديس ، قال عليه الصلاة والسلام : ﴿في الجنة مائة درجة ما بين كل درجة مسيرة مائة عام ، والفردوس أعلاها درجة ، وفيها الأنهار الأربعة ، والفردوس من فوقها ، فإذا سألتم الله تعالى فاسألوه الفردوس ؛ فإن فوقها عرش الرحمن ، ومنها تفجر أنهار الجنة﴾[1].

قال : والحول مصدر بمعنى التحويل ، يقال : حال عن مكانه حولاً . والمعنى : لا يطلبون عنها تحويلاً إلى غيرها .

قال الزجاج : هو عند قوم بمعنى الحيلة في التنقل . ثم قال : وكأنه اسم جمع ، وكأن واحده حوالة أ.هـ.

وقال عكرمة ﷺ : الفردوس هي الجنة بالحبشية . انظر "تفسير أبي السعود".

---

(١) أخرجه البخاري.

وأهل الشام يقولون للبساتين والكروم : الفراديس ، وفي مدينة حلب باب يُسَـــمَّى: باب الفراديس .

وإضافة الجنات إلى الفردوس بيانية ، أي جنات هي من صـــنف الفـــردوس ، وورد في الحديث أن الفردوس أعلى الجنة وأوسط الجنة .

وذلك إطلاق آخر على هذا المكان المخصوص يرجع إلى أنه علم بالغلبة .

فإن حملت هذه الآية عليه كانت إضافة جنات إلى الفردوس إضافة حقيقية ، أي: جنات هذا المكان ، وقوله تعالى : ﴿ لا يبغون عنها حولاً ﴾ أي : ليس بعدما حوته تلك الجنات من ضروب اللذات والتمتع ما تتطلع نفوسهم إليه فتود مفارقة ما هي فيه على ما هو خير منه .

أي: هم يجدون فيها كل ما يخامر أنفسهم من المشتهى .

لكن همم غيرهم سمت إلى ما فوق ذلك ، ففوق جمال النعيم جمال المنعم ، وفوق عظمة العطية عظمة المعطى سبحانه ، يقول الإمام أبو العزائم عليه السلام فى إحدى قصائده :

إِذَا قَالَــتِ ٱلْجَنَّــاتُ : زُيِّنْــتُ بِٱلْبَهَــا أَقُــولُ: دَعِينِــي مَقْصِــدُ ٱلْفَــرْدِ مَــوْلاَهُ
وَإِنْ قَالَــتِ ٱلْفِــرْدَوْسُ : حُسْــنِيَ بَهْجَــةٌ أَقُــولُ لَهَــا: مَهْــلاً فَمَقْصِــدِيَ ٱللَّــهُ

هل دخول الجنة معلل بالعمل ؟ :

يقول الله تعالى : ﴿ وَنُودُواْ أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾(١).

وفي سياق تفسيره رضي الله عنه لتلك الآية الشريفة يقول : المنادي : هو الله تعالى ، أو: هم الملائكة ، و﴿ أن ﴾ تفسيريه بمعنى : أي ، وهذا أولى ، وإن قال بعضهم : هي المخففة من الثقيلة واسمها : ضمير الشأن . والمعنى : هذه هي الجنة يا أهل الإيمان التي وعد الله بها مـــن آمن به في الدار الدنيا .

---

(١) الأعراف : ٤٣ .

﴿ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ الميراث لابد أن يكون منقولاً لمستحقه من غيره ، وقد ورد في الحديث أن الله تعالى جعل لكل إنسان مكانًا في الجنة ومكانًا في النار ، فإذا كان يوم القيامة ورَّث الله أمكنة الكافرين في الجنة لأهل الإيمان ، فيكون قوله تعالى : ﴿أُورِثْتُمُوهَا﴾ أي : ورثتم أمكنة الكافرين في الجنة لأنهم سيقوا إلى النار.

ثم يشير إلى قول البعض : إن دخول الجنة معلل بالعمل بدليل قوله تعالى : ﴿ بِمَاكُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ فيبين ما غاب عنهم من سر الآية بأن المعلوم أن للعبودية أعمالاً لا يليق أن تنسب لله تتره وتعالى – كالذل والخشوع والخضوع والسجود والركوع والتبتل والدعاء – فإن هذه الأعمال خاصة بالعبد ، وهي صفات تتره الله تعالى عن أن ينسب له شيء منها ، بدليل قوله : ﴿ أَفَرَأَيْتُم مَّا تُمْنُونَ أَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ ﴾(1). وقوله : ﴿ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴾(2). أو ما شابه ذلك ، فنسب لنا سبحانه الإمناء؛ ونسب له الخلق ، كما نسب لنا شرب الماء ونسب له سبحانه إنزاله ، ونسب لنا حراثة الأرض ونسب له سبحانه الزرع ، ونسب لنا إيقاد النار ؛ ونسب له إنشاء شجرها ، فله أعمال تليق به سبحانه وهو الذي خلقها وقدرها ، ولنا أعمال بصفتنا مخلوقون مقهورون لا تليق بحضرته العلية .

ونسبة الأعمال إلينا لا لأنا خلقناها ، بل لأنها من صفات العبودية ، أما التوفيق والمعونة والهداية للأعمال وإمدادنا بما به نسارع إلى محابه فمنه سبحانه ، أما الذل والخضوع والخشوع وما يلزمها من همات وحركات وسكنات فهو منا ولنا بصفتنا عبيد مربوبون وعباد مقهورون ، وهو الرب القادر الحكيم .

ومن تعلل بهذه الآية وظن بها أن العبد يخلق أعماله من غير أن يتذوق أن القرآن الكريم إنما أنزل لإثبات التوحيد وإثبات وجودنا به سبحانه وليكلفنا بالعبادة وهو الموفق المعين؛ كان ظنه في غير محله .

---

(١) الواقعة: ٥٧-٥٨.
(٢) الواقعة : ٦٣-٦٤.

يقول رضي الله عنه [1] :

طلبك له هو عين طلبه لك ، ولولا طلبه لك ما طلبته ، فأنت مطلوب به ومطلوب له، ولا أثر لك في طلبك له ، إنما أنت به مطلوب وبه طالب ، وإلا فمن وفق الطالبين حتى يطلبوا ؟ وهل للطالب فعل أو أثر حتى ينسب الطلب لنفسه ؟ حاشا ، إنما ينسب الطلب لنفسه من لم يوحد مطلوبه ، والواصل لا يشهد غيرا ، ولا تميل نفسه إلى سوي ، فهو فان به فيه عن شهود الأعمال والعبادات ، ومتى شهد لنفسه عملا وتيقن أنه طالب له بعبادته وبطاعته فهو محجوب عن الحقائق الإلهية .

وإلا فمتى يوحد من شهد نفسه أو أثبت له عملا وليس في الكون أثر لغيره: ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّموَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ﴾[2].

فالوصول هو إضافة الأعمال والآثار والمظاهر كلها إلى الواحد المتره عن الشريك والمعين ، حتى يفنى عن المشاهدات والمشهودات ، والنسبة إلى نفسه ، والنظر إلى إضافة الأعمال والتوفيقات إلى نفسه ، أو إلى غير الواحد الأحد ، تتزه عن أن ينسب إليه ما لا يليق بجنابه السامي من التبجيل والتعظيم ، وتقدس عن أن تكون نعمته معللة بسبب ، مرتبطة بعمل ، وهو المعطي الوهاب : ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾[3].

ويقول في إحدى قصائده :

إِذَا نَفَسًا شَاهَدْتُ غَيْرَكَ فَاعِلَ ... جَهِلْتُ وَمَا أَدْرِي مَا ٱلَّذِي أَنَا قَائِلُ
وَلَـٰكِنَّ سِرَّكَ يُبْدِ لِي فِي مَظَاهِرٍ ... تُشِيرُ بِأَنِّي فِي ٱلْحَقِيقَةِ جَاهِلُ
أَأَنْسُبُ لِلأَغْيَارِ وَٱللَّهُ وَاحِدٌ ... وَكَلِمَتُهُ ٱلْعَلْيَا عَلَىٰ مَنْ يُجَادِلُ
إِذَا قَالَ كُنْ كَانَ ٱلَّذِي قَدْ يُرِيدُهُ ... وَكُلُّ ٱلسِّوَىٰ هَلْكَىٰ وَرَبُّكَ وَاصِلُ
وَفِي نَفَسٍ وَأَقَلَّ مِنْهُ تُرَىٰ لَهُ ... جَمَالاً لِمَنْ صَدَقُوا وَعِزًّا يُوَاصِلُ

(١) راجع كتاب (شراب الأرواح) ص ١١ للإمام المجدد أبي العزائم .
(٢) الزمر : ٦٧ .
(٣) يس : ٨٢ .

وَهُــو هُــوَ يَخْتَبِــرُ ٱلرِّجَــالَ بِفِعْلِــهِ ... فَيَــرْفَعُهُمْ قَــدْرًا وَيُخْــزَى ٱلأَبَاطِــلُ

وَيَعْلَمُ قَدْرَ ٱلصِّــدْقِ فِــي ٱلْعَبْــدِ عِنْــدَمَا ... لَــهُ يَظْهَــرَنْ فِــي طَــوْرِهِ وَيُجَامِــلَ

هُــوَ ٱلأَحَــدُ ٱلْفَــرْدُ ٱلْمُنَــزَّهُ قَــادِرٌ ... وَلَــيْسَ سِــوَاهُ فِــي ٱلْحَقِيقَــةِ فَاعِــلُ

سَيَنْذَلُّ أَهْــلُ ٱلْبَغْــيِ وَٱلطُّــورُ يُهْلَكَــنْ ... وَتَبْقَىٰ لَــكَ ٱلــذِّكْرَىٰ وَيَبْطُــلُ بَاطِــلُ

هُــوَ ٱلْحَــقُّ يَنْصُــرُ أَهْلَــهُ وَمُحِبَّــهُ ... عَلَيْــكَ بِــهِ فَهْــوَ ٱلإِلَــهُ ٱلْعَــادِلُ

أَتَــذْكُرُهُ لَــيْلاً نَهَــارًا وَتُشْــرِكَنْ ... وَتَخْشَى ٱلسِّوَىٰ لاَشَــكَّ قَلْبُــكَ غَافِــلُ

إِذَا قُلْــتَ : يَــا أَللَّــهُ ، لَبَّــاكَ مُسْــرِعًا ... وَلَبَّــاكَ بِٱلْحُسْــنَىٰ وَجَــاءَ يُهَــرْوِلُ

بِــهِ أَنْــتَ فِــي عِــزٍّ وَحِصْــنٍ وَمَنْعَــةٍ ... وَأَعْــدَاؤُكَ ٱللُّؤْمَــاءُ سُــفْلٌ وَسَــافِلُ

فَفِــرَّ مِــنَ ٱلأَكْــوَانِ لِلَّــهِ صَــادِقًا ... بِــهِ وَلَــهُ لاَ يَشْــغَلَنَّكَ شَــاغِلُ

ويقول ﷺ في موضع آخر:

فلا أنــا في ذكــري لــه كنــت ذاكــرًا ... ولكـــنني المـــذكور منـــه مؤصـــلاَ

وحــال صــلاتي لســت إلا بــه لــه ... أصــلي ولــولاه لمــا كنــت فــاعلاَ

محــاني بــه وبــه وجــودي ونشــأتي ... وصــرت بــه لا بي مقــامي قــد عــلا

مــن الطــين بــدئي ثم بــدء حقــيقتي ... فمن قبل "كن" فافهم رقيــت إلى العــلا

ولم أك شـــيئًا فاقرأنهـــا مســـلما ... وفي "الـــتين" فـــاقر آي ربي مـــرتلا

دخول الجنة بفضل الله تعالى ورحمته :

هنا أمر يجب التنبيه عليه وهو أن الجنة إنما تُدخل برحمة الله تعالى ، وليس عمل العبد مستقلاً بدخولها وإن كان سببًا ، ولذلك أثبت الله دخولها بالأعمال في قوله تعالى : ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[1].ونفى رسول الله "ﷺ وآله" دخولها بالأعمال بقوله : ﴿ لن يدخل أحدكم الجنة بعمله ﴾ ولا تنافى بين الأمرين لوجهين :

---

(١) الأعراف : ٤٣.

أحدهما : ما ذكره سفيان وغيره ؛ كانوا يقولون : النجاة من النار بعفو الله ، ودخول الجنة برحمته ، واقتسام المنازل والدرجات بالأعمال ، ويدل على ذلك حديث أبي هريرة أن أهل الجنة إذا دخلوها نزلوا فيها بفضل أعمالهم ، وذلك فيما رواه الترمذي .

الثاني : أن الباء التي نفت الدخول هي باء المعاوضة التي يكون فيها أحد العوضين مقابلاً للآخر.

والباء التي أثبتت الدخول هي باء السببية التي تقتضي سببية ما دخلت عليه لغيره وإن لم يكن مستقلاً بحصوله ، وقد جمع النبي "ﷺ وآله" بين الأمرين بقوله : ﴿ سددوا وقاربوا وأبشروا، واعلموا أن أحدًا منكم لن ينجو بعمله ، قالوا : ولا أنت يا رسول الله ؟ قال : ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته ﴾[1]، ومن عرف الله تعالى ؛ وشهد مشهد حقه عليه ؛ ومشهد تقصيره وذنوبه ؛ وأبصر هذين المشهدين بقلبه عرف ذلك وجزم به ، والله سبحانه المستعان .

أخرج البخاري في صحيحه عن السيدة عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله "ﷺ وآله" : ﴿ سددوا وقاربوا وأبشروا ، فإنه لا يدخل أحدا الجنة عملهُ ، قالوا : ولا أنت يا رسول الله ؟ قال: ولا أنا ، إلا أن يتغمدني الله بمغفرة ورحمة ﴾ .

وأخرج البخاري أيضًا عن أبي هريرة ﵁ قال : قال رسول الله "ﷺ وآله" : ﴿ لن ينجى أحدًا منكم عمله ، قالوا : ولا أنت يا رسول الله ؟ قال : ولا أنا ، إلا أن يتغمدني الله برحمة ، سددوا ، وقاربوا ، واغدوا وروحوا ، وشيء من الدلجة والقصد ... القصد تبلغوا ﴾ .

قال الحافظ بن حجر العسقلاني في الفتح : ومعنى قوله : ينجى ، أي : يخلص . والنجاة من الشيء : التخلص منه ، وللجمع بين هذا الحديث وقوله تعالى : ﴿ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[2].

---

(١) أبو نعيم في صفة الجنة ، ومسلم في كتاب الجنة .
(٢) الزخرف : ٧٢ .

قال ابن بطال : أن تحمل الآية على أن الجنة تنال المنازل فيها بالأعمال ، فإن درجات الجنة متفاوتة بحسب تفاوت الأعمال ، وأن يحمل الحديث على دخول الجنة والخلود فيها ، ثم أورد على هذا الجواب قوله تعالى : ﴿ سَلامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُواْ الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[1]. فصرح بأن دخول الجنة أيضًا بالأعمال ، وأجاب بأنه لفظ مجمل بيَّنه الحديث ، والتقدير : ادخلوا منازل الجنة وقصورها بما كنتم تعملون ، وليس المراد بذلك أصل الدخول ، ثم قال : ويجوز أن يكون الحديث مفسرًا للآية ؛ والتقدير : ادخلوها بما كنتم تعملون مع رحمة الله بكم وفضله عليكم ، لأن اقتسام منازل الجنة برحمته ، وكذا أصل دخول الجنة هو برحمته حيث ألهم العاملين ما نالوا به ذلك ، ولا يخلو شيء من مجازاته لعباده من رحمته وفضله ، وقد تفضل عليهم ابتداء بإيجادهم ثم برزقهم ثم بتعليمهم .

وقال القاضي عياض : طريق الجمع أن الحديث فسر ما أجمل في الآية ، فذكر نحوًا من الكلام ابن بطال الأخير وأن من رحمة الله وتوفيقه للعمل وهدايته للطاعة وكل ذلك لم يستحقه العامل بعمله ، وإنما هو بفضل الله وبرحمته . وقال ابن الجوزي : يتحصل عن ذلك أربعة أجوبة :

الأول : أن التوفيق للعمل من رحمة الله ، ولولا رحمة الله السابقة ما حصل الإيمان ولا الطاعة التي يحصل بها النجاة .

الثاني : أن منافع العبد لسيده ؛ فعمله مستحق لمولاه ، فمهما أنعم عليه من الجزاء فهو من فضله .

الثالث : جاء في بعض الأحاديث أن نفس دخول الجنة برحمة الله واقتسام الدرجات بالأعمال .

الرابع : أن أعمال الطاعات كانت في زمن يسير، والثواب لا ينفد ، فالإنعام الذي لا ينفد في جزاء ما ينفد بالفضل ، لا بمقابلة الأعمال .

---

(١) النحل : ٣٢ .

وقال الكرماني : الباء في قوله : ﴿ بما كنتم تعملون ﴾ ليس للسببية بل للإلصاق أو المصاحبة ، أي : أورثتموها ملابسة أو مصاحبة ، أو للمقابلة نحو : أعطيت الشاة بالدرهم، وبهذا الأخير جزم الشيخ جمال الدين ابن هشام في المغنى فسبق إليه فقال : ترد الباء للمقابلة وهي الداخلة على الأعواض كاشتريته بألف ، وفيه ﴿ ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون ﴾ وإنما لم تقدر هنا للسببية كما قالت المعتزلة وكما قال الجميع في ﴿ لن يدخل أحدكم الجنة بعمله﴾ لأن المعطي بعوض قد يعطي مجانًا ، بخلاف المسبب فلا يوجد بدون سبب ، قال : وعلى ذلك ينتفي التعارض بين الآية والحديث .

قال الإمام النووي : إن ظاهر الآيات أن دخول الجنة بسبب الأعمال ، والجمع بينهما وبين الحديث أن التوفيق للأعمال والهداية للإخلاص فيها وقبولها إنما هو برحمة الله وفضله ، فيصح أنه لم يدخل بمجرد العمل وهو مراد الحديث ، ويصح أنه دخل بسبب العمل وهو من رحمة الله تعالى .

وقال المارزي : ذهب أهل السنة إلى أن إثابة الله تعالى من أطاعه بفضل منه ، وكذلك انتقامه ممن عصاه بعدل منه ، ولا يثبت واحد منهما إلا بالسمع ، وله سبحانه وتعالى أن يعذب الطائع وينعم العاصي ، ولكنه أخبر أنه لا يفعل ذلك وخبره صدق لا خلف فيه ، وهذا الحديث يقوي مقالتهم ويرد على المعتزلة حيث أثبتوا بعقولهم أعواض الأعمال ، ولهم في ذلك خبط كثير وتفصيل طويل . (فتح الباري)

القرآن والسنة بين التشريع والتحقيق :

يقول الإمام أحمد بن عجيبة الحسنى عليه السلام في إيقاظ الهمم : أشكل على بعض الفضلاء قوله تعالى : ﴿ ادْخُلُواْ الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[1] مع قوله "ﷺ وآله" : ﴿لن يدخل أحدكم الجنة بعمله .....﴾ الحديث .

(١) النحل : ٣٢ .

والجواب : أن الكتاب والسنة وردا بين شريعة وحقيقة ، أو تقول بين تشريع وتحقيق ، فقد يشرعان في موضع ويحققان في آخر في ذلك الشيء بعينه ، وقد يحققان في موضع ويشرعان فيه في آخر، وقد يشرع القرآن في موضع وتحققه السنة ، وقد تشرع السنة في موضع ويحققه القرآن ، فالرسول "ﷺ وآله" مبين لما أنزل الله ؛ قال تعالى : ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾[1]. فقوله تعالى : ﴿ ادْخُلُواْ الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[2] هذا تشريع لأهل الحكمة وهم أهل الشريعة ، وقوله "ﷺ وآله" : ﴿لن يدخل أحدكم الجنة بعمله﴾ هذا تحقيق لأهل القدوة وهم أهل الحقيقة ، كما أن قوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاء اللَّهُ﴾[3] تحقيق ، وقوله "ﷺ وآله" : ﴿ إذا هم أحدكم بحسنة كتبت له حسنة ﴾ تشريع .

والحاصل أن القرآن تقيده السنة والسنة يقيدها القرآن ، فالواجب على الإنسان أن تكون له عينان : إحداهما تنظر إلى الحقيقة ، والأخرى تنظر إلى الشريعة ، فإذا وجد أن القرآن قد شرع في موضع فلابد أن يكون قد حقق في موضع آخر ، أو تحققه السنة ، وإذا وجد السنة قد شرعت في موضع فلا بد أن تكون قد حققت في موضع آخر أو حققها القرآن ، ولا تعارض حينئذ بين الآية والحديث ، ولا إشكال . أ.هـ .

فالشريعة في الآية أثبتت الأسباب والأعمال لأصحابها والمكافأة عليها ، حتى تستديم الأجسام على القيام بالأعمال الصالحة التي تستقيم بها الأمور وتصلح بها الحياة .

أما الحقيقة في الحديث فجعلت رحمة الله وفضله هو الأصل في دخول الجنة حتى لا يعتمد القلب إلا على الله ولا يركن للأسباب ، ويتوكل على الله في كل شيء ، فالجسم يعمل في الأسباب ، والقلب يشهد توفيق الله وفضله ورحمته هي المحرك والدافع القوى ، والأعمال حادثة وفضل الله ورحمته قديمة ، وبذكر القديم يتلاشى الحادث ويتجرد العبد من الرياء والعجب ، ولا يبقى إلا الإخلاص لله يسرى نوره وسره في كل عمل يقوم به الإنسان .

---

(١) النحل : ٤٤ .
(٢) الزخرف : ٧٢ .
(٣) الإنسان : ٣٠ .

أراد الله أن يحبب إلى الناس الأعمال الصالحة والطاعات ، فوعدهم عليها بالجزاء والمكافأة ، فلما تمكنوا ورسخت أقدامهم في الإسلام ؛ أخرجهم الله به "ﷺ وآله" من ذلك الحرف حتى لا يغتروا بالأعمال ، ورقاهم إلى الإخلاص في العبودية له سبحانه فقال : ﴿لن يدخل أحدكم الجنة بعمله﴾ .

وقد يسأل بعض الناس سؤالاً : إذا كانت هذه هي الحقيقة فلم إذن الحساب ؟ وإذا كان العمل لا يدخل الإنسان الجنة فلماذا يكون العمل الصالح شرطا لدخول الجنة ؟ ألا يكون منطقيًا أن يدخل الله من يشاء الجنة وكفى ؟ .

لكنا نقول : والذي يجب أن نعلمه جيدا أن الأعمال الصالحة عند الله لا تزيد من ملكه شيئًا ، وأن العمل الصالح – مهما بلغ وارتفع – لا يمكن أبدًا أن يتساوى أو يكافئ نعمة واحدة فقط أنعمها الله على الإنسان ، فضلاً عن النعم الكثيرة التي أنعم الله بها على عباده ، وهي لا تعد ولا تحصر .

وقد جاء في الأثر : أن عبدا من عباد الله كان يعبد الله بالليل والنهار لا ينقطع عن الصلاة والتسبيح والدعاء وعمل الصالحات ، حتى جاء أجله فقبض وهو ساجد ، وعندما جاء للحساب قيل له : ادخل الجنة برحمة الله ، فقال : بل أدخلها بعملي ، فأمر الله الملائكة فجاءوا بالميزان ووضعت فيه كل أعماله الصالحة ، ووضع في الكفة الأخرى نعمة البصر وحدها فرجحت نعمة البصر ، فقال الرجل : أدخل الجنة برحمة الله .

إن رحمة الله وفضله في الآخرة أعم وأشمل ، فكل نعم الله علينا في الآخرة هي من فضله ورحمته ، وليست حقًا مكتسبًا لنا ، فإذا كان الأسوة والقدوة لنا سيدنا ومولانا رسول الله "ﷺ وآله" وهو أكثرنا عملاً وطاعة وأقربنا إلى الله يقول : ﴿...ولا أنا ، إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل﴾ فمن الأولى ألا يدعى أحدٌ بعده ويقول إنه سيدخل الجنة بعمله ، فكلنا في حاجة إلى فضل الله ورحمته .

يقول الإمام أبو العزائم : أنت عَدَمٌ إذا عامَلَك بعَدْله ، ومَلَكٌ إذا لاحَظَكَ بفَضْلِه .

العمل لا يكون سبباً لدخول الجنة إلا إذا تقبَّله اللهُ تعالى :

فإن قيل : هذه الآيات فيها الدلالة على أن طاعة الله بالإيمان والعمل الصالح سبب في دخول الجنة ، وقوله "ﷺ وآله" : ﴿ لن يدخل أحدَكم عملُه الجنة ﴾ قالوا : ولا أنت يا رسول الله ؟ قال : ﴿ ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل ﴾[1] ؛ يرد بسببه إشكال على ذلك .

فالجواب : إن العمل لا يكون سببًا لدخول الجنة إلا إذا تقبله الله تعالى ، وتقبله له فضل منه ، فالفعل الذي هو سبب لدخول الجنة هو الذي تقبله الله بفضله ، وغيره من الأعمال لا يكون سببًا لدخول الجنة .

وللجمع بين الحديث والآيات المذكورة أوجه أخر ، هذا أظهرها والعلم عند الله تعالى .

للجنة طريق واحد :

للجنة طريق واحد ، وأما النار – عافانا الله منها – فطرقها أكثر من أن تحصى ، ولهذا يوحد الله تعالى سبيله ويجمع سبل النار كقوله تعالى : ﴿ وَأَنَّ هَـذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ﴾[2].

وقال سبحانه : ﴿ وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ ﴾[3]. أي : ومن السبيل جائر عن القصد وهي سبيل الغي ، وقال جل شأنه : ﴿ قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَى مُسْتَقِيمٌ ﴾[4].

قال ابن مسعود رضي الله عنه: خط لنا رسول الله "ﷺ وآله"يوماً خطا ثم قال: ﴿ هذا سبيل الله﴾ ثم خط خطوطًا عن يمينه وخطوطاً عن يساره ثم قال:﴿ هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليها﴾ ، ثم قرأ: ﴿وَأَنَّ هَـذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ ...﴾[5].

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم .
(٢) الأنعام : ١٥٣.
(٣) النحل : ٩.
(٤) الحجر : ٤١.
(٥) القرطبى فى تفسير الآية : ١٥٣ من سورة الأنعام .

فإن قيل : فقد قال الله تعالى : ﴿ قَدْ جَاءكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلاَمِ ﴾[١].

قيل : هي سبل تجمع في سبيل واحد ، وهي بمترله الطريق الواضحة ؛ والطرق في الطريق الأعظم ، فهذه هي سبل شعب الإيمان يجمعها الإيمان وهي شُعَبُه ، كما يجمع ساق الشجرة أغصانها وشعبها ، وهذه السبل هي إجابة داعي الله بتصديق خبره وطاعة أمره ، وطريق الجنة هي إجابة الداعي إليها ليس إلا.

عن جابر ﷺ قال : جاءت ملائكة إلى النبي "ﷺ وآله" فقال بعضهم : إنه نائم ، وقال بعضهم : العين نائمة والقلب يقظان ، فقالوا : إن لصاحبكم هذا مثلاً فاضربوا له مثلاً ، فقالوا : مَثَلُه مَثَلُ رجل بنى دارًا وجعل مأدبة وبعث داعيًا ، فمن أجاب الداعي دخل الدار وأكل من المأدبة ، ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار ولم يأكل من المأدبة .

فقالوا : أوّلوها له يفقهها ، فقال بعضهم : إن العين نائمة والقلب يقظان ، الدار : الجنة، والداعي: محمد ، فمن أطاع محمدًا أطاع الله ، ومن عصى محمدًا فقد عصى الله ، ومحمد فرق بين الناس[٢].

ويروى الترمذي عنه أيضًا قوله : خرج علينا رسول الله "ﷺ وآله" يومًا فقال : ﴿إني رأيت في المنام كأن جبريل عند رأسي وميكائيل عند رجلي يقول أحدهما لصاحبه : اضرب له مثلاً ، فقال : اسمع سمعت أذنك ، واعقل عقل قلبك ، إنما مثلك ومثل أمتك كمثل ملك اتخذ دارًا ، ثم بني فيها بيتًا ، ثم جعل مائدة ، ثم بعث رسولاً يدعو الناس إلى طعامه ، فمنهم من أجاب الرسول ، ومنهم من تركه ، فالله هو الملك ، والدار الإسلام ، والبيت الجنة ، وأنت يا محمد الرسول ، فمن أجابك دخل الإسلام ، ومن دخل الإسلام دخل الجنة ، ومن دخل الجنة أكل ما فيها ﴾[٣].

---

(١) المائدة ١٥- ١٦.
(٢) البخاري في الاعتصام ، والمأدبة: الوليمة ، وأولوها : فسروها .
(٣) الترمذي في الامتثال .

ومن حديث عبد الله بن مسعود ﷺ قال : صلى رسول الله "ﷺ وآلـه" العشـاء ثم انصرف، فأخذ بيدي حتى خرج بي إلى بطحاء مكة ، فأجلسني ، ثم خط على خطا ثم قـال : ﴿لا تبرحن خطك فإنه سينتهى إليك رجال فلا تكلمهم فإنهم لا يكلمونك﴾[١].

ثم مضى رسول الله "ﷺ وآله" حيث أراد ، فبينا أنا جالس فى خطي إذا أتـاني رجـال كأنهم الزط[٢].

أشعارهم وأجسامهم ، لا أرى عورة ولا أرى بشرًا وينتهون إليه لا يجاوزون الخط ، ثم يصدرون إلى رسول الله" ﷺ وآله " ، حتى إذا كان آخر الليل ، لكن رسول الله "ﷺ وآلـه" جاءني وأنا جالس ، فقال : لقد رآني منذ الليلة ثم دخل عليَّ في خطى ، فتوسد فخذى فرقد، وكان ورسول الله "ﷺ وآله" إذا رقد نفخ .

فبينا أنا قاعد ورسول الله "ﷺ وآله" متوسد فخذي إذا برجال عليهم ثياب بيض ، الله أعلم ما بهم من الجمال ، فانتهوا إليّ ، فجلس طائفة منهم عند رأس رسول الله "ﷺ وآلـه"، وطائفة منهم عند رجليه ، ثم قال : ما رأينا عبدًا أوتس مثل ما أوتي هذا الـنبي ، إن عينيـه تنامان وقلبه يقظان ، اضربوا له مثلاً ، مثل سيد بنى قصرًا ، ثم جعل مأدبة فدعا النـاس إلى طعامه وشرابه ، فمن أجاب أكل من طعامه وشرب من شرابه ، ومن لم يجبه عاقبه – أو قال: عذبه – ثم ارتفعوا ، واستيقظ رسول الله "ﷺ وآله" عند ذلك فقال :

﴿ سمعت ما قال هؤلاء ؟ وهل تدر ي من هم ؟ ﴾ قلت : الله ورسوله أعلـم ، قـال: ﴿هم الملائكة ، فتدري ما المثل الذى ضربوه ؟﴾ قلت : الله ورسوله أعلم ، قال : ﴿الرحمن بنى الجنة ، ودعا إليها عباده ، فمن أجابه دخل الجنة ، ومن لم يجبه عذبه﴾[٣].

(١) الترمذي في الأمثال .
(٢) الزط : جند من السودان والهند.
(٣) صححه الترمذي من حديث عبد الله بن مسعود .

ثمن الجنة :

يقول الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾[(١)].

فجعل سبحانه الجنة ثمنًا لنفوس المؤمنين وأموالهم بحيث إذا بذلوها استحقوا الثمن ، وعقد معهم هذا العقد وأكده بأنواع التأكيد :

أحدها : إخبارهم بصيغة الخبر المؤكد بأداة : إن .

الثاني : الإخبار بذلك بصيغة الماضي الذي قد وقع وثبت واستقر .

الثالث : إضافة هذا العقد إلى نفسه سبحانه وأنه هو الذى اشترى هذا البيع .

الرابع : أنه أخبر بأنه وعد بتسليم هذا الثمن وعدًا لا يخلفه ولا يتركه .

الخامس : أنه أتى بصيغة : على ، في قوله تعالى : ﴿ وعدًا عليه ﴾ إعلامًا لعباده بأن ذلك حق عليه أحقه هو على نفسه .

السادس: أنه أكد ذلك بكونه حقا عليه .

السابع : أنه أخبر عن محل هذا الوعد ، وأنه في كتبه المنزلة وهي التورة والإنجيل والقرآن .

الثامن : إعلامه لعباده بصيغة الاستفهام التي تفيد الإنكار ، أنه لا أحد أوفى بعهده منه سبحانه .

---

(١) التوبة : ١١١.

التاسع : أنه سبحانه وتعالى أمرهم أن يستبشروا بهذا العقد ، ويبشر به بعضهم بعضًا بشارة قد تم له العقد ولزم ، بحيث لا يثبت فيه خيار ؛ ولا يعرض له ما يفسخه .

العاشر : أنه أخبرهم إخبارًا مؤكدًا بأن ذلك البيع الذي بايعوه به هو الفوز العظيم .

صفات أهل هذا العقد :

وقد ذكر الله سبحانه صفات أهل هذا العقد الذى تم لهم دون غيرهم فى قوله تعالى في الآية التالية : ﴿ التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدونَ الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[1].

فهم التائبون مما يكره ، العابدون له بما يجب ، الحامدون له على ما يحبون وما يكرهون، السائحون :

وفسرت السياحة بالصيام ، وفسرت بالسفر في طلب العلم ، وفسرت بالجهاد ، وفسرت بدوام الطاعة .

والتحقيق فيها أنها سياحة القلب في ذكر الله ومحبته والإنابة إليه ، والشوق إلى لقائه ، ويترتب عليها كل ما ذكر من الأفعال .

ولقد وصف الله سبحانه نساء النبي "ﷺ وآله" اللاتي لو طلق أزواجه بدله بهن بأنهن ﴿سائحات﴾[2]وليست سياحتهن جهادًا ولا سفراً في طلب علم ولا إدامة صيام ، وإنما هي سياحة قلوبهن في محبة الله تعالى وخشيته والإنابة إليه وذكره .

وتأمل كيف جعل الله سبحانه التوبة والعبادة قرينتين ، هذه ترك ما يكره ، وهذه فعل ما يحب .

---

(١) التوبة : ١١٢.
(٢) التحريم : ٥ .

والحمد والسياحة قرينتين ، هذا الثناء عليه بأوصاف كماله ، وسياحة اللسان في أفضل ذكره ، وهذه سياحة القلب في حبه وذكره وإجلاله ، كما جعل سبحانه العبادة والسياحة قرينتين في صفة الأزواج ، فهذه عبادة البدن ، وهذه عبادة القلب .

وجعل الإسلام والإيمان قرينين ، فهذا علانية، وهذا في القلب ، كما في قوله "ﷺوآله": ﴿ الإسلام علانية ، والإيمان في القلب ﴾[1].

وجعل القنوت والتوبة قرينين ، هذا فعل ما يجب ، وهذا ترك ما يكره .

وجعل الثيوبة والبكارة قرينين ، فهذه قد وُطئت وارتاضت وذلك صعوبتها ، وهذه روضة أنف لم يرتع فيها بعد (أي : بسان لم يقربه أحد) .

وجعل الركوع والسجود قرينين .

وجعل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قرينين ، وأدخل بينهم الواو دون ما تقدم إعلامًا بأن أحدهما لا يكفي حتى يكون مع الآخر ، وجعل ذلك قرينًا لحفظ حدوده ، فهذا حفظها في نفس الإنسان ، وذلك أمر غيره بحفظها .

وأفهمت الآية خطر النفس الإنسانية وشرفها وعظم مقدارها ، فإن السلعة إذا خفي عليك مقدارها فانظر إلى المشترى لها : من هو ؟ .

وانظر إلى الثمن المبذول فيها ما هو ؟ .

وانظر إلى من جرى على يده عقد التبايع ؟ .

فالسلعة : النفس .

والله سبحانه المشترى لها .

---

(١) أحمد في المسند .

والثمن لها : جنات النعيم .

والسفير في هذا العقد خير خلقه من الملائكة وأكرمهم عليه ، وخير خلقه قاطبة وأكرمهم عليه وأحبهم إليه

ومن حديث أبي هريرة رضي الله عنه يقول رسول الله " ﷺ وآله " : ﴿ من خاف أدلج ، ومن أدلج بلغ المترل ، ألا إن سلعة الله غالية ، ألا إن سلعة الله الجنة ﴾[1].

وفي كتاب صفة الجنة لأبي نعيم من حديث أبان عن أنس قال : جاء أعرابي إلى رسول الله "ﷺ وآله" فقال : ما ثمن الجنة ؟ قال : ﴿ لا إله إلا الله ﴾ وشواهد هذا الحديث كثيرة جدًا .

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن أعرابيًا جاء إلى رسول الله "ﷺوآله" فقال : يا رسول الله، دلني على عمل إذا عملته دخلت الجنة ؟ فقال : ﴿ أن تعبد الله ولا تشرك به شيئًا ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة المفروضة ، وتصوم رمضان ...﴾ قال: والذي نفسي بيده لا أزيد على هذا شيئًا أبدًا ولا أنقص منه ، فلما ولَّى قال : ﴿ من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا ﴾[2].

وعن جابر قال : أتى النعمان بن قوقل إلى رسول الله "ﷺ وآله" فقال : يا رسول الله، أرأيت إذا صليتُ المكتوبة وحرمت الحرام وأحللت الحلال ، أدخل الجنة ؟ فقال النبى "ﷺوآله" : ﴿ نعم ﴾[3].

وعن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال : قال رسول الله " ﷺ وآله " : ﴿ من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة ﴾[4].

---

(١) الترمذي في صفة القيامة ، وأدلج : أي : سار من أول الليل .
(٢) البخاري في الجنائز ، ومسلم في الإيمان .
(٣) مسلم في الإيمان.
(٤) مسلم في الإيمان .

وعن معاذ بن جبل ﷺ قال : سمعت رسول الله "ﷺ وآله" يقول : ﴿ من كان آخر كلامه لا إله إلا الله ؛ دخل الجنة ﴾(١).

وفي الصحيحين عن أبي ذر ﷺ قال : قال رسول الله "ﷺ وآله" : ﴿ أتاني آت من ربي فأخبرني – أو قال : فبشرني – أنه من مات من أمتك لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة ، قلت: وإن زنى وإن سرق ؟ قال : وإن زنى وإن سرق ﴾(٢).

وفي الصحيحين من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال : قال رسول الله "ﷺ وآله" : ﴿ من قال : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ؛ وأن محمدًا عبده ورسوله؛ وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ؛ وأن الجنة حق ؛ وأن النار حق ؛ أدخله الله من أي أبواب الجنة الثمانية شاء ﴾(٣).

وفي لفظ : ﴿ أدخله الله الجنة على ما كان من عمل ﴾(٤).

وفي صحيح مسلم أن رسول الله "ﷺ وآله" أعطى أبا هريرة نعليه فقال: ﴿اذهب بنعلي هاتين فمن لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقنًا بها قلبه فبشره بالجنة﴾(٥).

الإيمان وعمل الصالحات من صفات أصحاب الجنة :

يقول الله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ أُولَـئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾(٦). وفي سياق تناول الإمام أبي العزائم لبيان معنى هذه الآية الشريفة ، ذكر أن الإيمان ينحصر في معان ثلاثة :

---

(١) أحمد وأبو داود في الجنائز .
(٢) البخاري في الجنائز ، ومسلم في الإيمان.
(٣) البخاري في أحاديث الأنبياء ، ومسلم في الإيمان .
(٤) البخاري في أحاديث الأنبياء ، ومسلم في الإيمان .
(٥) مسلم في الإيمان .
(٦) البقرة : ٨٢ .

عقد القلب على العقيدة التي قررها القرآن تسليمًا لما بينه رسول الله "ﷺ وآلــه" ، لا عقد القلب على عقيدة الحظ والهوى التي يدعو إليها جمع فيما يزول ولا يبقى مــن ســلب أموال البسطاء بما لا يقبله عقل ولا يرد به شرع .

ونطق اللسان باللفظ الصريح الوارد في القرآن ما لم يعجز الناطق عن ضبط الحــروف للكنة أو يعجز معها عن خروج الحروف من مخارجها كإبدال الشين بالسين ، أو الهاء والحاء بالخاء ، فإن الضرورة تبيح المحظورة .

وعمل بالجوارح حتى يكون المسلم مؤمنًا والمؤمن مسلمًا ، لأنه لا إسلام بغير إيمان ، ولا إيمان بغير إسلام .

والعمل الصالح يكون بالقلب والجوارح مطابقًا كل المطابقة لعمل رسول الله "ﷺ وآله" في العزيمة والرخصة ، فيكون قلب العامل في رعاية وخشوع وإخلاص ، والجوارح في نشاط للعمل في آناته ومقتضياته ، وبهذا تكون الأعمال صالحات ، ويكون المتجمل بهذه المعانى وليا من أولياء الله تعالى ، مستحقًا – بفضل الله تعالى – أن يكون من أصحاب الجنة ، كما قال سبحانه وتعالى : ﴿ أُولَــئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ .

الإيمان هو النسب الذي يربط المؤمن بالجنة :

ومعنى الآية أن الله سوى بين المسلمين في كتابه ، فلم يجعل لنسب ولا لغنى ولا لقوة في الجسم ولا لعلم غزير ميزة يتميز بها الشخص ، لأنه لم يقل : والشريف نســبًا ، والقــوى ، والغنى ، والعالم ، ولا فلان وفلان ﴿ أصحاب الجنة ﴾ أي : كل إنســان آمــن وعمــل الصالحات صار من أصحاب الجنة ، وبهذه الآية وجب على كل مؤمن أن يسارع بهمة عالية إلى أن يتجمل بتلك المعاني بعد تحصيل وسائلها من العلم وطهارة وتزكية النفس ، ثم يصدق الله تعالى فيما وعد ، مطمئن القلب طمأنينة لا تجعله يأمن مكر الله تعالى ، وهذا هو الحــق ، لأن الناس أبناء آدم وحواء ، خلقهم الله ليعبدوه ، وبين لهم المناهج جلية معقولة ، وهو تتره عن العلة والغرض والوالد والولد ، وعن الصاحبة والمعين .

معنى أن المؤمنين أصحاب الجنة ويرثونها :

﴿ أُولَـئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ﴾ أي : إن الذين جملهم الله بهذا الجمال يملكون الجنة ملكًا بالإحسان فيعمرونها لا بمعنى أنهم يرثونها ميراثًا حقًا ، لأنهم خالفوا حظهم وهواهم ؛ وأطاعوا ربهم بتوفيقه. ﴿ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ بشر سبحانه من وفقهم لما يحبه ويرضاه جل جلاله بأن يقيمهم فيما يحبون من النعيم المقيم والمسرات إقامة أبدية ، لأنه سبحانه أخبر أنهم أصحاب الجنة ، أي : أهلها الذين لا يفارقونها .

الله لا يكلف المؤمنين إلا بما استطاعوا ويؤكد خلودهم في الجنة:

ويبين الإمام جوانب أخرى من فضل الله في معنى قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ لاَ نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا أُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾[1]. أي: والذين صدقوا الله ورسوله "ﷺ وآله" ، وسارعوا إلى القيام بما كلفهم به من العبادات المحبوبة للأرواح ، والأعمال السهلة على الجوارح ، ثم أتى سبحانه وتعالى بآية معترضة بين المبتدأ والخبر وهي قوله : ﴿ لاَ نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا ﴾ وحكمة إنزالها بيان أن الله تعالى لم يكلف عباده إلا بما هو سهل عليهم القيام به ، حيث لا مشقة فيه ، مع عظيم ثوابه وشديد عقوبة المخالف له .

والآية حجة على المجبرة الذين يقولون إن الله يكلف بما لا يطاق ، والله تنزه وتعالى عن أن يكلف نفسا إلا وسعها ، أي : ما تسع قبوله والمسارعة بسهولة إلى القيام به ، فما أيسر ما كلفنا به ، وأعظم ما تفضل به علينا من الجزاء .

﴿ أُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ : هذه الآية خبر للمبتدأ الأول، والإشارة عائدة للذين آمنوا وعملوا الصالحات ، وأصحابها أي : الذين ملكها الله لهم للتنعم فيها أبديًا ، فإن صاحب الشيء ينتفع به ويدوم استغراقه فيه – خصوصًا إذا كان هذا بخبر الله تعالى – .

---

(١) الأعراف : ٤٢.

﴿ هم فيها خالدون ﴾ خبر من الله تعالى يبشر به أهل الإيمان ، والجملة اسمية تؤيد توكيد الخبر، وهي خير بشرى للمؤمن ، لأن المؤمن لا ينسى سكرات الموت أبدًا ، فيخشى أن يكون في الجنة موت – وهو مما يوجب الحزن – فأذهب الله عنهم الحزن بهذه الآية الشريفة ، فإن قول ﴿ أصحاب الجنة ﴾ – وإن أفادت طول الاستقرار فيها – إلا أنها لا تفيد الخلود فيها ، وقوله تعالى : ﴿ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ طمأنت القلوب .

طريق الجنة شاق :

قال ابن وهب : سمعت ابن زيد يقول: وصف الله أهل الجنة بالمخافة والحزن البكاء والشفقة في الدنيا ، فأعقبهم به النعيم والسرور في الآخرة ، وقرأ قول الله عز وجل : ﴿ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴾[1].قال: ووصف أهل النار بالسرور في الدنيا والضحك فيها والتفكه فقال : ﴿ إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ بَلَى ﴾[2].

الجنة درجة عالية ، والصعود إلى العلياء يحتاج إلى جهد كبير ، وطريق الجنة فيه مختلفة لأهواء النفوس ومحبوباتها ، وهذا يحتاج إلى عزيمة ماضية ، وإرادة قوية ، ففي الحديث الذي يرويه البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله "ﷺ وآله" : ﴿ حجبت النار بالشهوات ، وحجبت الجنة بالمكاره ﴾ ولمسلم : حفت بدل حجبت[3].

وفى سنن النسائي والترمذي وأبي داود عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله "ﷺ وآله" قال: ﴿ لما خلق الله الجنة قال لجبريل : اذهب فانظر إليها ، فذهب فنظر إليها ، فقال : وعزتك لا يسمع بها أحد إلا دخلها ، فحفها بالمكاره ، فقال : اذهب فانظر إليها ، فذهب فنظر إليها ، ثم جاء فقال : وعزتك لقد خشيت أن لا يدخلها أحد ﴾[4].

---

(١) الطور : ٢٦.
(٢) الانشقاق : ١٣ – ١٥.
(٣) جامع الأصول .
(٤) جامع الأصول وقال الترمذي حسن صحيح .

وقد علق النووي في "شرحه على مسلم" على الحديث الأول قائلاً : هذا من بـــديع الكلام وفصيحه وجوامعه التي أوتيها "ﷺ وآله" من التمثيل الحسن ، ومعناه لا يوصل الجنـــة إلا بارتكاب المكاره ؛ والنار بالشهوات ، وكذلك هما محجوبتان بهما ، فمن هتك الحجـــاب وصل إلى المحجوب ، فهتك حجاب الجنة باقتحام المكاره ، وهتك حجاب النـــار بارتكـــاب الشهوات ، فأما المكاره فيدخل فيها الاجتهاد في العبادة ، والمواظبة عليها ، والصـــبر علـــي مشاقها ، وكظم الغيظ ، والعفو ، والحلم ، والصدقة ، والإحسان إلي المسيء ، والصبر عن الشهوات ، ونحو ذلك ﴾[1].

(١) شرح النووي على مسلم .

الباب الثامن

حال أهل الجنة وأصنافهم

الفصل الأول

حال أهل الجنة

أهل الجنة نزع الله ما في صدورهم من غل :

قال سبحانه : ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ وَقَالُواْ الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِى هَدَانَا لِهَـذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِى لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُواْ أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[1].

يبين الإمام المجدد السيد محمد ماضي أبو العزائم عليه السلام في سياق تفسيره لتلك الآية الشريفة أن الله تعالى نزع ما في صدور المؤمنين عند دخولهم الجنة من كل غل بأنواعه وأسبابه ، كالحسد والمنافسة والغيرة ، وغيرها ، وسبب نزول هذه الآية أهل بدر الذين اختصهم الله بما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، وبسند الإمام ابن جرير الطبري قال الإمام عليّ عليه السلام : فينا والله أهل بدر نزلت : ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴾ .

وورد أن أصحاب الجنة قبل أن يدخلوها يجدون على بابها شجرة في أصلها عينان تجريان ، فيشربون من إحديهما فيذهب الله عنهم وغر صدورهم ، وما علق بنفوسهم، وينضر الله وجوههم فلا يشعث لهم شعر ولا تغير أجسامهم .

---

(١) الأعراف : ٤٣.

الله تعالى جمَّل لكل واحد من أهل الجنة ما أنزله فيه :

وفي قوله : ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ ﴾ إشارة لطيفة إلى أن الله سبحانه وتعالى جمّل لكل واحد من أهل الجنة ما أنزله فيه جمالاً جعله مبتهجًا محبورًا بما آتاه الله ، عاجزاً عن شكره سبحانه ، وذلك بالنسبة لأن الهداية في الدنيا كانت من الله ، والتوفيق للعبادة كانت بمعونة الله ، وقبول تلك الأعمال القليلة جدًا بالنسبة للجزاء العظيم من الله كان بعنايته جل جلاله ، فكان الحياء من الله تعالى بالنسبة لعجز كل واحد في الجنة عن القيام بشكره ، ولانكشاف الحقائق الدالة على أن أعماله في الدنيا لا تفي بجرعة ماء شربها فيها ، فكيف تفضل عليه بهذا الفضل العظيم ، فكان الواحد منهم إذا رأى ما أعده الله له في الجنة يرى نفسه فوق الكل حبورًا وبهجة وأنسًا بما هو فيه .

وجائز أن يكون الله تعالى منحهم نورًا من نوره ينظرون به إلى ما هم فيه من النعيم المقيم فيشغلهم عن النظر إلى ما فيه غيرهم من أهلها .

الرضوان فوق أعلى نعيم الجنة :

وجائز أن يكون الله تعالى منحهم عيونًا تشتاق إليه جل جلاله وإلى ما لديه من الجمال العلي، فكان شغلهم بالشوق إلى هذا المقام يجعلهم مستشرقين في دوام الرغبة إليه ، فإنه ورد أن الله تعالى يتجلى لأهل الجنة ينظرون فيظهرون العجز عن حصر نعماه سبحانه وما هم فيه من الابتهاج ودوام المسرات بنعيم الجنة ، فيقول الله تعالى : هل أزيدكم ؟ فيقولون : وهل فوق هذا النعيم نعيم آخر ؟ يا ربنا لك الحمد والشكر ، فيقول سبحانه وتعالى : أحل عليكم رضوانى فلا أسخط عليكم أبدًا ، وهذا الرضوان فوق أعلى نعيم الجنة .

أهل الجنة طهرهم الله تعالى من وغر الصدور :

وبهذا التقرير ثبت أن أهل الجنة طهرهم الله تعالى من وغر الصدور وغلولة ما كان بينهم من الإحن في الدار الدنيا ، لأن نعيم الدنيا محصور محدود ولو فاز به أحدهم حرم

الآخرون، وأما نعيم الجنة فهو نعيم لا تتصوره العقول ، وكيف تتصور العقول ما لواحد من المؤمنين من الفضل بدليل قوله تعالى: ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾[1] .

أي : لكل تقي ومؤمن يتصرف التصرف المطلق في جنات عرضها السموات والأرض، جعل الله له فيها من البساتين والحدائق والغياض والرياض ، والحور المقصورات في الخيام، والبيوت التي حيطانها من سبائك الذهب المجملة بالياقوت واللؤلؤ والمرجان ، والأشجار التي تجرى من تحتها الأنهار ، لا يشغله شيء آخر سوي التنعم بما هو فيه ، فإن كل نفس في الجنة يفوز فيه المؤمن بمشتهيات وملاذ وحبور وسرور تعجز العقول عن تصوره ، وإنما يكون الحسد أو الضغائن والوغر في الصدور من فقد مشتهيات الإنسان أو من فقد ضرورياته .

فإن كل إنسان نال كمالياته يُحسد ولا يَحسد ، فكيف بمن فاز بالجنة ؟ وصدق الله العظيم ، نزع : أي : أخرج ما في صدورهم من غل حتى صاروا جميعًا كأنهم جسد واحد ، كل واحد منهم كجزء رئيسي لهذا الجسد .

أهل الجنة سكنت نفوسهم إلى الله واطمأنت قلوبهم بذكره :

﴿ تجرى من تحتهم الأنهار ﴾ هذه الآية خبر من الله تعالى عما يتفضل به علينا من الإحسان ، ومعلوم أننا في تلك الدار الدنيا في حاجة إلى الماء لأنفسنا وأنعامنا وزروعنا ، وهذا الماء في الدار الدنيا هو السبب في الشحناء والبغضاء لقلته في بعض البلاد وتحكم أهل الظلم فيه ، مع كثرته في بلاد أخرى كما نرى في مصرنا هذا ، وكان – ولا ريب – أول خاطر يخطر على من سمعوا خبرًا من الله تعالى أن يرد على قلوبهم ما تسقى به أشجار الجنة من الماء، فبشرنا الله تعالى وطمأن قلوبنا بقوله : ﴿ تجرى من تحتها الأنهار ﴾ أي : من تحت أشجارها ، وبذلك سكنت نفوسنا إلى منفسها ، واطمأنت قلوبنا بذكره .

---

(١) آل عمران: ١٣٣ .

أهل الجنة رزقوا النوع الرابع من أنواع الهداية :

﴿ وَقَالُواْ الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِى هَدَانَا لِهَـذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِى لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللَّـهُ ﴾ معنى هذه الآية الشريفة أن الله تعالى يخبرنا أن أهل الجنة عند دخولهم الجنة وشهودهم ما أعده الله لهم من النعيم المقيم والحبور مما وعدهم به في الدنيا على لسان سيد رسله "ﷺ وآله"، وشهدوا ذلك عيانًا بعد البيان وحمدوا الله على ما تفضل عليهم ، كما أخبرنا الله تعالى بقوله : ﴿الْحَمْدُ لِلّهِ الذي هَدَانَا لِهَـذَا﴾.

والمعنى : أن الحمد خاص بالله ، ولأنه سبحانه له الأسماء الحسنى ، الذي يتفضل بالنعم على سائر المخلوقات فلا يحمد أحد سواه .

﴿ الَّذِي هَدَانَا لِهَـذَا ﴾ وهذه هي الهداية إلى المكان ، وهى النوع الرابع من أنواع الهداية : هداية عامة ، وهداية البيان ، وهداية الإحسان ، وهداية الدخول في المكان ، فإن الله تعالى هو الذي هداهم بهداية البيان قبل الإحسان ببعثة الرسل إليهم ، فله الحمد فى الأولى والأخرى .

وفي قوله تعالى : ﴿ هَدَانَا اللَّه ﴾ حجة على أنه هو الذي خلقنا وخلق أفعالنا وأطوارنا وهدايتنا وإقبالنا لأنه الذي يقول : ﴿ الْحَمْدُ لِلّهِ الذي هَدَانَا لِهَـذَا ﴾ مخبرًا عن قولنا يوم القيامة .

تبرئة أهل الجنة من الحول والقوة إلا بالله تعالى :

﴿ وَمَا كُنَّا لنهتدي لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ﴾ أي : وما كنا لنهتدي لدخول الجنة يوم القيامة؛ ولا نهتدي للإيمان به سبحانه وللتصديق بآياته في الدنيا ﴿ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ﴾ أي : لولا هداية الله لنا في الدنيا بالبيان على لسان رسول الله "ﷺ وآله" ، والإحسان من فضله والفوز بالهداية والنعيم المقيم في جوار الحق جل جلاله ، وفي هذه الآية تبرئتهم من الحول والقوة إلا بالله تعالى .

﴿ لَقَدْ جَاءتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ ﴾ بعد أن دخلوا الجنة وتنعموا بجمالها الظاهر للحس وبنعيمها الظاهر للجسم وبأنوارها الجلية للروح ، قالوا : الحمد لله الذي هدانا لهذا ، لقد جاءت رسل ربنا بالحق ، والآية معطوفة على التي قبلها من مقول الكلام ، واللام هنا للقسم، و﴿ جَاءتْ رُسُلُ رَبِّنَا ﴾ أي : أرسلها الله تعالى لهدايتنا فبينت لنا سبل الله الموصلة إليه سبحانه ، وبشرتنا بأنه من اتبعهم مؤمنًا ومصدقًا بما جاءوا به يفوز بالحسنى يوم القيامة، والحمد لله آمنا بهم وبما جاءوا به عليهم السلام ففزنا بما بشرونا من قِبَل الله ، فكان مجيئهم لنا من عند ربنا بالحق الذي من تمسك به فاز بما وعدنا به سبحانه .

أهل الجنة تجري عليهم نضرة النعيم :

قال ابن عباس رضي الله عنهما : أول ما يدخل أهل الجنة الجنة تعرض لهم عينان فيشربون من إحدى العينين ، فيذهب الله تعالى ما في قلوبهم من غل ، ثم يدخلون العين الأخرى فيغتسلون فيها ، فتشرق ألوانهم وتصفو وجوههم وتجري عليها نضرة النعيم .

أهل الجنة يدخلونها على أكمل صورة :

يدخل أهل الجنة الجنة على أكمل صورة وأجملها ، على صورة أبيهم آدم عليه السلام، فلا أكمل ولا أتم من تلك الصورة والخلقة التي خلق الله عليها أبا البشر آدم ، فقد خلقه الله تعالى بيده فأتم خلقه ، وأحسن تصويره ، وكل من يدخل الجنة على صورة آدم وخلقته، وقد خلقه الله طوالاً كالنخلة السحوق ، طوله في السماء ستون ذراعًا ، ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة عن رسول الله "ﷺ وآله" قال : ﴿ خلق الله عز وجل آدم على صورته ، طوله ستون ذراعًا ، فكل من يدخل الجنة على صورة آدم ، وطوله ستون ذراعًا ، فلم يزل الخلق ينقص بعده ﴾[1].

وإذا كان خلقهم الظاهري متفق ، فكذلك خلقهم في باطنهم واحد ، نفوسهم صافية، وأرواحهم طاهرة زكية ، ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة في الحديث الذي يصف فيه

(١) صحيح مسلم ، كتاب الجنة .

الرسول "ﷺ وآله" دخول أهل الجنة ومنهم الزمرة الذين يدخلون الجنة نورهم كالبـــدر ؛ قال: ﴿أخلاقهم على خلق رجل واحد ، على صورة أبيهم آدم ستون ذراعًا في السماء﴾[١].

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن سيدنا رسول الله "ﷺ وآله" قال : ﴿ أهل الجنة رشحهم المسك، وأمشاطهم الذهب ، وآنيتهم الفضة ﴾ .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن سيدنا رسول الله "ﷺ وآله" قال : ﴿ أمشاطهم الـــذهب _ وفي رواية : الفضة _ ورشحهم المسك ، ومجامرهم الألوة ، وأزواجهـــم الحـــور العـــين ... لا اختلاف بينهم ولا تباغض ، قلوبهم قلب واحد ، يسبحون الله بكرة وعشيًا ﴾.

(١) صحيح مسلم ، كتاب الجنة .

الفصل الثانى

أصناف أهل الجنة

في أصناف أهل الجنة ولباسهم وحليهم :

وصف الله تعالى أهل الجنة فصنفهم صنفين : أحدهما : السابقون المقربون ، والآخرون : أصحاب اليمين ، فعلمنا أن السابقين أهل الجنتين العليتين في قوله : ﴿ ولمن خاف مقام ربه جنتان ﴾ وأهل اليمين أهل الجنتين الدنيتين : ﴿ ومن دونهما جنتان ﴾ وبهذا جاءت الروايات.

وروى سعيد بن جبير ، عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى : ﴿ ولمن خاف مقام ربه جنتان ﴾ إلى قوله : ﴿ ومن دونهما جنتان ﴾ [1] قال: فتلك للمقربين ، وهاتان لأصحاب اليمين ، وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه نحو ذلك .

قوله تعالى : ﴿ يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ﴾[2] قال المفسرون : ليس أحد من أهل الجنة إلا وفي يده ثلاثة أسورة : سوار من ذهب ، وسوار من فضة ، وسوار من لؤلؤ، وقال هنا : ﴿ من ذهب ولؤلؤا ﴾ وقال في آية أخرى : ﴿وحلوا أساور من فضة﴾[3].

وفي الصحيح : ﴿تبلغ حلية المؤمن حيث تبلغ الوضوء﴾[4].

---

(١) الرحمن : ٤٦ ـ ٦٢ .
(٢) الحج : ٢٣ .
(٣) الإنسان : ٢١ .
(٤) صحيح مسلم ، والنسائي في كتاب الطهارة.

وقرئ ﴿ ولؤلؤا ﴾ بالنص على معنى ويحلون لؤلؤا ، وأساور : جمع أسورة ، وأسورة واحدها سوار فيها ثلاث لغات : ضم السين سُوار ، وكسرها سِوار ، وأسْوار ، قال المفسرون : لما كانت الملوك تلبس في الدنيا الأساور والتيجان جعل الله ذلك لأهل الجنة إذ هم ملوك .

قوله تعالى : ﴿ ولباسهم فيها حرير ﴾[1] روى عن يحي بن سلام، عن حماد بن سلمة ، عن أبي المهزم ، عن أبي هريرة ﷺ قال : دار المؤمن في الجنة درة مجوفة في وسطها شجرة تنبت الحلل ويأخذ بإصبعه ، أو قال : بإصبعيه ، سبعين حلة منظمة باللؤلؤ والزبرجد والمرجان[2].

وأخرجه ابن المبارك بهذا السند ، عن حماد ، عن أبي المهزم قال : سمعت أبا هريرة يقول: إن دار المؤمن في الجنة لؤلؤة فيها أربعون بيتًا في وسطها شجرة تنبت الحلل ، فيذهب فيأخذ بإصبعيه سبعين حلة منظمة باللؤلؤ والزبرجد والمرجان .

وروي عن أبي هريرة ﷺ أنه يقول : بلغني أن ولي الله يلبس حلة ذات وجهين يتجاوبان بصوت مليح تقول التي تلي جسده : أنا أكرم على ولي الله منك ، أنا أمس بدنه وأنت لا تمسينه ، وتقول التي تلي وجهه : أنا أكرم على ولي الله منك ، أنا أرى وجهه وأنت محجوبة لا ترين وجهه .

وقد ورد أن من لبسه في الدنيا لم يلبسه في الآخرة ، ومن حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، صححه أبو عمر رحمه الله وقال : هذا عندي على نحو المعنى الذي نزعنا به في شارب الخمر أنه إذا دخل الجنة لا يشرب فيها خمرًا ولا يذكرها ولا يراها ولا تشتهيها نفسه، فكذلك لابس الحرير في الدنيا إن لم يتب منه .

---

(١) الحج : ٢٣ .
(٢) ابن المبارك في زوائد الزهد.

وقد روي عن أبي موسى الأشعري ﷺ أنه قال : قال رسول الله "ﷺ وآله" : ﴿ من استمع إلى صوت غناء لم يؤذن له أن يسمع الروحانيين ﴾ فقيل : ومن الروحانيون يا رسول الله ؟ قال : ﴿ قراء أهل الجنة ﴾[1]. أخرجه الترمذي أبو عبد الله في "نوادر الأصول" .

وقد قيل : إن حرمانه الخمر ولباسه الحرير وشربه في إناء الذهب والفضة واستماعه للروحانيين إنما هو في الوقت الذي يعذب في النار ويسقى من طينة الخبال ، فإذا خرج من النار بالشفاعة أو بالرحمة العامة المعبر عنها في الحديث بالقبضة ؛ أدخل الجنة ولم يحرم شيئًا منها لا خمرًا ولا حريرًا ولا غيره ، لأن حرمان شيء من لذات الدنيا لمن كان في الجنة نوع عقوبة ومؤاخذة ، والجنة ليست بدار عقوبة ، ولا مؤاخذة فيها بوجه من الوجوه .

قال القرطبي : وحديث أبي سعيد الخدري ؛ وأبي موسى الأشعري رضي الله عنهما يرد هذا القول ، وكما لا يشتهى مترلة من هو أرفع منه وليس ذلك لعقوبة ، وكذلك لا يشتهى خمر الجنة ولا حريرها ولا يكون ذلك عقوبة .

وقوله تعالى : ﴿ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ ﴾[2] وقال : ﴿ عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وإِسْتَبْرَقٌ ﴾[3] الإستبرق : الديباج الصفيق الكثيف ، والسندس : الرقيق الخفيف وخص الأخضر لأنه الموافق للبصر ؛ لأنه البياض يبدد النظر ويؤلم ، والسواد يورم ، والخضرة لون بين السواد والبياض وتلك تجمع الشعاع .

قوله تعالى : ﴿ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَائِكِ ﴾[4] ، الأرائك : جمع أريكة ، وهي السرر في الحجل ، وقال : ﴿ مُتَّكِئِينَ عَلَى سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ ﴾[5].

---

(١) نوادر الأصول للحكيم الترمذي.
(٢) الكهف : ٣١ .
(٣) الإنسان : ٢١ .
(٤) الإنسان : ١٣ .
(٥) الطور : ٢٠ .

الذين يدخلون الجنة بغير حساب :

عن أبي هريرة ﷺ قال : سمعت رسول الله "ﷺ وآله" يقول : ﴿ يدخل الجنة من أمتي زمرة هم سبعون ألفًا تضيء وجوههم إضاءة القمر ليلة البدر ﴾. فقام عكاشة بن محصن الأسدي يرفع نمرة عليه ، فقال : يا رسول الله ، ادع الله أن يجعلني منهم ، فقال رسول الله "ﷺ وآله" : ﴿ اللهم اجعله منهم ﴾ ، فقام رجل من الأنصار فقال : يا رسول الله ، ادع الله أن يجعلني منهم ، فقال : ﴿ سبقك بها عكاشة ﴾[(١)].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله " ﷺ وآله " : ﴿ عرضت عليَّ الأمم بالموسم فتراءيت على أمتي ، ثم رأيتهم فأعجبني كثرتهم وهيئتهم قد ملأوا السهل والجبل ، فقال : إن مع هؤلاء سبعين ألفًا يدخلون الجنة بغير حساب ، وهم الذين لا يسترقون ولا يكتوون وعلى ربهم يتوكلون ﴾ فقام عكاشة بن محصن رضي الله عنه فقال : يا رسول الله ، ادع الله أن يجعلني منهم ، فقال رسول الله "ﷺ وآله" : ﴿ أنت منهم ﴾ فقام رجل آخر ، فقال : ﴿ سبقك بها عكاشة ﴾ وإسناده على شرط مسلم .

وفي الصحيحين من حديث همام بن منبه عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله "ﷺ وآله" : ﴿ أول زمرة يدخلون الجنة صورهم على صورة القمر ليلة البدر لا يبصقون فيها، ولا يتغوطون فيها ، ولا يتمخطون فيها ، آنيتهم وأمشاطهم الذهب والفضة ، ومجامرهم الألوة ، ورشهم المسك ، ولكل واحد منهم زوجتان يرى مخ ساقهما من وراء اللحم من الحسن ، لا اختلاف بينهم ولا تباغض ، قلوبهم على قلب رجل واحد ، يسبحون بكرة وعشيا ﴾[(٢)].

وفي الصحيحين أيضا من حديث أبي زرعة عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله "ﷺ وآله" : ﴿ أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر ، والذين يلونهم على أشد

---

(١) البخاري في اللباس ومسلم في الإيمان ، و نَمِرة : بردة من صوف يلبسها العرب .
(٢) البخاري في بدء الخلق ، ومسلم في الجنة ، وزمرة : أفواج وجماعة ، ومجامرهم ج : "مجمرة" وهي المبخرة ، والألوة : العود الذي يتبخر به .

كوكب دري في السماء إضاءة ، لا يبولون ، ولا يتغوطون ، ولا يتفلون ، ولا يتمخطون، أمشاطهم الذهب ورشحهم المسك ومجامرهم الألوة ، وأزواجهم الحور العين ، أخلاقهم على خلق رجل واحد ، على صورة أبيهم آدم ستون ذراعا في السماء ﴾[1].

وروى شعبة بن قيس عن حبيب بن أبي ثابت عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله "ﷺ وآله": ﴿ أول من يدعى إلى الجنة يوم القيامة الحامدون الذين يحمدون الله في السراء والضراء ﴾[2].

قال أبو بكر بن أبي شيبة : حدثنا إسماعيل بن عياش ، عن محمد بن زياد قال : سمعت أبا أمامة الباهلي يقول : سمعت رسول الله "ﷺ وآله" يقول : ﴿ وعدني ربي أن يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفا بغير حساب ، مع كل ألف سبعون ألفا لا حساب عليهم ولا عذاب ، وثلاث حثيات من حثيات ربي ﴾[3].

قال أبو بكر بن أبي عاصم : حدثنا دحيم ، حدثنا الوليد بن مسلم ، حدثنا صفوان بن عمرو عن سليم بن عامر عن أبي اليمان الهوزني عن أبي أمامة ، عن رسول الله "ﷺ وآله" قال: ﴿ إن الله وعدني أن يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفا بغير حساب ﴾ قال يزيد بن الأخنس : والله ما أولئك في أمتك يا رسول الله إلا مثل الذباب الأصفر في الذباب ، قال رسول الله "ﷺوآله" : ﴿فإن الله وعدني سبعين ألفا مع كل ألف سبعون ألفا وزاد لي ثلاث حثيات﴾[4].

الجنة وعد الله للمؤمنين :

أول رزق من الله يرزقه الإنسان المؤمن هو التصديق الكامل واليقين التام والثقة بالله وبكلامه سبحانه .

(١) البخاري في الأنبياء ، ومسلم في الجنة .
(٢) الحاكم .
(٣) أحمد ، الترمذي وقال : حسن .
(٤) ابن أبي عاصم في السنة ، والذباب الأصفر : هو نوع نادر من الذباب .

يقول الله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلاً ﴾[1].

هذا إعلام من الله تعالى لعباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن موعدهم الجنة خالدين فيها أبدا . ﴿ وعد الله حقاً ﴾ هذا كلام من الله سبحانه واضح ومحدد ليس فيه إبهام ولا غموض وجاء به الحق سبحانه لنا على صورة الاستفهام حتى تكون إجابتنا على صورة الإقرار بصدق ما أخبرنا به وهل يوجد أصدق من الله حديثًا ؟ فتأتى إجابتنا : حاشا لله ، لا يوجد أصدق منه سبحانه أبدًا .

لماذا ؟ لأن الكاذب حينما يكذب يفعل ذلك لأنه ينتظر مصلحة من وراء كذبه يرى أنها لا تتحقق بالصدق لقصور نظره ومرض قلبه ، لأن الكذب مرض قال تعالى : ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضاً وَلَهُم عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾[2] والله سبحانه وتعالى متره عن نسبة هذه النقائص إليه ، فعطاؤه متواصل بلا انقطاع وبلا علة ، فليس يوجد أبداً من هو أصدق منه .

﴿ وعد الله ﴾ والوعد بشارة بخير يأتى زمانه بعد الكلام ، أما الوعيد : إنذار بسوء يأتى زمانه بعد الكلام ، قال تعالى : ﴿ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ ﴾[3].

وحينما يقول الله تعالى : ﴿ وعد ﴾ فهو تشجيع منه سبحانه لكل من يقرأ أو يسمع فيبذل النفيس من الجهد والعمل حتى يصل إلى تحقيق الوعد الذى بشر به وهو حق ﴿ وعد الله حقاً ﴾ لأن الله سبحانه وتعالى هو الذى وعد وهو سبحانه لا يعجزه شىء ، ولا يمنعه شيء عن إنفاذ وعده ، بخلاف الوعد من المخلوقين فإنه قد لا يتحقق .

ومن هنا فالمؤمن عندما يسمع قوله تعالى : ﴿ وعد الله حقاً ﴾ يفرح ويستبشر خيرًا عظيمًا من الله محققًا

---

(١) النساء : ١٢٢ .
(٢) البقرة : ١٠ .
(٣) إبراهيم : ١٤ .

الوعد خيرٌ للمؤمن وللمجتمع الإسلامي كله :

حينما وعد الله ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا ﴾ وضع ميزانًا للسعادة بأن جعل وعده حقاً لمن ؟ لمن آمن وعمل صالحاً ، وما بين بداية العمل والوصول إلى الثمرة عمل وجهد وجد وبذل ، والوعد هو الدافع القوى لبذل الجهد والعمل الجاد ، وفي تأخير الوعد تعطيل لتلك المقدمات التى توصل إلى الثمرة الطيبة في النهاية .

فمن الحكمة أن يتعلم أولو الأمر والقائمون على الأعمال والمصالح ألا يؤجلوا وعودهم للعاملين حتى تنضج الثمرة بل عليهم تحديد الأجر أولاً وهو الوعد ، ثم تكون المراقبة لحركة العمال وتشجيع المجتهد وتحفيزه حتى يصبح بارعًا ومبدعًا ، وهذا بالطبع شأن المؤمنين الذين يعملون الصالحات ، كما أن الحرص على الوفاء بالعهود من صفات أهل الإيمان أيضا .

وقد وعدنا الله تعالى بالجنة فوعده ثابت محقق ، وهذا يشحذ همم المؤمنين ويمدهم بالقوة والصبر والمصابرة والمرابطة لرؤيتهم وعد الله الجنة رؤية حق ووعد صدق كما أخبرهم الحق بذلك ، فيهون في سبيله بذل النفوس والمهج والأرواح قال "ﷺ وآله" : ﴿ ألا إن سلعة الله غالية ، ألا إن سلعة الله غالية ، ألا إن سلعة الله الجنة ﴾ .

المؤمنون المخبتون خالدون في الجنة :

قول الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُواْ إِلَى رَبِّهِمْ أُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ الجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾[1] .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ ﴾ أي : إن الذين صدّقوا بالله وصدقوا معه ، وصدقوا الرسول صلى الله عليه وآله وسلم واتبعوه مطيعين له فيما أمر ، ومنتهين عما نهى ، متأسين به في كل أقواله وأعماله وأحواله .

---

(١) هود : ٢٣.

﴿ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ ﴾ أي : تخلوا عن صفات أهل الجهل والعصيان ، وتحلوا عمليًا بكل شعب الإيمان فصاروا صالحين ، كل أعمالهم صلاح وإصلاح ، فأصلحوا أنفسهم أولاً، ثم أصلحوا من استطاعوا من الأهل والأولاد والعشيرة ثانيًا ، ثم كانوا قدرة تحتذى لمن صلح من الجيران والأصدقاء والخلان ثالثًا ، وأخيرًا جاهدوا أنفسهم في سبيل الله فتحملوا النصَب والأذى في دعوة الخلق إلى الحق .

﴿ وَأَخْبَتُواْ إِلَى رَبِّهِمْ ﴾ أي : خشعوا لله وخضعوا لأوامره ، وهم مقرون بتقصيرهم في جانبه العلى ، متحلين بحلة لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، وذلك لتحققهم من أنه لا فضل لهم في شيء ، فإيمانهم به من سابقة الحسنى لهم من فضله ، وأن عملهم الصالحات كان بتوفيقه وعونه ، وأن إخباتهم إليه مزيد فضل على فضل .

فإذا قال سبحانه : ﴿ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ خروا ساجدين خجلاً من عظيم إحسانه ، حامدين رأفته ورحمته ، وشاكرين له كثير نعمائه ، فلما رأوا أنه سبحانه هو الحميد الشكور سجدوا مرة أخرى متبرئين من كل حول وطول ، نسأل الله أن يجعلنا منهم ، ويحشرنا في زمرهم رضي الله عنهم ، إنه مجيب الدعاء .

الإنسان مثنوي في ذاته :

قيل : وفى الآية سر عجيب ، ومصدر العجب فيه كامن طي حقيقة أن كلام الله قديم أزلي ، كما أنه مستمر سرمدي ، وكذلك هو باق أبدي ، فكيف يخاطب الله الإنسان قبل إيجاده ويحدد جزاء الظالمين الكافرين ويجعلهم أصحاب النار ، ويحدد ثواب المؤمنين الصالحين ويجعلهم أصحاب الجنة ؟.

وجواب ذلك أن الله تعالى قدر في سابق علمه إيجاد إنسان مثنوي في ذاته ، أي أنه عين مؤلفة من حقيقتين : الأولى نورانية أصلية روحية مطلقة في عالم الأمر بلا قيود ولا حدود ولا زمان ولا مكان ، والأخرى ظلمانية فرعية جسمانية مقيدة في عالم الخلق محددة بأحداث الزمان والمكان .

والله تعالى يخاطب في الإنسان لطائفه الروحية المعنوية مباشرة بلا واسطة ، كما يخاطب جوارح بشريته المادية بواسطة ملائكته وكتبه ورسله ، سر قوله سبحانه وتعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاء حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِي بِإِذْنِهِ مَا يَشَاء إِنَّهُ عَلِي حَكِيمٌ ﴾[١].

الجنة أعدت للمتقين:

قال تعالى : ﴿ وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[٢].

﴿ وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ بادروا إلى مغفرة من ربكم بمعنى أسباب المغفرة التي توصل إليها ، قد جعل الله لكل شيء سببًا فأتبع سببًا ، ومن أسباب المغفرة الإسلام والتوبة والإخلاص وسائر الطاعات التي توجب المغفرة ، وذكر عرض الجنة هنا للمبالغة في وصفها بالسعة لأنه دون الطول ، ولذلك قال بعضهم : لم يرد العرض الذي هو ضد الطول ؛ وإنما أراد عظمها ، ومعناه : كعرض السموات السبع والأرضين السبع في ظنكم ، أي : لا تدرك ببيان ﴿ أعدت ﴾ أي : هيئت ﴿ للمتقين ﴾ وجهزت وتجهزت لاستقبالهم وفي ذلك دليل على أن الجنة مخلوقة الآن وأنها خارجة عن هذا العالم .

المتقون هم المتصفون بالصفات الحميدة :

١- ﴿ الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاء وَالضَّرَّاء ﴾ أي : في حالة الرخاء والشدة وفي الأحوال كلها كما هي حالة الأسخياء ، ولذلك قال "ﷺ وآله" : ﴿ الجنة دار الأسخياء ﴾ وقال أيضًا : ﴿ السخي قريب من الله ، قريب من الجنة ، قريب من الناس ﴾. وقوله "ﷺ وآله" : ﴿ لَجَاهِلٌ سخي أحب إلى الله من العالم البخيل ﴾ وقال

(١) الشورى : ٥١.
(٢) آل عمران : ١٣٣ .

"ﷺوآله": ﴿ السخاء شجرة في الجنة أغصانها في الدنيا ، من تعلق بغصن من أغصانها قادته إلى الجنة ﴾ .

٢- ﴿ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ ﴾ : أي : عن إمضائه مع القدرة على إنفاذه ، قال "ﷺ وآله": ﴿ من كظم غيظًا وهو يقدر على إمضائه ، ملأ الله قلبه أمنًا وإيمانًا ﴾ .

قال بعض الشعراء :

وإذا غضبت فكن وقورًا كاظمًا للغيظ ، تبصر ما تقول وتسمع
فكفى به شرفًا ، تبصر ساعة يرضى بها عنك الإله ويرفع

والكاظمين الغيظ : أي الذين ملكوا أنفسهم وأرواحهم وأحوالهم ، قال بعض الصوفية: إذا أردت أن تعرف حال الفقير فأغضبه وانظر إلى ما يخرج منه ، وقال بعضهم : لا تغضب ولا تُغضِب .

٣- ﴿ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ﴾ أي : عمن ظلمهم .

قال عروة بن الزبير :

لن يبلغ المجد أقوام وإن كرموا حتى يذلوا وإن عزوا لأقوام
ويشتموا فترى الألوان مشرقة لا عفو ذل ، ولكن عفو أحلام

فأخبر أنه أعد الجنة للمتقين دون غيرهم ، ثم ذكر أوصاف المتقين ، فذكر بذلهم للإحسان في حالة العسر واليسر والشدة والرخاء ، فمن الناس من يبذل في حال اليسر والرخاء ، ولا يبذل في حال العسر والشدة ، ثم ذكر كف أذاهم عن الناس بحبس الغيظ بالكظم ، وحبس الانتقام بالعفو .

ثم ذكر حالهم بينهم وبين ربهم في ذنوبهم ، وأنها إذا صدرت منهم قابلوها بذكر الله والتوبة والاستغفار وترك الإصرار ، فهذا حالهم مع الله ، وذاك حالهم مع خلقه .

يقول الإمام أبو العزائم عليه السلام :

الشكر في حال الجمال ثناء ... والشكر في حال الجلال دعاء
والشاكرون هم العبيد تحققوا ... بمراد مولاهم وذاك صفاء
شهدوا بعين قلوبهم مولاهم ... فرضوا به عنه فدام هناء
ما بين شكر أو دعاء حالهم ... وهمو إلى مولاهمو فقراء
فالعسر يجذبهم إليه تضرعًا ... واليسر يوصلهم وهم أمناء
لم يلههم عن ربهم فقر ولا ... يشغلهمو عنهم غنى ورخاء
معه نعم بقلوبهم، ووجوههم ... بيقينهم في ربهم نضراء
دامت بشائرهم بكشف قلوبهم ... ولهم توالت ما بذاك خفاء
دخلوا الحصون حصون حفظ وليهم ... بملابس الحسنى لهم أضواء
العلم هذبهم وزكى نفسهم ... والعلم نور للهدى وشفاء
نعم العبيد لربهم صدقوا له ... صدق العبيد فدامت الآلاء
دنياهمو كشفت لهم فتحققوا ... أن السكون إلى الدنيء الداء
والدار دار نعيمه وشهوده ... ظهرت فعشقوها فصح وفاء
ولهم جمال الحق أشرق نوره ... فتحققوا أن الكيان هباء
فروا إلى مولاهمو بعزائم ... والفضل من مولي الجميل عطاء
الله ربي والحبيب محمد ... هو قبلتي ووسيلتي وهناء

الجنة التي أعدها الله للمتقين عرضها السموات والأرض :

وفي معنى قول الله تعالى : ﴿ وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾(١). يبين رضي الله عنه أن هذا دليل على أن الجنة مخلوقة ، وأن مكانها فوق السماء السابعة ، وسقفها العرش ، وهى محيطة بالسماء السابعة أو أكثر ، حتى أن عرضها لو

---

(١) آل عمران : ١٣٣.

وضعت طبقات السموات ومدت الأرض واتصلت بطبقات السموات لكانت مثله ، والعرض أقل من الطول بكثير فكيف يكون طولها ؟ .

وما دعا بعض من يجهل قدرة الله تعالى إلى السؤال بقوله : إذا كان عرض الجنة كالسموات والأرض متصلة بعضها ببعض ممتدة ، فأين تكون النار ؟ .

الأمر هين عقلاً ، لأن دارًا سقفها العرش ، ومكانها فوق السموات السبع تحت أرضها من كل جهة ، وكل سماء في جوف الأخرى ، وبين الجنة والسماء السابعة كما بين الأرض والسماء السابعة من الارتفاع ، هذه الدار يكون طولها بعد هذا التصوير مساويًا لعرض السموات والأرض ، ولكن الجاهل عدو نفسه .

وقد كتب هرقل ملك الروم في الشام إلى رسول الله "ﷺ وآله" يسأله : أنت تقول: الجنة عرضها السموات والأرض ، فأين تكون النار ؟ فأجابه رسول الله "ﷺ وآله" بقوله: ﴿سبحان الله ، هذا النهار ، فأين يكون الليل ؟﴾ وفي هذا الجواب الحجة البالغة التي أخضعت أهل الشك والريب .

﴿ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ أي : أن الله تعالى خلق الجنة وجعلها دار نعيمه المقيم ، وأعدها مجملة بما به مسرات الروح ، وبجهة العقل ، ولذة الجسم ، وأنس الحس ، وأكرم بها أهل التقوى من عباده المؤمنين ، وجعلها دائمة أبدية .

من صفات المتقين الذين أعد الله لهم الجنة :

يقول الله تعالى : ﴿ وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاء وَالضَّرَّاء وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُواْ أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُواْ اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ

وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَى مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ أُوْلَـئِكَ جَـزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴾(١).

لما كان هذا الخير من الله تعالى يجعل نفوس أهل الإيمان يشتاقون إلى علم ما يحصلون به الفوز بهذا النعيم الأبدي ، بين الله صفات المتقين ، ولم يذكر أشخاصهم رحمة بعباده ، ووسعة لرحمته سبحانه ، حتى يسارع من سبق في علمه تعالى إعدادها لهم ، وذكر تلك الصفات وافتتحها بما هو شاق على النفوس وهو الإنفاق فقال سبحانه : ﴿ الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاء وَالضَّرَّاء وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾(٢).

الإنفاق في السراء والضراء :

والإنفاق هو صرف المال في سبيل الله تعالى كالجهاد ، والحج ، وإغاثة الغريب والأسير والفقير ، ليعلم أكلة الربا – من سُلبوا الرحمة من قلوبهم فصاروا أضر من الوحوش الكاسرة بنى الإنسان – كيف يكون الإنفاق في سبيل الله تعالى ، وكيف لا ؟ والله تعالى أعد الجنة التي عرضها السموات والأرض لكل تقي بمفرده ، وجعل من أعظم صفاتهم وأجلها الإنفاق في السراء والضراء في سبيل الله تعالى .

والسراء : هو مزيد السرور ، وهو الوسعة في الأرزاق ، والعافية في الأبدان ، والصلاح في الأهل والأولاد ، والضراء : هى الشدة في الضرر ، وتكون بالفقر ، والمرض ، وسوء الحال .

والتقي هو الذي ينفق ماله في وجوه الخير حالة الغنى والفقر ، كما قال الله تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾(٣).

---

(١) آل عمران : ١٣٣ – ١٣٦.
(٢) آل عمران : ١٣٤.
(٣) الحشر : ٩.

كظم الغيظ والعفو والإحسان :

﴿ والكاظمين الغيظ ﴾ هم الذين يقهرون أنفسهم عند إسعار نار الغضب ، وهيجان شهوة الانتقام ، فيحبسون أنفسهم عن إظهار مقتضى الغيظ ، وكظم الغيظ برهان على جهاد العبد نفسه ، مسارعة إلى نيل رضاء الله تعالى .

﴿ والعافين عن الناس ﴾ لما كان كظم الغيظ تجرع مرارة الصبر على مضض ، وكان هذا مقامًا من مقامات أهل المعرفة ، ولكن أعلى منه وأفضل أن يحسن إلى المسيء ، قال رسول الله "ﷺ وآله" : ﴿ أحسن إلى من أساء إليك تكن أعبد الناس ﴾ .

وفي الحكمة : الإحسان وراء الإحسان إحسان ، وأحسن منه : الإحسان وراء الإساءة، والإساءة وراء الإساءة إساءة ، وأسوأ منها الإساءة وراء الإحسان .

وكظم الغيظ لأهل الصبر ، والعفو عن المسيء عفوًا ينتج عنه صفاء جوهر النفس ، صفاء يجعل العافي عن المسيء يعطف عليه ويتودد إليه ، وهو من أعلى مقامات اليقين بدليل قوله تعالى : ﴿ والله يحب المحسنين ﴾.

فجعل محبته سبحانه – التي هي أعظم نعمة ينعم بها على من اصطفاهم من خيرة خلقه – تفضلاً منه على من جملهم بتلك الصفات المحبوبة لحضرته ، ومن أجلها العفو عن الناس .

محبة الله تعالى للمحسنين :

أخبرنا سبحانه بأنه يحب المحسنين ، والمحبة من الله هي إيثار الله العبد إيثارًا يجعله فردًا لذاته ، كما قال سبحانه مخبرًا عن إخوة يوسف عيه السلام : ﴿تَاللَّـهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّـهُ عَلَيْنَا﴾[١]، وخبر الله بأنه يحب المحسنين حجة على منكرى محبة الله للعبد ، وقد بين الإمام

---

(١) يوسف : ٩١.

المجدد أبو العزائم ﷺ هذا الموضوع في كتابه (أصول الوصول) في مقام المحبة ، فليرجع إليه طالب المزيد من العلم .

من هو المحسن ؟ :

ويعرف رضي الله عنه المحسن بأنه هو الذى سارع إلى القيام بأوامر الله تعالى ابتغاء مرضاته جل جلاله ، مراعيًا في ذلك الاقتداء بالسنة الشريفة ، ولا يكون الإحسان إحسانا إلا إذا كان عمل الجوارح مستمدًا من القلب حتى يكون القلب والجوارح متحدين نية وإرادة وعملاً ، قال سيدنا ومولانا رسول الله "ﷺ وآله" : ﴿ الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك ﴾ .

فالمقام الأول : مقام اليقين المؤيد بالشهود .

والمقام الثاني : مقام المراقبة والرعاية المؤيد بالعلم الحق .

وكفى المحسنين شرفًا أن الله يخبرنا بمحبته لهم ، وهذا هو المقام الذى تسارع إليه أرواح الصفوة من عباد الله المؤمنين ، وما أحب الله عبدًا إلا جمله بجذبة المحبوب لحضرته العلية ، قال سبحانه : ﴿ يحبهم ويحبونه ﴾[1].

من أهم صفات أهل الجنة: الأخلاق الجميلة

ثم يوضح لنا الإمام أن الله تعالى لما بين لنا أنه أعد جنة عرضها السموات والأرض لكل تقي ، ورحمة بعباده بين لهم الصفات التى تجعل لمن تجمل بها هذه الجنة ، وذكر تلك الصفات في أنواعها ، فجعل من أهم تلك الصفات وأجملها تلك الأخلاق الجميلة التي يتجمل بها المتطهرون من دنس البشرية ، ولوازم الحيوانية ، ودواعي النفوس الأمارة بالسوء .

---

(١) المائدة : ٥٤.

وشرحها بقوله مبتدئًا بالقسم المالي : ﴿ الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاء وَالضَّرَّاء ﴾ ثم بالنوع الأخلاقي بقوله : ﴿ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ﴾ وبشرهم بمحبته لهم بقوله : ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ وهو فضل من الله مضاف إلى تفضله سبحانه عليهم بتلك الصفات العالية .

ولما أن بين سبحانه صفات المتطهرين من خلقه ؛ طمأن قلوب أهل المعاصي ، وهو النوع الثاني الذي ينال من وفقه الله للقيام به جنة عرضها السموات والأرض ، فقال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً ﴾[1]. أي : وقعوا في ذنب تجاوزوا بوقوعهم فيه حد الأدب مع الشريعة تجاوزًا فاحشًا – و إن كان خصه بعضهم بأن الفاحشة هي الزنا بدليل قوله تعالى : ﴿ وَلاَ تَقْرَبُواْ الزِنى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاء سَبِيلاً ﴾[2] – .

والمعنى : والذين إذا فعلوا فاحشة ، فأتى بلفظ الفاحشة نكرة ، ونسلم بأن الفاحشة هي الزنا ، إلا أن ذلك لا يمنعنا من أن نفهم أن ﴿ فاحشة ﴾ هنا قد يراد بها كل كبيرة ، وهذه وسعة من الله تحفظ قلب المؤمن من اليأس أو القنوط بارتكاب الكبائر ، وتُطْمِعُه في نيل مغفرة من الله وثوابه ، وهذا كمال الفضل من الله العظيم الذى لا تضره المعاصي ولا تنفعه الطاعات .

وعلى هذا فالمؤمن فتح الله له أبواب التقرب إليه ، وجذبه بجواذب الإحسان ليفوز بما لديه ، فلا يدخل مؤمن نار جهنم إلا إذا كان ممن سبقت لهم السوءى وقفل الله قلوبهم عن ذكره .

﴿ أَوْ ظَلَمُواْ أَنْفُسَهُمْ ﴾ ذِكرُ ظلمِ النفس هنا بعد الفاحشة دليل على أن ظلم النفس هو وقوع المؤمن في الصغائر التي لم يحد لها القرآن المجيد حدًّا يقام على مرتكبيها ، إلا أنها تكون سببًا في الوقوع في الكبائر إن تمادى المؤمن في فعلها ، وهي كالنظرة ، والتهاون بفعل

---

(١) آل عمران : ١٣٥.
(٢) الإسراء : ٣٢.

السنن المرغب فيها ، أو ما أشبه ذلك مما لا يتنزه عن الوقوع فيه كمـــل الرجـــال أهـــل المقامات العالية .

وهنا نتحقق أن الله تعالى هو لنا نعم الرب ، ونسأله سبحانه أن يجعلنا له نعم العبيـــد ، فإن ذلك بفضله وإحسانه ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، وعلينا أن نحكم على أنفسنا بالعجز عن شكره جل جلاله ، ونسأله أن يعيننا على ذكره وشكره وحسن عبادته ، قيامًا لحضـــرته العلية بالواجب علينا على قدرنا ، لا على قدره .

﴿ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ ﴾ ولما كان ذكر الله تعالى يكون على قدر علم العبد به سبحانه حذف المضاف إليه ؛ فإن من المؤمنين من يذكر عقوبته في الدنيا كالفقر والمـــرض والزلزال وعداوة الخلق فيستغفره عن وقوع الكبائر والصغائر .

ومنهم من يذكر الموت وعذاب القبر فيسارع إلى الاستغفار .

ومنهم من يذكر حساب الآخرة وعقوبتها ونعيمها فيستغفره سبحانه مما ألم بنفسه مـــن اللقس .

ومنهم من يذكر رضوانه الأكبر ومشاهدة جماله العلى في مقعد صدق عند مليك مقتدر؛ فيستغفر الله من أصغر الهفوات التى يراها كأكبر الكبائر بالنسبة لأهل الغفلة ، فإنه إنما يعظم الهفوات بقدر تعظيمه لربه ، كما أن أهل الغفلة بجهلهم الله لا تعظم في نفوسهم إلا الكبائر .

ومنهم أهل الرضا عن الله الذين رضي الله عنهم وأرضاهم ، فإنهم يستغفرون الله إذا لم يقوموا بما قام به أهل العزائم من السلف والخلف ، فاستغفارهم لاستغفارهم أعظم القربات ، والذي كان يستغفر في المجلس الواحد سبعين مرة هو سيد المحبوبين وإمـــام المرســـلين عليـــه وعليهم الصلاة والسلام ، وهل هذا الاستغفار منه "ﷺ وآله" إلا علم بنفسه وبربه ؟ قـــال تعالى : ﴿ إِذَا جَاء نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًـــا فَسَـــبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴾[1].

---

(١) سورة النصر .

ومن احتسى جرعة من هذا الطهور المحمدي يعلم كيف أن الله أمر نبيه وأصحابه بعد نصر الله لهم في الجهاد ودخول الناس في دينه أفواجًا بفادح جهادهم ؛ وبذل أنفسهم تحت شفار السيوف ؛ أمرهم بعد ذلك بالتسبيح والاستغفار ، وهم فيما كانوا عليه من مرضاته جل جلاله ، فكيف بنا ونحن في كمال الغفلة والنسيان ؟ ونحن أولى بأن نستغرق أنفاسنا في الاستغفار والتوبة إلى الله ، ونطمع أن يغفر لنا ، بل نتمنى أن يغفر لنا .

فقوله : ﴿ ذَكَرُواْ اللَّهَ ﴾ أي : ذكروا عقوبته ومؤاخذته في الدنيا والآخرة ﴿فَاسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ﴾ أي : ذكروا ما قررت لك ، فأنتجت الذكرى انفعالاً نفسانيًا تمثلت فيه النفس وقوع المكروه ولا محالة ، ولم يبق لها إلا طلب الخلاص منه ، أو الوقوع في اليأس والقنوط .

فيسر الله للمذنبين سبل النجاة ، وفتح لهم أبواب القبول ، فسارعوا إلى الاستغفار بوجدان جاذب إلى الله تعالى بعد تمثل ما توعد الله به أهل الكفر والنفاق ، فلما أنتجت تلك الذكرى وأنتج هذا الانفعال المسارعة إلى الاستغفار بعد كسر القلب من ندم على الوقوع في معاصي الله ؛ والعزم على عدم العودة بمجاهدة فادحة ؛ تفضل الله فطمأن قلوبهم ، وبين لهم سبحانه أنه هو المتفرد بالعفو والمغفرة والقبول دون غيره ، وأنه سبحانه لا تضره معاصي الخلق ، كما لا تنفعه طاعاتهم ، فأتى بقوله تعالى : ﴿ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ ﴾ ليسرهم بقبول توبتهم بأنه غفر لهم .

ثم ساق الآية الثانية متصلة بالتي قبلها ، مبينًا فيها أن هذا الاستغفار نتج عن تعيين حق ، وتمثيل صحيح ، فقويت الإرادة ، وعظمت لديهم الرغبة في بغض الذنوب وكراهتها ، حتى ذاقوا مرارة الذنب بعد وقوعه ؛ كما ذاقوا حلاوة المعصية عند وقوعها ؛ بدليل قوله سبحانه: ﴿ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَى مَا فَعَلُواْ ﴾ يخبرنا الله أن الذين فعلوا الفاحشة وظلموا أنفسهم كانوا مصرين عليها فرحين بالوقوع فيها ؛ فلما ذكروا الله تعالى وتمثلوا هول الموقف أمامه ؛ دعتهم العناية الإلهية إلى الندم وبغض المعاصي ، وانكسرت قلوبهم أمام من ذكروا عقوبته ، والجملة معطوفة على قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً ﴾ .

والإصرار على الشيء : الرغبة في العودة إليه والعزم على عمله : ﴿ عَلَى مَا فَعَلُواْ ﴾

أي : من المعاصي ﴿ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ معناها : أن الله تعالى يتجاوز عن الناسي والساهي والجاهل ، والمكره لا لوم عليه وله العذر ، أما العالم بالأوامر والنواهي ؛ المخالف لما أمر به فهو المؤاخذ الذى لا عذر له .

البشرى من الله تعالى لأهل التقوى :

ثم يتناول رضي الله عنه شرح الآية التالية وهي قوله تعالى : ﴿ أُوْلَـئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴾(١)؛ فيبين أن الإشارة عائدة إلى المتقين الذين بين الله صفاقم لنا ، وأعد لكل واحد منهم جنة عرضها السموات والأرض .

ولما أن شرح الله لنا صفاقم المتعلقة بقواهم النفسانية والأخلاقية والجسمانية ؛ أعاد لهم البشرى بما به تطمئن قلوبهم فقال سبحانه : ﴿ أولئك ﴾ أي : هؤلاء الذين أثنيت عليهم ، وأقمتهم موفقين للعمل بما أمرقم به وهيتهم عنه ﴿ جَزَآؤُهُم مغْفِرَةٌ ﴾ أي : ستر لذنوبهم حتى ينساها كل مخلوق والملائكة الحفظة ، لأن الذنوب والمعاصي معلومة لله تعالى لا تمحى ، ولكنه يغفر ، والمغفرة هي الستر ، فيسترها عن الشخص نفسه ، وعن الخلق ، وعن معالمه من الأرض ، وعن الملائكة ، وعن الخلق أجمعين ، فيلقون الله تعالى وليس عليهم شاهد بذنب ﴿ من رهم ﴾ أي : تلك المغفرة فضل من ربنا جل جلاله .

﴿ وجنات ﴾ أي : وبساتين زاهرة زاهية ، جامعة لأنواع المسرات الجسمانية والعقلية والروحانية ، بحسب ما احتوت عليه من الجمال والكمال والنور ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾ أي : من تحت أشجارها ، وهذه الآية إشارة إلى دوام النعيم مع راحة الأبدان من عناء التعب في تحصيل ما لا بد منه لنضرة النباتات من الماء .

وقد أفرد الجنة في أول الآية وجمعها في آخرها ليدل على أن كل واحد منهم له جنة خاصة لكمال مسراقم ، وطهارة قلوبهم من التنافس والحسد .

---

(١) آل عمران : ١٣٦.

﴿ خَالِدِينَ فِيهَا ﴾ أثبت الله لهم البقاء في الجنة لتطمئن قلوبهم بدوام المسرات في غير انزعاج من خوف حصول نقص أو أمل في مرغوب فيه لتوفر كمالياته ، لأن الله تعالى لما قال: ﴿ جزاؤهم مغفرة ﴾ أَمِنَّا العذاب ، وكلنا تشوقنا إلى نيل الخير ، فقال : ﴿ وجنات ﴾ أي: بساتين ، ففرحنا ، ولكنا تشوقنا إلى أن تكون تلك البساتين توفرت فيها لوازمها ، وأعظم اللوازم هو الماء الذى كنا نتحمل في تحصيله الشدائد الفادحة ، التي تقع فيها المشاحنات والمنازعات والخصومات ، خصوصًا إذا قام الظلمة بالانتفاع بالماء وأهملوا الفقراء .

ففرحنا براحتنا من هذا الوجه ، ولكن خطر ببالنا الموت الذي كنا نتوقعه في الدنيا في كل نفس ، ونخاف منه ومما بعده ، فأزال الله عنا تلك الوحشة لتكمل لنا المسرات وتتم علينا النعمة ؛ فقال سبحانه : ﴿ خالدين فيها ﴾ فلما بشرنا بالخلود عجزنا عن شكره سبحانه ، وصرنا معه جل جلاله ، بعد أن أكرمنا بما هو فوق ما نشتهيه ونتمناه ، فقال سبحانه : ﴿دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلاَمٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[١].

انظر إلى تفضل الله وإحسانه ، كيف وفقنا وهدانا فى الدنيا للتوبة والإنابة إليه من معاصينا ، وكيف أقامنا فيما يحبه ويرضاه من الأعمال القلبية والبدنية ، وكيف تنزل جل جلاله فنسب ما تفضل به بإحسانه ومنته من التوفيق والهداية إلينا ، ثم تفضل فضلاً أكبر وأعظم ومنحنا نعيم الآخرة الأبدي ، والأنس في رياض الجنة ، وجعل ذلك الفضل جزاء لنا وهو جل جلاله الفاعل المختار .

وإذا كان هذا فضله ، فالواجب علينا أن نعرف قدر أنفسنا لنعرفه ، ونعلم أننا عبيد مقهورون ، وعباد مربوبون ، أبدعَنا البديعُ القادر الحكيم من العدم ، وتفضل فجملنا بما يحبه من صفاته العلية ، وهدانا لما يحبه من الإسلام والإيمان ، وأعاننا على العمل بشرائع الإسلام ، ثم أتم نعمته علينا بما أقامنا فيه من خير الخيرين في دار كرامته ، والأنس في جوار حضرته ، فله الحمد وله الشكر حتى يرضى .

---

(١) يونس : ١٠.

﴿ وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴾ يعني أن المغفرة والجنات التي تجري من تحتها الأنهار ، والخلود فيها ، أجر عظيم لعملهم ، ونعم هذا الأجر على عملهم ، هذا ظاهر الآية .

أما ما فيها من سرها الغامض ؛ فهذه الآية تنزل من الله لأحبابه ؛ ليعلمهم كيف تفضل عليهم بما قاموا به ، وكيف نسب إليهم هذا التفضل ، ليعلموا كيف يتأدبون لحضرته العلية ؛ وكيف ينظرون إلى أعمالهم القلبية والجسمانية في جانبه جل جلاله ، وهذا مشهد أهل التوحيد الكامل .

وظاهر الآية لأهل الظاهر ، وسرها لأهل المحبة والقرب ، جملنا الله بما به نكون مقربين من حضرته ؛ مشاهدين لغيب أنواره ؛ حاضرين معه سبحانه .

يقول الإمام المجدد أبو العزائم عليه السلام نظمًا في إحدى قصائده :

نهار الفتى المحبوب في السعي والفكر ... وليل الفتى المطلوب في جذبة الذكر
عجيب مجاهدة الرجال نفوسهم ... لتطهيرها من ظلمة البعد والكفر
شباب مقامهم المعاصي وغفلة ... يوفقهم للقرب ربي وللخير
ففي الليل رهبان بذكر إلههم ... ونهارهم سعي إلى طلب البر
نعم هم رجال في محبة ربهم ... لقد خصهم منه بساطعة السر
أحبهمو حتى أحبوه هيموا ... أياروح لله العليِّ ألا فري
تراءى لهم وجه الجميل فحيروا ... وفروا من الأكوان في البر والبحر
فأشهدهم ما فيهمو من جماله ... فغابوا به عشقًا على الصدق في السير
فلم يلههم حظ ولا شهوة ولا ... علو وتمكين من الأهل والغير
يقودهمو القرآن ينبئهم بما ... ينالهمو من ربهم من ضيا الفجر
تراهم سكارى طول ليلهمو بما ... رأوه من الأنوار في ليلة القدر
لياليهمو قدر وأيامهم ضيا ... تجلى لهم مولاهمو ساعة الفجر
على سنة المختار ساروا وفارقوا ... حظوظًا وأهواء تدل على الشر
قلوبهمو قد عمرت بحقائق ... وألسنة الأفراد تنبئ بالسر

تــراهم نهـــارًا كالســـباع شـــهامة　　كما أمــر الــرحمن بالســعي في الســير
وفي الليــل مــوتى في غــرام حبيبــهم　　سكارى حيــارى في شــهود وفي ذكــر
لقـــد تركـــوا آبـــاءهم أمهـــاتهم　　وقد جاهدوا بالحـال في الســر والجهــر
وقــد أعجــزوا بــالعلم كــل معلــم　　لأنهمــو منحــوا الحقــائق في الصــدر
مــن الله والإحســان في كــل مــوطن　　علومهمــو نــور يضــيء بــلا حصــر
مجالســهم ذكــر وفكــر تــأدب　　بآداب خير الرسل مــن محكــم الــذكر

جنات أعدت لأهل السابقية :

قال الله تعالى : ﴿ وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾[١]. فأخبر الله تعالى أنه أعدها للمهاجرين والأنصار ، وأتباعهم ، فلا مطمع لمن خرج عن طريقتهم فيهم .

أهل الذكر :

قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾[٢]. فوصفهم الله تعالى بإقامة حقه باطنًا وظاهرًا ؛ وبأداء حق عباده .

المؤمنون :

عن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه : لما كان يوم حنين أقبل نفر من صحابة النبي "ﷺ وآله" فقالوا : فلان شهيد ، وفلان شهيد ، وفلان شهيد ، حتى مروا على رجل

---

(١) التوبة : ١٠٠.
(٢) الأنفال : ٢.

فقالوا : فلان شهيد ، فقال رسول الله "ﷺ وآله" : ﴿ كلا ، إني رأيته في النار في بردة غلها أو عباءة ﴾ ثم قال رسول الله "ﷺ وآله" : ﴿ يا ابن الخطاب ، اذهب فناد في الناس : إنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون ﴾[١]. قال : فخرجت فناديت : إنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن سيدنا رسول الله "ﷺ وآله" أمر بلالاً ينادى في الناس : ﴿ أنه لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة ﴾[٢]. وفي بعض طرقه : ﴿ مؤمنة ﴾ .

ومن حديث حارثة بن وهب رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله "ﷺ وآله" يقول : ﴿ ألا أخبركم بأهل الجنة ؟ كل ضعيف مستضعف لو أقسم على الله لأبره ، ألا أخبركم بأهل النار؟ كل عتل جواظ متكبر ﴾[٣].

والضعيف المستضعف : هو الذي يستضعفه الناس ، والعتل : هو شديد الخصومة ، والجواظ : هو المتكبر الجافي ، يقال : جاظ جوظًا أي : تكبر في مشيه ، ومن معاني الجواظ أنه الجموع المنوع الذى يمنع الناس ما عنده .

وعن سيدنا رسول الله "ﷺ وآله" أنه قال : ﴿ إن أهل النار كل جعظرى مستكبر جمَّاع منَّاع ، وأهل الجنة الضعفاء والمغلوبون ﴾[٤]. وجعظرى : أي : فظ غليظ .

المتزاورون والمتوادون في الله تعالى :

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله "ﷺ وآله" : ﴿ ألا أخبركم برجالكم من أهل الجنة : النبي في الجنة ، والصدِّيق في الجنة ، والشهيد في الجنة ، والرجل يزور أخاه في ناحية المصر لا يزوره إلا لله في الجنة ، ونساؤكم من أهل الجنة : الودود الولود

---

(١) مسلم في الإيمان . وغلها : أي : أخذها قبل تقسيم الغنائم .
(٢) البخاري في القدر ومسلم في الإيمان .
(٣) مسلم في الجنة ، والبخاري في التفسير .
(٤) أحمد .

التي إذا غضب أو غضبت جاءت حتى تضع يدها في يد زوجها تقـــول : لا أذوق غمضًـــا حتى ترضي ﴾[1].

الرجل يشهد له الناس بالخير :

عن أنس بن مالك ﷺ : مر بجنازة فأثني عليها خيرًا ، فقـــال نـــبي الله "ﷺ وآلـــه" : ﴿وجبت وجبت وجبت﴾ ومر بجنازة فأثني عليها شرًا ، فقال : ﴿ وجبت وجبت وجبت﴾ فقال عمر : فداك أبي وأمي ، مر بجنازة فأثني عليها خيرًا فقلت : وجبت وجبت وجبـــت ، ومر بجنازة فأثني عليها شرًا فقلت : وجبت وجبت وجبت ؟ فقال رسول الله "ﷺ وآله" ﴿من أثنيتهم عليه خيرًا وجبت له الجنة ، ومن أثنيتهم عليه شرا وجبت له النار ، وأنتم شهداء الله فى الأرض ﴾[2].

وفي حديث آخر : ﴿ يوشك أن تعلموا أهل الجنة من أهل النار ﴾ فقالوا : كيف يـــا رسول الله ؟ قال : ﴿ بالثناء الحسن والثناء السيئ ﴾[3].

وبالجملة فأهل الجنة أصناف أربعة ذكرهم الله سبحانه وتعالى في قوله : ﴿ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَـــئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَـــئِكَ رَفِيقًا ﴾[4]. جعلنا الله بفضله منهم .

الذين يقرءون القرآن ويحلون حلاله ويحرمون حرامه :

عن أبي هريرة ﷺ عن النبي " ﷺ وآله " قال : ﴿ من قرأ القرآن فقام به آنـــاء الليـــل والنهار؛ ويحل حلاله ويحرم حرامه ؛ خلطه الله بلحمه ودمه ، وجعله رفيق السفرة الكـــرام البررة ، وإذا كان يوم القيامة كان القرآن له حجيجًا ، فقال : يا رب ؛ كل عامل يعمـــل في

(١) الطبراني في الكبير ، و المصر : البلد ، والجمع : أمصار ، وغُمضًا : نومًا.
(٢) البخاري في الجنائز ، ومسلم في الجنائز.
(٣) ابن ماجه في الجنائز.
(٤) النساء : ٦٩.

الدنيا يأخذ بعمله من الدنيا ؛ إلا فلانًا ؛ كان يقوم في آناء الليل وأطراف النـــهار فيحـــل حلالي ويحرم حرامي ، يقول : يا رب ، فأعطه .

فَيُتَوِّجُه الله تاج الملوك ، ويكسوه من حلة الكرامة ، ثم يقول : هل رضيت ؟ فيقول : يا رب أرغب له في أفضل من هذا ، فيعطيه الله الملك بيمينه والخلد بشماله ، ثم يقول له : هل رضيت ؟ فيقول : نعم يا رب ﴾[1].

ومن حديث ابن بريدة عن أبيه يرفعه : ﴿ تعلموا سورة البقرة فإن أخـــذها بركـــة ، وتركها حسرة ، ولا تستطيعها البطلة ﴾ ، ثم سكت ساعة ، ثم قال : ﴿ تعلموا سورة البقرة وآل عمران فإنهما الزهراوان ، وإنهما يظلان صاحبهما يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيابتان أو فرقان من طير صواف .

والقرآن يلقى صاحبه يوم القيامة حين ينشق عنه قبره كالرجل الشاحب ، فيقول لـــه : هل تعرفني ؟ فيقول له : ما أعرفك ؟ فيقول القرآن : أنا الذي أظمأتك في الهواجر وأسهرت ليلك ، وإن كل تاجر من وراء تجارته ، وإنك اليوم من وراء كل تجارة .

فيعطي الملك بيمينه ، والخلد بشماله ، ويوضع على رأسه تاج الوقار ، ويكسى والـــده حلتين لا تقوم لهما الدنيا فيقولان : بم كسينا هذا ؟ فيقال : بأخذ ولدكما القرآن ، ثم يقـــال له : اقرأ واصعد في درج الجنة وغرفها ، فهو في صعود ما دام يقرأ هذًّا كان أو ترتيلاً ﴾[2].

والبطلة : السحرة ، والغيابة : ما أظل الإنسان فوقه .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي " ﷺ وآله " تلا قولـــه عـــز وجـــل : ﴿ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَـــبٍ ﴾[3]. فقـــال : ﴿ إن علـــيهم التيجان ، إن أدنى لؤلؤة منها لتضيء ما بين المشرق والمغرب ﴾ .

---

(١) الهندي في الكنز وعزاه للبيهقي في الشعب .
(٢) الهيثمي في المجمع وعزاه لأحمد ورجاله ثقات ، والهواجر : جمع هاجرة ، وهي وقت الحر الشديد.
(٣) فاطر : ٣٣.

أكثر أهل الجنة الذين لا يأبه الناس لهم :

أكثر من يدخل الجنة الضعفاء الذين لا يأبه الناس لهم ، ولكنهم عند الله عظماء ، لإخباهم لربهم ، وتذللهم له ، وقيامهم بحق العبودية لله ، روى البخاري ومسلم عن حارثة بن وهب رضي الله عنه قال : قال رسول الله " ﷺ وآله " : ﴿ ألا أخبركم بأهل الجنة ؟ قالوا : بلى ، قال : كل ضعيف متضعف ، لو أقسم على الله لأبره ﴾[١].

قال النووي في شرحه للحديث : ومعناه يستضعفه الناس ، ويحتقرونه ، ويتجبرون عليه لضعف حاله في الدنيا ، والمراد أن أغلب أهل الجنة هؤلاء ... الخ[٢].

وفي الصحيحين ومسند أحمد عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما ، قال : قال رسول الله " ﷺ وآله " : ﴿ قمت على باب الجنة ، فكان عامة من دخلها المساكين ، وأصحاب الجد محبوسون غير أن أصحاب النار قد أمر بهم إلى النار ، وقمت على باب النار فإذا عامة من دخلها النساء ﴾[٣].

وفي الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله " ﷺ وآله " : ﴿اطلعت في الجنة ؛ فرأيت أكثر أهلها الفقراء ، واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء﴾[٤].

هل الرجال أكثر في الجنة أم النساء ؟ :

تخاصم الرجال والنساء في هذا والصحابة أحياء ، ففي صحيح مسلم عن ابن سيرين قال : اختصم الرجال والنساء : أيهم أكثر في الجنة ؟ وفي رواية : إما تفاخروا ، وإما تذاكروا : الرجال في الجنة أكثر أم النساء ؟. فسألوا أبا هريرة ، فاحتج أبو هريرة رضي الله عنه على أن النساء في الجنة أكثر بقول الرسول "ﷺ وآله" : ﴿ إن أول زمرة تدخل الجنة على صورة

(١) جامع الأصول
(٢) شرح النووي على مسلم .
(٣) مشكاة المصابيح .
(٤) مشكاة المصابيح .

القمر ليلة البدر ، والتي تليها على أضواء كوكب درى في السماء ، لكل امـــرئ منـــهم زوجتان اثنتان ، يرى مخ سوقهما من وراء اللحم ، وما في الجنة أعـــزب ﴾[1].والحـــديث واضح الدلالة على أن النساء في الجنة أكثر من الرجال .

وقد احتج بعضهم على أن الرجال أكثر بحديث : ﴿ رأيتكن أكثـــر أهـــل النـــار ﴾ والجواب : أنه لا يلزم كونهن أكثر أهل النار أن يكن أقل ساكني الجنة ، كما يقول ابن حجر العسقلاني[2]، فيكون الجمع بين الحديثين أن النساء أكثر أهل النار وأكثر أهل الجنة ، وبذلك يكنَّ أكثر من الرجال وجودًا في الخلق .ويمكن أن يقال : إن حديث أبي هريرة يدل على أن نوع النساء في الجنة أكثر سواء كن من نساء الدنيا أو من الحور العين .

والسؤال هو : أيهما أكثر في الجنة : رجال أهل الدنيا أو نساؤها ؟ وقد وفق القـــرطبي بين النصين بأن النساء يكن أكثر أهل النار قبل الشفاعة وخروج عصاة الموحدين من النـــار، فإذا خرجوا منها بشفاعة الشافعين ورحمة أرحم الراحمين كن أكثر أهل الجنة[3].

ويدل على قلة النساء في الجنة ما رواه أحمد وأبو يعلى عن عمرو بن العاص قال : بينما نحن مع رسول الله " ﷺ وآله " في هذا الشعب إذا قال : ﴿ انظروا هل ترون ؟ ﴾ فقلنـــا : نرى غربانًا فيها غراب أعصم ، أحمر المنقار والرجلين ، فقال رسول الله " ﷺ وآلـــه " : ﴿لا يدخل الجنة من النساء إلا من كان منهن مثل هذا الغراب في الغربان﴾[4].

حثيات الحق سبحانه الذين يدخلهم الجنة :

عن أبي أمامة الباهلي ﷺ قال : سمعت رسول الله " ﷺ وآله " يقول : ﴿ وعدني ربي أن يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفا بغير حساب ، مع كل ألف سبعون ألفًا لا حساب عليهم ولا عذاب ، وثلاث حثيات من حثيات ربي ﴾[5].

---

(١) صحيح مسلم كتاب الجنة باب أول زمرة تدخل الجنة .
(٢) فتح الباري .
(٣) التذكرة للقرطبي .
(٤) سلسلة الأحاديث الصحيحة.
(٥) أحمد والترمذي .

وعن أبي أمامة ﷺ عن رسول الله " ﷺ وآله " قال : ﴿ إن الله وعدني أن يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفًا بغير حساب ﴾ قال يزيد بن الأخنس : والله ما أولئك في أمتك يا رسول الله إلا مثل الذباب الأصفر في الذباب ، قال رسول الله " ﷺ وآله " : ﴿ فإن الله وعدني سبعين ألفاً مع كل ألف سبعون ألفًا وزاد لي ثلاث حثيات ﴾(١).

وعن عتبة بن عبد السلمي ﷺ قال : قال رسول الله " ﷺ وآله " : ﴿ إن ربي عز وجل وعدني أن يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفًا بغير حساب ، ثم يشفع كل ألف لسبعين ألفًا ، ثم يحثي ربي تبارك وتعالى بكفيه ثلاث حثيات ﴾ فكبر عمر وقال : إن السبعين الأول يشفعهم الله في آبائهم وأبنائهم وعشائرهم وأرجو أن يجعلني في إحدى الحثيات الأواخر ﴾(٢).

ومن حديث سليمان بن حرب، حدثنا أبو هلال، عن قتادة عن أنس أن النبي " ﷺ وآله" قال : ﴿ وعدني ربي عز وجل أن يدخل من أمتي الجنة مائة ألف ﴾ فقال أبو بكر : يا رسول الله ، زدنا ، قال : ﴿ وهكذا ﴾ _ وأشار سليمان بن حرب بيده كذلك _ قال : يا رسول الله، زدنا، قال عمر: إنه قادر أن يدخل الناس الجنة بحفنة واحدة، فقال رسول الله " ﷺ وآله ": ﴿ صدق عمر ﴾(٣).

وعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله " ﷺ وآله " : ﴿ إن الله وعدني أن يدخل الجنة من أمتي أربعمائة ألف ﴾ قال أبو بكر : زدنا يا رسول الله ، قال : ﴿ وهكذا ﴾ وجمع بين يديه ، قال : زدنا يا رسول الله ، قال : ﴿ وهكذا ﴾ فقال عمر : حسبك يا أبا بكر، فقال أبو بكر : دعني ، وما عليك أن يدخلنا الجنة كلنا ، فقال عمر : إن شاء الله أدخل خلقه الجنة بحثية واحدة ، فقال النبي " ﷺ وآله " : ﴿ صدق عمر ﴾(٤).

---

(١) ابن أبي عاصم في السنة ، والذباب الأصفر : هو نوع نادر من الذباب .
(٢) الطبراني في الكبير .
(٣) أبو نعيم في الحلية .
(٤) عبد الرازق في المصنف .

أصحاب الأعراف :

أخبرنا ربنا تبارك وتعالى عن قوم يكونون في يوم القيامة على الأعراف ، والأعراف هو السور الحاجز بين الجنة والنار .

يقول بعض المفسرين : على هذا السور يحبس أقوام بين الجنة والنار ، ومنه يشرفون على أهل الجنة وعلى أهل النار .

يقول ابن كثير : قوم استوت حسناهم وسيئاهم ، ذلك أن الله أخبرنا أن من ثقلت موازينه فهو من أهل الجنة المفلحين ، ومن خفت موازينه فهو من أهل النار الخاسرين ﴿ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴾(1) وسكت النص عمن استوت حسناته وسيئاته .

وفي أصحاب الأعراف يقول رب العزة : ﴿ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلاًّ بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْاْ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَن سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاء أَصْحَابِ النَّارِ قَالُواْ رَبَّنَا لاَ تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ وَنَادَى أَصْحَابُ الأَعْرَافِ رِجَالاً يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُواْ مَا أَغْنَى عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ أَهَـؤُلاء الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لاَ يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُواْ الْجَنَّةَ لاَ خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلاَ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴾(2).

ومما قاله المفسرون في أصحاب الأعراف :

١- إن أهل الأعراف ليسوا بكفار قطعًا ، لأن الكفار يدخلون النار لا شك في ذلك ، إذ مصير الكفار النار .

---

(١) المؤمنون : ١٠٢ – ١٠٣ .
(٢) الأعراف : ٤٦ – ٤٩ .

٢- إنهم يطمعون في دخول الجنة ، وهم يدعون ربهم ألا يجعلهم مع القوم الظالمين أهل النار .

٣- إنهم ينادون أصحاب الجنة مسلِّمين عليهم طامعين في صحبتهم ، ومنادين أهل النار مبكتيهم ذاميهم .

٤- إن الموقع الذي هم فيه موقع مشرف ، يشرفون منه على أهل الجنة وأهل النار، ومن هنا سمي الموضع الذي هم فيه بالأعراف ، فالأعراف جمع عرف ، والعرب تسمى كل مرتفع من الأرض عرفًا ، ومنه قيل لعرف الديك عرفًا لارتفاعه .

٥- أهل الأعراف أحسن حالاً من بعض المؤمنين الذين خفت موازينهم ، فأدخلوا النار بذنوبهم ، ثم يخرجهم الله من النار بإيمانهم وتوحيدهم ، فأهل الأعراف لا يدخلون النار ، وإن تأخر دخولهم الجنة .

هؤلاء الرجال هم معنا في الدنيا :

في سياق بيانه لمعنى قول الله تعالى : ﴿ وبينهما حجاب وعلى الأعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم ونادوا أصحاب الجنة أن سلام عليكم لم يدخلوها وهم يطمعون ﴾[١]. يوضح لنا الإمام المجدد السيد محمد ماضي أبو العزائم عليه السلام أن هذا الحجاب هو السور الذي أخبرنا الله به عنهم بقوله تعالى : ﴿ فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴾[٢]. وهذا الحجاب حاجز بين الجنة والنار .

﴿ وعلى الأعراف رجال ﴾ إذا جعلنا الواو للاستئناف فيكون الكلام تم عند قوله : ﴿وبينهما حجاب﴾ ويكون ﴿ وعلى الأعراف رجال ﴾ الأعراف : يعني محل أهل المعرفة؛ بدليل قوله تعالى : ﴿ رجال ﴾ ذكرت في القرآن في موضع الثناء من الله عليهم فقال تعالى:

---

(١) الأعراف : ٤٦.
(٢) الحديد : ١٣.

﴿ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً ﴾[(١)]. وقال تعالى : ﴿ رِجَالٌ لاَّ تُلْهِيهِمْ تِجَــارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّه ﴾[(٢)]. وقوله تعالى : ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾[(٣)] فثبت أن لفظة رجال في القرآن عنوان الثناء والمدح من الله تعالى .

وعلى هذا التقرير نتأول قوله تعالى : ﴿ وَعَلَى الأَعْرَافِ رِجَالٌ ﴾ وهؤلاء الرجال هــم معنا في الدنيا ، وهم على الأعراف أيضًا ، وحسبهم شرفًا قول الله تعالى : ﴿ يَعْرِفُونَ كُــلاًّ بِسِيمَاهُمْ ﴾ حيث لا يعرفهم غيرهم ومن أطلعهم الله على سيما الخلق فعلموا ما قــدره الله عليهم من السعادة أو الشقاء ، يكونون أكمل عباد الله تعالى ، ومنهم على هذا التأويل خضر موسى عليه السلام ، ومنهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، قال " ﷺ وآله " : ﴿ إن كان منكم محدثون فعمر منهم ﴾ .

وما قاله بعض المفسرين أن ﴿ الأعراف ﴾ جمع عرف كعرف الــديك والفــرس ؛ أو مكان مرتفع عن الأرض ؛ وأن الذين عليه رفعتهم حسناهم عن النار وأبعدهم سيئاهم عــن الجنة ؛ وأهم يرون أهل الجنة وأهل النار يوم القيامة فيعرفوهم بسيماهم ؛ هؤلاء لا تكون لهم مزية ، لأن معرفة الكافر والمؤمن متيسرة جدًا لا تحتاج لأن يخبرنا الله تعالى عن معرفتهم لهــم بسيماهم ، لأن الكفار يعرفون بسواد وجوههم وبزرقة أعينهم ، كما أن المــؤمنين يعرفــون ببياض وجوههم وبما جملهم الله به من غرة الوضوء ، و﴿ رجال ﴾ هذه في القرآن المجيد دلالة على خصوصية عالية من الله تعالى .

﴿ وَنَادَوْاْ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَن سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ ﴾ أي : ونادى أهل الأعراف أصحاب الجنة أن سلام عليكم ﴿ أن ﴾ هنا تفسيرية بمعنى : أي ، سلام يعمكم ويشملكم حتى تدوموا في النعيم المقيم .

---

(١) الحج : ٢٧ . و" رجالاً ": أي : متصفين بصفات الرَّجُلية الكاملة التي من أخصها تفريد الله تعالى بالقصد والمسارعة إليه سبحانه مشاة ؛ فانين عن الأسباب بمسبب الأسباب ...) كتاب (هداية السالك) للإمام أبي العزائم.
(٢) النور : ٣٧.
(٣) الأحزاب : ٢٣.

﴿ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴾ أي : لم يدخلوا الجنة لأهم من المسئولين يوم القيامة ، قال تعالى : ﴿ لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ ﴾[(١)]. ﴿ وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴾ طمع يقين أهم ينالون ما فوق الجنة كما قال الخليل عليه السلام : ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾[(٢)]. والطمع من هؤلاء يقين .

﴿وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاء أَصْحَابِ النَّارِ قَالُواْ رَبَّنَا لاَ تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾[(٣)]. وإذا حولت وجوههم ، والصارف لها قد يكون الله تعالى ليشهدهم ما أعده لأعدائه ، وقد يكون الصارف لها غيره سبحانه ، و﴿ تِلْقَاء أَصْحَابِ النَّارِ ﴾ أي : تجاه أصحاب النار ، فيرون ما هم فيه من أليم العذاب ، لديها يتذكرون رهم القادر تذكرًا حضوريًا فيخاطبونه خطاب القريب للقريب متضرعين بقولهم : ﴿ رَبَّنَا لاَ تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ الذين ظلموا أنفسهم في الدنيا من العادلين بك ، المكذبين بآياتك سبحانك .

وجائز أن يكون هذا في الدنيا فعرفوا كلاً بسيماهم ، فهم يعرفون أصحاب الجنة وأصحاب النار في الدنيا قبل الآخرة .

﴿ وَنَادَى أَصْحَابُ الأَعْرَافِ رِجَالاً يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُواْ مَا أَغْنَى عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾[(٤)]. هذه الآية الشريفة خبر من الله تعالى يبين لنا سبحانه به ما يكون بين أهل الجنة وأهل النار وأصحاب الأعراف .

وتقدم أن أصحاب الأعراف يقولون لأهل الجنة : سلام عليكم ، ويكون هذا السلام لأشخاص معلومين لهم بأعياهم في الدنيا بما منحهم الله من نور المعرفة التي يعرفون كلا بسيماهم .

---

(١) الأحزاب : ٨.
(٢) الشعراء : ٨٢.
(٣) الأعراف : ٤٧.
(٤) الأعراف : ٤٨.

ويكون كلامهم لأهل النار يوم القيامة بأن يقولوا : يا أبا جهل بن هشام ، ويا عقبة بن معيط ويا أمية ابن خلف ، ما أغنى عنكم من عذاب الله شيئاً جمعكم الذى جمعتموه من مال وجنود ﴿ وما كنتم تستكبرون ﴾ أي : وما كنتم تستكبرون على قبول الإسلام من اعتمادكم على شركائكم من دون الله ؛ وبما لديكم من جاه وعصبة ومال .

﴿ أَهَـؤُلاء الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لاَيَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لاَخَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلاَ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴾[1] وهم صهيب الرومي ، وسلمان الفارسي ، وبلال بن حمامة ، وابن أم مكتوم ، وابن الأرت ، وأمثالهم من ضعفاء المسلمين .

﴿ ادْخُلُواْ الْجَنَّةَ ﴾ هذا أمر من الله أو من الملائكة لهؤلاء الضعفاء ليضاعف العذاب على أهل النار برؤية هؤلاء الضعفاء قد نعمهم الله في الجنة ، وهذا القسم الذى أقسمه أهل النار كان في الدنيا إذا رأوا ضعفاء المؤمنين لما كانوا عليه من الفقر والمهانة ، وهم الذين أمر الله خاتم النبيين " ﷺ وآله " أن يصبر نفسه معهم حينما طلب منه أكابر مجرمي قريش أن يجعل لهم مجلسًا خاصًا بعيدًا عن الضعفاء المستقذرين في أعينهم

وقد قال بعض المفسرين : إن القسم كان لأهل الأعراف الذين لم تبلغهم حسناتهم دخول الجنة ولم توقعهم سيئاتهم في النار .

مع أن أهل الأعراف هم أشراف الجنة وأهل عليين منها ، ولكن الله تعالى أوقفهم على الأعراف لحكمة ، ثم يرفعهم إلى عليين بفضله وإحسانه ﴿لا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ وَلا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ﴾.

ومما يرجح ما بينه رضي الله عنه في أصحاب الأعراف ما أورده القرطبي في تفسيره من بين أقوال عديدة في أصحاب الأعراف :

منها : أنهم قوم صالحون فقهاء علماء .

---

(١) الأعراف : ٤٩.

ومنها : أنهم هم الشهداء .

وقال القشيري : وقيل : هم فضلاء المؤمنين والشهداء ، فرغوا من شغل أنفسهم وتفرغوا لمطالعة حال الناس ، فإذا رأوا أصحاب النار تعوذوا بالله أن يردوا إلى النار ، فإن في قدرة الله كل شيء ، وخلاف المعلوم مقدور ، فإذا رأوا أهل الجنة وهم لم يدخلوها بعدُ يرجون لهم دخولها .

وذكر الثعلبي بإسناده عن ابن عباس ﷺ في قوله عز وجل : ﴿وَعَلَى الأَعْرَافِ رِجَالٌ﴾ قال : الأعراف موضع عال على الصراط ، عليه العباس وحمزة وعلي بن أبي طالب وجعفر ذو الجناحين رضي الله عنهم يعرفون محبيهم ببياض الوجوه ؛ ومبغضهم بسواد الوجوه .

وقال الزّجّاج : هم قوم أنبياء .

الفقراء يسبقون الأغنياء في الجنة :

روى مسلم في صحيحه عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال : قال رسول الله "ﷺ وآله" : ﴿إن فقراء المهاجرين يسبقون الأغنياء يوم القيامة إلى الجنة بأربعين خريفًا﴾.

وروى الترمذي عن أبي سعيد رضي الله عنه وأحمد والترمذي وابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله " ﷺ وآله " : ﴿ فقراء المهاجرين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بخمسمائة سنة ﴾ .

وقد بين سيدنا ومولانا رسول الله " ﷺ وآله " في موضع آخر أن هؤلاء لم يكن عندهم شيء يحاسبون عليه ، هذا مع جهادهم وفضلهم ، كما أخرج الحاكم في مستدركه عن عبد الله بن عمرو قول سيدنا رسول الله "ﷺ وآله" : ﴿ أتعلم أول زمرة تدخل الجنة من أمتي ؟ ﴾ قلت : الله ورسوله أعلم ، قال : ﴿ فقراء المهاجرين يأتون يوم القيامة إلى باب الجنة ، ويستفتحون ، فيقول لهم الخزنة : أو قد حوسبتم ؟ فيقولون : بأي شيء نحاسب ؟ وإنما كانت أسيافنا على عواتقنا في سبيل الله حتى متنا على ذلك ؟ قال : فيفتح لهم ، فيقيلون فيه

أربعين عامًا قبل أن يدخلها الناس ﴾ .

وقد جاء فيما أوردنا هنا أن الفقراء يسبقون الأغنياء بأربعين عامًا ، وجاء في حديث آخر بخمسمائة عام ، ووجه التوفيق بين الحديثين أن الفقراء مختلفوا الحال وكذلك الأغنياء ؛ كما يقول القرطبي في التذكرة

فالفقراء متفاوتون في قوة إيمانهم وتقدمهم ؛ والأغنياء كذلك ، فإذا كان الحساب باعتبار أول الفقراء دخولاً الجنة وآخر الأغنياء دخولاً الجنة فتكون المدة خمسمائة عام ، أما إذا نظرت إلى آخر الفقراء دخولاً الجنة وأول الأغنياء دخولاً الجنة فتكون المدة أربعين خريفًا باعتبار آخر الفقراء وأول الأغنياء ، والله أعلم ، وهذا كما رواه ابن كثير في النهاية .

وعن ابن المبارك قال : أخبرنا عبد الوهاب بن الورد قال : قال سعيد بن المسيب : جاء رجل إلى النبي " ﷺ وآله " فقال : أخبرني يا رسول الله بجلساء الله يوم القيامة ، قال : ﴿ هم الخائفون الخاضعون المتواضعون الذاكرون الله كثيرًا ﴾ قال : يا رسول الله ، أفهم أول الناس يدخلون الجنة ؟ قال: ﴿ لا ﴾ .

قال : فمن أول الناس يدخل الجنة ؟ قال : ﴿ الفقراء يسبقون الناس إلى الجنة ، فيخرج إليهم منها ملائكة يقولون : ارجعوا إلى الحساب ، فيقولون : على ما نحاسب ، والله ما أفيض علينا من الأموال في الدنيا شيء فنقبض فيها ونبسط ، وما كنا أمراء نعدل ونجور ، ولكنا جاءنا أمر الله فعبدناه حتى أتانا اليقين ، فيقال : ادخلوا الجنة فنعم أجر العاملين ﴾[1].

وروي عن النبي "ﷺ وآله" أنه قال : ﴿ اتقوا الله في الفقراء ، فإنه يقول يوم القيامة : أين صفوتي من خلقي ؟ فتقول الملائكة : من يا ربنا ؟ فيقول : الفقراء الصابرون الراضون بقدري ، أدخلوهم الجنة ، قال : فيدخلون الجنة يأكلون ويشربون ، والأغنياء في الحساب يترددون ﴾ .

---

(١) زوائد الزهد لابن المبارك ، حلية الأولياء لأبي نعيم .

وللترمذي عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال : قال رسول الله " ﷺ وآله " : ﴿ فقراء المهاجرين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بخمسمائة عام ﴾[١]. خرجه من حديث الأعمش سليمان عن عطية العوفي ، عن أبي سعيد ، وقال فيه : حديث حسن غريب من هذا الوجه .

وعن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله " ﷺ وآله " : ﴿ يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام ، نصف يوم ﴾ قال : هذا حديث حسن صحيح ، وفي طريق أخرى : ﴿يدخل فقراء المسلمين قبل الأغنياء بنصف يوم وهو خمسمائة عام﴾[٢]. قال : حديث حسن صحيح.

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن رسول الله "ﷺ وآله" قال : ﴿ يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل الأغنياء بأربعين خريفا ﴾[٣]. قال : هذا حديث حسن صحيح وخرجه من حديث أنس أيضًا ، وقال فيه : حديث غريب .

وعن جابر بن عبد الله عن النبى " ﷺ وآله " أنه قال : ﴿ يدخل فقراء أمتي الجنة قبل الأغنياء بأربعين خريفًا ﴾[٤].

وعن عبد الله بن عمرو قال : سمعت رسول الله " ﷺ وآله " يقول : ﴿ فقراء المهاجرين يسبقون الأغنياء بأربعين خريفًا ﴾[٥].

وعن أبي هريرة قال : سمعت رسول الله " ﷺ وآله " يقول : ﴿ إن فقراء المؤمنين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بنصف يوم ، وذلك خمسمائة عام ...﴾[٦].

---

(١) سنن الترمذي .
(٢) سنن الترمذي ، ومسند الإمام أحمد.
(٣) سنن الترمذي ، والترغيب والترهيب للمنذري .
(٤) الترمذي في الزهد.
(٥) مسلم في الزهد .
(٦) أحمد في المسند.

والذي في الصحيح أن سبقهم لهم بأربعين خريفا ؛ فإما أن يكون هو المحفوظ ، وإما أن يكون كلاهما محفوظًا ، وتختلف مدة السبق بحسب أحوال الفقراء والأغنياء ، فمنهم من يسبق بخمسمائة كما يتأخر مكث العصاة من الموحدين في النار بحسب أحوالهم ، والله أعلم .

وهنا أمر يجب التنبيه عليه ؛ وهو أنه لا يلزم من سبْقهم لهم في الدخول ارتفاع منازلهم عليهم ، بل قد يكون المتأخر أعلى منزلة وإن سبقه غيره في الدخول ، والدليل على هذا أن من الأمة من يدخل الجنة بغير حساب وهم السبعون ألفًا ، وقد يكون بعض من يحاسب أفضل من أكثرهم ، والغني إن حوسب على غناه فوجد قد شكر الله تعالى وتقرب إليه بأنواع البر والخير والصدقة والمعروف كان أعلى درجة من الفقير الذى سبقه في الدخول ولم يكن له تلك الأعمال ، ولاسيما إذا شاركه الغني في أعماله وزاد عليه فيها ، والله لا يضيع أجر من أحسن عملاً .

فالمزية مزيتان : مزية سبق ؛ ومزية رفعة ، وقد يجتمعان وينفردان ، فيحصل لواحد السبق والرفعة ، ويعدمهما الآخر ، ويحصل لآخر السبق دون الرفعة ، ولآخر الرفعة دون السبق ، وهذا بحسب المقتضى للأمرين أو لأحدهما وعدمه ، وبالله التوفيق .

الفقير في الحقيقة :

والفقير في الحقيقة هو العبد وإن كان له مال ، وإنما يكون غنيًا إذا عول على مولاه ولم ينظر إلى أحد سواه ، فإن تعلق باله بشيء من الدنيا ورأى نفسه أنه فقير إليه فهو عبده ، قال سيدنا رسول الله "ﷺ وآله" : ﴿ تعس عبد الدينار ﴾[1] ... الحديث ، خرجه البخاري وغيره، وإنما شرف العبد افتقاره إلى مولاه ؛ وعزه خضوعه له ، ولقد أحسن من قال :

وإذا تذللت الرقاب تواضعا منا إليك فعزها في ذلها

ويقول الإمام المجدد أبو العزائم عليه السلام :

(١) صحيح البخاري ، سنن ابن ماجه .

فـــذلٌّ للعلـــــيِّ بــــه فخـــاري   وفقـــــرٌ للغـــــنيِّ بـــــه نـــــوالي
بأضـــــداد الصـــــفات أنـــــالُ قـــــربي   وأحظـــــى مـــــن إلهـــــي بالوصـــــال

وقد احتج ببعض هذه الأحاديث الشريفة من فضّل الفقير على الغني ، وقــد اختلــف الناس في هذا المعنى وطال فيه الكلام بينهم حتى صنفوا كتبًا وأبوابًا واحتج كل فريق لمذهبــه في ذلك ، والأمر قريب .

سئل أبو علي الدقاق : أي الوصفين أفضل ؛ الغنى أو الفقر ؟ فقال : الغنى لأنه وصف الحق ؛ والفقر وصف الخلق ، قال الله تعالى : ﴿ أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاء إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُــوَ الْغَنِى الْحَمِيدُ ﴾[1].

ويقول الإمام أبو العزائم : الفقير الصابر أفضل من الغني الشاكر ؛ لأن الفقــر صــفة العبيد ، وصفة الغنى لله ، فالفقير متجمل بصفتين : صفة عبودية ؛ وصفة ربوبية وهي صــفة الصبر، لأن الصبور هو الله ، والغني الشاكر متصف بصفتين من صفات الربوبية ، فيكــون الفقير أكمل منه ؛ لأنه جمع بين صفة الرب والعبد .

قال سيدنا ومولانا رسول الله " ﷺ وآله " : ﴿ ليس الغنى عن كثرة العرض ، إنما الغنى غنى النفس ﴾[2].

---

(١) فاطر : ١٥ .
(٢) صحيح البخاري ، وصحيح مسلم فى كتاب الزكاة .

الباب التاسع

صفة الجنة وأسماؤها
وأول من يدخلها

الفصل الأول

صفة الجنة

معنى الجنة :

الجنة لغة : الحديقة ذات النخل والشجر .

وفي الشرع : دار النعيم في الآخرة . والجمع : جنان .

يقول الفخر الرازي في التفسير الكبير المجلد الأول : ، الجنة : البستان من النخل والشجر المتكاثف المظلل بالتفاف أغصانه ، والتركيب دائر على معنى الستر، وكأنها لتكاثفها وتظليلها سميت بالجنة التي هي المرَّة من مصدر جَنَّهُ إذا ستره ، كأنها سترة واحدة لفرط التفافها ، وسميت دار الثواب جنة لما فيها من الجنان : اهـ .

ويقول القرطبي في تفسيره (الجامع لأحكام القرآن) المجلد الأول : الجنات : البساتين ، وإنما سميت جنات لأنها تَجِنُّ من فيها أي : تستره بشجرها ، ومنه المِجَن والجَنِينُ والجنَّة .اهـ

ويقول الإمام أبو العزائم في تفسيره (أسرار القرآن) جـ١: والجنة هي بستان التفت أشجارها حتى سترت من بداخلها عن خارجها ، وكملت كمالاً ابتهج به الرائي وتمتع به المحتاج .اهـ.

والمطالع لهذه المعاني يرى أنها تنقل للرائي أو القارئ أو السامع معنى كلمة الجنة على قدر الفهم والمدارك العقلية المحسوسة كما ذكر الإمام الفخر الرازى والإمام القرطبي .

ولكن لما كانت الجنة هي العطية التي بشر بها الحق سبحانه المؤمنين على لسان سيدنا ومولانا رسول الله " ﷺ وآله " فلابد وأن فيها من المعاني ما يسمو إلى أعلى من ذلك بما يتناسب مع المعطي الذي أعد العطية وأمر حبيبه " ﷺ وآله " أن يبشر بها أهل الإيمان .

وذلك نراه جليا في المعنى الذي ذكره الإمام أبو العزائم في تفسيره حيث قال: وكملت كمالاً ابتهج به الرائي وتمتع به المحتاج . وبذلك أشار إلى أن ما يتبادر إلى الأذهان من معنى الجنة هو قليل بالنسبة لها أصلاً ، فالمعاني العقلية تتاح بقدر عقول أصحابها ومعقولاتهم ، والعقل محدود بالتصورات والمباني اللفظية للكلمات ؛ أو الحسية للماديات .

والجنة وإن كانت لفظًا له مبانيه الحرفية ؛ ولكنها خلق آخر يتناسب مع ما وعد الله وبشر به ، فقد كملت كمالاً لا يشوبه نقصان ، إذ كل كمال في الدنيا يتصوره العقل أو يحدده لا يلبث بعد ذلك إلى ويرى العقل فيه نقصانًا يحتاج إلى من يكلمه .

أما الجنة فهي في كمالاتها ليس فيها نقصان ، لأنها جنة ليست من إبداع الإنسان وخلقه، إنما هي من صنع الله الذى أحسن كل شيء ، فهي جنة الكمال الدائم اللانهائي ، ولذا تدوم بهجة الرائي لها ويسر سرورًا لا ينقطع، قال تعالى : ﴿وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾[1] إمدادًا من ربهم وإسعادًا لهم ، فجنة الدنيا وبساتينها وما يتصوره العقل لجنة الآخرة قليل، بل أقل من القليل بجانب جنة الآخرة ، وشتان بين من في كل يوم يعتريه النقصان ، ومن في كل يوم يزداد كمالاً وجمالاً، فسبحان من جعل الجنة كمال بهجة للرائي، وكمال متعة للمحتاج ، اللهم إنا نسألك الجنة .

زينة الدنيا إلى زوال وجنة الآخرة إلى زيادة :

أي بستان جميل في الدنيا ، أو ما يمكن أن نطلق عليه اسم جنة يتغير ؛ ولكنه تغير إلى نقصان ، وهذا ما تؤكده الحقائق أمامنا ، فكل شجرة في البستان لها عمر وتنتهي ، فعندما تصل إلى قمة الجمال كما نعرفه بحساباتنا ؛ يبدأ هذا الجمال في التناقص مع تقدم العمر في كل من الثمر إن كانت أشجار مثمرة ، والزهور إن كانت أشجارًا للزينة ، وفي النهاية تقطع وقد تستخدم أخشابها في شيء آخر ، وقد تحرق للتخلص منها ، هذه هي النهاية المحتومة لجنة الدنيا وأشجارها .

---

(١) الإنسان : ١١ .

أما جنة الآخرة فهي كما قال تعالى ﴿ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وِظِلُّهَا ﴾[1].

وهذه من عجائب القدرة الإلهية ، وفيها الزيادة الدائمة والمدد الفياض الذي لا تنقصه الأبعاض ، ولا يعطى بالأعواض ، قال تعالى : ﴿ وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴾[2].

نعيم الجنة يفوق الوصف :

نعيم الجنة يفوق الوصف ، ويقصر دون الخيال ، ليس لنعيمها نظير فيما يعلمه أهل الدنيا ، ومهما ترقى الناس في دنياهم فسيبقى ما يبلغونه أمرًا هينًا بالنسبة لنعيم الآخرة ، فالجنة كما ورد في بعض الآثار لا مثل لها ﴿ هي نور يتلألأ ، وريحانة تهتز ، وقصر مشيد ، ونهر مطرد ، وفاكهة نضيجة ، وزوجة حسناء جميلة ، وحلل كثيرة ، في مقام أبدًا ، في حبرة ونضرة ، في دور عالية سليمة بهية ﴾[3].

وقد سأل الصحابة رضي الله عنهم سيدنا ومولانا رسول الله " ﷺ وآله " عن بناء الجنة، فأسمعنا الرسول " ﷺ وآله " في الإجابة وصفًا عجبًا .

يقول صلي الله عليه وآله وسلم في صفة بنائها : ﴿ لبنة من ذهب ، ولبنة من فضة ، وملاطها المسك الأذفر[4]، وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت ، وتربتها الزعفران ، من يدخلها ينعم ولا يبأس ، ويخلد ولا يموت ، ولا يبلى ثيابهم ، ولا يفنى شبابهم ﴾[5]. وصدق الله حيث يقول : ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴾[6].

وما أخفاه الله عنا من نعيم الجنة شيء عظيم لا تدركه العقول ، ولا تصل إلى كنهه الأفكار : ﴿ فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِي لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاء بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾[7].

---

(١) الرعد : ٣٥ .
(٢) ق : ٣٥ .
(٣) نص حديث أورده ابن ماجه في كتاب الزهد ، باب صفة الجنة.
(٤) الملاط : المادة التي توضع بين اللبنتين .
(٥) رواه أحمد والترمذي و الدرامي
(٦) الإنسان : ٢٠ .
(٧) السجدة : ١٧ .

وقد جاء في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله " ﷺ وآله " : ﴿ قال الله : أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، فاقرءوا إن شئتم : (فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِي لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ) ﴾[1].

ورواه مسلم من عدة طرق عن أبي هريرة رضي الله عنه وجاء في بعض طرقه : ﴿ أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قبل بشر زخرًا ، بَلْه[2]ما أطلعكم الله عليه ، ثم قرأ : (فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِي لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ) ﴾[3].

ورواه مسلم عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال : شهدت من رسول الله "ﷺ وآله" مجلسًا وصف فيه الجنة حتى انتهى ، ثم قال " ﷺ وآله " في آخر حديثه : ﴿ فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ﴾ ثم قرأ هذه الآية : ﴿ (تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِي لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاء بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)[4]﴾[5].

في وصف نعيم الجنة :

يقول الله تعالى : ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِين آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقاً قَالُواْ هَـذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُواْ بِهِ مُتَشَابِهاً وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾[6].

والذين آمنوا – والقلب محل الإيمان – أولئك كتب في قلوبهم الإيمان ، والعمل محله الجوارح ، والإيمان والعمل متلازمان لا ينفك أحدهما عن الآخر ، والنعم من الله تعالى تحملها

---

(١) رواه البخاري .
(٢) بَلْه : بفتح الباء وسكون اللام ، ومعناها : دع ما أطلعكم الله عليه ؛ فالذي لم يطلعكم عليه أعظم ، وكأنه أضرب عنه استقلالاً له في جنب ما لم يطلع عليه ، قاله النووي في شرحه على مسلم .
(٣) رواه مسلم في صحيحه ، كتاب الجنة .
(٤) السجدة : ١٦ ـ ١٧ .
(٥) رواه مسلم .
(٦) البقرة : ٢٥ .

البشرى ، وللمؤمن بشرى عاجلة وبشرى آجلة ، فآجل بشراه جنان المثوبة ورياض النزهة وحدائق الأفضال وفيض جوده ، ويتجدد نعيمها ولا ينفد :

ما زلت أنزل من ودادك منزلاً تتحير الألباب دون نزوله

إنها جنات كثيرة ، طابت حدائقها ، وزكت ثمارها ، فواكهها كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة ، تتخللها الأنهار المختلفة الطعم واللون والرائحة ، يحسب ساكنها أن ما بين يديه من ثمارها ما يشبه الذي سبق له تناوله في الدنيا أو في الجنة من قبل ، وليس كذلك ، إنه متشابه في الصورة ، وكلما نزع من ثمار الجنة شيء عاد مثله مكانه .

وكثير من ثمار الجنة لا نظير له في الدنيا ، وهي أنواع في الجنة لا تحصى ، وليس أوله بأطيب من آخره .

إنك ترزق ثمار الدنيا فإذا كثرت بين يديك استرذلت بعضه ، وربما عفت نفسك عن طعامه ، أما ثمار الجنة فطيب كله يشبه بعضه بعضًا في الطيب والحلاوة والنعمة .

قال يحيي بن كثير : عشب الجنة الزعفران وكثبانها المسك ، ويطوف عليهم الولدان بالفاكهة فيأكلونها ، ثم يأتون بمثلها فيقولون : هذا الذي جئتمونا به آنفًا ، فيقول لهم الخدم : كلوا فإن اللون واحد والطعم مختلف ، فهو قوله تعالى : ﴿ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقاً قَالُواْ هَـذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُواْ بِهِ مُتَشَابِهاً ﴾ .

عن أبي موسى قال " ﷺ وآله " : ﴿ أهبط الله آدم من الجنة وعلمه صنعة كل شيء ، وزوده من ثمار الجنة ، فثماركم هذه من ثمار الجنة غير أنها تغير وتلك لا تتغير ﴾ وعن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال رسول الله " ﷺ وآله " : ﴿ ألا مشمر للجنة فإن الجنة لا حظر لها – يعنى غير ممتنعة – هي ورب الكعبة نور يتلألأ ، وريحانة تهتز ، وقصر مشيد ، ونهر مطرد ، وثمرة نضيجة ، وزوجة حسناء جميلة ، وحلل كثيرة في مقام أبدًا في دار سليمة ، فاكهة وخضرة وحبرة ونعمة ، في محلة عالية بهية ﴾ قالوا : نعم يا رسول الله ، نحن المشمرون ، قال : ﴿ قولوا : إن شاء الله ﴾ قال القوم : إن شاء الله .

وقال " ﷺ وآله " فيما يرويه جابر بن عبد الله : بينما نحن في صلاة الظهر إذ تقدم رسول الله " ﷺ وآله " فتقدمنا ، ثم تناول شيئًا ليأخذه ثم تأخر ، فلما قضى الصلاة قال له أبيّ بن كعب : يا رسول الله صنعت اليوم شيئًا في صلاتك ما كنت تصنعه ؟ قال : ﴿ إنه عرضت عليّ الجنة وما فيها من الزهرة والنضرة فتناولت منها قطفاً من عنب لآتيكم به فحيل بيني وبينه ، ولو أتيتكم به لأكل منه من بين السماء والأرض لا ينقصونه ﴾ .

إنها الجنة ذات الظلال الوارفة ، والأنهار المبردة المنوعة ، والثمار المتشابهة المختلفة ، والأزواج المطهرة المؤتلفة ، إنها نعيم الأرواح وسعادة الأشباح ، إنها الخلود والغنى والمحبة والمنى ، وعرائس السنا والهنا ، لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى الدنيوية .

أما الجنة فقد طاب مقيمها وعز ساكنها ، تتوالى عليه النعم ، وتنهمر صنوف الكرم ، خلت الزوجات فيها من أعراض النساء في الدنيا ، فلا طمث ولا نفاس ، لكن طيب الفم وزكى الأنفاس ، وخلد لا يبلى وملك لا يفنى .

وإنما يوجبها لك التوحيد بلا شبهة ، والتتريه بلا تمثيل أو تعطيل ، وإقرار بالله القادر والنبوات والرسل ، والقول الصالح والعمل ، وعبادة الله على الوجه الأكمل كما أمر ، وتعبيد النفس بالطاعة وكفها عن المعصية ، والتسليم لما أنزل ونبيه فصل ، اللهم اهدنا إليها واجعلنا من أهلها .

قال مجاهد : الجنة من فضة وترابها من مسك ، وقيل : زعفران ، وأصول شجرها من ذهب وفضة ، وأغصانها من لؤلؤ وزبرجد وياقوت ، والتمر تحت الأغصان ، من أكل قائما لم يؤذه ، وكذلك القاعد والمضجع ، ثم قرأ : ﴿ وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلاً ﴾[1] ومثله : ﴿ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴾[2].

وروى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله " ﷺ وآله ": ﴿ يقول الله عز وجل : أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب

---

(١) الإنسان : ١٤ .
(٢) الرحمن : ٥٤ .

بشر ذخرًا بَلْه ما أطلعتكم عليه ﴾ ثم قرأ رسول الله " ﷺ وآله " ﴿ فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِي لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾[1] ، بَلْه : بمعنى : غير، وقيل : اسم من أسماء الأفعال بمعنى: دع.

وروى مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله " ﷺ وآله " لابن صياد : ﴿ما تربة الجنة ؟﴾ قال: درمكة بيضاء مسك يا أبا القاسم ، قال : ﴿ صدقت ﴾ وعنه أن ابن صياد سأل رسول الله " ﷺ وآله " عن تربة الجنة فقال : ﴿درمكة بيضاء مسك خالص﴾.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : حائط الجنة لبنة من فضة ولبنة من ذهب ، ودرجها اللؤلؤ والياقوت ، قال : وكنا نحدث أن رضاضتها اللؤلؤ ، وترابها الزعفران [2].

جِنانٌ في الجنة :

الجنة اسم شامل لجميع ما حوته البساتين والمساكن والقصور وهي جنات كثيرة .

عن أنس بن مالك أن أم الربيع ابنة البراء – وهي أم حارثة بن سراقة – أتت رسول الله " ﷺ وآله " فقالت : يا نبي الله ألا تحدثني عن حارثة ؟ – وكان قتل يوم بدر أصابه سهم غرب – فإن كان في الجنة صبرت ، وإن كان غير ذلك اجتهدت عليه في البكاء ، قال: ﴿يا أم حارثة إنها جنان في الجنة ، وإن ابنك أصاب الفردوس الأعلى﴾[3].

وروى الإمامان البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي موسى الأشعرى رضي الله عنه عن رسول الله " ﷺ وآله " أنه قال : ﴿ جنتان من ذهب آنيتهما وحليتهما وما فيهما ، وجنتان من فضة آنيتهما وحليتهما وما فيهما ، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه فى جنة عدن ﴾ .

(١) السجدة : ١٧ .
(٢) الرَّضُّ : الدَّقُّ و الجَرْشُ ، وهو رضيض ومرضوض .
(٣) رواه البخاري . وسهم غَرْبٌ - نَعْتاً - أي : لا يُدْرَى راميه .

وقال تعالى : ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ﴾[1].

روي عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: ﴿الجنتان بستانان في عرض الجنة ، كل بستان مسيرة مائة عام ، في وسط كل بستان دار من نور ، وليس منها شئ إلا يهتز نغمة وخضرة ، قرارها ثابت ، وشجرها ثابت﴾ ذكره المهدوي والثعلبي أيضا من حديث أبي هريرة.

وقيل : إن الجنتين : جنته التي خلقت له ، وجنة ورثها .

وقيل : إحدى الجنتين منزله ، والأخرى منزل أزواجه كما يفعله رؤساء الدنيا .

وقيل : إن إحدى الجنتين مسكنه ، والأخرى بستانه .

وقيل : إن إحدى الجنتين أسافل القصور ، والأخرى أعاليها .

وقال مقاتل : هما جنة عدن ، وجنة النعيم[2].

وقد أكرم الله تعالى بهما المؤمن ليكتمل فرحه ويتكامل سروره بالتنقل من جنة إلى جنة.

وقيل : جنة لخوفه ، وجنة لتركه شهوته .

أو : جنة لعقيدته ، وجنة لعمله .

أو : جنة لفعل الطاعة ، وجنة لترك المعصية .

أو : جنة يثاب بها ، وجنة يتفضل عليه بها .

أو : جنة للإنس وجنة للجن لأن الخطاب موجه للثقلين ، فكأنه قال : لكل خائف منكما جنتان .

---

(١) الرحمن : ٤٦ .
(٢) تفسير القرطبي .

ثم تناول وصفهما فقال تعالى : ﴿ ذَوَاتَا أَفْنَانٍ ﴾ جمع فنن وهو الغصن ، أو جمع فـن وهو الصنف ، فعلى الأول : ذواتا أغصان ، وخص الأغصان بالذكر لأنها التي تورق ، ومنها تجنى الثمار وتعقد الظلال .

وعلى الثاني : بمعنى النوع ، أي ذواتا أنواع من الأشجار والثمار ، مما تشتهي الأنفـس وتلذ الأعين .

﴿ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴾ حيث شاءوا إلى أعلى وإلى أسفل ، وقيل : بالماء والخمر .

وقيل فيما أورده القرطبي : أي : في كل واحدة منهما عين جارية ، قال ابـن عبـاس رضي الله عنهما : تجريان ماءً بالزيادة والكرامة من الله تعالى على أهل الجنة .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أيضا والحسن عليه السلام : تجريان بالمـاء الـزلال ، إحدى العينين التسنيم ، والأخرى السلسبيل .

وعنه أيضا : عينان مثل الدنيا أضعافاً مضاعفة ، حصباؤهما الياقوت الأحمر ، والزَّبَرْجَد الأخضر ، وترابهما الكافور ، وحمأتهما المسك الأذفر ، وحافتاهما الزعفران .

وقال عطية : إحداهما من ماء غير آسن ، والأخرى من خمر لذة للشاربين .

وقيل : تجريان من جبل مسك .

وقال أبو بكر الورّاق : فيهما عينان تجريان لمن كانت عيناه في الدنيا تجريان من مخافة الله عز وجل .

﴿ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴾ ﴿ مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْـتَبْرَقٍ وَجَنَـى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴾ فرش بطائنها من ديباج ثخين ، فإذا كان هذا هو حشو الفرش وباطنها فمـا ظنك بظاهرها ؟ قيل : ظاهرها سندس ، وقيل : من نـور ، وقيـل : لا يعلمهـا إلا الله ، والبطائن جمع بطانة ، وهو ما يلي الأرض ، والاستبرق معرب .

﴿ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دانٍ ﴾ أي : ما يجنى من أشجارها و الثمار قريب يناله القائم والقاعد والمضطجع ، قال ابن عباس رضي الله عنهما : تدنو الشجرة حتى يجنيها وليّ الله إن شاء قائمًا وإن شاء قاعدًا وإن شاء مضطجعا .

قال الإمام القشيري ﷺ : وفي الخبر المسند : من قال سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر ، غرس له بها ألف شجرة فى الجنة ، أصلها الذهب ، وفرعها الدر ، وطلعها كثدى الأبكار ، ألين من الزبد ، وأحلى من العسل ، كلما أخذ منها شيء عاد كما كان (أخرجه المتقى الهندي في كنز العمال) .

وذلك قوله تعالى : ﴿ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴾ إذا أرادوه أتي إلى أفواههم ، حتي يتناولون من غير مشقة ، ويقال : ينالها القائم والقاعد والمضطجع .

﴿ فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلا جَانٌّ ﴾ في قصور الجنة ومجالسها وفي آلائها المعدودة من الجنتين والعينين والفاكهة والغرس والجنى قاصرات الطرف ، جوار قصرن أبصارهن على أزواجهن فلا ينظرن إلى غيرهم ، لم يمسهن ، أي : الإنسيات ؛ أحد من الإنس ، ولا الجنيات ؛ أحد من الجن ، ﴿ كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ ﴾ في صفائهن وبياضهن ، أو في الصفاء وحمرة الوجه ، قيل : إن الجواري تلبس سبعين حلة ، فيرى مخ ساقها من ورائها ، كما يرى الشراب الأحمر في الزجاجة "رواه الترمذي في صفة الجنة".

﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾[1] إذا كانت الجنتان الأوليان للمقربين ؛ فإن من دونهما جنتان أخريان لمن دونهم من أصحاب اليمين يؤيد هذا المعنى حديث أبي موسى ، قال في هذه الآية ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾ قال : جنتان من ذهب للسابقين وجنتان من وَرِق[2] لأصحاب اليمين ، ورفعه ، ولا شك أن الذهب أرفع من الوَرِق،فلا يلتفت إلى الفضة من له الذهب .

---

(١) الرحمن : ٦٢ .
(٢) الوَرق : الفضة .

﴿ مدهامتان ﴾خضروان تميلان إلى السواد من شدة الخضرة ، فالغالب عليهما النبات والرياحين المنبسطة على وجه الأرض ، وعلى الأولين الأشجار والفواكه ومن اشتهى شيئًا أعطاه .﴿ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴾ فوارتان بالماء والنضخ أكثر من النضح وهو الرش . ﴿فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴾ فإن ثمر النخل فاكهة وغذاء ، والرومان فاكهة ودواء.﴿فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ﴾ فاضلات الخُلُق ، حسان الخَلْق .

﴿ حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ﴾ قصرن في خدورهن على أزواجهن ساكنات في الخيام ، قال القشيري : قصرن أنفسهن وقلوبهن وأبصارهن على أزواجهن ، يقلن : نحن الناعمات فلا نبأس ، الخالدات فلا نبيد ، الراضيات فلا نسخط (أخرجه الترمذي في صفة الجنة) .

وفي خبر أخرجه القرطبي في تفسيره : أن السيدة عائشة رضي الله عنها قالت : إن المؤمنات أجَبْنهن : نحن المصليات وما صليتن ، نحن الصائمات وما صمتن ، نحن المتصدقات وما تصدقتن ، قالت عائشة : فغلبنهن .

﴿ مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍ حِسَانٍ ﴾ الرفرف هو كل ثوب عريض، وقيل: هو الوسائد ، والأظهر من الحديث أنه سرير مفروش بثياب خضر ، يركب فيه أهل الجنة ، ويسير بهم حيث شاءوا ، وكلمة خضر ، وصف للرفرف .

فضلت الجنتان الأوليان الجنتين الأخريين لعدة أمور هى :

١- قوله تعالى : ﴿ ذواتا أفنان ﴾ جمع فن أي نوع وصنف ، وجمع فنن أي غصن ، ولم يذكر ذلك في الأخريين .

٢- قوله تعالى : ﴿ ومن دونهما جنتان ﴾ .

٣- قوله تعالى :﴿فيهما من كل فاكهة زوجان﴾وهذا أكمل من الثانية﴿فيهما فاكهة ونخل ورمان﴾ .

٤- قوله تعالى : ﴿ متكئين على فرش بطائنها من إستبرق ﴾ مع قوله في الأخريين :

﴿متكئين على رفرف خضر وعبقري حسان﴾.

٥- قوله تعالى : ﴿ وجنى الجنتين دان ﴾ ولم يذكر ذلك في الأخريين .

٦- قوله تعالى : ﴿ فيهن قاصرات الطرف ﴾ على أزواجهن فلا يرون غيرهم لرضاهن بهم ومحبتهن لهم ، أما في الأخريين : ﴿ حور مقصورات في الخيام ﴾ ومن قصرت طرفها على زوجها باختيارها أكمل وأفضل ممن قصرت بغيرها .

٧- قال تعالى : ﴿ كأنهن الياقوت والمرجان ﴾ ولم يذكر هذا الوصف للأخريين .

٨- قوله تعالى عقب الأولين : ﴿ هل جزاء الإحسان إلا الإحسان ﴾ فدل ذلك على علو مقام أهل الجنتين الأولين فهم أهل الإحسان المطلق الكامل ؛ فكان جزاؤهم الإحسان الكامل ، ولم يذكر ذلك في الآخريين .

٩- الجنتان الأوليان لأهل الخوف الأكبر من الله المقربين السابقين لذكرهما بقوله تعالى : ﴿ ولمن خاف مقام ربه جنتان ﴾ أما الآخريان فقال الله تعالى : ﴿ ومن دونهما جنتان ﴾ أي : لأصحاب الدرجة الثانية في الخوف وهم أصحاب اليمين .

فلما كان الخائفون مرتبتين ؛ كانت الجنان أربعاً ؛ اثنين لكل أهل مرتبة ، فالكل شريك في الجنة الأم العظمى ، وله بداخلها جنة تناسب مقامه ومرتبته ، قال تعالى : ﴿ إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً ﴾[1].

في ملك أهل الجنة :

قال الله تعالى : ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴾[2]. قال ابن نجيح عن مجاهد ﴿ وَملكاً كبيرًا ﴾ قال : عظيمًا ، وقال : استئذان الملائكة عليهم ؛ لا تدخل الملائكة عليهم إلا بإذن .

---

(١) الكهف : ٣٠.
(٢) الإنسان : ٢٠.

وقال كعب في قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴾ يرسل إليهم رهم الملائكة ، فتأتي الملائكة فتستأذن عليهم ، وقال بعضهم : الخدم ، ولا تدخل الملائكة عليهم إلا بإذن .

وعن أبي سعيد قال : قال رسول الله " ﷺ وآله " : ﴿ إن أدنى أهل الجنة منزلة الذى له ثمانون ألف خادم واثنتان وسبعون زوجة ، وتنصب له قبة من لؤلؤ وياقوت وزبرجد ؛ كما بين الجابية وصنعاء ﴾ .

ومن حديث المغيرة بن شعبة عن النبي " ﷺ وآله " قال : ﴿ سأل موسى ربه : ما أدنى أهل الجنة منزلة ؟ قال : هو رجل يجيء بعد ما أدخل أهل الجنة الجنة ؛ فيقال له : ادخل الجنة، فيقول : أي رب ؛ كيف وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا أخذاهم ؟ فيقال له : أترضى أن يكون لك مثل مَلِك من ملوك الدنيا ؟ فيقول: رضيت ربى ، فيقول له : لك ذلك ومثله ومثله ومثله ومثله ، فقال في الخامسة : رضيت ربى ، فيقول : هذا لك وعشرة أمثاله ، ولك ما اشتهت نفسك ولذت عينك ، فيقول : رضيت ربى ...﴾(1).

وروى البزار في مسنده عن أبي سعيد قال : خلق الله الجنة لبنة من فضة ؛ ولبنة من ذهب ، وغرسها بيده ، وقال لها : تلكمي ، فقالت : قد أفلح المؤمن ، فدخلتها الملائكة فقالت : طوبى لك منزل الملوك .

قال ابن أبي الدنيا عن الضحاك بن مزاحم قال : بينا وليّ الله في منزله إذ أتاه رسول من الله عز وجل فقال للآذن : استأذن لرسول الله على وليّ الله ، فيدخل الآذن فيقول له : يا وليّ الله ، هذا رسول من الله يستأذن عليك ، قال : ائذن له ، فيأذن له فيدخل على وليّ الله، فيضع ما بين يديه تحفة فيقول : ياوليّ الله إن ربك يقرأ عليك السلام ، ويأمرك أن تأكل من هذه ، قال : فيشبهه بطعام أكله أيضًا ، فيقول : إنما أكلت هذا الآن ، فيقول : إن ربك يأمرك أن تأكل منها ، فيأكل منها فيجد منها طعم كل ثمرة في الجنة ، قال : فذلك قوله تعالى: ﴿ وَأوتوا به متشابها ﴾ .

(1) مسلم.

وفي الجنة ملك يخفى على كل عقل وبصر لقوله تعالى : ﴿فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِي لَهُم﴾ بعد قوله تعالى : ﴿ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾[1]فقابل الخفاء من العبيد في قيام الليل بالخفاء من المثوبة والعطاء ، وقابل خوفهم بقرَّة العين .

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله " ﷺ وآله " : ﴿ قال الله عز وجل : أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، مصداق ذلك في كتاب الله (فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِي لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاء بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)﴾ .

وفي حديث آخر عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله " ﷺ وآله " : ﴿ لقاب قوس أحدكم في الجنة خير مما طلعت عليه الشمس أو تغرب ﴾ .

وقال الإمام أحمد : عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله " ﷺ وآله " : ﴿ لقيد سوط أحدكم من الجنة خير مما بين السماء والأرض ﴾ .

وقال الترمذي : عن داود بن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه عن جده عن النبي " ﷺ وآله " قال : ﴿ لو أن أقل ظفر مما في الجنة بدا لتزخرفت له ما بين خوافق السموات والأرض ، ولو أن رجلاً من أهل الجنة اطلع فبدا أسوره لطمس ضوء الشمس كما تطمس الشمس ضوء الكوكب ﴾ .

---

(١) السجدة : ١٦ .

الفصل الثانى

أسماء الجنة ومعانيها

١ - الجنة :

وهو الاسم العام المتناول لتلك الدار وما اشتملت عليه من أنـواع النعـيم واللـذة والبهجة والسرور وقرة العين ، وأصل اشتقاق هذه اللفظة من الستر والتغطية ، ومنه الجنين لاستتاره في البطن ، والجان لاستتاره عن العيون ... الخ .

ومنه سمى البستان جنة لأنه يستر داخله بالأشجار ويغطيه ، ولا يستحق هذا الاسم إلا موضع كثير الأشجار المتنوعة في الحجم والثمار .

والجُنة : – بضم الجيم – كل ما وقى .

والجِنة : – بكسر الجيم – الجن .

٢ - دار السلام :

وقد سماها الله بهذا الاسم في قوله : ﴿ لَهُمْ دَارُ السَّلاَمِ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾[١]وقوله تعـالى : ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلاَمِ﴾[٢]. فهي دار السلام من كل بلية وآفة ومكروه ، وهـي دار الله تعالى واسمه سبحانه السلام الذي سلمها وسلم أهلها : ﴿ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَـا سَـلاَمٌ ﴾[٣]. وقال تعالى : ﴿ وَالمَلاَئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ سَلاَمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ﴾[٤].

---

(١) الأنعام : ١٢٧.
(٢) يونس : ٢٥.
(٣) يونس : ١٠.
(٤) الرعد : ٢٣ – ٢٤.

وربنا سبحانه يسلم عليهم كما ورد في قوله: ﴿ لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ سَلامٌ قَوْلاً مِن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴾[1]. وكلامهم كلهم فيها سلام ؛ أي : لا لغو فيها ولا فحش ولا باطل ؛ كما قال الله تعالى : ﴿ لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلاَّ سَلامًا ﴾[2].

سماها الحق سبحانه دار السلام ، فهو يتجلى على عباده فيها بجمال اسمه السلام ظاهرًا وباطنًا ، لسلامة ظواهرهم وبواطنهم في الدنيا ، وسلامة صدورهم وانشراحها بالإسلام في الدنيا .

أهل دار السلام في الآخرة هم أهل التذكر في الدنيا ، الذين أمضوا حياتهم في التذكر الدائم لنعيم الله وأنعمه عند شهودهم لآياته وآلائه ، قال تعالى: ﴿ قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ لَهُمْ دَارُ السَّلاَمِ عِندَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾[3].

وصف الله الجنة هنا بدار السلام لسلامة المؤمنين فيما سلكوه من الصراط المستقيم ، واقتفائهم آثار الأنبياء وسيرهم على طريقهم ، ولسلامتهم من آفات الاعوجاج أفضوا إلى دار السلام، أي : الجنة في الآخرة والسلام : اسم من أسماء الله تعالى : ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلاَمُ ﴾[4].

والسلام هو تحية الله لحبيبه " ﷺ وآله " : ﴿السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته﴾ والسلام هو تحية رسول السلام " ﷺ وآله " : ﴿ السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ﴾ .

والسلام هو تحية الملائكة للمؤمنين : ﴿سَلاَمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾[5].

والسلام هو تحية الله للمؤمنين يوم القيامة : ﴿ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلاَمٌ ﴾[6].

---

(١) يس : ٥٧ – ٥٨.
(٢) مريم : ٦٢.
(٣) الأنعام : ١٢٦ – ١٢٧ .
(٤) الحشر : ٢٣ .
(٥) الرعد : ٢٣ .
(٦) الأحزاب : ٤٤ .

٣- دار الخلد :

وسميت بذلك لأن أهلها لا يظعنون عنها أبدا كما قال تعالى : ﴿عَطَاء غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾[١] أي : غير مقطوع عنهم ، وقال تعالى : ﴿ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وِظِلُّهَا ﴾[٢]وقال جل شأنه : ﴿ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴾[٣] .

وسميت دار الخلد لدوام البقاء فيها بلا انقطاع ، ولأن أهلها خالدون فيها ، قال تعالى : ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا ﴾[٤].

٤- دار المقامة :

قال الله تعالى حكاية عن أهلها : ﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ لا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ ﴾[٥].

قال مقاتل : أنزلنا دار الخلود ، أقاموا فيها أبدا لا يموتون ولا يتحولون منها أبدا .

وقال الفراء والزجاج : المقامة : مثل الإقامة ، يقال : قمت بالمكان إقامة ومقامة .

قال الضحاك : إذا دخل أهل الجنة ؛ استقبلهم الولدان والخدم كأنهم اللؤلؤ المكنون ، فيبعث الله ملكا من الملائكة معه هدية من رب العالمين ، وكسوة من كسوة الجنة ، فيلبسه ، فيريد أن يدخل الجنة فيقول الملك : كما أنت .

فيقف ، ومعه عشرة خواتم فيضعها في أصابعه ، مكتوب : ﴿طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾، وفي الثانية : ﴿ ادْخُلُوهَا بِسَلامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ ﴾ ، وفي الثالثة : رفعت عنكم الأحزان والهموم ، وفي الرابعة : ﴿ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴾ ، وفي الخامسة : ﴿ ادْخُلُوهَا

---

(١) هود : ١٠٨ .
(٢) الرعد : ٣٥ .
(٣) الحجر: ٤٨ .
(٤) هود : ١٠٨ .
(٥) فاطر : ٣٤- ٣٥ .

بِسَلَامٍ آمِنِينَ ﴾، وفي السادسة: ﴿ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا ﴾ ، وفي السابعة : ﴿ أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾ ، وفي الثامنة : صرتم آمنين لا تخافون أبدا ، وفي التاسعة : رفقتم النبيين والصديقين والشهداء ، وفي العاشرة : سكنتم في جوار من لا يؤذى الجيران .

فلما دخلوا الجنة قالوا : ﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الذي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ الذي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ لا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴾(١).

الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن ، إذ لا حزن مع المشاهدة والعيان ، ولا أغيار مع الأنوار ، ولا أكدار مع الأسرار ، وما تجده القلوب من الأحزان فمِنْ فقدها للشهود والعيان، وما تجده من الأكدار فهو من وجود الأغيار ، يقول ابن أدهم رضي الله عنه : نحن في نعيم لو عرفه ملوك الدنيا لجالدونا عليه بالسيوف .

ويقول ابن الفارض رضي الله عنه :

وإن خطرت يوما على خاطر امرئ أقامت بها الأفراح وارتحل الهم

إن ربنا لغفور بتغطيته لعيوبنا وستره لذنوبنا ، شكور بكشف غيوبه لنا ، أحلنا دار المقامة والتمكين والمشاهدة واليقين في حضرة الإنعام بفضله ، بلا حول منا ولا قوة .

يقول الإمام القشيري رضي الله عنه: إذا أرادوا أن يروا مولاهم لا يحتاجون إلى قطع مسافة ، بل هم في غرفهم يشاهدون مولاهم ، ويلقون منه تحية وسلاما ، وإذا رأوه لا يحتاجون إلى تحديق مقلة من جهة ، كما هم يرونه بلا كيفية .

٥- جنة المأوى :

قال تعالى : ﴿ عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى ﴾(٢) وقالت السيدة عائشة رضي الله عنها في ذلك : هي جنة من الجنان .

---

(١) فاطر : ٣٤- ٣٥ .
(٢) النجم : ١٥.

وقال عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما : هي الجنة التي يأوي إليها جبريل والملائكة.

وقال مقاتل والكلبي : هي جنة تأوي إليها أرواح الشهداء .

وقال الله تعالى : ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴾[1]، جنة المأوى : أي : الجنة التي يأوي إليها المتقون ويصيرون إليها ، أو هي الجنة التي تأوي إليها أرواح الشهداء والصديقين والأنبياء .

وقال كعب : جنة المأوى فيها طير خضر ترتع فيها أرواح الشهداء .

٦- جنات عدن :

قيل : هي اسم لجنة من الجنات ، وقيل : هو اسم لجملة الجنان كما قال تعالى : ﴿جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ﴾[2] وقال : ﴿ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴾[3] وقال جل شأنه : ﴿وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ﴾[4].

وعدن : من الإقامة والدوام ، يقال : عَدَنَ بالمكان ؛ إذا أقام به ، وعَدَنْتُ البلد : توطنته ، وعَدَنَت الإبل بمكان كذا : لزمته فلم تبرح به .

وهي لصنف من أهل الإيمان له صفات خاصة بينها سبحانه وتعالى ، نذكر منها ما يلي:

١- الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق .

٢- الذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل .

---

(١) النازعات : ٤٠- ٤١ .
(٢) مريم : ٦١.
(٣) فاطر : ٣٣ .
(٤) الصف : ١٢.

٣- الذين يخافون ربهم ويخشونه ويعملون خوفا من سوء الحساب .

٤- الذين صبروا لله وبالله .

٥- الذين يقيمون الصلاة وينفقون في سبيل الله سرا وعلانية .

٦- الذين يدرءون بالحسنة السيئة .

وأهل هذه الأخلاق هم الذين كتب الله لهم حسن الخاتمة وعاقبة الحسنى ، ويجعل الله لهم عقبا في ذرياتهم ويخلفهم في الأعمال الصالحة ، ويورث أهلهم وزوجاتهم الصلاح في الدنيا فيكونون قرة أعين لهم ، قال تعالى : ﴿ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالمَلاَئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ سَلاَمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴾[١].

وقد بين الله سبحانه ما أعده لأهل جنة عدن من نعيم فقال سبحانه : ﴿ أُوْلَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴾[٢].

وجنات عدن هي مقام أهل التزكية الذين زكت نفوسهم بالأعمال الصالحة : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّى ﴾[٣]. ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴾[٤]. يقول تعالى في بيان ما أعده لمن تزكت نفوسهم وأعمالهم : ﴿ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاء مَن تَزَكَّى ﴾[٥] .

---

(١) الرعد:٢٤.
(٢) الكهف : ٣١ .
(٣) الأعلى : ١٤ .
(٤) الشمس : ٩ .
(٥) طه : ٧٦ .

وجنات عدن مساكنها طيبة ، هكذا وصفها الله سبحانه : ﴿ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ﴾[1] .

وهي وعد الله لعباده سبحانه وهو لا يخلف وعده ، ليس فيها لغو لإعراضهم عن اللغو في الدنيا ، ولهم فيها رزقهم يأتيهم بلا كد ولا نصب وبغير انقطاع ، قال سبحانه : ﴿ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلاَّ سَلامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾[2].

٧- دار الحيوان :

قال تعالى : ﴿ وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ ﴾[3] والمراد : الجنة عند أهل التفسير ، قالوا : وإن الآخرة يعني الجنة لهي دار الحياة التي لا موت فيها ، وأهل اللغة يقولون: الحيوان: بمعنى الحياة .وقيل : الحيوان : ما فيه روح ، والموتان والموات : ما لا روح فيه .ويحتمل قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ ﴾ معنيين :

أحدهما : أن الحياة الآخرة هي الحياة لأنها لا تنغيص فيها ولا نفاد لها ، أي : لا يشوبها ما يشوب الحياة في هذه الدار ، فيكون الحيوان مصدرا على هذا .

الثاني : أن يكون المعنى : أنها الدار التي لا تفنى ولا تنقطع ولا تبيد كما يفنى الأحياء في هذه الدنيا ، فهي أحق بهذا الاسم من الحيوان الذي يفنى ويموت .

٨- الفردوس :

قال الله تعالى : ﴿ أُوْلَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾[4] . وقال جل شأنه : ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً﴾[5]

---

(١) التوبة: ٧٢ .
(٢) مريم : ٦١، ٦٢ .
(٣) العنكبوت : ٦٤ .
(٤) المؤمنون : ١٠- ١١ .
(٥) الكهف: ١٠٧ .

والفردوس : اسم يقال على جميع الجنة ، ويقال على أفضلها وأعلاها ، وأصل الفردوس : البستان ، والفراديس : البساتين .

قال كعب : هو البستان الذي فيه الأعناب .

وقال الليث : الفردوس جنة ذات كروم ، يقال : كرم مفردس : أي : معرش .

وقال الضحاك : هي الجنة الملتفة بالأشجار .

وقال الزجاج : حقيقته أنه البستان الذي يجمع كل ما يكون في البساتين .

قال قتادة : الفردوس ربوة الجنة وأوسطها وأعلاها وأفضلها وأرفعها .

وقال أبو أمامة الباهلي : الفردوس سرة الجنة .

وقال كعب : ليس في الجنان جنة أعلى من جنة الفردوس ، فيها الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر .

وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة ﷺ قال رسول الله " ﷺ وآله " : ﴿ من آمن بالله وبرسوله وأقام الصلاة وصام رمضان كان حقا على الله أن يدخله الجنة ، جاهد في سبيل الله أو جلس في أرضه التي ولد فيها ﴾ قالوا : يا رسول الله ، أفلا نبشر الناس ؟ قال : ﴿ إن الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله ، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض ، فإذا سألتم الله تعالى فاسألوه الفردوس فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة – أراه قال – وفوقه عرش الرحمن ، ومنه تفجر أنهار الجنة ﴾ .

وقال مجاهد : الفردوس : البستان ، والفردوس : حديقة في الجنة ؛ قاله الفراء ، والجمع : فراديس . ولعلو هذه المترلة ورفعتها فإن أهل الإيمان لا يطالبون تحويلا عنها إلى غيرها .

قال حسان بن ثابت رضي الله عنه :

وأن ثـــواب الله كـــل مخلـــد   جنـــان مـــن الفـــردوس فيهـــا يخلـــد

وقال ابن عجيبة ﷺ : هو في لغة الروم : البستان الواسع الجامع لأصـناف الثمـر ، والمراد: أعلى الجنان ، واستحقوا ذلك بأعمالهم المتقدمة ، وأنث الفردوس بتأويل الجنـة ، أو لأنه طبقة من طبقاتها وهي العليا .

يقول الإمام أبو العزائم ﷺ مخاطبا المولى سبحانه :

أنْعِمْ علـى رُوحـي بجاذبـة الهـدى   ترقـى بهـا للمشـهد المحمـود
والجسـمَ نَعِّمْـهُ ليسـعد بالصـفا   في جنـة الفـردوس بالتوحيـد
هـل للجنـان تشـوقي وصـبابتي   والوجـه في حـال الصـفا مقصـودي

٩- جنات النعيم :

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ ﴾(١) قيـل : وهذا أيضا اسم جامع لجميع الجنات لما تضمنته من الأنواع التي يتـنعم بهـا مـن المـأكول والمشروب والملبوس والصور والرائحة الطيبة والمنظر البهيج والمساكن الواسعة ؛ وغير ذلك من النعيم الظاهر والباطن ، وفيها ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر علـى قلـب بشر .

١٠- المقام الأمين :

قال تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴾(٢) والمقام : موضع الإقامة ، والأمين : الآمن من كل سوء وآفة ومكروه ، وهو الذي قد جمع صفات الأمن كلها ، هو آمن من الـزوال

(١) لقمان : ٨ .
(٢) الدخان : ٥١ .

والخراب وأنواع النقص ، وأهله آمنون فيه من الخروج والنغص والنكد ، قال الله تعالى : ﴿ وَهَذَا الْبَلَدِ الأَمِينِ ﴾[1] الذي أمن أهله فيه مما يخاف منه سواهم .

وتأمل كيف ذكر سبحانه الأمن في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴾ وفي قوله تعالى : ﴿ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ ﴾[2] فجمع لهم بين أمن المكان وأمن الطعام ، فلا يخافون انقطاع الفاكهة ولا سوء عاقبتها ومضرتها ، وأمن الخروج منها فلا يخافون ذلك ، وأمن الموت فلا يخافون فيها موتا .

١١ ، ١٢ - مقعد الصدق ، وقدم الصدق :

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾[3] فسمى جنته مقعد صدق لحصول كل ما يراد من المقعد الحسن فيها ، كما يقال : مودة صادقة ؛ إذا كانت ثابتة تامة ، وحلاوة صادقة ، وحملة صادقة ، ومنه الكلام الصدق لحصول مقصوده منه ، ومنه الصدق في الحديث ، والصدق في العمل ، والصدّيق : الذي يصدق قوله بالعمل .

ومقعد صدق أي : في مكان مرضي مقربين عند مليك مقتدر ، والعندية عندية مترلة وكرامة وزلفى ، لا مسافة ومحاسة .

قال الورتجبي : مقامات العندية جناها رفارف أنس ، وأنهارها أنوار القدس ، أجلسهم الله في بساط الزلفى والمداناة ، التي لا يتغير صاحبها بعلة القهر ، ولا يزول عنها بالتستر والحجاب ، لذلك سمي مقعد صدق ، أي : محل كرامة دائمة ، ومزية قائمة ، ومواصلة سرمدية ، والله مقتدر قادر .

---

(١) التين : ٣ .
(٢) الدخان : ٥٥ .
(٣) القمر: ٥٤ ـ ٥٥ .

ومنه : قدم صدق ، ولسان صدق ، ومدخل صدق ، ومخرج صدق ، وذلك كله للحق الثابت المقصود الذي يرغب فيه .

وفسر قوم قدم صدق : بالجنة ، وفسر بالأعمال التي تنال بها الجنة ، وفسر بالسابقة التي سبقت لهم من الله سبحانه ، وفسر بالرسول " ﷺ وآله " الذي على يده وهدايته نالوا ذلك.

وجاء في تفسير القرطبي لقوله تعالى : ﴿وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم﴾[1] قول ابن عباس رضي الله عنهما : قدم صدق : منزل صدق ، ودليله قوله تعالى : ﴿وقل رب أدخلني مُدخل صدق ﴾[2] ، وعنه أيضا : أجراً حسنا بما قدَّموا من أعمالهم ، وعنه أيضا : سبق السعادة في الذكر الأول .

وقال مجاهد : درجة عالية ، وقال الربيع : ثواب صدق ، وقال عطاء : مقام صدق ، وقال الماوردي : أن يوافق صدق الطاعة صدق الجزاء .

وعن الحسن عليه السلام وقتادة رضي الله عنه أنه سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، فإنه شفيع مطاع يتقدمهم كما قال : ﴿ أنا فرطكم على الحوض ﴾ ، وقد سئل صلى الله عليه وآله وسلم فقال : ﴿ هي شفاعتي توسّلون بي إلى ربكم ﴾ ، وقال الترمذي : قدمه صلى الله عليه وآله وسلم في المقام المحمود ، وقال عبد العزيز بن يحيى : ﴿ قدم صدق ﴾ قوله تعالى : ﴿ إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون ﴾[3]....... إلخ .

وكل ذلك حق ، فإنهم سبقت لهم من الله الحسنى بتلك السابقة ، أي : بالأسباب التي قدرها لهم على يد رسوله صلى الله عليه وآله وسلم وادخر لهم جزاءها يوم القيامة ، ولسان الصدق وهو لسان الثناء الصادق بمحاسن الأفعال وجميل الطرائق ، وفي كونه لسان صدق إشارة إلى مطابقته للواقع ؛ وأنه ثناء بحق لا بباطل .

---

(١) يونس : ٢ .
(٢) الإسراء : ٨٠ .
(٣) الأنبياء : ١٠١ .

ومدخل الصدق ومخرج الصدق وهو المدخل والمخرج الذي يكون صاحبه فيه دخوله وخروجه بالله ولله ، وهذه الدعوة ﴿ رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا ﴾[1] من أنفع الدعاء للعبد ، فإن العبد لا يزال داخلا في أمر وخارجا عن أمر ، فمتى كان دخوله لله وبالله ؛ وخروجه كذلك ، كان قد أدخل مدخل صدق ، وأخرج مخرج صدق ، والله المستعان .

١٣- روضات الجنات :

قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُم مَّا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴾[2].

الروضة : الموضع النزه الكثير الخضرة ، قال تعالى : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴾[3] قال الضحاك : الروضة : الجنة ، والرياض : الجنان، ولا يقال روضة إلا إذا كان فيها نبت .

قال القشيري : الروضة عند العرب ما ينبت حول الغدير من البقول ، ولم يكن عند العرب شيء أحسن منه ، والجمع : روض ورياض .

وأهل الإيمان يكرمون في الجنة وينعمون ، وهذا هو معنى قوله تعالى:﴿ يُحْبَرُونَ ﴾ والحبور هو السرور ، وقيل : أي : يظهر أثر النعيم عليهم ، وقيل : أي : تحسن هيئاتهم .

وأهل روضات الجنة في سرور دائم من سماعهم ، وروي في حديث عن النبي " ﷺ وآله": ﴿ إن في الجنة لأشجارا عليها أجراس من فضة ، فإذا أراد أهل الجنة السماع بعث الله ريحا من تحت العرش فتقع في تلك الأشجار فتحرك تلك الأجراس بأصوات ؛ لو سمعها أهل الدنيا لماتوا طربا ﴾ " ذكره الزمخشري "

---

(١) الإسراء : ٨٠ .
(٢) الشورى : ٢٢ .
(٣) الروم : ١٥ .

١٤- طوبى :

قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ ﴾(١).

ذكر ابن وهبي من حديث شهر بن حوشب عن أبي أمامة الباهلي قال : طوبى شجرة في الجنة ليس منها دار إلا فيها غصن منها ، ولا طير حسن إلا هو فيها ، ولا ثمرة إلا هي منها، وقد قيل : إن أصلها في قصر النبي " ﷺ وآله " في الجنة ؛ ثم تنقسم فروعها على منازل أهل الجنة ، كما انتشر منه العلم والإيمان على جميع أهل الدنيا .

وذكر المهدوي والقشيري عن معاوية بن قرة عن أبيه أن سيدنا رسول الله " ﷺ وآله " قال : ﴿ طوبى شجرة في الجنة غرسها الله بيده ، ونفخ فيها من روحه ، تنبت الحلي والحلل ، وإن أغصانها لترى من وراء سور الجنة ﴾ . وقال ابن عباس رضي الله عنهما : طوبى شجرة في الجنة أصلها في دار عليّ ؛ وفي دار كل مؤمن منها غصن .

وقال أبو جعفر محمد بن علي : سئل النبي " ﷺ وآله " عن قوله تعالى : ﴿ طوبى لهم ﴾ قال : ﴿ شجرة أصلها في داري وفروعها في الجنة ﴾ ثم سئل مرة أخرى فقال : ﴿ شجرة أصلها في دار عليّ وفروعها في الجنة ﴾ فقيل : يا رسول الله ؛ سئلت عنها فقلت : ﴿ أصلها في داري وفروعها في الجنة ﴾ ، ثم سئلت عنها فقلت : ﴿ أصلها في دار عليّ وفروعها في الجنة ﴾ فقال النبي " ﷺ وآله " : ﴿إن داري ودار علي غدا في الجنة واحدة في مكان واحد﴾، وعنه " ﷺ وآله " : ﴿ هي شجرة أصلها في داري ؛ وما من دار من دوركم إلا تدلى فيها غصن منها ﴾ .

١٥- جنة أصحاب اليمين :

أصحاب اليمين أصحاب خوف ودين وتقديم ووصول وشرف يحظى بالقبول ، ولهم جنات وقصور على قدرهم وهذا من الله رفعة لشأنهم :

---

(١) الرعد : ٢٩ .

أ – ﴿ في سدر مخضود وطلح منضود ﴾[1] :

السدر : شجر النبق ، والمخضود : الذي لا شوك فيه . والطلح : الموز ، والمنضود هو الذي قد نضد بالحمل ، أو بالورق والحمل من أوله إلى آخره ، فليس له ساق بارزة ، وقد ورد أن الصحابة رضي الله عنهم مروا بوج – وهو واد بالطائف – فأعجبهم سدره فقالوا : يا ليت لنا مثل هذا ، فترلت هذه الآية ووعدهم ربهم ما يعرفون ويميلون إليه ، فلا يقال أبدا غير السدر أو غير الطلح أحسن منه .

أصحاب اليمين شكروا من أخرجهم من العدم إلى الوجود ، وطلبوا من ربهم التكريم فأعطاهم في الجنة النعيم ، مالوا إلى ربهم وتركوا المال ، وتعلقوا في ربهم بالطمع والآمال ، ورضوا في الدنيا منه بالفقر والإقلال ؛ تلقاهم مولاهم مرحبا بالوفود ﴿ فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ وَطَلْحٍ مَّنضُود ﴾ .

ب – ﴿ وظل ممدود وماء مسكوب وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة ﴾[2]:

ظل ممدود : أي : دائم باق لا يزول ولا تنسخه الشمس ، والجنة كلها ظل لا شمس معه ، قال الربيع ابن أنس : يعني ظل العرش . وقال عمرو بن ميمون : مسيرة سبعين ألف سنة ، وفي صحيح الترمذي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي " ﷺ وآله " : ﴿وفي الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها واقرءوا إن شئتم : (وظل ممدود)﴾ .

﴿وَمَاء مَّسْكُوبٍ﴾ أي : جار لا ينقطع ، وأصل الصب السكب ، أي : ماء مسكوب مصبوب يجرى الليل والنهار في غير أخدود لا ينقطع عنهم .

﴿ وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴾ ليست قليلة أو عزيزة كما كانت في بلادهم في الدنيا ﴿ لا مَقْطُوعَةٍ ﴾ في أي وقت كانقطاع فواكه الصيف في الشتاء ﴿ وَلا مَمْنُوعَةٍ ﴾ لا حظر عليها

(١) الواقعة : ٢٨- ٢٩ .
(٢) الواقعة : ٣٠ -٣٣ .

ولا منع منها كثمار الدنيا ، سواء كان المنع لسور أو حائط أو شوك ؛ بل إذا اشتهاها العبد ذللت له ودنت منه ، وقيل : ليست مقطوعة بالأزمان أو ممنوعة بالأثمان .

ج ـ ﴿ وفرش مرفوعة ﴾[1] :

روى الترمذي عن النبي " ﷺ وآله " قال : ﴿ ارتفاعها لكما بين السماء والأرض مسيرة خمسمائة سنة ﴾ . وقال بعض أهل العلم : الفرش في الدرجات ؛ وما بين الدرجات كما بين السماء والأرض ، وقيل : الفرش كناية عن النساء اللواتي في الجنة ، ولم يتقدم لهن ذِكر ؛ أي: ونساء مرتفعات الأقدار في حسنهن وجمالهن وكمالهن ، قال تعالى بعده: ﴿إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً﴾[2]أي : خلقناهن وأبدعنا خلقهن إبداعا ، والعرب تسمي المرأة فراشاً ولباساً وإزاراً؛ قال تعالى : ﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ ﴾[3] .

وعلى ذلك تكون الفرش ؛ الحور العين في الجنة اللواتي خلقن من غير ولادة ، وقيل : المراد نساء بني آدم خلقناهن خلقا آخر جديدا وأعدناهن إلى حال شباهن وكمال جمالهن ، قالت السيدة أم سلمة رضي الله عنها : سألت النبي " ﷺ وآله " عن قوله تعالى: ﴿ إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاء فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا ﴾[4]. فقال : ﴿ يا أم سلمة ؛ هن اللواتي قبضن في الدنيا عجائز شمطا عمشا رمصا جعلهن الله بعد الكبر أترابا على ميلاد واحد في الاستواء ﴾ .

١٦- جنة الأبرار:

تكرّم المولى العظيم ومدح جميع الأبرار في كلامه القديم ، فيا سعادة من خصه الله بهذا التشريف العظيم والقرب والتقديم، وهؤلاء الأبرار اشتغلوا في الدنيا بالطاعة ، ونزهوا أوقاهم عن التقصير والإضاعة ، وزهدوا في عيشها ورضوا لأنفسهم منها بالقناعة ، فآتاهم الله العز والتكريم ﴿ إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴾[5] . حالهم في الدنيا الخلة والاعتذار والتذلل من الهفوة ،

---

(١) الواقعة : ٣٤ .
(٢) الواقعة : ٣٥ .
(٣) البقرة: ١٨٧
(٤) الواقعة : ٣٥- ٣٦
(٥) الانفطار :١٣

وحذروا من السلب والجفوة ، فجعلهم الله من الصفوة ، وحفظهم من الريب والعيب والمين، وأراهم الكرامة رأي العين ، وكشف عن قلوبهم حجب الغين .

استعملوا أنفسهم بالجوع والسهر ، وحبسوا جوراحهم عن اللهو واللغو والنظر، وامتثلوا لربهم فيما أمر ، واستعدوا للسفر بخير زاد من التقوى والقيام بالليل في وقت السحر، فخلصهم ربهم من الشوائب والكدر بالإخلاص وصفاهم، فهم مقصوده في الخلق وليس سواهم .

هم في الجنة في قصور عالية ، وعيشتهم صافية ، وأبدانهم عافية ، وثمار أشجار الجنة منهم دانية، يمشون بأقدامهم على أرض الجنة يفوح منها المسك ، وأبدانهم من السندس والإستبرق كاسية .

قال سيدنا ومولانا رسول الله " ﷺ وآله " : ﴿ يقول الله عز وجل : أنا ربكم الذي صدقتكم وعدي وأتممت عليكم نعمتي فهذا محل كرامتي ، فاسألوني ما شئتم ، فيقولون : نسألك رضوانك ، فيقول : رضواني أحلكم داري وأدنيكم من جواري ﴾ .

فيا حسنهم والولدان بهم يطوفون ؛ والملائكة لهم يزفون ؛ والخدم بين أيديهم يقفون ؛ وقد آمنوا مما يخافون ؛ وبفضل الله ونعمته عليهم يفرحون ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾[1].

فطالما غسلتها دموع الخوف والشوق للقاء ، وجوههم ما توجهت لسوي الله أو استدارت ، وأقدامهم ما رضيت بغير طريق الله بديلا وسارت ، وقلوبهم لغير مرضاة الله ما ثارت ، وأفئدتهم بغير الله ما استجارت ، وأسرارهم بغير ذكر الله ما استنارت ، فلو علم الغافلون ما أعده الله لهم عنده لطارت عقولهم وقلوبهم حارت ، فيا له من فضل .

---

(١) المطففين:٢٤

١٧- جنة المقربين :

قال تعالى : ﴿ والسابقون السابقون أولئك المقربون في جنـات النعـيم ﴾[١] ، وقـد وصفها الحق تعالى بعدة أوصاف منها ما ورد في قوله جل شأنه : ﴿ يَطُـوفُ عَلَـيْهِمْ وِلْـدَانٌ مُّخَلَّدُونَ....... ﴾ .

أ - : ﴿ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴾[٢]:

الولدان : الغلمان ، قال تعالى : ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ﴾[٣].

مخلدون : من الخلد ، أي : مخلوقون للبقاء ولا يتغيرون وهم على سن واحد ، وفي قول آخر : مخلدون ، أي : مقرطون ، ويقال : مسوّرون .

ب -﴿ بأكواب وأباريق ﴾[٤]:

الكوب إناء لا عروة له ولا خرطوم ، والأباريق : آنية لها عرى وخراطيم ، كـأن الله يقول في شأنهم : لأجلي تركوا لذيذ الطعام رغبة فيما عندي من الإنعام ، صفوا في سـبيلي الأقدام ، وتحملوا أثقال التكاليف ، فلهم مني اليوم في الجنة كل الفوز والتشريف ، أقيم لهـم الولدان تسقيهم بأكواب وأباريق .

ج - ﴿ وكأس من معين ﴾:

الكأس هو الإناء بما فيه ، والمعين : هو الماء الطاهر الجاري . قال الزجاج المعين ها هنا : الخمر يجري كما يجري الماء على وجه الأرض من العيون .

---

(١) الواقعة : ١٠ – ١٢ .
(٢) الواقعة : ١٧ .
(٣) الطور : ٢٤ .
(٤) الواقعة : ١٨ .

د – ﴿ لا يصدعون عنها ولا ينزفون ﴾[1] :

أي : لا يضرهم أو يلحق بهم صداع كما يلحق الصداع شارب الخمر في الدنيا .

ولا يترفون : قرأها ابن كثير ونافع وأبو عمر وابن عامر بفتح الزاي ، أي : لا تذهب عقولهم بشربها ، ويقال للسكران نزيف ومتروف . وقرأها حمزة والكسائي بكسر الزاي ، في معناها وجهان ؛ الأول : أي لا ينفدون شرابهم ؛ أي : هو دائم أبدا . والثاني : أي : لا يسكرون .

وقد يقول قائل : المقصود من الخمر السكر . ويكون الجواب عليه : السكر إنما يراد ليزيل الهم – على ظنهم – وهذا يكون في الدنيا ، أما في الجنة فليس فيها هم ، فلا فائدة في إزالة العقل ، ألا ترى أن النوم لما أريد للراحة ولم يكن في الجنة تعب لم يكن نوم!! .

ه – ﴿ وفاكهة مما يتخيرون ولحم طير مما يشتهون ﴾[2] :

أي : فاكهة مما يختارون ويروق لهم عند النظر إلى الفاكهة، ويقال : تخيرت الشيء ؛ إذا أخذت غيره. قال ابن عباس رضي الله عنهما : يخطر على قلب أحدهم الطير فيصير ممتثلا بين يديه على ما اشتهى. وقال مغيث بن سمي : يقع على أغصان شجرة طوبى طير كأمثال البخت[3] ، فإذا اشتهى الرجل طيرا دعاه فيجيء ، فيقع على خوانة فيأكل من أحد جانبيه قديدا ومن الآخر شواء ، ثم يعود طيرا فيطير ، فيذهب .

و– ﴿ وحور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون ﴾[4] :

أي : ولهم حور عين في الجنة . ويقال : عين حوراء إذا اشتد بياضها وخلص واشتد سوادها ، ولا يقال : امرأة حوراء إلا أن تكون مع حور عينها بيضاء .والعين : كبار العيون

---

(١) الواقعة : ١٩ .
(٢) الواقعة : ٢٠ – ٢١ .
(٣) البُخْت والبُخْتيّة : الإبلُ الخرسانيّة ، والجمع : بَخَاتِيُّ .
(٤) الواقعة : ٢٢ - ٢٣ .

حسانها . كأمثال اللؤلؤ المكنون : أي : صفاؤهن وتلألؤهن كصفاء اللؤلؤ وتلألؤه ، والمكنون : الذي يخرج من صدفه فلم يغيره الزمان واختلاف أحوال الاستعمال .

ى - ﴿ لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما ﴾[1] :

اللغو : ما لا يفيد ، أي : خمر الجنة لا تذهب بعقولهم فيلغوا أو يأثموا كما هو حال خمر الدنيا ، بل سماعهم فيها سلام في دار السلام ﴿إلاّ قِيلاً سَلامًا سَلامًا﴾[2] . ﴿يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ خِتَامُهُ مِسْكٌ ﴾[3] قال ابن عباس رضي الله عنهما : إنه خمر الجنة ، وقال الحسن عليه السلام : الرحيق عين في الجنة مشوبة بالمسك ، وقال ابن قتيبة والزجاج : الرحيق هو الشراب الذي لا غش فيه ، فيا له من كأس .

١٨- جنة الأولياء العارفين بالله تعالى:

عن النبي " ﷺ وآله ": ﴿ إذا كان يوم القيامة واستقر أهل الجنة في الجنة ؛ وأهل النار في النار ؛ أمر الله تعالى جبريل أن يحضر الأولياء في مقعد صدق ، أي : في مجلس حق ، فيأتي أهل الجنان والأولياء في مقاصيرهم ، فينادى الأولياء فيخرجون من قصورهم ، فيقول الله تعالى : ما يريدون ، فيقولون : نريد وعدك من رؤيتك مع لذيذ كلامك ، أنت وعدتنا بذلك ، فيناديهم : يا معشر الأولياء والأحباب ؛ ها أنا رب الأرباب ، فإذا شاهدوا وجه الكريم خروا له سجدا ، فيقول : ارفعوا رؤوسكم وانظروا إلى حبيبكم فليس هذا يوم نصب – أي: تعب – أنتم أحبتي وهذه جنتي .

ثم توضع لهم المائدة من أصناف الجوهر، قد حفت بهم الولدان ، فهم يأكلون وإلى وجه الحبيب ينظرون

---

(١) الواقعة : ٢٥ .
(٢) الواقعة :٢٦
(٣) المطففين :٢٥-٢٦

ثم يقول قائل منهم هو الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام : مولانا ، قد كنت وعدتنا في كتابك أن تسقينا أنت ، فيقول الله تعالى : صدق وليي ، اشرب هنيئا مريئا ، فما يشعر إلا والكأس على فمه ، وتتبادر الكاسات إلى أفواه الأولياء من تحت أذيال العرش بلا واسطة .

ثم يقول الله تعالى : أحبابي ما تحبون مني ، فيقولون : صوت داود ، فيقول الله تعالى : يا داود ، اتل على الأولياء ، فيقول داود : بسم الله الرحمن الرحيم (إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَابِلِينَ)(1) فيطوفون – وفي رواية : فيطيرون – مائتي عام ، ثم يقول الله تعالى : أتحبون سماع كلامي مني ، فيقولون : نعم جل جلالك ، فيقول : أنا الرحمن علم القرآن ، فيتيهون في الملكوت ألف عام ﴾ .

وعن أنس رضي الله عنه عن النبي " صلى الله عليه وسلم وآله " : ﴿ يبعث الله جبريل إلى غرفة من غرف الجنة فينادي بأعلى صوته : يا أهل السعادة ، يا أهل الكرامة ، السلام يؤتكم السلام ويأمركم أن تزوروه، فيستوون على الخيل كالبرق ، وعلى نجائب من ياقوت حتى يلتقوا بالجبار جل جلاله، فيقول: مرحبا بزواري ووفدي وجيراني ، في جنتي أسوقهم ، فيؤدي أسفلهم درجة بتسعين ألف إبريق ، في كل إبريق لون من الشراب وطعم ليس في الآخر ، يسقى أعلاهم بسعمائة ألف إبريق مع سبعمائة ألف غلام .

ثم يقول الجبار جل جلاله : مرحبا بزواري ووفدي وجيراني ، في جنتي أسوقهم ، فيؤتي الملك سبعين حلة ، ثم يقول : مرحبا بزواري ووفدي ، طيبوهم ، فتفوح رائحة من تحت العرش يقال لها المثيرة ، فيهطل عليهم المسك شبه الندي ، ثم يقول : مرحبا بزواري ووفدي، وعزتي وجلالي ما خلقت الجنة إلا لأجلكم ، فيكشف الحجاب فينظرون إليه جل جلاله ﴾ .

وفي رواية أخرى : ﴿ أنهم إذا استقروا في الجنة يرسل الله إلى كل واحد تفاحة مع ملك فيأخذها ، فيرى فيها جارية وكتاب من العزيز الحكيم : قد اشتقت إليك فزرني . فيركب الرجال على خيل من ياقوتة حمراء ، لكل فرس جناحان من فضة وجناحان من ذهب ،

---

(1) الدخان : ٥١-٥٣ .

ويركب النساء على الهوادج ، فتسير الرجال إلى محمد وتسير النساء إلى فاطمة ، وقد جعلهن الله عربا – أي : عاشقات لأزواجهن – أترابا – أي : على سن واحدة ثلاث وثلاثين كسن عيسى عليه السلام ، فأهلها على سن عيسى ، وطول آدم وهو ستون ذراعاً في سبعة أذرع ، وعلى حسن يوسف ، وعلى خلق محمد ، وعلى صوت داود .

فتنزل النساء في إيوان من درة بيضاء عند فاطمة ، والرجال في ميدان من مسك فيه كراسي من الذهب ، وبين النساء والرجال حجاب من نور ، فيسلم الحق جل جلاله على الرجال واحدا بعد واحد ، ويسلم على النساء كذلك ، ويقول : مرحبا بعبادي وأوليائي ، فيضيفوهم .

ثم يقول : يا ملائكتي أطربوهم ، فتأتيهم الملائكة بمغاني الجنة وهم الحور العين ، فيتواجدون من الطرب ، فإذا أفاقوا قالوا : ربنا نحب أن نسمع كلامك ، فقال : يا داود أسمعهم كلامي ، فيرقى على منبره يقرأ الزبور فيتواجدون من الطرب .

فإذا أفاقوا قال : يا عبادي هل سمعتم صوتا أطيب من هذا ؟ فيقولون : لا يا ربنا ، فيقول : وعزتي وجلالي لأسمعنكم أطيب منه ، يا محمد ، قم وارق واقرأ سورة طه ويس، فيزيد في صوت محمد في الحسن على صوت داود سبعين ضعفا ، فيتواجدون من الطرب وتهتز الكراسي من تحتهم .

فإذا أفاقوا قال : يا عبادي هل سمعتم صوتا أطيب من هذا ؟ فيقولون : لا يا ربنا ، فيقول : وعزتي وجلالي لأسمعنكم أطيب منه ، فيتكلم سبحانه وتعالى في سورة الأنعام ، فيطرب القوم فتتمايل الأشجار والقصور، ويهتز العرش .

فيكشف الحجاب عن وجهه جل جلاله ويقول : يا عبادي من أنا ؟ فيقولون : أنت ربنا، فيقول : أنا السلام وأنتم المسلمون ، ثم يقول: يا ملائكتي قدموا لهم نجائب غير النجب التي قدموا عليها .

فيركب الرجال على خيل بلق أجنحتها خضر ، والنساء على نجائب أقتابها من ذهب،

ثم يدخلون سوق المعرفة فيسأل بعضهم بعضا : أين أنت يا فلان ؟ فيقال : مسكني الفردوس، ويقول الآخر : أنا في جنة عدن ، ويقول الآخر : أنا في جنة الخلد ، ويقول الآخر: أنا في جنة المأوى ، على اختلاف درجاتهم ﴾ .

١٩- جنة عليين :

للذين يشتهون المتعة الحسية في الجنة مكان يناسبهم ، يفرحون بنيل هذه المتعة فرحين بما آتاهم ربهم ، وقال تعالى : ﴿ إنَّ المتَّقينَ في جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ ﴾[١] ويستمتعون بما يشتهون على قدر عطاء الله لهم ، وما قدره جزاءً لهم .

وهناك قوم في الجنة لا يشتهون ثمارا أو نساء ، وإنما كل مرادهم رؤية ربهم ، ذاك هو شغلهم ، وتلك هي أمنيتهم ، هؤلاء أهل جنة الرؤيا ، جنة عليين ، هذه الجنة فيها فوق ما تسمعه عن الجنة ، يلقى فيها المؤمن ربه ، وأهل هذه الجنة غذاؤهم وشرابهم ومتعتهم رضا الله عنهم وإقامته لهم ناظرين إياه ، هذه هي حياتهم ، وهل بعد النظر إلى المولى يحتاج الإنسان إلى زاد ، إن أعظم ما في الجنان أن يظفر المؤمن برؤية ربه؛ وهذا هو ما قاله الله سبحانه وتعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[٢] .

والله تعالى بصير بالعباد ، علم منازلهم ومراداتهم وهم هنا في الدنيا، ويعطيهم في الجنان ما شاء مما قسمه لهم ، فمن أطاع رغبة في النعيم يقيمه في جنة النعيم ، ومن أطاع الله لأن الله أهل أن يطاع ؛ وعبد الله لأن الله يستحق أن يعبد لذاته – لا لشيء آخر فكل الأشياء دونه – يهبه الله تعالى نضارة الوجه وسعادة الحياة ولذة الإقامة في جنة النظر إليه سبحانه .

تقول السيدة رابعة العدوية رضي الله عنها :

كلهم يعبدون من خوف نار ويرون النجاة حظا جزيلا
إنني لست مثلهم وهذا لست أبغي بمن أحب بديلا

---

(١) الذاريات : ١٥ – ١٦ .
(٢) القيامة : ٢٢- ٢٣

وعنها أيضا : اللهم إن كنت تعلم أني أعبدك خوفا من نارك فأدخلني فيها، وإن كنت تعلم أني أعبدك طمعا في جنتك فاحرمني منها ، إنما أعبدك لأنك تستحق أن تعبد .

ويقول الإمام المجدد أبو العزائم ﷺ :

الكـــل طمعـــا في الجنـــان تعبـــدوا وأنـــا الـــذي منـــها أفـــر وأهـــرب
الكل خوفـا مـن جحيمـك سـيدي صـامـوا وصـلـوا عـن رضـاك تحجبـوا
نار الجحيم مـع الرضـا هـي جـنتي أمـــا النعـــيم بغـــيره لا أرغـــب

ويقول في حكمة له : " عجبا لمن رآني دون مكوَّناتي ، قـال العـارف : سـبحانك ، تنزهت ، قال : من اتخذني وسيلة إلى جناتي فقد رآني دون مكوَّناتي " .

٢٠- الرضوان الأكبر :

ويبين ﷺ في تفسيره (أسرار القرآن) أن الرضوان فوق روضات الجنات ، قـال الله تعالى : ﴿ وَعَدَ اللّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَـارُ خَالِـدِينَ فِيهَـا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[(١)] فرفـع الله الرضوان الأكبر على المساكن الطيبة في جنات عدن ، وهذا الرضوان الأكبر هو جزاء أهـل الذكر، قال تعالى : ﴿ إِنَّ الصَّلاَةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ﴾[(٢)] وذكر الله أن يذكر المصلي الله تعالى في الصلاة بالشهود ، وقال بعض العارفين : الذكر الأكبر أن يذكر العبد الله تعالى فيذكره الله تعالى بدليل قوله تعالى : ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ ﴾[(٣)] فيكون ذكـر الله تعالى عبده هو ذكر الله الأكبر .

وأهل الذكر الأكبر هم أهل العزائم والهمم العالية ، نما هيامهم منـذ العهـد القـديم ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُم﴾ ويؤمهم سيدنا ومولانا رسول الله " ﷺ وآله " ، فتجملوا بأحوال النبويـة من محكم القرآن ، وفيهم يقول الإمام ﷺ :

---

(١) التوبة :٧٢
(٢) العنكبوت : ٤٥ .
(٣) البقرة : ١٥٢ .

آلُ العزائم مـن "أَلَسْـتُ"[1] لهـم هيـام | والمصـطفى الهـادي البشـير لهـم إمـام
أحـوالُهم نبويـةٌ وصـفاقم | مـن محكـم القـرآن قـد شـربوا المُـدام
هـم أنجـمٌ في أفـق طـه أشـرقت | والله مقصـدهم إذا سمعـوا السـلام
آلُ العـزائم شـاهدوا محبـوبهم | مـن قبـل "كـن" يعلوهمـو هـذا الغـرام
لم يشـغلن صـغيرَهم جناتُـه | والمقصـدُ الـربُّ العلـيُّ ولا كـلام
آلُ العـزائم صـورةٌ رُوحيـةٌ | قـد فـارقوا الجنـاتِ بـل أعلـى مقـام
آلُ العـزائم شـغلُهم بحبيبـهم | صـح اتحـادُهمو فخُصُّـوا بالسـلام
صـورُ الحبيـب المصـطفى مُثُـلٌ لـه | وهمـو المرائـي للـنبي بـالاحترام
آلُ العـزائم أنجـمٌ تبـدي الضـيا | للسـالكين بنـورهم يُمحـى الظـلام
خُصُّـوا بحكمـةِ ربِّهـم وبجِّـه | وبحفظِهـم لنبـيِّهم بلغـوا المـرام
آلُ العـزائمِ في المعيـةِ جُملـوا | بالفضـلِ والرضـوانِ في رشـف المُـدام

٢١- الأجر العظيم :

قد يظن البعض أن الأجر العظيم هو الجنة ، ولكن لو كان كذلك ما سمعنا قوله تعـالى وهو يسوق البشرى لأهل الإيمان الذين هاجروا وجاهدوا في سبيله هجرة خالصة لله وجهاداً في ذاته سبحانه إذ يقول تعالى : ﴿ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾[2] .

فالبشرى هنا اشتملت على :

(١) الرحمة .　　(٢) الرضوان .　　(٣) الجنات .

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِى آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى شَهِدْنَا.. ﴾ الأعراف: ١٧٢.
(٢) التوبة :٢١-٢١

(٤) النعيم المقيم الدائم بلا انقطاع من الرحمة والرضوان والجنات بما فيها مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر .

(٥) الأجر العظيم عنده سبحانه ، وهذا الأجر خاص إذ هو في العندية ، وأي عندية هي ؟ إنها عندية الله، ولا يخفى الفرق بين درجات العندية على مؤمن كاشفه الله بأسرار آياته، وفهم معاني كلماته ، فهناك من العندية عند الله ، وعند مليك ، وعند ربهم . ولكل عندية عطاء يناسب المعطِي والمعطَى له .

ويبين الإمام في تفسيره (أسرار القرآن) أن الأجر العظيم الذي هو عند الله لا بد وأن يكون فوق الرحمة والرضوان والجنات ، وما هو هذا الأجر ؟ هو النظر إلى وجهه جل جلاله في مقام العندية ، لأن الذين آمنوا الإيمان الكامل وهاجروا من وجودهم الباطل إلى الوجود الحق بالحق ؛ وجاهدوا الجهاد الأكبر في ذات الله مستغرقين في شهود مشاهد التوحيد العلية ؛ حتى بلغوا مقاما فوق الشهود بعين اليقين تحققوا به أن الفاعل المختار هو الله ؛ وأن إيمانهم به من فضله ؛ وهجرتهم إليه بإحسانه ، وجهادهم به سبحانه ؛ تنزهت ذاته وتقدست أسماؤه وصفاته .

هؤلاء لم يروا لأنفسهم عملا ، بل رأوا الفاعل هو الله ، فتقبل عنهم أحسن ما عملوا ، وأحسن ما عملوا هو العمل بمشاهد التوحيد الذي هو الحقيقة في نفس الأمر ، فقبل الله عملهم الذى عملوه سنداً إلى ذاته جل جلاله ، ثم تفضل فأعطاهم أجرا على عملٍ عمِلَه الله تعالى ، فكان هذا الأجر العظيم الذى منحهم على عمل عمله سبحانه ووهبه لهم ؛ هو الأجر العظيم الذي عند الله .

في الجنة الكمال والرزق الجامع للخيرات كلها :

الجنة هي دار الكمال الظاهر والباطن والنعيم الدائم بلا زوال ، ورزقها هو الرزق الكامل والجامع لكل أنواع الخيرات .

ليس فيها نقص ﴿ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وِظِلُّهَا ﴾ ورزقها غير محدود وبلا حساب ، قال تعالى :

﴿ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاء بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾[1].

ويبين ﷺ في كتاب (نعيم القبر وجمالات الآخرة) : أن الله تعالى يتفضل على أهل التقوى بما أعده لهم سبحانه يوم القيامة من الرزق الجامع لكل خيرات الروح والعقل والجسم والحس ، فللروح الأنس بالله تعالى والكلام المقدس ، وللجسم النعيم المقيم الذي يلذ له من مأكل ومشرب وملبس ورياش وفراش وملامسة ومأوى ، وللعقل الفرح بما يراه من الحقائق التي كان قد صدق بها بالحجة الشرعية حيث تنبلج أنوار معاني الصفات ، وللحس البهجة بالمناظر العلية والسماع الروحاني والشميم العنبري والمذاق الشهي والملبس اللين .

وهذا الرزق الذي يتفضل الله به على خلقه يطمئن قلوبهم به لأنه من غير حساب ، إذ أن خيرات خزائن الله لا تنتهي ، وبذلك لا يكون على تلك العطايا حساب ، لأن الحساب يكون عند من يخاف النفاد كما يحاسب أهل الأموال المحصورة خوفا على نفادها .

عدد الجنات وأنواعها :

معلوم أن الجنة اسم شامل لجميع ما حوته من البساتين والمساكن والقصور ، وهي جنات كثيرة جدا، كما روى البخاري في صحيحه عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن أم الربيع بنت البراء – وهي أم حارثة بن سارقة – أتت رسول الله "ﷺ وآله" فقالت : يا نبي الله ألا تحدثني عن حارثة ؟ – وكان قتل يوم بدر أصابه سهم غرب[2]– فإن كان في الجنة صبرت، وإن كان غير ذلك اجتهدت عليه في البكاء ؟ قال : ﴿ يا أم حارثة ، إنها جنان في الجنة ، وإن ابنك أصاب الفردوس الأعلى ﴾[3] .

ومن حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن رسول الله " ﷺ وآله " أنه قال : ﴿جنتان من ذهب آنيتهما وحليتهما وما فيهما، وجنتان من فضة آنيتهما وحليتهما وما فيها ،

---

(١) النور :٣٨ .
(٢) سهم غرب : أي : لا يدرى راميه.أي : سهم طائش .
(٣) صحيح البخاري في الجهاد والسير

وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن﴾[١] ، وقد قال تعالى: ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ﴾[٢] فهذه أربع ، قد اختلف في قوله تعالى : ﴿ومن دونهما جنتان﴾ [٣] هل المراد أنهما فوقهما أو تحتهما على قولين :

فقالت طائفة :من دونهما : أي : أقرب منهما إلى العرش فيكونان فوقهما .

وقالت طائفة : بل معنى: من دونهما : تحتهما .

والسياق يدل على تفضيل الجنتين الأوليين في عشرة أوجه :

أحدها : قوله سبحانه : ﴿ ذَوَاتَا أَفْنَانٍ ﴾[٤] ، وفيه قولان :

أحدهما : أنه جمع فنن ، وهو الغصن ، والثاني : أنه جمع فن وهو الصنف ، أي: ذواتا أصناف شتى من الفواكه وغيرها ، ولم يذكر ذلك في اللتين بعدهما .

الثاني : قوله تعالى : ﴿ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴾[٥] ، وفي الأخريين : ﴿ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴾[٦] ، والنضاخة : هي الفوارة والجارية السارحة ، وهي أحسن من الفوارة ، فإنهما تتضمنان الفوران والجريان .

الثالث : أنه قال سبحانه : ﴿ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ﴾[٧] ، وفي الآخرين : ﴿فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾[٨] ، ولا ريب أن وصف الأوليين أكمل .

واختلف في هذين الزوجين بعد الاتفاق على أنهما صنف .

---

(١) البخاري في التفسير ، مسلم في الإيمان.
(٢) الرحمن : ٤٦
(٣) الرحمن : ٦٢ .
(٤) الرحمن : ٤٨ .
(٥) الرحمن : ٥٠ .
(٦) الرحمن : ٦٦ .
(٧) الرحمن : ٥٢ .
(٨) الرحمن : ٦٨ .

فقالت طائفة : الزوجان : الرطب واليابس الذي لا يقصر في فضله وجودته عن الرطب، وهو يتمتع به كما يتمتع باليابس ، وفيه نظر لا يخفى .

وقالت طائفة : الزوجان : صنف معروف وصنف من شكله غريب .

وقالت طائفة : نوعان ، ولم تزد ، الظاهر والله أعلم : أنه الحلو والحامض ، والأبيض والأحمر ، وذلك لأن اختلاف أصناف الفاكهة أعجب وأشهى وألذ للعين والفم .

الرابع : أنه تعالى قال : ﴿ مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ﴾(١) ، وهذا تنبيه على فضل الظهائر وخطرها ، وفي الأخريين قال : ﴿ مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ﴾(٢) ، وفسر الرفرف بالمحابس والبسط ، وفسر بالفرش ، وفسر بالمحابس فوقها ، وعلى كل قول فلم يصفه بما وصف به فرش الجنتين الأوليين .

الخامس : أنه قال جل شأنه : ﴿ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴾(٣) ، أي : قريب وسهل يتناولونه كيف شاءوا ، ولم يذكر ذلك في الأخريين .

السادس : أنه سبحانه قال : ﴿ فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ ﴾(٤) ، أي : قصرن طرفهن على أزواجهن ، فلا يرون غيرهم لرضاهن بهم ومحبتهن لهم ، وذلك يتضمن قصر أطراف أزواجهن عليهن فلا يدعهم حسنهن أن ينظروا إلى غيرهن ، وقال في الأخريين : ﴿ حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ﴾(٥)، ومن قصرت طرفها على زوجها باختيارها أكمل ممن قصرت بغيرها .

السابع : أنه وصفهن بشبه الياقوت والمرجان في صفاء اللون وإشراقه وحسنه ، ولم يذكر ذلك في التي بعدها .

---

(١) الرحمن : ٥٤ .
(٢) الرحمن : ٧٦ .
(٣) الرحمن : ٥٤ .
(٤) الرحمن : ٥٦ .
(٥) الرحمن : ٧٢ .

الثامن : أنه قال سبحانه وتعالى في الجنتين الأوليين : ﴿هَلْ جَزَاء الإحْسَانِ إلاّ الإحْسَانُ﴾[1] ، وهذا يقتضي أن أصحابهما من أهل الإحسان المطلق الكامل ، فكان جزاؤهم بإحسان كامل .

التاسع : أنه بدأ بوصف الجنتين الأوليين وجعلهما جزاء لمن خاف مقامه ، وهذا يدل على أنهما أعلى جزاء الخائف لمقامه، فرتب الجزاء المذكور على الخوف ترتيب المسبب على سببه ، ولما كان الخائفون على نوعين مقربين وأصحاب يمين ؛ ذكر جنتي المقربين ثم ذكر جنتي أصحاب اليمين .

العاشر : أنه تعالى قال : ﴿ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴾[2] ، والسياق يدل على أنه نقيض فوق ، كما قال الجوهري .

فإن قيل : فكيف انقسمت هذه الجنان الأربع على من خاف مقام ربه ؟ .

قيل: لما كان الخائفون نوعين كما ذكرنا ؛ كان للمقربين منهم الجنتان العاليتان ، ولأصحاب اليمين الجنتان اللتان دونهما.

فإن قيل : فهل الجنتان لمجموع الخائفين يشتركون فيهما أم لكل واحد جنتان وهما البستانان ؟ قيل : هذا فيه قولان للمفسرين، ورجح القول الثاني بوجهين :

أحدهما: من جهة النقل ، والثاني : من جهة المعنى . فأما الذي من جهة النقل ؛ فإن أصحاب هذا القول رووا عن رسول الله " ﷺ وآله " أنه قال : ﴿هما بستانان في رياض الجنة﴾، وأما الذي من جهة المعنى ؛ فإن إحدى الجنتين جزاء أداء الأوامر ، والثانية جزاء اجتناب المحارم .

فإن قيل : فكيف قال في ذكر النساء : ﴿ فِيهِنَّ ﴾ في الموضعين ، ولما ذكر غيرهن قال: ﴿ فِيهِمَا ﴾ ؟.

---

(١) الرحمن : ٦٠ .
(٢) الرحمن : ٦٢ .

قيل : لما ذكر الفرش قال بعدها : ﴿ فِيهِنَّ خَيْـرَاتٌ حِسَـانٌ ﴾[1] ، ثم أعـاده في الأخريين بهذا اللفظ ، ليشاكل اللفظ والمعنى ، والله أعلم .

وقيل : إن الجنان أربع لأن الله تعالى قال : ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ﴾[2] . وقال بعد ذلك : ﴿ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴾[3] ولم يذكر سوى هذه الأربع جنة خامسة ، فإن قيل : فقد قال عنها جنة المأوى ، قيل : جنة المأوى اسم لجميع الجنان يدل على أنه تعالى قال : ﴿فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلاً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[4].

والجنة اسم الجنس ، فمرة يقال : جنة ، ومرة يقال : جنات ، وكذلك جنة عدن ، وجنات عدن ؛ لأن العدن : الإقامة ، وكلها دار الإقامة ، كما أن كلها مأوى المؤمنين ، وكذلك دار الخلد ودار السلام ؛ لأن جميعها للخلود والسلامة من كل خوف وحزن ، وكذلك جنات النعيم وجنة النعيم ؛ لأن كلها مشحونة بأصناف النعيم .

ذكره الحليمي في كتاب : منهاج الدين له وقال : إنما منعنا أن يجعل كل واحدة من العدن والمأوى والنعيم جنة سوى الأخرى ؛ لأن الله تعالى إن كان سمى شيئا من هذه الأسماء جنة في موضع ؛ فقد سمى الجنات كلها بذلك الاسم في موضع آخر ، فعلمنا أن هذه الأسماء ليست لتميز جنة من جنة ، ولكنها للجنان أجمع ، لا سيما وقد أتى الله بذكر العدد فلم يثبت إلا أربعا .

وقد أثبت لهذه الجنان أبوابا فقال : ﴿ وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا ﴾[5] ، وقال " ﷺ وآله " : ﴿إن أبواب الجنة ثمانية ﴾ فيحتمل أن يكون ذلك ؛ لأن لكل جنة من الجنان الأربع بابين .

---

(١) الرحمن :٧٠ .
(٢) الرحمن :٤٦
(٣) الرحمن :٦٢
(٤) السجدة:١١٩
(٥) الزمر:٧٣

تفضيل بعض الجنان على بعض :

اتخذ الحق جل شأنه من الجنان دارا اصطفاها لنفسه وخصها بالقرب من عرشه وغرسها بيده، فهي سيدة الجنان ، والله سبحانه يختار من كل نوع أعلاه وأفضله ؛ كما اختار من الملائكة : جبريل ، ومن البشر : سيدنا ومولانا محمداً " ﷺ وآله " ، ومن البلاد : مكة ، ومن الأشهر : الحرام ، ومن الليالي : ليلة القدر ، ومن الأيام : الجمعة ، ومن الليل : وسطه ، ومن الأوقات : أوقات الصلاة ؛ إلى غير ذلك فهو سبحانه وتعالى:﴿ يَخْلُقُ مَا يَشَاء وَيَخْتَارُ ﴾(١) .

عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله " ﷺ وآله " قال : ﴿ إن الله بنى الفردوس بيده وحظرها على كل مشرك وكل مدمن خمر ومتكبر ﴾(٢) .

وعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله " ﷺ وآله " : ﴿ خلق الله جنة عدن بيده ، لبنة من درة بيضاء ، ولبنة من ياقوتة حمراء ، ولبنة من زبرجد خضراء ، بلاطها المسك وحصباؤها اللؤلؤ ، وحشيشها الزعفران ، ثم قال لها : انطقي ، قالت : قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ، فقال الله عز وجل : وعزتي وجلالي لا يجاورني فيك بخيل ﴾(٣) ثم تلا رسول الله "ﷺ وآله" : ﴿ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾(٤).

وتأمل عناية الله تعالى كيف جعل هذه الجنة التي غرسها بيده لمن خلقه بيديه ولمن تفضل عليه من ذريته من بعهده ، قال تعالى في خلق الملك : ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ ﴾(٥) وقال في الملكوت: ﴿ فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾(٦) فخلق الملك بيد والملكوت بيد ، ، وقال في خلقة سيدنا آدم عليه السلام : ﴿ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾(٧) تشريفا وإظهارا لفضل ما خلقه بيديه على سائر أنواع خلقه من ملك وملكوت .

---

(١) القصص: ٦٨
(٢) البيهقي في الشعب
(٣) ابن أبي الدنيا في صفة الجنة
(٤) الحشر: ٩
(٥) الملك: ١
(٦) يس : ٨٣
(٧) ص: ٧٥

وعن النبي "ﷺ وآله" قال : ﴿ سأل موسى عليه السلام ربه : ما أدنى أهل الجنة منزلة؟ قال : رجل يجيء بعد ما دخل أهل الجنة الجنة فيقال له : ادخل الجنة ، فيقول : رب كيف وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا أخذاتهم ؟ فيقال له : أترضى أن يكون لك مثل ملك من ملوك الدنيا ؟ فيقول : رضيت رب ، فيقول له : لك ذلك ومثله ومثله ومثله ومثله ، فقال في الخامسة: رضيت رب ، قال : رب فأعلاهم منزلة ؟ قال : أولئك الذين أردت ، غرست كرامتهم بيدي ، وختمت عليها فلم تر عين ، ولم تسمع أذن ، ولم يخطر على قلب بشر[1]، ومصداقه من كتاب الله : (فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ)[2]﴾ .

---

(١) مسلم في الإيمان.
(٢) السجدة : ١٧.

الفصل الثالث

أول من يدخل الجنة

أول من يأخذ بحلق الجنة هو سيدنا ومولانا محمد " ﷺ وآله " :

أخرج الإمام أحمد في المسند أن أول من يأخذ بحلق أبواب الجنة هو سيدنا ومولانا رسول الله "ﷺ وآله" وفي ذلك إثبات تقدمه على سائر الأنبياء يوم القيامة وسائر الخلق أجمعين، وفي ذلك إبراز لمقامه الشريف وإظهار لمكانته السامية ومقامه الرفيع ؛ ليدرك ذلك الخلق كلهم ويتحسر حينئذ من أنكر ذلك عليه "ﷺ وآله" أو استكثره ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله "ﷺ وآله" : ﴿ أنا أول من يأخذ بحلقة باب الجنة ؛ ولا فخر ﴾ .

ومما جاء بلفظ آخر في رواية الحديث كما أخرجه الحميدي في مسنده ؛ قال رسول الله " ﷺ وآله " : ﴿ آخذ بحلقة باب الجنة فيؤذن لي ﴾.

وعن عبد السلام بن عجلان قال : سمعت أبا يزيد المدني ؛ سمعت أبا هريرة رضي الله عنه يقول : قال رسول الله "ﷺ وآله" : ﴿ أنا أول من يقرع حلقة باب الجنة ﴾ .

أخرج الإمام مسلم في صحيحه من حديث سليمان بن المغيرة عن ثابت عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله "ﷺ وآله" : ﴿ آتي باب الجنة يوم القيامة ؛ فأستفتح فيقول الخازن : من أنت ؟ فأقول : محمد ، فيقول : بك أمرت أن لا أفتح لأحد قبلك ﴾ وزاد الطبراني في روايته: ﴿ فيقوم الخازن فيقول : لا أفتح لأحد قبلك ولا أقوم لأحد بعدك ﴾ .

وفي ذلك مزيد بيان لمقامه "ﷺ وآله" وإظهار لمكانته ، وقيامه إليه " ﷺ وآله " خاصة

إظهار لمزيته ورتبته ولا يقوم في خدمة أحد بعده ، فانظر إلى ذلك الصنيع وتأمل في مكانة الحبيب " ﷺ وآله " ؛ خزنة الجنة يقومون في خدمته وهو كالملك عليهم والسلطان ؛ وقد أقامهم الله في خدمة عبده "ﷺ وآله" حتى مشى إليه وفتح له الباب ، إنها لكرامة عليا لم يسبقه إليها أحد ولا يلحقه أحد ، وخصوصية ومزية ليست إلا له " ﷺ وآله ".

روى الترمذي والبيهقي من حديث أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله "ﷺوآله" : ﴿ أنا أول الناس خروجاً إذا بعثوا ، وأنا خطيبهم إذا أنصتوا ، وقائدهم إذا وفدوا، وشافعهم إذا حبسوا ، وأنا مبشرهم إذا أيسوا ، لواء الحمد بيدي ، ومفاتيح الجنة يومئذ بيدي، وأنا أكرم ولد آدم يومئذ على ربي ولا فخر ، ويطوف عليّ ألف خادم كأنهم اللؤلؤ المكنون ﴾ .

وفي صحيح مسلم عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله " ﷺ وآله " : ﴿ أنا أكثر الناس تبعاً يوم القيامة ، وأنا أول من يقرع باب الجنة ﴾ .

ومن حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال : جلس ناس من أصحاب النبي "ﷺوآله" ينتظرونه ، قال : فخرج حتى إذا دنا منهم سمعهم يتذاكرون فسمع حديثهم ؛ فقال بعضهم : عجبا إن لله من خلقه خليلا ؛ اتخذ إبراهيم خليلا .

وقال آخر : ما ذاك بأعجب من كليمه موسى ؛ كلمه تكليما .

وقال آخر : فعيسى كلمة الله وروحه .

وقال آخر : آدم اصطفاه الله .

فخرج عليهم فسلم وقال : ﴿ سمعت كلامكم وعجبكم ، إن إبراهيم خليل الله وهو كذلك ؛ وموسى نجي الله وهو كذلك ؛ وعيسى روحه وكلمته وهو كذلك ؛ وآدم اصطفاه الله وهو كذلك .

ألا وأنا حبيب الله ولا فخر ، وأنا أول شافع وأول مشفع يوم القيامة ولا فخر ، وأنا

حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر ، وأنا أول من يحرك حلقة الجنة فيفتح لي فأدخلها ومعي فقراء المؤمنين ولا فخر ، وأنا أكرم الأولين والآخرين ولا فخر ﴾[١] .

الأمة الإسلامية أول الأمم دخولاً الجنة :

من حديث همام بن منبه عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله " ﷺ وآله " : ﴿ نحن السابقون الأولون يوم القيامة ، بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم ﴾[٢] (أي: لم يسبقونا إلا بهذا القدر، فمعنى بيد ؛ معنى سوى وغير وإلا ونحوها).

ومن حديث أبي صالح عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿ نحن الآخرون الأولون يوم القيامة ، ونحن أول من يدخل الجنة ، بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم ، فاختلفوا فهدانا الله لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه ﴾[٣].

ومن حديث طاوس عن أبي هريرة ﷺ عن النبي "ﷺ وآله" قال : ﴿ نحن الآخرون الأولون يوم القيامة ، نحن أول الناس دخولا الجنة ، بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم ﴾[٤].

وعن عمر بن الخطاب ﷺ عن رسول الله "ﷺ وآله" قال : ﴿ إن الجنة حرمت على الأنبياء كلهم حتى أدخلها ، وحرمت على الأمم حتى تدخلها أمتي ﴾[٥] .

فهذه الأمة الإسلامية أسبق الأمم خروجا من الأرض ، وأسبقهم إلى أعلى مكان في الموقف ، وأسبقهم إلى ظل العرش ، وأسبقهم إلى الفصل والقضاء بينهم ، وأسبقهم إلى الجواز على الصراط ، وأسبقهم إلى دخول الجنة .

---

(١) الترمذي في المناقب .
(٢) البخاري في الوضوء ، ومسلم في الجمعة .
(٣) مسلم في الجمعة .
(٤) البخاري في الجمعة ، ومسلم في الجمعة .
(٥) ابن عدي في الكامل .

السابقون من الأمة الإسلامية إلى الجنة وصفتهم :

ورد في كتاب : (أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه) للدكتور أحمد الرفاعي قول سيدنا رسول الله "ﷺ وآله" : ﴿ يا عليّ ، إنك أول من يقرع باب الجنة فتدخلها بغير حساب بعدي ﴾ .

شكا الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام لرسول الله " ﷺ وآله " حسد الناس فيه ، فقال له " ﷺ وآله " : ﴿ أما ترضى أن تكون رابع أربعة ، أول من يدخل الجنة أنا ، وأنت ، والحسن ، والحسين ، وأزواجنا عن أيماننا وشمائلنا ، وذرياتنا خلف أزواجنا ﴾ [١] .

أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر :

ومن حديث أبي زرعة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله " ﷺ وآله " : ﴿أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر ، والذين يلونهم على أشد كوكب دري في السماء إضاءة ، لا يبولون ولا يتغوطون ولا يتفلون ولا يتمخطون ، أمشاطهم الذهب ، ورشحهم المسك ، ومجامرهم الألوة ، وأزواجهم الحور العين ، أخلاقهم على خلق رجل واحد ، على صورة أبيهم آدم ستون ذراعا في السماء﴾[٢]

ويقول " ﷺ وآله " : ﴿ أول زمرة تلج الجنة صورهم على صورة القمر ليلة البدر ، لا يبصقون فيها ، ولا يتغوطون فيها ، ولا يتمخطون فيها ، آنيتهم وأمشاطهم الذهب والفضة ، ومجامرهم الألوة ، ورشحهم المسك ، ولكل واحد منهم زوجتان يرى مخ ساقهما من وراء اللحم من الحسن ، لا اختلاف بينهم ولا تباغض ، قلوبهم على قلب رجل واحد ، يسبحون بكرة وعشيا ﴾[٣] .

---

(١) أورده الشيخ موسى محمد علي في كتابه (سيد الشهداء الإمام الحسين رضي الله عنه) .
(٢) البخاري في الأنبياء ، ومسلم في الجنة ، ومجامرهم : جمع مجمرة ، وهي المبخرة ، والألوة : العود الذي يتبخر به.
(٣) البخاري في بدء الخلق ، ومسلم في الجنة .

أول من يدعى إلى الجنة الحامدون :

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله " ﷺ وآله " : ﴿ أول من يدعى إلى الجنة يوم القيامة الحامدون الذين يحمدون الله في السراء والضراء ﴾[١].

أول ثلاثة يدخلون الجنة :

وعن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله "ﷺ وآله" : ﴿ عرض عليّ أول ثلاثة من أمتي يدخلون الجنة ، وأول ثلاثة يدخلون النار :

فأما أول ثلاثة يدخلون الجنة : فالشهيد ، وعبد مملوك لم يشغله رق الدنيا عن طاعة ربه، وفقير متعفف ذو عيال .

وأول ثلاثة يدخلون النار : فأمير مسلط ، وذو ثروة من مال لا يؤدي حق الله في ماله ، وفقير فخور ﴾[٢].

وروى الترمذي عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله "ﷺ وآله" : ﴿ عرض عليَّ أول ثلاثة يدخلون الجنة : شهيد ، وغفيف متعفف، وعبد أحسن عبادة الله ونصح مواليه ﴾ .

وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله "ﷺ وآله" : ﴿ هل تدرون أول من يدخل الجنة ؟ ﴾ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال: ﴿ فقراء المهاجرين الذين تتقى بهم المكاره ، ويموت أحدهم وحاجته في صدره لا يستطيع لها قضاء ، تقول الملائكة : ربنا نحن ملائكتك وخزنتك وسكان سمواتك لا تدخلهم الجنة قبلنا ، فيقول : عبادي لا يشركون بي شيئا تتقى بهم المكاره ، يموت أحدهم وحاجته في صدره لم يستطع لها قضاء ، فعند ذلك تدخل عليهم الملائكة من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار ﴾ [٣] .

---

(١) الحاكم .
(٢) أحمد في المسند .
(٣) الهيثمي في المجع وعزاه لأحمد والبزار والطبراني ورجالهم ثقات .

السابقون وأصحاب اليمين :

ولما ذكر الله تعالى أصناف بني آدم سعيدهم وشقيهم ، قسَّم سعيدهم إلى قسمين : سابقين وأصحاب يمين ، فقال تعالى: ﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴾[1] وفي ذلك أقوال منها :

١- أن ذلك من باب التوكيد اللفظي ، ويكون الخبر قوله تعالى: ﴿أُوْلَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾[2].

٢- أن يكون السابقون الأول مبتدأ والثاني خبر .

٣ – أن يكون الأول غير الثاني ، فيكون المعنى : السابقون في الدنيا إلى الخيرات هم السابقون يوم القيامة إلى الجنات ، والسابقون إلى الإيمان هم السابقون إلى الجنان ، والله أعلم.

وما ثبت عن رسول الله "ﷺ وآله" نتلقاه بالقبول والتصديق مع استقامة الفهم واعتقاد أن أحدا لا يسبق رسول الله "ﷺ وآله" إلى الجنة .

وما ورد في بعض الأحاديث الشريفة كما أورد الترمذي وغيره : أصبح رسول الله "ﷺ آله" فدعا بلالا فقال : ﴿ يا بلال ، بم سبقتني إلى الجنة فما دخلت الجنة قط إلا سمعت خشخشتك أمامي ، ودخلت البارحة فسمعت خشخشتك أمامي ؟.... ﴾ .

إلى أن قال بلال رضي الله عنه : يا رسول الله ، ما أذّنت قط إلا وصليت ركعتين ، وما أصابني حدث قط إلا توضأت عندها ورأيت أن لله عليَّ ركعتين ، فقال رسول الله "ﷺ وآله" : ﴿فبذلك﴾ .

هذا الحديث صحيح ، والأمة كلها تلقته بالقبول لكن لا يفهم منه أن سيدنا بلالا رضي الله عنه يدخل الجنة قبل رسول الله "ﷺ وآله" ، وليس في الحديث ما يدل على أن أحدا يسبق رسول الله "ﷺ وآله" إلى الجنة .

---

(١) الواقعة : ١٠.
(٢) الواقعة : ١١.

إذاً هناك يأتي السؤال : فما معنى تقدم بلال رضي الله عنه بين يدي رسول الله "ﷺوآله" في الجنة والذي جاء في الحديث ؟ .

معلوم أن بلالا رضي الله عنه كان مؤذن سيدنا ومولانا رسول الله "ﷺ وآله" للصلاة ، وكان يدعو إلى الله أولاً بالأذان ، وبذلك يتقدم أذانه بين يدي رسول الله "ﷺ وآله" ؛ ويتقدم دخوله بين يدي رسول الله في الجنة لذلك ، وليس هذا سبق دخول . إنما دخول سيدنا رسول الله "ﷺ وآله" الجنة يكون على عادة الملوك ، والملك إذا دخل مكانا دخل بين يديه الحجاب والخدام ، وبلال من جملة الخدم لسيدنا رسول "ﷺ وآله" ، وقد جاء في حديث عن النبي "ﷺ وآله" : أن النبي "ﷺ وآله" يبعث يوم القيامة وبلال بين يديه ينادي بالأذان .

ومن ذلك يفهم أن تقدم بلال بين يدي رسول الله "ﷺ وآله" كرامة لرسول الله من كرامات يوم القيامة والتي خص بها ، وإظهار من الله لشرفه وعلو مترلته ورفعته ومزيد فضله، وليس سبقا من بلال له وتقدما عليه .

شطرأهل الجنة :

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله "ﷺ وآله" : ﴿ أما ترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة ؟ ﴾ فكبّرنا ، ثم قال : ﴿ أما ترضون أن تكونوا ثلث أهل الجنة ؟ ﴾ فكبّرنا ، ثم قال : ﴿ إني لأرجو أن تكونوا شطر أهل الجنة ، وسأخبركم عن ذلك ، ما المسلمون في الكفار إلا كشعرة بيضاء في ثور أسود ، أو كشعرة سوداء في ثور أبيض ﴾ [(١)] .

صفوف أهل الجنة :

وعن بريدة بن الحصيب رضي الله عنه قال : قال رسول الله "ﷺ وآله" : ﴿ أهل الجنة عشرون ومائة صف ، هذه الأمة منها ثمانون صفا ﴾ [(٢)] .

---

(١) البخاري في الرقاق ، ومسلم في الإيمان.
(٢) أحمد .

وقال "ﷺ وآله" : ﴿ أهل الجنة عشرون ومائة صف أنتم منها ثمانون صفا ﴾[1] .

وهذه الأحاديث الشريفة وغيرها في هذا الباب قد تعددت طرقها واختلفت مخارجها ، ولا تنافي بينها وبين حديث الشطر ، لأن سيدنا رسول الله "ﷺ وآله" رجا أولا أن يكونوا شطر الجنة (والشطر : نصف الشيء وجزؤه ، ويقال : شاطرته مالي : ناصفته) فأعطى الله رسوله "ﷺ وآله" رجاءه وزاده عليه سدسا آخر .

وجابر رضي الله عنه يروي قول رسول الله "ﷺ وآله" : ﴿ أرجو أن يكون من يتبعني من أمتي يوم القيامة ربع أهل الجنة ﴾ قال : فكبّرنا ، ثم قال : ﴿ فأرجو أن تكونوا الشطر ﴾[2].

أكثر أهل الجنة هم أمة سيدنا محمد "ﷺ وآله" :

يدخل من هذه الأمة الجنة جموع كثيرة الله أعلم بعددهم ، ففي صحيح البخاري عن سعيد بن جبير قال : حدثني ابن عباس ، قال : قال النبي "ﷺ وآله" : ﴿ عرضت عليّ الأمم ، فأخذ النبي يمر معه الأمة ، والنبي يمر معه النفر ، والنبي يمر معه العشرة ، والنبي يمر معه الخمسة ، والنبي يمر وحده ، فنظرت فإذا سواد كثير ، قلت : يا جبريل هؤلاء أمتي ؟ قال : لا ، ولكن انظر إلى الأفق ، فنظرت فإذا سواد كثير ، قال : هؤلاء أمتك ، وهؤلاء سبعون ألفا قدامهم لا حساب عليهم ولا عذاب ﴾[3].

والسواد الأول الذين سأل عنهم الرسول "ﷺ وآله" هم بنو إسرائيل ، كما في بعض الروايات في الصحيح ﴿ فرجوت أن تكون أمتي فقيل : هذا موسى وقومه ﴾[4].

ولا شك أن أمة سيدنا محمد "ﷺ وآله" أكثر من بني إسرائيل ، ففي الحديث : ﴿ فإذا سواد كثير ﴾ قال ابن حجر : في رواية سعيد بن منصور : ﴿ عظيم ﴾ وزاد ﴿ فقيل لي :

---

(١) الطبراني في الكبير والهيثمي في المجمع وعزاه للطبراني في الكبير .
(٢) أحمد .
(٣) رواه البخاري .
(٤) فتح الباري .

انظر إلى الأفق ، فنظرت فإذا سواد عظيم ، فقيل لي : انظر إلى الأفق الآخر مثله ﴾ وفي رواية ابن فضيل : ﴿ فإذا سواد قد ملأ الأفق ، فقيل لي : انظر هاهنا ، وهاهنا في آفاق السماء ﴾ وفي حديث ابن مسعود : ﴿ فإذا الأفق قد سد بوجوه الرجال ﴾ وفي لفظ لأحمد : ﴿ فرأيت أمتي قد ملأوا السهل والجبل ، فأعجبني كثرهم وهيئتهم ، فقيل : أرضيت يا محمد؟ قلت : نعم يا رب ﴾(١).

وقد ورد في بعض الأحاديث أن مع كل ألف من السبعين ألفا سبعين ألفا ، وثلاث حثيات من حثيات الله ، ففي مسند أحمد ، وسنن الترمذي وابن ماجه عن أبي أمامة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله "ﷺ وآله" يقول : ﴿ وعدني ربي أن يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفا لا حساب عليهم ، ولا عذاب ، مع كل ألف سبعون ألفا ، وثلاث حثيات من حثيات ربي ﴾ ، ولا شك أن الثلاث حثيات تدخل الجنة خلقا كثيرا .

وفي الحديث المتفق عليه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن الرسول "ﷺ وآله" في ذكر بعث النار ، قال صلوات الله وسلامه عليه في آخره : ﴿ والذي نفسي بيده إني لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة ﴾ فكبّرنا ، فقال : ﴿ أرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة ﴾ فكبرنا ، فقال : ﴿أرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة﴾ فكبرنا ، قال : ﴿ ما أنتم في الناس إلا كالشعرة السوداء في جلد ثور أبيض ، أو كشعرة بيضاء في جلد ثور أسود ﴾(٢).

بل ورد في بعض الأحاديث أن هذه الأمة تبلغ ثلثي أهل الجنة ، ففي سنن الترمذي بإسناد حسن ، وسنن الدارمي ، و (البعث والنشور) للبيهقي عن بريدة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ﴿ أهل الجنة عشرون ومائة صف ، ثمانون منها من هذه الأمة، وأربعون من سائر الأمم ﴾(٣) .

(١) فتح الباري .
(٢) مشكاة المصابيح .
(٣) مشكاة المصابيح .

وفي صحيح مسلم عن أنس ﷺ قال : قال رسول الله "ﷺ وآله" : ﴿ أنا أول شفيع في الجنة لم يصدق نبي من الأنبياء ما صدقت ، وإن من الأنبياء نبيا ما صدقه من أمته إلا رجل واحد ﴾[1] .

والسر في كثرة من آمن من هذه الأمة أن معجزة الرسول "ﷺ وآله" الكبرى كانت وحيا متلوا يخاطب العقول والقلوب ، وهي معجزة باقية محفوظة إلى قيام الساعة ، ففي الصحيحين عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله "ﷺ وآله" : ﴿ ما من الأنبياء من نبي إلا قد أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر ، وإنما كان الذي أوتيت وحيا أوحى الله إلي ، وأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة ﴾[2].

امرأة تبادر رسول الله "ﷺ وآله" عند دخول الجنة :

ذكر الحافظ المنذري في الترغيب حديثا عن أبي هريرة ﷺ وقال إسناده حسن ، وكذلك في مجمع الزوائد للهيثمي ، عنه "ﷺ وآله" قال : ﴿ أنا أول من يفتح باب الجنة ؛ إلا أن امرأة تبادرني فأقول لها : مالك ؟ ومن أنت ؟ فتقول : أنا امرأة قعدت على يتامى ﴾ .

---

(١) مشكاة المصابيح .
(٢) مشكاة المصابيح .

العشرة المبشرون بالجنة

نص الرسول " ﷺ وآله " : نصا صريحا على أن عشرة من أصحابه رضي الله عنهم من أهل الجنة ، ففي مسند أحمد عن سعيد بن زيد رضي الله عنه ، وسنن الترمذي عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه عن النبي "ﷺ وآله" قال : ﴿ أبو بكر في الجنة ، وعمر في الجنة ، وعثمان في الجنة، وعليّ في الجنة ، وطلحة في الجنة ، والزبير في الجنة ، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة ، وسعد بن أبي وقاص في الجنة ، وسعيد ابن زيد في الجنة ، وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة ﴾ . وإسناده صحيح[١].

وروى الحديث الإمام أحمد وأبو داود وابن ماجة والضياء في المختارة عن سعيد بن زيد رضي الله عنه بلفظ فيه شيء من الاختلاف عن سابقه ، ولفظه : ﴿ عشرة في الجنة : النبي في الجنة ، وأبو بكر في الجنة ، وعمر في الجنة ، وعثمان في الجنة ، وعليّ في الجنة ، وطلحة في الجنة ، والزبير بن العوام في الجنة وسعد بن مالك في الجنة ، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة ، وسعيد بن زيد في الجنة ﴾ وإسناده صحيح[٢].

وتذكر لنا كتب السنة أن الرسول "ﷺ وآله" كان يوما جالسا على بئر أريس وأبو موسى الأشعري رضي الله عنه بواب له ، فجاء أبو بكر الصديق رضي الله عنه فاستأذن ، فقال له الرسول " ﷺ وآله " : ﴿ ائذن له وبشره بالجنة ﴾ ثم جاء عمر رضي الله عنه ، فقال: ﴿ ائذن له وبشره بالجنة ﴾ ثم جاء عثمان رضي الله عنه ، فقال : ﴿ ائذن له وبشره بالجنة على بلوى تصيبه ﴾[٣].

وروى ابن عساكر بإسناد صحيح عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي "ﷺ وآله" قال : ﴿ القائم بعدي في الجنة، والذي يقوم بعده في الجنة ، والثالث والرابع في الجنة ﴾[٤] .

---

(١) صحيح الجامع الصغير .
(٢) صحيح الجامع الصغير .
(٣) رواه البخاري ومسلم والترمذي .
(٤) صحيح الجامع الصغير .

ومراده بالقائم بعده : الذي يلي الحكم بعده ، وهؤلاء الأربعة هم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم جميعا .

وروى الترمذي والحاكم بإسناد صحيح عن السيدة عائشة رضي الله عنها أن الرسول "ﷺ وآله" قال لأبي بكر : ﴿ أنت عتيق من النار ﴾[1].

سيدا شباب أهل الجنة

أخبرنا الرسول "ﷺ وآله" أن سيدنا الحسن وسيدنا الحسين عليهما السلام سيدا شباب أهل الجنة ، ثبت ذلك من طرق كثيرة تبلغ درجة التواتر ، فقد رواه الترمذي والحاكم والطبراني وأحمد وغيرهم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : رسول الله "ﷺ وآله" : ﴿الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة﴾ .

ورواه الترمذي وابن حبان أحمد والطبراني وغيرهم عن حذيفة رضي الله عنه قال : أتيت النبي "ﷺ وآله" فصليت معه المغرب ، ثم قام يصلي حتى العشاء ، ثم خرج ، فاتبعته ، فقال : ﴿عرض لي ملك استأذن ربه أن يسلم عليَّ ويبشرنى في أن الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة﴾.

وأخرجه الحاكم وابن عساكر عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه أن الرسول "ﷺ وآله" قال: ﴿ابناي هذان سيدا شباب أهل الجنة ﴾ .

سيدات نساء أهل الجنة

السيد الحق هو الذى يثني عليه ربه ويشهد له ، والسيدة الفاضلة هي التي يرضى عنها ربها ؛ ويتقبلها بقبول حسن ، وأفضل النساء هن اللواتى يَحُزْنَ جنات النعيم ، ونساء أهل الجنة يتفاضلن ، وسيدات نساء أهل الجنة : خديجة ، وفاطمة ، ومريم ، وآسية .

---

(١) صحيح الجامع الصغير .

ففي مسند أحمد ، ومشكل الآثار للطحاوي ، ومستدرك الحاكم بإسناد صحيح عن ابن عباس رضي الله عنه قال : خط رسول الله "صلى الله عليه وسلم وآله" في الأرض أربعة أخطط ، ثم قال: ﴿ تدرون ما هذا ؟ ﴾ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : ﴿ أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد ، وفاطمة بنت محمد ، ومريم ابنة عمران ، وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون ﴾[١].

وهؤلاء الأربع نماذج رائعة للنساء الكاملات الصالحات ، فالسيدة مريم ابنة عمران أثنى عليها ربها في قوله : ﴿ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ ﴾[٢] .

والسيدة خديجة الصديقة سلام الله عليها التي آمنت بالرسول "صلى الله عليه وسلم وآله" من غير تردد، وثبتته ، وآسته بنفسها ومالها ، وقد بشرها ربها في حياتها بقصر في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب .

فقد روى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : أتى جبريل النبي "صلى الله عليه وسلم وآله" فقال: ﴿ يا رسول الله ، هذه خديجة قد أتت معها إناء فيه إدام أو طعام أو شراب ، فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومني ، وبشرها ببيت في الجنة من قصب ، لا صخب فيه ولا نصب ﴾[٣].

والسيدة آسية امرأة فرعون ؛ هان عليها ملك الدنيا ونعيمها ، فكفرت بفرعون وألوهيته ، فعذبها زوجها فصبرت حتى خرجت روحها إلى بارئها ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾[٤] .

---

(١) رواه البخاري في صحيحه كتاب مناقب الأنصار باب تزويج النبي صلى الله عليه وآله وسلم السيدة خديجة وفضلها .
(٢) التحريم : ١٢ .
(٣) رواه البخاري في كتاب المناقب باب تزويج النبي " صلى الله عليه وسلم وآله " السيدة خديجة وفضلها . والقصب هنا : اللؤلؤ المجوف ، والصخب : الصياح واللغط ، والنصب : التعب .
(٤) التحريم : ١١ .

والسيدة فاطمة الزهراء عليها السلام ابنة الرسول "ﷺ وآله" البتول الصابرة المحتسبة التقية الورعة فرع الشجرة الطاهرة ، وتربية سيد الخلق صلى الله عليه وآله وسلم ، وزوج الإمام عليّ ، وأم ذرية سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

أخرج أحمد في مسنده والترمذي والنسائي أن حذيفة رضي الله عنه بعثته أمه ليستغفر له رسول الله "ﷺ وآله" ولها ، قال : فأتيته فصليت معه المغرب ، ثم صليت حين صلى العشاء ، ثم انتقل فتبعته فسمع صوتي فقال : ﴿ من هذا ؟ .... حذيفة ؟﴾ قلت : نعم ، قال : ﴿ ما حاجتك ؟ غفر الله لك ولأمك ، إن هذا ملَك لم ينزل إلى الأرض قبل هذه الليلة استأذن ربه بأن يسلم عليّ ، ويبشرني بأن فاطمة سيدة نساء أهل الجنة وأن الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة ﴾ .

قال "ﷺ وآله" : ﴿ يا فاطمة ، تدرين لم سميت فاطمة ؟ ﴾ ، قال الإمام علىّ كرم الله وجهه : لم سميت ؟ قال : ﴿ إن الله عز وجل قد فطمها وذريتها من النار يوم القيامة ﴾ .

وقال "ﷺ وآله" : ﴿ إن الله فطم ابنتي فاطمة وولديها ومن أحبهم من النار ﴾ .

بعض من نُصّ على أنهم في الجنة غير العشرة

١-٢ جعفر بن أبي طالب وحمزة بن عبد المطلب رضي الله عنهما:

من الذين أخبر الرسول "ﷺ وآله" أنهم في الجنة سيدنا جعفر وسيدنا حمزة رضي الله عنهما ، ففي سنن الترمذي ، ومسند أبي يعلي ، ومستدرك الحاكم وغيرهم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن سيدنا ومولانا رسول الله "ﷺ وآله" قال : ﴿ رأيت جعفر بن أبي طالب ملكاً يطير في الجنة بجناحين ﴾[1].

(١) صحيح الجامع الصغير .

وروى الطبراني ، وابن عدي ، والحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما أن الـــنبي "ﷺ وآله" قال : ﴿ دخلت الجنة البارحة ، فنظرت فيها ، فإذا جعفر يطير مع الملائكة ، وإذا حمزة متكئ على سرير ﴾ وإسناده صحيح(١) .

وقد صح أن الرسول "ﷺ وآله" قال : ﴿ سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب ﴾(٢).

٣- عبد الله بن سلام رضي الله عنه :

روى أحمد والطبراني والحاكم بإسناد صحيح عن معاذ رضي الله عنه قال:قـــال رســـول الله "ﷺ وآله": ﴿ عبد الله بن سلام عاشر عشرة في الجنة ﴾(٣) .

٤- زيد بن حارثة رضي الله عنه :

روى الروياني والضياء عن بريدة أن النبي "ﷺ وآله" قال : ﴿ دخلت الجنة فاستقبلتني جارية شابة ، فقلت : لمن أنت ؟ قالت : لزيد بن حارثة ﴾(٤).

٥- زيد بن عمرو بن نفيل رضي الله عنه :

روى ابن عساكر بإسناد حسن عن السيدة عائشة رضي الله عنها قالت : قال رســـول الله "ﷺ وآله" : ﴿ دخلت الجنة فرأيت لزيد بن عمرو بن نفيل درجتين ﴾(٥).

وزيد رضي الله عنه كان يدعو إلى التوحيد في الجاهلية ، وكان على الحنيفية ملة سيدنا إبـــراهيم عليه السلام .

---

(١) صحيح الجامع الصغير .
(٢) صحيح الجامع الصغير .
(٣) صحيح الجامع الصغير .
(٤) صحيح الجامع الصغير .
(٥) صحيح الجامع الصغير .

٦- حارثة بن النعمان ﵁ :

وروى الترمذي والحاكم عن السيدة عائشة رضي الله عنها أن رسول الله "ﷺ وآلــه" قال: ﴿ دخلت الجنة فسمعت فيها قراءة ، فقلت : من هذا ؟ قالوا : حارثة بــن النعمــان ، كذلكم البر، كذلكم البر ﴾[1].

٧- بلال بن رباح ﵁ :

روى الطبراني وابن عدي بإسناد صحيح عن أبي أمامة ﵁ عن النبي "ﷺ وآله" قــال : ﴿دخلت الجنة فسمعت خشفة بين يدى ، قلت : ما هذه الخشفة ؟ فقيل : هذا بلال يمشــي أمامك﴾[2] (الخَشْفة : الصوت و الحركة)

وفي المسند بإسناد صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي "ﷺ وآله" قــال : ﴿دخلت الجنة ليلة أسري بي فسمعت من جانبها وَجْسًا ، فقلت : يا جبريل ما هذا ؟ قال : بلال المؤذن ﴾[3].

٨- أبو الدحداح ﵁ :

روى مسلم في صحيحه وأبو داود والترمذي وأحمد عن جابر بن سمرة ﵁ أن رســول الله "ﷺ وآله" قال : ﴿ كم من عذق معلق لأبي الدحداح في الجنة ﴾[4]. (العَذْقُ : النخلــة بحَمْلِهَا، والعِذْق : القِنو من النخلة) .

وأبو الدحداح ﵁ هو الذي تصدق ببستانه : بيرحاء ، أفضل بساتين المدينة عندما سمع الله تعالى يقول : ﴿ مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَــثِيرَةً وَاللّــهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾[5] .

---

(١) صحيح الجامع الصغير .
(٢) صحيح الجامع الصغير .
(٣) صحيح الجامع الصغير .
(٤) صحيح الجامع الصغير .
(٥) البقرة : ٢٤٥ .

٩- ورقة بن نوفل ﷺ :

روى الحاكم بإسناد صحيح عن السيدة عائشة رضي الله عنها أن رسول الله "ﷺ وآله" قال : ﴿ لا تسبوا ورقة بن نوفل ، فإني قد رأيت له جنة أو جنتين ﴾[١] .

وورقة آمن بالرسول "ﷺ وآله" عندما جاءته السيدة خديجة عليها السلام بالرسول "ﷺوآله" في أول مرة ، وتمنى على الله أن يدرك ظهور أمر الرسول "ﷺ وآله" لينصره .

تنقية المؤمنين قبل دخولهم الجنة :

بعد أن يجتاز المؤمنون الصراط يوقفون على قنطرة بين الجنة والنار ، ثم يهذبون وينقون فيقتص لبعضهم من بعض إذا كانت بينهم مظالم في الدنيا ، حتى إذا أدخلوا الجنة كانوا أطهارًا أبرارًا ، ليس لأحد عند الآخر مظلمة ، ولا يطلب بعضهم بعضًا بشيء .

يقول سيدنا ومولانا رسول الله "ﷺ وآله" : ﴿ يخلص المؤمنون من النار ؛ فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار ؛ فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا ، حتى إذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة ، فو الذي نفس محمد بيده لأحدهم أهدى بمترله في الجنة منه بمترله في الدنيا ﴾[٢].

سعادة المؤمنين بدخول الجنة :

سعادة المؤمنين لا تعادلها سعادة عندما يساقون مكرمين زمراً إلى جنات النعيم ، حتى إذا ما وصلوا إليها فتحت أبوابها ، واستقبلتهم الملائكة الكرام مهنئين بسلامة الوصول ، بعد ما عانوه من الكربات وشاهدوه من الأهوال ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَراً حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴾[٣]. أي:

---

(١) صحيح الجامع الصغير.
(٢) رواه البخاري في صحيحه عن أبي سعيد الخدري .
(٣) الزمر : ٧٣.

طابت أعمالكم وأقوالكم وعقائدكم فأصبحت نفوسكم زاكية ، وقلوبكم طاهرة فبذلك نلتم الجنات .

كيفية دخول الجنة واستقبال المؤمنين فيها :

قال الله تعالى : ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَراً ﴾[1]. وقال جل شأنه : ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْداً﴾[2].

وعن الإمام علي عليه السلام أنه سأل سيدنا ومولانا رسول الله "ﷺ وآله" عن هذه الآية ﴿ يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدًا ﴾ قال : قلت : يا رسول الله ، ما الوفد إلا ركب ؟ قال النبي "ﷺ وآله" : ﴿ والذي نفسي بيده إنهم إذا خرجوا من قبورهم استقبلوا بنوق بيض لها أجنحة عليها رحال الذهب ، شُرُكُ نعالهم نور يتلألأ ، كل خطوة منها مثل مد البصر .

وينتهون إلى باب الجنة ؛ فإذا حلقة من ياقوته حمراء على صفائح الذهب ، وإذا شجرة على باب الجنة ينبع من أصلها عينان ، فإذا شربوا من إحداها جرت في وجوههم نضرة النعيم، وإذا توضأوا من الأخرى لم تشعث أشعارهم أبدًا ، فيضربون الحلقة بالصفيحة ، فلو سمعت طنين الحلقة ، فيبلغ كل حوراء أن زوجها قد أقبل فتستخفها العجلة ، فتبعث قيّمها فيفتح له الباب ، فلولا أن الله عز وجل عرّفه نفسه لخر له ساجدًا مما يرى من النور والبهاء ، فيقول : أنا قيّمك الذي وكلت بأمرك ، فيتبعه فيقفو أثره .

فيأتي زوجته فتستخفها العجلة فتخرج من الخيمة فتعانقة وتقول : أنت حِبِّي وأنا حِبُّك، وأنا الراضية فلا أسخط أبدًا ، وأنا الناعمة فلا أبأس أبدًا ، والخالدة فلا أظعن أبدًا .

فيدخل بيتًا من أساسه إلى سقفه مائة ذراع ، مبني على جندل اللؤلؤ والياقوت طرائق حمر ، وطرائق خضر ، وطرائق صفر، ما منها طريقة تشاكل صاحبتها ، فيأتي الأريكة ، فإذا عليها سرير ، على السرير سبعون فراشًا ، عليها سبعون زوجة ، على كل زوجة سبعون حلة

---

(١) الزمر : ٧٣.
(٢) مريم : ٨٥.

يرى مخ ساقها من باطن الجلد يقضى جماعهن في مقدار ليلة ، تجري من تحتهم أنهار مطردة ، أنهار من ماء غير آسن صاف ليس فيه كدر ، وأنهار من عسل مصفى لم يخرج من بطون النحل، وأنهار من خمر لذة للشاربين لم تعصره الرجال بأقدامها ، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه لم يخرج من بطون الماشية .

فإذا اشتهوا الطعام جاءتهم طيور بيض فترفع أجنحتها فيأكلون من جنوبها من أي الألوان شاءوا ، ثم تطير فتذهب ، فيها ثمار متدلية إذا اشتهوها انشعب الغصن إليهم ، فيأكلون من أي الثمار شاءوا ، إن شاء قائمًا وإن شاء متكئًا ، وذلك قوله عز وجل : ﴿وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾(١) ، وبين أيديهم خدم كاللؤلؤ ﴾(٢).

وعن النعمان بن سعد في هذه الآية ﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْداً ﴾ قال : والله لا يحشر الوفد على أرجلهم ، ولكن يؤتون بنوق لم تر الخلائق مثلها ، عليها رحال الذهب ، وأزمتها الزبرجد ، فيركبون عليها حتى يضربوا باب الجنة .

وعن الإمام عليّ عليه السلام قال : يساق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرًا ؛ حتى إذا انتهوا إلى باب من أبوابها وجدوا عنده شجرة يخرج من تحت ساقها عينان تجريان ، فعمدوا إلى إحديهما كأنما أمروا بها فشربوا منها فأذهب ما في بطونهم من أذى وقذى وبأس ، ثم عمدوا إلى الأخرى فتطهروا منها فجرت عليهم نضرة النعيم فلم تغبر أبشارهم أو تغير بعدها أبدًا ، ولن تشعث أشعارهم كأنما دهنوا بالدهان ، ثم انتهوا إلى خزنة الجنة فقالوا : سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين .

قال : ثم تتلقاهم الولدان يطيفون بهم كما يطيف ولدان أهل الدنيا بالحميم الذي يقدم من غيبته ، فيقولون : أبشر بما أعد الله لك من الكرامة – كذا قال – .

ثم ينطلق غلام من أولئك الولدان إلى بعض أزواجه من الحور العين فيقول قد جاء فلان – باسمه الذي كان يدعى به في الدنيا – فتقول : أنت رأيته ؟ فيقول : أنا رأيته وهو ذا

(١) الرحمن : ٥٤.
(٢) أبو نعيم في صفة الجنة.

بأثري، فيستخف إحداهن الفرح حتى تقوم على أَسْكُفَّةِ بابها (الأسكُفَّة : خشبة الباب التي يوطأ عليها) فإذا انتهى إلى منزله نظر إلى أساس بنائه ، فإذا جَنْدَلْ اللؤلؤ (الجندل : ما يقله الرجل من الحجارة) فوقه صرح أخضر وأصفر وأحمر من كل لون ، ثم رفع رأسه فنظر إلى سقفه ؛ فإذا مثل البرق ، فلولا أن الله قدره له لألم أن يذهب بصره .

ثم طأطأ رأسه فنظر إلى أزواجه ؛ وأكواب موضوعة ؛ ونمارق مصفوفة ؛ وزرابي مثبوثة (الزرابي : كل ما بُسط واتكئ عليه) ؛ فنظروا إلى تلك النعمة ؛ ثم اتكأوا وقالوا : الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ، ثم ينادي منادٍ : تحيون فلا تموتون أبدًا ، وتقيمون فلا تظعنون (أي : لا تسافرون) وتصحون فلا تمرضون أبدًا[1].

وقال عبد الله بن المبارك رضي الله عنه : أنبأنا سليمان بن المغيرة عن حميد بن هلال قال: ذكر لنا أن الرجل إذا دخل الجنة صور صورة أهل الجنة ، وألبس لباسهم ، وحلي حليهم ، ورأى أزواجه وخدمه ، ويأخذه سوار الفرح لو كان ينبغي أن يموت لمات من سوار فرحه ، فيقال له : أرأيت سوار فرحتك هذه فإنها قائمة لك أبدًا .

وقال أيضًا : أخبرنا رشدين بن سعد أنبأنا زهرة بن معبد القرشي عن أبي عبد الرحمن الجيلي قال : إن العبد أول ما يدخل الجنة يتلقاه سبعون ألف خادم كأنهم اللؤلؤ .

وقال أبو نعيم : أنبأنا أبو سلمة عن الضحاك قال : إذا دخل المؤمن الجنة دخل أمامه ملك فأخذ به في سككها ، فيقول له : انظر ما ترى ؟ قال : أرى أكثر قصور رأيتها من ذهب وفضة ، وأكثر أنيس ، فيقول الملك ، فإن هذا أجمع لك ، حتى إذا رفع إليهم استقبلوه من كل باب ومن كل مكان يقولون : نحن لك .

ثم يقول : امش ، فيقول : ماذا ترى ؟ فيقول : أرى أكثر عساكر رأيتها من خيام ، وأكثر أنيس ، قال : فإن هذا أجمع لك ، فإذا رفع إليهم استقبلوه فقالوا : نحن لك نحن لك.

---

(١) ابن أبي الدنيا في صفة الجنة والعقيلي في الضعفاء.

وفي الصحيحين من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه أن سيدنا رسول الله "ﷺ وآله" قال : ﴿ ليدخلن الجنة من أمتى سبعون ألفًا – أو سبعمائة ألف – متماسكون آخذ بعضهم ببعض ، لا يدخل أولهم حتى يدخل آخرهم ، وجوههم على صورة القمر ليلة البدر﴾.

تحفة أهل الجنة حين يدخلونها :

من حديث ثوبان رضي الله عنه قال : كنت قائمًا عند رسول الله "ﷺ وآله" ؛ فجاء حبر من أحبار اليهود فقال : السلام عليك يا محمد ، فدفعته دفعة كاد يصرع منها ، فقال : لم تدفعني ؟ فقلت : ألا تقول : يا رسول الله ؟ فقال اليهودي: إنما ندعوه باسمه الذي سماه به أهله ، فقال رسول الله "ﷺ وآله" : ﴿ إن اسمي محمدًا الذي سماني به أهلى ﴾ فقال اليهودي : جئت أسألك .

فقال له رسول الله "ﷺ وآله" : ﴿ أينفعك بشيء إن حدثتك ؟ ﴾ فقال : أسمع بأذني ، فنكت رسول الله "ﷺ وآله" بعود معه ، فقال : ﴿ سل ﴾ فقال اليهودي : أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض ؟ فقال رسول الله "ﷺ وآله" : ﴿ في الظلمة دون الجسر ﴾ قال: فمن أول الناس إجازة يوم القيامة ؟ قال : ﴿ فقراء المهاجرين ﴾ قال اليهودي : فما تحفتهم حين يدخلون الجنة ؟ قال : ﴿ زيادة كبد النون ﴾ قال : فما غذاؤهم على أثرها ؟ قال : ﴿ينحر لهم ثور الجنة الذي كان يأكل من أطرافها﴾ قال : فما شرابهم ؟ قال : ﴿ من عين فيها تسمى سلسبيلا ﴾ قال : صدقت .

قال : وجئت أسألك عن شيء لا يعلمه أحد من أهل الأرض إلا نبي أو رجل أو رجلان، قال : أينفعك إن حدثتك ؟ ﴿ قال : أسمعك بأذني ﴾، قال : جئت أسألك عن الولد؟ قال : ﴿ ماء الرجل أبيض وماء المرأة أصفر ، فإذا اجتمعا فعلا منيّ الرجل مني المرأة أذكرا بإذن الله تعالى ، وإن علا مني المرأة مني الرأجل أنثا بإذن الله تعالى ﴾ قال اليهودي : لقد

صدقت وإنك لنبي ، ثم انصرف ، فقال رسول الله "ﷺ وآله" : ﴿ لقد سألني عنه ومالي علم بشيء منه ، حتى أتاني الله عز وجل به ﴾[١].

وعن أنس رضي الله عنه قال : سمع عبد الله بن سلام مقدم رسول الله "ﷺ وآله" المدينة ؛ وهو في أرض يخترف ، فأتى النبي "ﷺ وآله" فقال : إني سائلك عن ثلاث لا يعلمها إلا نبي : فما أول أشراط الساعة ؟ وما أول طعام أهل الجنة ، وما يترع الولد إلى أبيه أو إلى أمه ؟ .

قال : ﴿ أخبرني بهن جبريل آنفًا ﴾ قال : جبريل ؟ قال : ﴿ نعم ﴾ قال : ذاك عدو اليهود من الملائكة ، فقرأ هذه الآية : ﴿ (قُلْ مَن كَانَ عَدُوّاً لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللّهِ)[٢]. وأما أول أشراط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب ، وأما أول طعام أهل الجنة : فزيادة كبد الحوت ، وإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد ، وإذا سبق ماء المرأة ماء الرجل نزعت ﴾ .

قال : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنك رسول الله ، يا رسول الله إن اليهود قوم بهت، وإنهم إن يعلموا بإسلامي قبل أن تسألهم بهتوني ، فجاءت اليهود فقال : ﴿ أي رجل عبد الله فيكم ؟ ﴾ قالوا : خيرنا وابن خيرنا ، وسيدنا وابن سيدنا ، قال : ﴿ أفرأيتم إن أسلم عبد الله ؟ ﴾ قالوا : أعاذه الله من ذلك .

فخرج عبد الله فقال : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله ، فقالوا : شَرُّنا وابن شَرِّنا ، وانتقصوه ، فقال : هذا الذي كنت أخاف يا رسول الله[٣] .

---

(١) مسلم في الحيض ، وإجازة : عبوراً ومروراً. وزيادة كبد النون : أفضل قطعه في كبد الحوت .
(٢) البقرة : ٩٧.
(٣) البخاري في أحاديث الأنبياء .

الباب العاشر

درجات الجنة ومنازلها

الفصل الأول

درجات الجنة

معنى الدرجة :

الدرجة لغة : أى المرقاة . أو الرتبة ، ويقال : له عليه درجة : منزلة ورتبة فى الشرف .

والدرجة في علم الفلك : جزء من ثلاثمائة وستين جزء من دورة الفلك .

والدرجة في علم الرياضيات : قسم من التسعين قسما المتساوية التي تنقسم إليها الزاوية. والجمع : درج ودرجات .

والدرجة منزلة في الجنة :

يقول الله تعالى : ﴿ لاَّ يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ اللّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلاًّ وَعَدَ اللّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾[(١)].

ذكر ابن جرير عن هشام بن حسان عن جبلة بن عطية عن ابن محيريز قال : ﴿ وَفَضَّلَ اللّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا دَرَجَاتٍ مِّنْهُ ﴾ قال : هي سبعون درجة ، ما بين الدرجتين عدو الفرس الجواد المضمَّر سبعين عاما .

---

(١) النساء :٩٥- ٩٦

وقال ابن المبارك : أنبأنا سليمة بن نبيط عن الضحاك في قوله تعالى : ﴿ لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾[1] قال : بعضهم أفضل من بعض ، فيرى الذى قد فضل به فضله ، ولا يرى الذى هو أسفل منه أنه فضل عليه أحد من الناس .

وتأمل قوله قد أوقع التفضيل أولا بدرجة فى قوله تعالى: ﴿ فَضَّلَ اللّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً ﴾ ثم أوقعه ثانيا بدرجات فى قوله تعالى : ﴿ وَفَضَّلَ اللّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا دَرَجَاتٍ مِّنْهُ ....﴾ .

فقيل : الأول بين القاعد والمعذور .

والثاني : بين القاعد بلا عذر والمجاهد .

وقال تعالى : ﴿ أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللّهِ كَمَن بَاء بِسَخْطٍ مِّنَ اللّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ هُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ اللّهِ واللّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾[2] .

والمعنى : ﴿ هُمْ دَرَجَاتٌ ﴾ متفاوتة ، أي : هم مختلفوا المنازل عند الله، أو : ذوو درجات ، أو : على درجات، أو : فى درجات ، أو : لهم درجات .

وإن شئت قل : هم أصحاب درجات في حكم الله ، فمِن سعيد مقرَّب ؛ ومن شقي مبعَد .

وإن شئت قل : هم متفاوتون كما تتفاوت الدرجات .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾[3] .

---

(١) الأنفال :٤
(٢) آل عمران ١٦٢-١٦٣ .
(٣) الأنفال : ٤.

وفي الصحيحين عن أبي سعيد الخدري ﷺ أن سيدنا رسول الله "ﷺ وآله" قال : ﴿ إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم كما يتراءون الكوكب الدرى الغابر من الأفق من المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهم ﴾ قالوا : يا رسول الله ، تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم ؟ قال : ﴿ بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين ﴾(١) .

ولفظ البخاري ﴿ في الأفق ﴾ وهو أبين .

والغابر : هو الذاهب الماضي قد تدلى للغروب ، وفي التمثيل به دون الكوكب المسامت(٢) للرأس ، وهو أعلى لبعده عن العيون ، ولأن الجنة درجات بعضها أعلى من بعض وإن لم تسامت العليا السفلى ، كالبساتين الممتدة من رأس الجبل إلى ذيله ، والله أعلم .

وفي الصحيحين أيضا من حديث سهل بن سعد ﷺ أن رسول الله "ﷺ وآله" قال : ﴿ إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرفة في الجنة ؛ كما ترون الكوكب في أفق السماء ﴾(٣).

وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله "ﷺ وآله" قال : ﴿ إن أهل الجنة ليتراءون في الجنة كما تراءون أو ترون الكوكب الدرى الغارب في الأفق الطالع في تفاضل الدرجات ﴾ قالوا : يا رسول الله ؛ أولئك النبيون ؟ قال : ﴿ بلى ، والذي نفسي بيده وأقوام آمنوا بالله وصدقوا المرسلين ﴾(٤).

وقوله : ﴿ الطالع ﴾ صفة الكوكب ، وصفه بكونه غاربا ، وبكونه طالعا .

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال : قال رسول الله "ﷺ وآله" : ﴿ إن المتحابين لترى غرفهم فى الجنة كالكوكب الطالع الشرقى أو الغربى ، فيقال : من هؤلاء ؟ فيقال : هؤلاء المتحابون في الله عز وجل ﴾(٥) .

---

(١) البخاري في بدء الخلق ، ومسلم في الجنة ، والدري : المضيء.
(٢) يسامت : يوازى ويتعامد .
(٣) البخاري في الرقاق ، ومسلم في الجنة .
(٤) أحمد في المسند .
(٥) أحمد .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أيضا عن النبي "صلى الله عليه وسلم وآله" قال : ﴿ إن الجنة مائة درجة ، ولو أن العالمين اجتمعوا في إحداهن وسعتهم ﴾[1] .

وعن النبي "صلى الله عليه وسلم وآله" قال : ﴿ يقال لصاحب القرآن إذا دخل الجنة : اقرأ واصعد ، فيقرأ ويصعد بكل آية درجة حتى يقرأ آخر شيء معه ﴾[2] وهذا صريح في أن درج الجنة تزيد على مائة درجة .

وأما حديث أبي هريرة رضي الله عنه الذي رواه البخاري في صحيحه عن النبي "صلى الله عليه وسلم وآله" قال : ﴿إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيله ، بين كل درجتين كما بين السماء والأرض ، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فإنه وسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجر أنهار الجنة﴾ فإما أن تكون هذه المائة من جملة الدرج ؛ وإما أن تكون نهايتها هذه المائة وفي ضمن كل درجة درجة دونها .

ويدل على المعنى الأول حديث زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله "صلى الله عليه وسلم وآله" يقول : ﴿ من صلى هؤلاء الصلوات الخمس وصام شهر رمضان كان حقا على الله أن يغفر له ، هاجر أو قعد حيث ولدته أمه ﴾ قلت : يا رسول الله، ألا أخرج فأوذن الناس ؟ قال : ﴿لا ، ذر الناس يعملون ، وإن فى الجنة مائة درجة بين كل درجتين منها مثل ما بين السماء والأرض ، وأعلى درجة منها الفردوس ، وعليها يكون العرش ، وهي أوسط شيء في الجنة ومنها تفجر أنهار الجنة ، وإذا سألتم الله فسلوه الفردوس﴾[3] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله "صلى الله عليه وسلم وآله" قال : ﴿ في الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين مائة عام ﴾[4].

---

(١) أحمد .
(٢) أحمد .
(٣) أحمد.
(٤) الترمذي في صفة الجنة .

ومن حديث ابن سعيد يرفعه : ﴿ إن الجنة مائة درجة لــو أن العــالمين اجتمعــوا في إحداهن لوسعتهم ﴾[1] .

ورواه أحمد بدون لفظة ﴿ في ﴾ كما سبق بيانه ، وقد رويت هذه الأحاديــث بلفظــة ﴿في﴾ وبدونها ، وإن كان المحفوظ ثبوتها فهى من جملة درجها ، وإن كان المحفوظ ســقوطها فهى الدرج الكبار المتضمنة للدرج الصغار ، والله أعلم .

ولا تناقض بين تقدير ما بين الدرجتين لاختلاف السير في السرعة والــبطء ، والــنبي "ﷺ وآله" ذكر هذا تقريبا للأفهام ، ويدل على ذلك قول أبي سعيد الخدري ﷺ : سمعــت رسول الله "ﷺ وآله" يقول : ﴿ مائة درجة في الجنة ، ما بين الــدرجتين مــا بــين الســماء والأرض، أو بعد ما بين السماء والأرض ﴾ قلت : يا رسول الله لمن ؟ قال : ﴿للمجاهدين في سبيل الله﴾[2].

روى الترمذي رحمه الله عن عطار بن يسار عن معاذ بن جبل ﷺ قال : سمعت رســول الله "ﷺ وآله" يقول : ﴿ الجنة مائة درجة ، كل درجة منها ما بــين الســماء والأرض ، وإن أعلاها الفردوس وأوسطها الفردوس ، وإن العرش على الفردوس منها تفجر أنهار الجنة ، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس ﴾ .

وجاء رجل إلى النبي "ﷺ وآله" قال : يا رسول الله كم في الجنة من درجــة ؟ قــال : ﴿مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض ، أول درجة منها دورها وبيوتهــا وأبوابها وسررها ومغاليقها من فضة ، والدرجة الثانية دورهــا وبيوتهــا وأبوابهــا وســررها ومغاليقها من ذهب ، والدرجة الثالثة دورها وبيوتها وأبوابها وسررها ومغاليقها من يــاقوت ولؤلؤ وزبرجد ، وسبع وتسعون درجة لا يعلم ما هي إلا الله﴾ .

---

(١) الترمذي في صفة الجنة .
(٢) ابن أبي الدنيا في صفة الجنة .

وأخرج أبو داود عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال:قال رسول الله "ﷺ وآله": ﴿ يقال لصاحب القرآن : اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا ؛ فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها ﴾ .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي "ﷺ وآله" قال : ﴿ درج الجنة على عدد آي القرآن لكل آية درجة ، فتلك ستة آلاف ومائتا آية وستة عشر آية بين كل درجتين مقدار ما بين السماء والأض وينتهى به إلى أعلى عليين ، لها سبعون ألف ركن وهي ياقوته تضيء مسيرة أيام وليالي ﴾ .

وعن السيدة عائشة رضي الله عنها قالت : إن عدد آي القرآن على عدد درج الجنة ، فليس أحد دخل الجنة أفضل ممن قرأ القرآن[١] . ذكره مكي رحمه الله .

قال علماؤنا رضي الله عنهم : حملة القرآن وقراؤه هم العالمون بأحكامه وبحلاله وحرامه والعاملون بما فيه ، قال مالك : قد يقرأ القرآن من لا خير فيه .

وروى أبو هدبة إبراهيم بن هدبة قال : حدثنا أنس بن مالك قال : قال رسول الله "ﷺ وآله" : ﴿ من تعلم القرآن وعلمه ولم يأخذ بما فيه وحرفه كان عليه شهيدا ودليلا إلى جهنم ، ومن تعلم القرآن وأخذ بما فيه كان له شهيدا ودليلا إلى الجنة ﴾[٢].

وفي البخاري : ﴿ مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن ويعمل به كالأُتْرُجَّة[٣] ؛ طعمها طيب وريحها طيب ، والمؤمن الذي لا يقرأ القرآن ويعمل به كالتمرة طعمها طيب ولا ريح لها ﴾[٤] وذكر الحديث .

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة ، وشعب الإيمان للبيهقي .
(٢) تاريخ دمشق لابن عساكر .
(٣) الأتْرُجُّ : شجر يعلو ، ناعم الأ غصان والورق والثمر ، وثمره كالليمون الكبار ، وهو ذهبي اللون ، ذكي الرائحة .
(٤) البخاري ، ومسلم في كتاب صلاة المسافرين ، سنن أبي داود كتاب الأدب .

وقيل : أول الجنان دار الجلال وهي من اللؤلؤ الأبيض ، والثانية دار السلام وهي من ياقوت أحمر ، والثالثة جنة المأوى من زبرجد أخضر ، والرابعة جنة الخلد من مرجان أصـــفر، والخامسة جنة النعيم من فضة بيضاء ، والسادسة جنة الفردوس وهي مـــن ذهـــب أحمـــر ، والسابعة جنة عدن وهي در أبيض ، والثامنة دار القرار .

اللهم إنا نسألك رضاك والجنة والفردوس الأعلى ورضوانك الأكبر...آمين .

أعلى درجات الجنة :

أعلى درجات الجنة درجة تسمى الوسيلة ؛ فقد روى مسلم في صحيحه من حـــديث عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنه سمع النبي "ﷺ وآله" يقول : ﴿ إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ، ثم صلوا عليَّ ، فإنه من صلى عليّ صلاة واحدة صلى الله عليـــه عشـــرا ، ثم سلوا لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله ؛ وأرجو أن أكون أنا هو ، فمن سأل لي الوسيلة حلت عليه شفاعتي ﴾[١] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله "ﷺ وآله" قال : ﴿ إذا صليتم فسـلوا الله لي الوسيلة ﴾ قيل : يا رسول الله وما الوسيلة ؟ قال : ﴿ أعلى درجة في الجنة لا ينالهـــا إلا رجل واحد وأرجو أن أكون أنا هو ﴾[٢] .

وفي الصحيحين من حديث جابر قال : قال رسول الله "ﷺ وآله" : ﴿ من قـــال حـــين يسمع النداء : اللهم رب هذه الدعوة التامة ؛ والصلاة القائمة ؛ آت محمدا الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة ؛ وابعثه مقاما محمودا الذى وعدته ، إلا حلت له الشفاعة يوم القيامة ﴾[٣] .

وهكذا لفظ الحديث ﴿ مقاما ﴾ بالتنكير ليوافق لفظ الآية الكريمة : ﴿ عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا ﴾[٤] ولأنه لما تعين وانحصر نوعه في شخص النبي "ﷺ وآله" جرى مجـــرى

---

(1) مسلم في الصلاة .
(٢).أحمد في المسند .
(٣) البخاري في الآذان ، ومسلم في الصلاة .
(٤) الإسراء : ٧٩ .

المعرفة ، فوصف بما توصف به المعارف ، وهذا ألطف من جعل ﴿ الذي وعدته ﴾ بـــدلا ، فتأمله .

وعن السيدة عائشة رضى الله عنها قالت : جاء رجل إلى النبى "ﷺ وآله" فقـــال : يـــا رسول الله ، والله إنك لأحب إليّ من نفسي ، وإنك أحب إليّ من أهلي ، وأحـــب إليّ مـــن ولدي ، وإني لأكون في البيت فأذكرك فما أصبر حتى آتيك فأنظر إليك ، وإذا ذكرتُ موتى وموتك عرفتُ أنك إذا دخلت الجنة رفعتَ مع النبيين ، وإني إذا دخلت الجنة خشيت أن لا أراك ، فلم يرد عليه النبى "ﷺ وآله" حتى نزل جبريل بهذه الآية : ﴿ وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴾(١).

قال الحافظ أبو عبد الله المقدسي : لا أعلم بإسناد هذا الحديث بأسا(٢).

وقال : وسميت درجة النبي "ﷺ وآله" الوسيلة ؛ لأنها أقرب الدرجات إلى عرش الرحمن، وهي أقرب الدرجات إلى الله ، وأصل اشتقاق لفظ الوسيلة من القرب ، وهى فعيلة من وسل إليه : تقرب إليه .

قال لبيد : بلى كل ذي رأى إلى الله واسل .

ومعنى الوسيلة من الوصلة ، ولهذا كانت أفضل الجنة وأشرفها وأعظمها نوراً ، وهـــذا بيان لعظمة مكانته "ﷺ وآله" وعلو درجته ومترلته ، فهو "ﷺ وآله" أعظم الخلـــق عبوديـــة وأعلمهم به سبحانه وأشدهم له خشية ، وأعظمهم له محبة فكانت مترلته في الجنـــة أقـــرب المنازل إلى الله وأعلى الدرجات عند الله .

وقال صالح بن عبد الكريم : قال لنا فضيل بن عياض : أتدرون لم حسنت الجنـــة ؟ لأن عرش رب العالمين سقفها .

---

(١) النساء : ٦٩.
(٢) أبو نعيم في الحلية .

وقال الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهم : نور سقف مساكنكم نور عرشه[1].

وقال بكر عن الأشعث عن الحسن رضي الله عنهم : إنما سميت عدن ؛ لأن فوقها العرش ومنها تفجر أنهار الجنة ، وللحور العدنية الفضل على سائر الحور ، والقربى والزلفى واحد ، وإن كان في الوسيلة معنى التقرب إليه بأنواع الوسائل .

ولما كان سيدنا ومولانا رسول الله "ﷺ وآله" أعظم الخلق عبودية لربه ؛ وأعلمهم به سبحانه ، وأشدهم له خشية ؛ وأعظمهم له محبة ؛ كانت منزلته أقرب المنازل إلى الله تعالى وهي أعلى درجة في الجنة ، فهو "ﷺ وآله" أعظم وسيلة إلى الله تعالى .

وكما يبين الإمام أبو العزائم[2] أن كل مؤمن واسل ؛ ولكن الوسيلة تتفاوت بحسب مقام كل مؤمن وقربه من الله تعالى ، قال الله تعالى مخبرا عن ملائكة : ﴿ وَمَا مِنَّا إِلاَّ لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴾[3] .

فالوسيلة في مقام الإسلام ، غيرها في مقام الإيمان ، وغيرها في مقام الإحسان وغيرها في مقام الإيقان ، ومن جهل هذه الأسرار وجب عليه أن يحصلها قبل أن يتكلم منكرا أو مثبتا .

فإن المؤمن بالله تعالى مقامه الخشية من الله سبحانه ؛ وهي التقوى والتقرب إليه بما يحبه ويرضاه من المراقبة والمحاسبة والمسارعة إلى القيام بما أمره سبحانه وترك ما نهي عنه .

والوسيلة عند أهل مقام الإحسان هي رعاية مشاهد التوحيد عند كل عمل وقول وحال.

والوسيلة عند أهل مقام الإيقان هي رعاية الله تعالى في كل لمحة ونفس ، لأن أهل الإيقان يراقبون الله تعالى في أنفاسهم حفظا لها من أن ينصرف نفس في غفلة .

---

(١) ابن أبي الدنيا في صفة الجنة .
(٢) راجع كتاب : (الوسيلة وما اختلف فيه من السنة والبدعة) للإمام رضي الله عنه .
(٣) الصافات : ١٦٤ .

والوسيلة عند أهل مقام الإسلام هي رسول الله "ﷺ وآله"، لأننا نتوسل بـــه ليعرفنـــا الإيمان والتوحيد ، فإذا عرفنا أنفسنا وعرفنا ربنا وآمنا تزكت النفوس ، واطمأنت القلوب بما تشهده من آيات منبلجات في الكائنات .

والذي لم يسلك على هذه المعارج الشرعية ؛ فيسلم أولا لمن فوقه في العلـــم تســـليما كاملا ليؤهل نفسه لسماع علوم الإيمان ؛ ليعلم الحقائق التي يكون ناقص الإيمان بجهلـــها ؛ لم يبلغ درجة الدعاة إلى الله تعالى حتى يُقتدى به .

فالوسيلة التي يجب أن يتوسل بها في مقام الإسلام هي ولا شك رسول الله "ﷺ وآلـــه" الذي أخبرنا الله تعالى عنه بقوله : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّـــهُ وَيَغْفِـــرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾(١) .

وقد ثبت قول سيدنا ومولانا رسول الله "ﷺ وآله" : ﴿ الجنة مائة درجة ما بـــين كـــل درجتين كما بين السماء والأرض ﴾(٢) ، وفي لفظ آخر لهذا الحديث الشريف : ﴿إن في الجنة مائة درجة ، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض أعدها الله للمجاهدين في سبيله﴾(٣) فهذا لا ينفى أن يكون درج الجنة أكثر من ذلك .

ونظير ذلك ما جاء في الحديث الصحيح : ﴿ إن لله تسعة وتسعين اسما مـــن أحصـــاها دخل الجنة ﴾(٤) أي : من جملة أسمائه سبحانه هذا القدر ، فيكون الكلام جملـــة واحـــدة في الموضعين .

ويدل على صحة هذا أن مترلة سيدنا رسول الله "ﷺ وآله" فوق هذا كله في درجة في الجنة ليس فوقها درجة ، وتلك المائة درجة ينالها أحاد أمته بالجهاد ، والجنة مقببـــة أعلاهـــا وأوسعها ووسطها هو الفردوس وسقفه العرش كما قال " ﷺ وآله " في الحديث الصـــحيح :

---

(١) آل عمران : ٣١ .
(٢) البخاري في الجهاد والسير .
(٣) البخاري في الجهاد والسير .
(٤) البخاري في الجهاد والسير .

﴿إذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فإنه وسط الجنة وأعلى الجنة فوقه عرش الرحمن ، ومنه تفجر أنهار الجنة﴾ .

قيل : ولما كان العرش أقرب إلى الفردوس مما دونه من الجنات بحيث لا جنة فوقه دون العرش كان سقفا له دون ما تحته من الجنات ، ولعظم سعة الجنة وغاية ارتفاعها يكون الصعود من أدناها إلى أعلاها بالتدريج شيئا فشيئا درجة فوق درجة ؛ كما يقال لقارئ القرآن : (اقرأ وترق ، فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها) وهذا يحتمل شيئين : أن تكون منزلته عند آخر حفظه ، وأن تكون عند آخر تلاوة لمحفوظه ، والله أعلم .

الفصل الثانى

منازل أهل الجنة

نزل أهل الجنة :

وروى البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري ﷺ ، عن النبي "ﷺ وآله" قال : ﴿تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة يكفؤها الجبار بيده كما يكفء أحدكم خبزته في السفر ؛ نزلا لأهل الجنة﴾ .

قال : فأتى رجل من اليهود فقال : بارك الرحمن عليك يا أبا القاسم ؛ ألا أخبرك بنزل أهل الجنة يوم القيامة ؟ قال : ﴿ بلى ﴾ ، قال : تكون الأرض خبزة واحدة كما قال رسول الله "ﷺ وآله" .

قال : فنظر إلينا رسول الله "ﷺ وآله" ثم ضحك حتى بدت نواجذه قال : ﴿ ألا أخبرك بإدامهم ؟ ﴾ قال : بلى ، قال : ﴿ إدامهم بالام ونون ﴾ قالوا : وما هذا ؟ قال : ﴿ ثور ونون يأكل من زائدة كبدها سبعون ألفا ﴾[1] .

والنُّزل : ما هُيِّئَ للضيف أن يترل عليه ، قال تعالى ﴿ نُزُلاً مِّنْ عِندِ اللّهِ وَمَا عِندَ اللّهِ خَيْرٌ لِّلأَبْرَارِ ﴾[2]

قال أهل اللغة : النُّزل ما يهيأ للتريل ، والتريل : الضيف ، قال الشاعر :

نزيل القوم أعظمهم حقوقا وحق الله في حق التريل

---

(١) صحيح البخاري ، صحيح مسلم .
(٢) آل عمران : ١٩٨ .

وذكر ابن المبارك ﷺ قال : أخبرنا ابن لهيعة قال : حدثني يزيد بن أبي حبيب بأن أبا الخير أخبره أن أبا العوام مؤذن إيلياء أول رجل أذن بإيلياء أخبره أنه سمع كعبا يقول : إن الله تبارك وتعالى يقول لأهل الجنة إذا دخلوها : إن لكل ضيف جزورا ، وإني أجزركم اليوم حوتا وثورا ، فيجزر لأهل الجنة[1] .

معرفة أهل الجنة لمنازلهم ومساكنهم فيها :

يقول الله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴾[2] قال مجاهد : يهتدي أهلها إلى بيوتهم ومساكنهم لا يخطئون كأنهم ساكنوها منذ خلقوا لا يستدلوا عليها أحدا .

وقال ابن عباس رضي الله عنهما في رواية أبي صالح : هم أعرف بمنازلهم من أهل الجمعة إذا انصرفوا إلى منازلهم ، وقال ابن كعب : يعرفونها كما تعرفون بيوتكم في الدنيا إذا انصرفتم من يوم الجمعة ، وهذا قول جمهور المفسرين ، وتلخيص أقوالهم ما قاله أبو عبيدة : عرفها ، أى : بينها لهم حتى يعرفوها من غير استدلال .

وقال مقاتل بن حيان : بلغنا أن الملك الموكل بحفظ بني آدم يمشي في الجنة ويتبعه ابن آدم حتى يأتي أقصى منزل فيعرفه كل شيء أعطاه الله في الجنة ، فإذا دخل إلى منزله وأزواجه انصرف الملك عنه .

وقال سلمة بن كهيل : طرقها لهم ، ومعنى هذا : أنه طرقها لهم حتى يهتدوا إليها ، وقال الحسن : وصف الله الجنة في الدنيا لهم ، فإذا دخلوها عرفوها بصفتها .

وعلى هذا القول فالتعريف وقع في الدنيا، ويكون المعنى : يدخلهم الجنة التي عرفها لهم، وعلى القول الأول يكون التعريف واقعا في الآخرة ، وهذا كله إذا قيل : إنه من التعريف .

---

(١) الزهد لابن المبارك .
(٢) محمد : ٤-٦

وفيها قول آخر : إنه من العَرْف ؛ وهو الرائحة الطيبة وهذا اختيار الزجـاج ، أى: طيَّبها ، ومنه : طعام معرَّف ؛ أي : مطيب .

وقيل: هو من العرف ، وهو التتابع ، أى : تابع لهم طيباتهم وملاذها .

ونعود إلى القول الأول ، وأنه سبحانه أعلمها وبينها بما يعلم به كل أحد منزلـه وداره فلا يتعداه إلى غيره .

عن أبي سعيد الخدري ﷺ أن سيدنا رسول الله "ﷺ وآله" قال : ﴿ إذا خلص المؤمنون من النار حبسوا على قنطرة بين الجنة والنار يتقاصون مظالم كانت بينهم في الدنيا ، حـتى إذا هذبوا ونقوا أذن لهم يدخلون الجنة ، والذي نفسي بيده إن أحدهم بمنزله في الجنة أهدى منه بمسكنه كان في الدنيا ﴾[1]

وعن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله "ﷺ وآله" : ﴿ والذي بعثني بالحق ما أنتم في الدنيا بأعرف بأحوالكم ومساكنكم من أهل الجنة بأزواجهم ومساكنهم إذا دخلوا الجنة ﴾ .

أعلى أهل الجنة منزلة :

قال الله تعالى : ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّـمَ اللّـهُ وَرَفَـعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ ﴾[2].

عن مجاهد وغيره : ﴿ منهم من كلم الله ﴾ : موسى عليه السلام ﴿ ورفـع بعضـهم درجات ﴾ : هو محمد "ﷺ وآله" ، وفي حديث الإسراء المتفق على صحته أنه "ﷺ وآله" لما جاوز موسى عليه السلام قال : ﴿ رب لم أظن أن ترفع عليّ أحداً ﴾[3]. ثم علا فوق ذلك بما لا يعلمه إلا الله ، حتى جاوز سدرة المنتهى .

---

(١) البخاري في الرقاق . ويتقاصون : يؤخذ القصاص منهم حتى يتخلصوا من المظالم .
(٢) البقرة : ٢٥٣.
(٣) البخاري في التوحيد ، مسلم في الإيمان .

ومن حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه أنه سمع النبي "صلى الله عليه وسلم وآله" يقول : ﴿ إذا سمعتم المؤذن ، فقولوا مثل ما يقول ، ثم صلوا عليّ ؛ فإنه من صلى عليّ صلاة واحدة صلى الله عليه عشراً ، ثم سلوا لى الوسيلة ؛ فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله ؛ وأرجو أن أكون أنا هو ، فمن سأل لي الوسيلة حلت له الشفاعة ﴾[١].

وأخرج البخاري في صحيحه عن النبي "صلى الله عليه وسلم وآله" قال : ﴿ من قال حين يسمع النداء : اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمداً الوسيلة والفضيلة وابعثه مقامًا محمودًا الذي وعدته ؛ حلت له الشفاعة يوم القيامة ﴾ .

وفي المسند عن أبي سعيد رضي الله عنه قال : قال رسول الله "صلى الله عليه وسلم وآله" : ﴿ الوسيلة درجة عند الله، ليس فوقها درجة ، فسلوا الله أن يؤتيني الوسيلة ﴾[٢].

أدنى أهل الجنة منزلة :

وعن عبد الله ؛ هو ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله "صلى الله عليه وسلم وآله" : ﴿ إن آخر أهل الجنة دخولاً الجنة ؛ وآخر الناس خروجًا من النار ، رجل يخرج حبوًا ، فيقول له ربه : ادخل الجنة فيقول : رب ؛ الجنة ملأى ، فيقول له ذلك ثلاث مرات ، كل ذلك يعيد عليه : الجنة ملأى ، فيقول : إن لك مثل الدنيا عشر مرات ﴾[٣].

وروي عن النبي "صلى الله عليه وسلم وآله" أنه قال : ﴿ إن أدنى أهل الجنة منزلة من له سبعة قصور : قصر من ذهب ، وقصر من فضة ، وقصر من در ، وقصر من زمرد ، وقصر من ياقوت ، وقصر لا تدركه الأبصار ، وقصر على لون العرش ، وفي كل قصر من الحلي والحلل والحور العين ما لا يعلمه إلا الله عز وجل ﴾[٤].

---

(١) مسلم في الصلاة .
(٢) النهاية لابن كثير .
(٣) البخاري في صحيحه .
(٤) القتبي في عيون الأخبار .

وفي مراسيل الحسن عن رسول الله "ﷺ وآله" : ﴿ إن أدنى أهل الجنة منزلة الـذي يركب في ألف من خدمه ﴾ . الحديث .

وعن ابن المبارك قال : أخبرنا سفيان عن رجل ، عن مجاهد قال : إن أدنى أهل الجنة منزلة لمن يسير في ملكه مسيرة ألف سنة يرى أقصاه كما يرى أدناه ، وأرفعهم هو الذي ينظر إلى ربه بالغداة والعشي(١) .

ومن حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه عن النبي "ﷺ وآله" : ﴿إن موسى سأل ربه : ما أدنى أهل الجنة منزلة ؟ فقال : رجل يجيء بعد ما أدخل أهل الجنة الجنة ، فيقال له : ادخل الجنة ، فيقول : رب كيف وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا أخذاتهم ؟ فيقال له : أترضى أن يكـون لك مثل ملك من ملوك الدنيا ؟ فيقول : رضيت رب ، فيقول : لك ذلك ومثله ومثله ومثله ومثله ، فقال في الخامسة : رضيت رب ، قال : فأعلاهم منزلة ؟ قال : أولئك الذين أردت ، غرست كرامتهم بيدي ، وختمت عليهم لم ترعين ولم تسـمع أذن ولم يخطـر علـى قلـب بشر﴾(٢). قال : ﴿ومصداقه من كتاب الله (فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاء بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)﴾(٣) .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله "ﷺ وآله" : ﴿ إن أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر إلى جناته وأزواجه ونعيمه وخدمه وسرره مسيرة ألف عام ، وأكرمهم على الله من ينظر إلى وجهه غدوة وعشية ﴾(٤) ثم قرأ رسول الله "ﷺ وآله" : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾(٥).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا : ﴿ إن أدنى أهل الجنة منزلة لرجـل ينظـر في ملكه ألف سنة يرى أقصاه كما يرى أدناه ، ينظر إلى أزواجه وسرره وخدمه ..... ﴾(٦).

---

(١) زوائد الزهد لابن المبارك .
(٢) مسلم في الإيمان .
(٣) السجدة : ١٧.
(٤) الترمذي في صفة الجنة .
(٥) القيامة : ٢٢ – ٢٣.
(٦) الحاكم في المستدرك .

وعن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله "ﷺ وآله" : ﴿ إن أدنى أهل الجنة منزلة سبع درج وهو على السادسة وفوقه السابعة ، وإن له ثلاثمائة خادم ، ويُغدى عليه ويراح كل يوم بثلاثمائة صحفة – ولا أعلمه إلا قال – من ذهب ، في كل صحفة لون ليس في الآخر ، وإنه ليلذ أوله كما يلذ آخره ، وإنه ليقول : يا رب لو أذنت لي لأطعمت أهل الجنة وسقيتهم لم ينقص مما عندي شيء ، وإن له من الحور العين لاثنتين وسبعين زوجة سوى أزواجه من الدنيا، وإن الواحدة منهن لتأخذ مقعدها قدر ميل من الأرض ﴾(1).

وخرج أبو سعيد الخدري ﷺ قال : قال رسول الله "ﷺ وآله" : ﴿ إن أدنى أهل الجنة منزلة الذي له ثمانون ألف خادم واثنتان وسبعون زوجة ، وينصب له قبة من لؤلؤ وزبرجد وياقوت كما بين الجابية إلى صنعاء ﴾ .

عن أنس رضي الله عنه عن النبي "ﷺ وآله" : ﴿ أقل أهل الجنة درجة من يقوم على رأسه عشرة آلاف خادم ، وبيد كل خادم صفحتان واحدة من ذهب والأخرى من فضة ، في كل واحدة لون ليس في الأخرى ، قيل : يأكل من آخرها مثل ما يأكل من أولها ، يجد لآخرها من اللذة والطيب مثل ما يجد لأولها ، ثم يكون بعد ذلك عرقًا كريح المسك الأذفر – يعنى الذي لا خلط فيه – لا يبولون ولا يتغوطون ولا يتمخطون إخوانًا على سرر متقابلين ﴾.

وفي حديث أبي هريرة ﷺ ﴿ خمسة عشر ألف خادم ﴾ وفي حديث أبي سعيد الخدري ﷺ ﴿ ثمانون ألف خادم ﴾ ، ثم قرأ : ﴿ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤاً مَّنثُورا ﴾(2) ، قال رجل : يا نبي الله إذا كان الخادم كاللؤلؤ فكيف يكون المخدوم ؟ فقال : ﴿ بينهما كما بين القمر ليلة البدر وبين أصغر الكواكب ﴾ .

---

(1) أخرجه أحمد في المسند .
(2) الإنسان : 19 .

الذين ينزلون الدرجات العاليات :

من الذين يحلون الدرجات العاليات في الجنة الشهداء ، وأفضلهم الذين يقاتلون في الصفوف الأولى لا يلتفون حتى يقتلوا .

ففي مسند أحمد ومعجم الطبراني عن نعيم بن همار، بإسناد صحيح عن النبي "ﷺ وآله" قال : ﴿ أفضل الشهداء الذين يقاتلون في الصف الأول، فلا يلفتون وجوههم حتى يقتلوا ، أولئك يتلبطون في الغرف العلى من الجنة ، يضحك إليهم ربهم ، فإذا ضحك ربك إلى عبد في موطن فلا حساب عليه ﴾ .

والساعي على الأرملة والمسكين له منزلة المجاهد في سبيل الله ، ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة ﵁ عن النبي "ﷺ وآله" قال : ﴿ الساعي على الأرملة والمسكين ؛ كالمجاهد في سبيل الله – وأحسبه قال : وكالقائم لا يفتر وكالصائم لا يفطر – ﴾ .

ومنزلة كافل اليتيم كما جاء في صحيح مسلم عن أبى هريرة ﵁ قال:قال النبى "ﷺ آله": ﴿ كافل اليتيم له أو لغيره ، أنا وهو كهاتين في الجنة ﴾ وأشار مالك بالسبابة والوسطى(١).

ويرفع الله درجة الآباء ببركة دعاء الأبناء ، ففي مسند أحمد عن أبي هريرة ﵁ قال : قال رسول الله "ﷺ وآله" : ﴿ إن الله ليرفع الدرجة للعبد الصالح في الجنة ، فيقول : يا رب ؛ أنّى لي هذه ؟ فيقول : باستغفار ولدك لك ﴾ .

قال ابن كثير : وهذا إسناد صحيح ، ولم يخرجه أحد من أصحاب الكتب الستة ، ولكن له شاهد في صحيح مسلم عن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله "ﷺ وآله": ﴿ إذا مات ابن آدم انقطع عنه عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له﴾ .

---

(١) مسلم في كتاب الإيمان ، وقوله :(له أو لغيره) أي : سواء أكفله من ماله ، أو من مال اليتيم بولاية شرعية .

أهل الجنة يتفاوتون في الرفعة :

الجنة درجات بعضها فوق بعض ، وأهلها متفاضلون فيها بحسب منازلهم فيها ، قال الله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِناً قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُوْلَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى ﴾(١).

والجنة درجات متفاضلة تفاضلاً عظيمًا ، وأولياء الله المؤمنون المتقون في تلك الدرجات بحسب إيمانهم وتقواهم ، قال تبارك وتعالى : ﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاء لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاهَا مَذْمُوماً مَّدْحُوراً وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُوراً كُلاًّ نُّمِدُّ هَؤُلاء وَهَؤُلاء مِنْ عَطَاء رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاء رَبِّكَ مَحْظُوراً انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً ﴾(٢).

فبين الله سبحانه وتعالى أنه يمد من يريد الدنيا ومن يريد الآخرة من عطائه ، وأن عطاءه ما كان محظورًا من بر ولا فاجر ، ثم قال تعالى : ﴿ انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً ﴾ .

فبين الله سبحانه أن أهل الآخرة يتفاضلون فيها أكثر مما يتفاضل الناس في الدنيا ، وأن درجات الآخرة أكبر من درجات الدنيا ، وتفاضل أنبيائه عليهم السلام كتفاضل سائر عباده المؤمنين ، فقال تعالى : ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ﴾(٣) وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُوراً﴾(٤).

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه النبي "ﷺ وآله" أنه قال : ﴿المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف ، وفي كلٍّ خير ، احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا

(١) طه : ٧٥.
(٢) الإسراء : ١٨ – ٢١ .
(٣) البقرة : ٢٥٣ .
(٤) الإسراء : ٥٥ .

تعجز ، وإن أصابك شيء فلا تقل : لو أنى فعلت لكان كذا وكذا ، ولكن قل : قـــدر الله وما شاء فعل ، فإن لو تفتح عمل الشيطان﴾ .

وفي الصحيحين عن أبي هريرة وعمرو بن العاص رضى الله عنهم عن النبي "ﷺ وآلـــه" أنه قال : ﴿ إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران ، وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر ﴾ وقد قـــال الله تعالى : ﴿ لا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُوْلَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّـــذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى ﴾(١).

وقال تعالى : ﴿ لاَّ يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِـــي سَبِيلِ اللّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ اللّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَـــةً وَكُـــلاًّ وَعَدَ اللّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْراً عَظِيماً دَرَجَاتٍ مِّنْـــهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللّهُ غَفُوراً رَّحِيماً ﴾(٢).

وقال تعالى : ﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَـــوْمِ الآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللّهِ لاَ يَسْتَوُونَ عِندَ اللّهِ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ الَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللّـــهِ وَأُوْلَئِـــكَ هُـــمُ الْفَائِزُونَ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَـــداً إِنَّ اللّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾(٣).

وقال تعالى : ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاء اللَّيْلِ سَاجِداً وَقَائِماً يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَـــةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ ﴾(٤)، وقـــال تعالى: ﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾(٥).

---

(١) الحديد : ١٠ .
(٢) النساء : ٩٥ ــ ٩٦ .
(٣) التوبة : ١٩ ــ ٢٢ .
(٤) الزمر : ٩ .
(٥) المجادلة : ١١.

وقد روى البخاري عن أبي هريرة ﷺ قال : قال النبي "ﷺ وآله" : ﴿ من آمن بـــالله وبرسوله وأقام الصلاة وصام رمضان كان حقًا على الله أن يدخله الجنة ، جاهد في سبيل الله ؛ أو جلس في أرضه التي ولد فيها ﴾ ، فقالوا : يا رسول الله ، أفلا نبشر الناس ؟. قال : ﴿ إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله ما بين الدرجتين كمـــا بـــين الســـماء والأرض ، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس ، فإنه أوسط الجنة ، وأعلى الجنة ، أراه قـــال : وفوقه عرش الرحمن ، ومنه تفجر أنهار الجنة ﴾[1].

وفي مسند أحمد وسنن الترمذى وسنن ابن ماجة وصحيح ابن حبان عن أبي سعيد رضي الله عنه عن النبي "ﷺ وآله" قال : ﴿ إن أهل الدرجات العلى يراهم من هو أسفل منهم كما ترون الكوكب الطالع في أفق السماء ، وإن أبا بكر وعمر منهم وأنعما ﴾[2]، قال القرطبي : اعلم أن هذه الغرف مختلفة في العلو والصفة بحسب اختلاف أصحابها في الأعمال ، فبعضـــها أعلى من بعض وأرفع .

وقوله : ﴿ والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين ﴾ ولم يذكر عمـــلاً ، ولا شيئًا سوى الإيمان والتصديق للمرسلين ، ذلك ليعلم أنه عني الإيمـــان البـــالغ لتصـــديق المرسلين من غير سؤال آية ولا تلجلج ، وإلا فكيف تنال الغرفات بالإيمان والتصديق الذى للعامة ، ولو كان كذلك كان جميع الموحدين في أعالى الغرفات ، وأرفع الدرجات ، وهـــذا محال ، وقد قال الله تعالى : ﴿ أُوْلَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا ﴾[3] ، والصبر بذل الـــنفس والثبات له وقوفًا بين يديه بالقلوب عبودية وهذه صفة المقربين .

وقال سبحانه في آية أخرى : ﴿ وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُم بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَى إِلا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَأُوْلَئِكَ لَهُمْ جَزَاء الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ ﴾[4].

---

(١) رواه البخاري ، كتاب الجهاد.
(٢) صحيح الجامع الصغير.
(٣) الفرقان : ٧٥ .
(٤) سبأ : ٣٧ .

فذكر شأن الغرفة ، وأنها لا تنال بالأموال والأولاد ، وإنما تنال بالإيمان والعمل الصالح ، ثم بيّن أن لهم جزاء الضعف ، وأن محلهم الغرفات ، يعلمك أن هذا الإيمان طمأنينة وتعلق قلب به ، مطمئنًا به في كل ما نابه ، وبجميع أموره وأحكامه ، فإذا عمل عملاً صالحاً ؛ فلا يخلطه بضده ؛ وهو الفاسد ، فلا يكون العمل الصالح الذي لا يشوبه فساد إلا مع إيمان بالغ مطمئن صاحبه بمن آمن وبجميع أموره وأحكامه ، والمخلط ليس إيمانه وعمله هكذا ، فلهذا كانت منزلته دون غيره[1] .

وأهل الدرجات العاليات يكونون في نعيم أرقى من الذين دونهم ، فقد ذكر الله أنه أعد للذين يخافونه جنتين ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ﴾[2]، ووصفهما ، ثم قال : ﴿ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴾[3] ، أي : دون تلك الجنتين في المقام والمرتبة ، ومن تأمل صفات الجنتين اللتين ذكرهما الله آخرًا علم أنهما دون الأوليين في الفضل ، فالأوليان للمقربين ، والأخريان لأصحاب اليمين ، كما قال ابن عباس وأبو موسى الأشعري رضي الله عنهم[4].

قال القرطبي : لما وصف الجنتين أشار إلى الفرق بينهما ، فقال في الأوليين : ﴿ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴾[5] ، وقال في الأخريين : ﴿ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴾[6] ، أي : فوارتان بالماء، ولكنهما ليستا كالجاريتين ، لأن النضخ دون الجري ، وقال في الأوليين : ﴿ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴾[7]، معروف وغريب ، رطب ويابس ، فعم ولم يخص ، وفي الآخريين : ﴿ فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴾[8]، ولم يقل من كل فاكهة زوجان .

وقال في الأوليين : ﴿ مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ﴾[9]، وهو الديباج ، وفي وفي الأخريين : ﴿ مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ﴾[10]، والعبقري : الوشي ،

---

(١) التذكرة للقرطبي .
(٢) الرحمن : ٤٦ .
(٣) الرحمن : ٦٢ .
(٤) التذكرة للقرطبي .
(٥) الرحمن : ٥٠ .
(٦) الرحمن : ٦٦ .
(٧) الرحمن : ٥٢ .
(٨) الرحمن : ٦٨ .
(٩) الرحمن : ٥٤ .
(١٠) الرحمن : ٧٦ .

ولا شك أن الديباج أعلى من الوشى ، والرفرف : كسر الخباء ، ولا شك أن الفرش المعدة للاتكاء عليها أفضل من الخباء .

وقال في الأولين في صفة الحور العين : ﴿ كَـأَنَّهُنَّ الْيَـاقُوتُ وَالْمَرْجَـانُ ﴾[1] ، وفي الأخريين : ﴿ فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ ﴾[2] ، وليس كل حسن كحسن الياقوت والمرجان ، وقال في الأولين : ﴿ ذَوَاتَا أَفْنَانٍ ﴾[3]، وفي الأخريين : ﴿ مدهامتان ﴾[4] ، أي : خضراوان خضراوان كأنهما من شدة خضرهما سودوان ، ووصف الأولين بكثرة الأغصان ، والآخريين بالخضرة وحدها[5] .

وفي صحيحي البخاري ومسلم عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله "صلى الله عليه وآله" قال : ﴿جنتان من فضة ؛ آنيتهما وما فيهما ، وجنتان من ذهب ؛ آنيتهما وما فيهما ، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن﴾[6]، وفي رواية الترمذي : ﴿ إن في الجنة جنتين من فضة .. ﴾ وذكر الحديث[7] .

وذكر الحق تبارك وتعالى أن الأبرار يشربون كأسًا ممزوجة بالكافور : ﴿ إِنَّ الأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُوراً ﴾[8] ، وقال في موضع آخر : ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْساً كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلاً﴾[9] ، ويبدو أن هذا – والعلم عند الله – لأهل اليمين ، وقال في موضع موضع آخر : ﴿ وَمِزَاجُهُ مِن تَسْنِيمٍ عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ﴾[10] ، فأهل اليمين يشربون شرابًا ممزوجاً من تسنيم ، وهي عين في الجنة ، والمقربون يشربون من تسنيم صرفًا غير ممزوج.

---

(١) الرحمن : ٥٨ .
(٢) الرحمن : ٧٠ .
(٣) الرحمن : ٤٨ .
(٤) الرحمن : ٦٤.
(٥) التذكرة للقرطبي .
(٦) جامع الأصول.
(٧) جامع الأصول.
(٨) الإنسان : ٥ .
(٩) الإنسان : ١٧ .
(١٠) المطففين : ٢٧ ـ ٢٨.

الباب الحادي عشر

أبواب الجنة وغرفها وقصورها

الفصل الأول

أبواب الجنة

ذكر أبواب الجنة :

للجنة أبواب ؛ حيث قال الله تعالى : ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَراً حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴾[1].
وقال تعالى : ﴿ جَنَّاتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ الأَبْوَابُ ﴾[2] .

ففي هاتين الآيتين الكريمتين جاء ذكر أبواب الجنة في قوله تعالى : ﴿ وفتحت أبوابها ﴾ وقوله تعالى : ﴿ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ الأَبْوَابُ ﴾ فهذا بيان من الله سبحانه أن الجنة لها أبواب كثيرة وأنها مفتحة إشارة منه سبحانه وتعالى أن أهل الجنة إذا جاءوها لا يلحقهم ذل الحجاب ولا كلفة الاستئذان ، فقد رفع الله عنهم ذلك ويظهر ذلك من قوله سبحانه ﴿ مفتحة ﴾ فأهل الجنة لا يكلفون عناء مشقة الفتح ، إنما تفتح لهم الأبواب والملائكة تستقبلهم بالتبجيل والترحاب ، على العكس تمامًا من حال أهل النار فإن أبواب النار تغلق عليهم وتصبح بالنسبة لهم كالسجن لا يبرحونها .

وفي قوله سبحانه ﴿ مفتحة لهم الأبواب ﴾ إشارة عالية أيضًا لأهل الجنة أنهم فيها أحرارًا يتصرفون فيها كيف شاءوا ذهابًا وإيابًا ، آمنين مطمئنين ، فهي دار أمن لا يحتاجون فيها إلى غلق الأبواب كما كان يحصل في دار الدنيا تغلق الأبواب طلبًا للأمن ، وهذا مزيد كمال في الجنة لأهلها لا يوجد في غيرها ، فسبحان المنعم المتفضل يؤتي الفضل من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم .

---

(١) الزمر : ٧٣ .
(٢) ص : ٥٠ .

للجنة ثمانية أبواب :

في قوله تعالى : ﴿ حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها ﴾ قال جماعة من أهل العلم : هـــذه واو الثمانية ، فللجنة ثمانية أبواب ، أخرج الإمام البخاري عن سهل بن سعد رضى الله عنـــه أن رسول الله "ﷺ وآله" قال : ﴿ في الجنة ثمانية أبواب فيها باب يسمى الريان ؛ لا يدخله إلا الصائمون ﴾ .

وفي جزء من حديث أخرجه مسلم وأبو داود وأحمد فى المسند عن عمر بـــن الخطـــاب رضى الله عنه عن النبي "ﷺ وآله" قال : ﴿ ما من مسلم يتوضأ فيحسن وضـــوءه ثم يقـــوم فيصلى ركعتين مقبلاً عليهما بقلبه ووجهه إلا وجبت له الجنة ﴾.... الحديث ؛ إلى أن قال : ﴿ ما منكم من أحد يتوضأ فيبلغ ، أو فيسبغ الوضوء ، ثم يقول : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبد الله ورسوله إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء ﴾ وزاد الترمذي بعد التشهد : ﴿ اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين ﴾ .

وأخرج ابن ماجه وأحمد في مسنده عن عتبة بن عبد الله السلمي قال : سمعت رسول الله "ﷺ وآله" يقول : ﴿ ما من مسلم يتوفى له ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث إلا تلقوه من أبواب الجنة الثمانية من أيها شاء دخل ﴾ .

وقيل : إن أبواب الجنة أكثر من ثمانية أبواب لحديث عمر بن الخطاب رضي الله عنـــه قال : قال رسول الله "ﷺ وآله" : ﴿ من توضأ فأسبغ الوضوء ، ثم قال : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ؛ وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، صادق من نفسه ؛ أو قلبه – شك أيهما قال – فتح له من أبواب الجنة ثمانية أبواب يوم القيامة يدخل من أيها شاء ﴾[١] .

---

(١) خرجه الترمذي وغيره .

قال أبو عمر بن عبد البر في كتاب (التمهيد) هكذا قال : ﴿فتح له من أبواب الجنة﴾ وذكر أبو داود والنسائي وابن سنجر : ﴿ فتحت له أبواب الجنة الثمانية ﴾ ليس فيها ذكر ﴿ من ﴾ فعلى هذا أبواب الجنة ثمانية كما قالوا[1] .

تمام النعمة وحصول الفرح والسرور :

وهذه الدار إنما يدخل إليها بعد أهوال عظيمة من أول أن عقل العبد في الدار الدنيا إلى أن انتهى إلي الجنة ، حتى أذن الله تعالى لخاتم أنبيائه ورسله وأحب خلقه إليه صلى الله عليه وآله وسلم أن يشفع إليه في فتحها لهم .

وهذا أبلغ وأعظم في تمام النعمة وحصول الفرح والسرور ، حتى لا يتوهم الجاهل أنها بمترلة الخان الذي يدخله من يشاء ، فجنة الله عالية غالية ، بينها وبين الناس من العقبات والأخطار ما لا تنال إلا به ، فما لمن اتبع حظه وهواه وتمنى على الله الأماني ولهذه الدار ، فليعد من نفسه وهواه إلى ما هو أولى به وقد خلق له وهيئ له .

وقارن بين فرحة هؤلاء بإخوانهم وسيرهم معهم كل زمرة على حدة ، كل مشتركين في عمل من أعمال الخير متصاحبون فيه على زمرهم وجماعتهم مستبشرون ، فرحة قلوبهم قوية كما كانت هذه القلوب في الدنيا وقت اجتماعهم على الخير ، كذلك يؤنس بعضهم بعضا ويفرح بعضهم ببعض .

أما أصحاب النار – عافانا الله منها– فيساقون إليها زمرا يلعن بعضهم بعضا ، ويتأذى بعضهم من بعض ، وذلك أبلغ في الخزي من أن يساقوا واحدا واحدا .

قال خزنة أهل الجنة لأهلها : ﴿ سلام عليكم ﴾ فبدءوهم بالسلام المتضمن للسلامة من كل شر ومكروه ، أي : سلمتم فلا يلحقكم بعد اليوم ما تكرهون .

---

(١) سنن الترمذي ، وسنن أبى داود .

ثم قالوا لهم : ﴿ طبتم فادخلوها خالدين ﴾ أي : سلامتكم ودخولها بطيبكم فـإن الله حرمها إلا على الطيبين ، فبشرهم بالسلامة والطيب والدخول والخلود .

وأما أهل النار فإنهم لما انتهوا إليها وهم على حالهم من الهم والغم والحزن وفتحت لهم أبوابها وقعوا عليها ، وزيدوا على ما هم عليه من توبيخ خزنتها وتبكيتهم لهم بقولهم : ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَـذَا ﴾(١). فـاعترفوا وقالوا : ﴿ بَلَى ﴾ فبشروهم بدخولها والخلود فيها وأنها بئس المثوى لهم .

أهل الجنة يبشرون بنعيمها من أول وهلة :

وتأمل قول خزنة الجنة لأهلها : ﴿ فَادْخُلُوهَا ﴾ وقول خزنة النار لأهلها : ﴿ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ ﴾ تجد فيه سرا لطيفا ومعنى بديعا لا يخفى على المتأمل ، إذ لما كانت دار العقوبة وأبوابها أفظع شيء وأشده حرا وأعظمه غما يستقبل فيه الداخل من العذاب ما هو أشد منها؛ ويدنو من الغم والحزن والكرب بدخول الأبواب ؛ فقيل : ادخلوا أبوابها صغارا لهم وإذلالا وخزيا ، ثم قيل لهم : لا يقتصر بكم على مجرد دخول الأبواب الفظيعة ؛ ولكن وراءها الخلود في النار .

وأما الجنة فهي دار الكرامة والمنزل الذي أعده الله لأوليائه ، فبشروا من أول وهلة بالدخول إلى المقاعد والمنازل والخلود فيها .

أهل الجنة مفتحة لهم الأبواب :

وتأمل قول الله سبحانه: ﴿ جَنَّاتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ الأَبْوَابُ مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴾(٢). فمن بديع معناه أنهم إذا دخلوا الجنة لم تغلق أبوابها عليهم ، بل تبقى مفتحة كما هي .

---

(١) الزمر : ٧١ .
(٢) ص : ٥٠ ـ ٥١ .

وأما النار فإذا دخلها أهلها أغلقت عليهم أبوابها كما قال تعالى : ﴿ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ﴾[1]. أي : مطبقة مغلقة ، ومنه سمى الباب وصيدا ، وقال مقاتل : يعني أبوابها عليهم مطبقة ، أي : مغلقة لا تنفتح ، فلا يفتح لها باب ، ولا يخرج منها غم ، ولا يدخل فيها روح آخر الأبد .

وأيضا فإن في تفتيح أبواب الجنة إشارة إلى تصرفهم وذهابهم وإيابهم وتبوئهم في الجنة حيث شاءوا ، ودخول الملائكة على أهل الجنة كل وقت بالتحف والألطاف من ربهم .

وأيضا إشارة إلى أنها دار أمن لا يحتاجون فيها إلى غلق الأبواب كما كانوا يحتاجون ذلك في الدنيا .

وفي الموطأ وصحيح البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﵁ أن رسول الله "ﷺ وآله" قال : ﴿ من أنفق زوجين في سبيل الله نودي في الجنة يا عبد الله هذا خير ، فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة ، ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد ، ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة ، ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الريان ﴾ ، فقال أبو بكر : يا رسول الله ما على أحد أن يدعى من هذه الأبواب من ضرورة ؛ فهل يدعى أحد من هذه الأبواب ؟ قال : ﴿ نعم وأرجو أن تكون منهم ﴾ .

قال القاضي عياض : ذكر مسلم في هذا الحديث من أبواب الجنة أربعة ، وزاد غيره بقية الثمانية ، فذكر منها أبواب التوبة ، وباب الكاظمين الغيظ ، وباب الراضين ، والباب الأيمن الذي يدخل منه من لا حساب عليه .

يقول الحسن البصري رضي الله عنه في معنى قوله "ﷺ وآله" : ﴿ من أنفق زوجين في سبيل الله... ﴾ يعني : اثنين من كل شيء : دينارين ، درهمين ، ثوبين ، خفين .

وقيل : يريد شيئين : دينارا ودرهما ، ودرهما وثوبا ، خفا ولجاما ، ونحو هذا .

---

(١) الهمزة : ٨ .

وقال الباجي : ويحتمل أن يريد بذلك : العمل من صلاتين أو صيام يومين .

يقول القرطبي : والأول من التفسير أولى ، لأنه مروي عن النبي المصطفى "ﷺ وآله" ، وذكر الآجري عن أبي ذر رضي الله عنه أن رسول الله "ﷺ وآله" قال : ﴿ من أنفق زوجين في سبيل الله ابتدرته حجبة الجنة ﴾ ثم قال "ﷺ وآله" : ﴿ بعيرين ، درهمين ، قوسين ، نعلين ﴾ وأن ما جاء في سعة أبواب الجنة فيحتمل أن يكون بعضها سعته كذا ؛ وبعضها سعته كذا كما ورد في الأخبار ، فلا تعارض والحمد لله .

روى البخاري ومسلم عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال : قال رسول الله "ﷺ وآله": ﴿ إن في الجنة بابا يقال له الريان ، يدخل منه الصائمون ، فيدخلون منه ، فإذا دخل آخرهم أغلق فلم يدخل منه أحد ﴾[1].

وهكذا والله أعلم سائر الأبواب المختصة بالأعمال .

وجاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه : إن من الناس من يدعى من جميع الأبواب ، فقيل : ذلك الدعاء دعاء تنويه وإكرام وإعظام ثواب العاملين تلك الأعمال إذ قد جمعها ونيله ذلك ، ثم يدخل من الباب الذي غلب عليه العمل .

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله "ﷺ وآله" : ﴿ من أصبح منكم اليوم صائما ؟﴾ قال أبو بكر : أنا ، قال : ﴿ فمن تبع منكم اليوم جنازة ؟ ﴾ قال أبو بكر : أنا ، قال : ﴿ فمن أطعم منكم اليوم مسكينا ؟ ﴾ قال أبو بكر: أنا ، قال : ﴿ فمن عاد منكم اليوم مريضا ؟ ﴾ قال أبو بكر : أنا ، قال رسول الله "ﷺ وآله" : ﴿ ما اجتمعن في امرئ إلا دخل الجنة ﴾ .

وذكر الترمذي الحكيم أبواب الجنة في نوادر الأصول : فذكر باب سيدنا ومولانا محمد "ﷺ وآله" وهو باب الرحمة وهو باب التوبة ، فهو منذ خلقه الله مفتوح لا يغلق ، فإذا طلعت الشمس من مغربها أغلق فلم يفتح إلا يوم القيامة ، وسائر الأبواب مقسومة على أعمال البر:

---

(١) صحيح مسلم في كتاب فضائل الصحابة .

فباب منها للصلاة ، وباب للصوم ، وباب للزكاة والصدقة ، وباب للحج ، وباب للجهاد ، وباب للصلة ، وباب للعمرة ، فزاد باب الحج وباب العمرة وباب الصلة ، فعلى هذا أبوب الجنة أحد عشر بابا .

وقيل : إن في الجنة بابا يقال له : الضحى ، ذكر أبو الحسن الآجري في كتاب النصيحة عن أبي هريرة ﷺ عن النبي "ﷺ وآله" قال : ﴿ إن في الجنة باباً يقال له باب الضحى ؛ فـإذا كان يوم القيامة ينادي مناد : أين الذين كانوا يداومون على صلاة الضحى ؟ هـذا بـابكم فادخلوه ﴾ .

وعلى هذا يكون عدد أبواب الجنة اثني عشر بابا .

وقيل : إن أبوابها ثلاثة عشر بابا وذلك بزيادة باب الفرح ، وذكر صاحب الفـردوس من حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي "ﷺ وآله" قال : ﴿ للجنة باب يقـال لـه الفرح ؛ لا يدخل منه إلا من فرّح الصبيان ﴾ .

وذكر ابن رجب في التخويف من النار حديثا عن الفزاري قال : ﴿ لكل مؤمن في الجنة أربعة أبواب ؛ فباب يدخل عليه منه زواره من الملائكة ، وباب يدخل عليه منه أزواجه مـن الحور العين ، وباب مقفل فيما بينه وبين أهل النار يفتحه إذا شاء ينظر إليهم لتعظم النعمـة عليه ، وباب فيما بينه وبين دار السلام يدخل منه على ربه إذا شاء ﴾ .

وعن عقبة بن عامر قال : قال لي عمر بن الخطاب : قال رسول الله "ﷺ وآله" : ﴿من مات يؤمن بالله واليوم الآخر قيل له : ادخل الجنة من أي أبواب الجنة الثمانية شئت﴾ .

وعن بلال رضي الله عنه أن رسول الله "ﷺ وآله" قال : ﴿ للجنة ثمانية أبـواب : باب للصائمين ، وباب للطالبين ، وباب للمهاجرين ، ومنها باب للمصلين ، ومنها باب كذا، وباب كذا ، وليس أحد من خزنة الجنة إلا يدعوه ؛ هلم إلينا يا عبد الله ﴾ .

وأخرج أبو نعيم في حلية الأولياء قال عمر : رضي الله عنه إن نبي الله "ﷺ وآله" قال : ﴿ مـن

مات لا يشرك بالله شيئا فتح الله له أبواب الجنة يدخل من أيها شاء ، ولها ثمانية أبـــواب ﴾ وفي رواية : ﴿ من مات وهو يؤمن بالله ؛ فإن للجنة ثمانية أبواب يدخل من أيها شاء ﴾ .

وأخرج ابن ماجه والإمام أحمد في المسند وأبو نعيم في كتاب أخبار أصبهان ، عن أنس بن مالك ﷺ قال : قال رسول الله "ﷺ وآله" : ﴿ من توضأ فأحسن الوضوء ؛ ثم قال ثلاث مرات : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ؛ وأن محمدا عبده ورسوله ؛ فتح الله لـــه من الجنة ثماني أبواب يدخل من أيها شاء ﴾ .

وأخرج الحاكم في المستدرك – وقال صحيح – أن لقيط بن عامر خـــرج وافـــدا إلى رسول الله "ﷺ وآله" ، قال : فألفيته قائما يخطب ، فقلت : يا رسول الله ؛ فما الجنة ؟ قال : ﴿ إن للجنة ثمانية أبواب ما منهن بابان إلا بينهما مسيرة الراكب سبعين عاما ﴾ .

وأخرج الطبراني في المعجم الكبير والحاكم في المستدرك : عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله "ﷺ وآله" : ﴿ للجنة ثمانية أبواب ؛ سبعة مغلقة ، وباب مفتوح للتوبة حتى تطلع الشمس من نحوه ﴾ .

وأخرج الدرامي وابن حبان والطبراني في المعجم الكبير عن عتبة بن عبد ؛ عـــن الـــنبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : ﴿ للجنة ثمانية أبواب ، ولجهنم سبعة أبواب ﴾ .

سعة أبواب الجنة :

عن أبي هريرة ﷺ قال : وضعت بين يدي رسول الله "ﷺ وآله" قصعة من ثريد ولحم ، فتناول الذراع – وكان أحب الشاة إليه – فنهش نهشه وقال : ﴿أنا سيد الناس يوم القيامة﴾ ثم نهشه أخرى فقال : ﴿ أنا سيد الناس يوم القيامة ﴾ فلما رأى أصحابه لا يسألونه قـــال : ﴿ألا تقولون كيف؟﴾ قالوا : كيف يا رسول الله ؟ قال : ﴿ يقوم النـــاس لـــرب العـــالمين فيسمعهم الداعي وينفذهم البصر... ﴾ فذكر حديث الشفاعة بطوله وقال فى آخره :

﴿ فأنطلق آتي تحت العرش فأقع ساجدا لربي ، فيقيمني رب العالمين مقاما لم يقمه أحـــدا

قبلي ولن يقيمه أحدا بعدي ، فأقول : يا رب ، أمتي أمتي ، فيقول : يا محمد ، أدخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب، والذي نفس محمد بيده إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة لكما بين مكة وهجر ، أو هجر ومكة ﴾[1] .

وفي لفظ: ﴿ لكما بين مكة وهجر ، أو كما بين مكة وبصرى ﴾ متفق على صحته .

وعن خالد بن عمير العدوي قال : خطبنا عتبة بن غزوان فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد ؛ فإن الدنيا آذنت بصرم وولت حِذاء[2] ، ولم يبق منها إلا صبابة كصبابة[3] الإناء يصبها صاحبها ، وإنكم منقلبون منها إلى دار لا زوال لها فانقلبوا بخير ما بحضرتكم ، ولقد ذكر لنا أن مصراعين من مصاريع الجنة بينهما مسرة أربعين سنة ، وليأتين عليه يوم وهو كظيظ [4]من الزحام .

فهذا موقوف ، والذي قبله مرفوع ، فإن كان رسول الله "ﷺ وآله" هو الذاكر له كان هذا ما بين باب من أبوابها ولعله الباب الأعظم ، وإن كان الذاكر ذلك غير رسول الله "ﷺ وآله" لم يقدم على حديث أبي هريرة المتقدم .

ولكن قد روى الإمام أحمد في مسنده أن رسول الله "ﷺ وآله" قال : ﴿ أنتم موفون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله ، وبين المصراعين من مصاريع الجنة مسيرة أربعين عاما ، وليأتين عليه يوم وهو كظيظ ﴾[5] .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله "ﷺ وآله" قال : ﴿ ما بين مصراعين في الجنة لمسيرة أربعين سنة ﴾[6] .

---

(١) صحيح البخاري في أحاديث الأنبياء ، ومسلم في الإيمان.
(٢) صرم : قطع وانتهاء . وحذاء : أي : قدرت وانقطعت .
(٣) صبابة : البقية اليسيرة من الشراب في أسفل الإناء .
(٤) كظيظ : ممتلئ ، وكظيظ : الزحام أيضا .
(٥) أبو نعيم في الحلية .
(٦) أحمد .

ولما كانت الجنات درجات بعضها فوق بعض ؛ كانت أبوابها كذلك ، وباب الجنة العالية فوق باب الجنة التي تحتها ، وكلما علت الجنة اتسعت ؛ فعاليها أوسع مما دونه ، وسعة الباب بحسب وسع الجنة ، ولعل هذا وجه الاختلاف الذي جاء في مسافة ما بين مصراعي الباب ، في بعض الروايات .

ومصراع الباب : أحد جزأيه ، وهما مصراعان ؛ أحدهما إلى اليمين والآخر إلى اليسار ، فلكل باب مصراعان ، فتأمل أيها المؤمن سعة الباب الواحد ؛ وهي تعادل السير أربعين عاما ؛ كم هي إذن المسافة بالكيلومتر أو الميل بين مصراع باب الجنة الأيمن ؛ ومصراع باب الجنة الأيسر ، هذا بالنسبة لباب واحد ، فما هو الشأن إذن إذا أضفنا إليه بقية الأبواب ، وكم هي المسافة بين الباب والباب الآخر ؟ .

إنها وسعة إلهية لا نهائية ، وإنما قرب لنا "ﷺ وآله" الحقيقة العظمى لباب الجنة بمثال المسافة المعلومة للعقل وقتذاك ؛ لتزداد رغبة نفوس المؤمنين في الجنة ؛ إن كان هذا هو وصف الباب فما هو حال الجنة وما فيها ؟ .

إن المؤمن ليزداد شوقا إلى رؤية أبواب الجنة كما وصفها لنا سيدنا ومولانا رسول الله "ﷺ وآله" حتى ينتقل من علم اليقين الذي باشر عقله وقلبه من حديث سيدنا ومولانا رسول الله "ﷺ وآله" إلى عين اليقين .

ولأجل ذلك فهو يجد ويعمل قائما أو قاعدا بما أمر مولاه وبين رسول الله "ﷺ وآله" يستعذب المشقات ، وتهون أمامه الصعاب ؛ مسارعة ومسابقة إلى جنة عرضها كعرض السماء والأرض هي حلمه وأمله ؛ والغاية التي لأجلها يرخص كل غال ونفيس حتى لو كانت نفسه التي بين جنبيه ، فالجنة سلعة الله الغالية وثمنها معروف ﴿ إِنَّ اللّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ ﴾[١] .

---

(١) التوبة : ١١١ .

صفة أبواب الجنة :

روى الوليد بن مسلم عن خليد عن الحسن رضي الله عنهم في قول الله تعالى : ﴿مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ الأَبْوَابُ﴾[١] قال : أبواب ترى . وذكر أيضا عن خليد عن قتادة قال : أبـواب يـرى ظاهرها من باطنها ؛ وباطنها من ظاهرها ، تتكلم وتكلم ، وتفهم ما يقال لهـا ، انفتحـي ؛ انغلقي[٢] .وروى سهيل بن أبي صالح عن زياد النمري عن أنس بن مالك ﷺ قـال : قـال رسول الله "ﷺ وآله" : ﴿ أنا أول من يأخذ بحلقة باب الجنة ولا فخر ﴾[٣].

وفي حديث الشفاعة الطويل من رواية ابن عيينة عن علي بن زيد عن أنس رضـي الله عنهم قال : قال رسول الله " ﷺ وآله " : ﴿ فآخذ بحلقة باب الجنة فأقعقعهـا ﴾[٤] وهـذا صريح في أنها حلقة حسية تحرك وتقعقع .

وروى سهيل عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنهم عن النبي "ﷺ وآله" قال : ﴿ آخذ بحلقة باب الجنة فيؤذن لي ﴾[٥] .

ويذكر عن الإمام عليّ عليه السلام قوله : من قال لا إله إلا الله الملك الحق المبين في كل يوم مائة مرة ؛ كان له أمان من الفقر ، ومن وحشة القبر ، واستجلب به الغنى ، واستقرع به باب الجنة[٦].

وروى خلف بن هشام البزار عن أبي شهاب عن عمر بن قيس الملائي عن أبي إسـحاق عن عاصم بن حمزة عن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام قال : إن أبواب الجنة هكـذا بعضها فوق بعض ، ثم قرأ : ﴿ حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا ﴾[٧] إذا هم عندها بشجرة في أصلها عينان تجريان ، فيشربون من إحديهما فلا تترك في بطونهم قذى ولا أذى إلا رمته ،

---

(١) ص :٥٠.
(٢) أبو نعيم في صفة الجنة .
(٣) الدرامي وله شواهد عند أحمد .
(٤) الترمذي في التفسير ، وأقعقعها : أحركها لتصوت ، والقعقعة : صوت الشيء .
(٥) أبو نعيم في صفة الجنة .
(٦) أبو نعيم في صفة الجنة ، والحلية .
(٧) الزمر : ٧٣ .

ويغتسلون من الأخرى فتجري عليهم نضرة النعيم فلا تشعث رؤوسهم ولا تغير أبشارهم بعد هذا أبدا ، ثم قرأ : ﴿ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴾[١] .

فيدخل الرجل وهو يعرف مترله ، ويتلقاهم الولدان فيستبشرون برؤيتهم كما يستبشر الأهل بالحميم يقدم من الغيبة ، فينطلقون إلى أزواجهم فيخبروهم بمعاينتهم فتقول : أنت رأيته؟ فيقوم إلى الباب فيدخل إلى بيته فيتكئ على سريره ، فينظر إلى أساس بيته فإذا هو قد أسس على اللؤلؤ ، ثم ينظر في أخضر وأحمر وأصفر ، ثم يرفع رأسه إلى سماء بيته ، فلولا أنه خلق له لالتمع بصره فيقول : ﴿ الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللّهُ ﴾[٢]. والله أعلم .

خزنة الجنة :

يقول الله تعالى : ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلامٌ عَلَيْكُمْ ﴾ والخزنة : جمع خازن مثل : حفظة وحافظ ، وهو المؤتمن على الشيء الذي قد استحفظه .

ويقول سيدنا ومولانا رسول الله " ﷺ وآله " : ﴿آتي باب الجنة يوم القيامة فأستفتح ، فيقول الخازن : من أنت ؟ فأقول : محمد ، فيقول : بلى ، أمرت أن لا أفتح لأحد قبلك﴾[٣].

قبلك﴾[٣].

وجاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه المتفق عليه : ﴿ من أنفق زوجين في سبيل الله دعاه خزنة الجنة ؛ كل خزنة باب ، أي : فهلم ﴾ قال أبو بكر : يا رسول الله ، ذاك الذي لا تَوًى عليه، فقال النبي "ﷺ وآله" : ﴿ إني لأرجو أن تكون منهم ﴾ ، وفي لفظ : هل يدعى أحد من تلك الأبواب كلها ؟ قال : ﴿ نعم ، وأرجو أن تكون منهم ﴾[٤].

---

(١) الزمر : ٧٣ .
(٢) الأعراف : ٤٣ .
(٣) مسلم في الإيمان ، وأستفتح : أي : أطلب الفتح .
(٤) متفق عليه ، ولا توى : أي : لا هلاك ولا خسارة ، و: فهلم : أي : تعال .

وهكذا ؛ لما سمت همة الصديق رضي الله عنه إلى تكميل مراتب الإيمان ؛ وطمعت نفسه أن يدعى من تلك الأبواب كلها ؛ سأل سيدنا رسول الله "ﷺ وآله" هل يحصل ذلك لأحد من الناس ليسعى في العمل الذي ينال به ذلك ، فخبره بحصوله وبشره "ﷺ وآله" بأنه من أهل ذلك ، وكأنه قال : هل تكمل لأحد هذه المراتب فيدعى يوم القيامة من أبوابها كلها؟. فما أعلى هذه الهمة وأكبر هذه النفس .

وقد سمى الله تعالى كبير الخزنة رضوان ؛ وهو اسم مشتق من الرضا .

أزمنة تفتح فيها أبواب الجنة :

أخرج الإمام مسلم في صحيحه والبخاري في الأدب المفرد والترمذي والإمام أحمد في المسند وأبو داود ؛ ولفظ الإمام مسلم في كتاب البر والصلة والآداب عن أبي هريرة ﷺ قال رسول الله "ﷺ وآله" : ﴿ تفتح أبواب الجنة يوم الاثنين ويوم الخميس فيغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيئا إلا رجلا كانت بينه وبين أخيه شحناء فيقال : أنظِروا هذين حتى يصطلحا ، أنظِروا هذين حتى يصطلحا ﴾ .

(أنظروا هذين : أي : أخروهما . شحناء : أي : عداوة أو بغضاء) .

وفي رواية لابن حبان عن شمر بن عطية قال : خلق الله عز وجل جنة الفردوس بيده ، فهو يفتحها كل يوم خميس أو يوم اثنين ، ثم يغفر لمن لم يشرك به شيئا إلا رجل بينه وبين أخيه جنة .

وهذا مزيد فضل من الله تعالى في هذين اليومين اللذين اختصهما الله تعالى بذلك .

وأخبرنا سيدنا ومولانا رسول الله "ﷺ وآله" أن أبواب الجنة تفتح في كل عام في رمضان ؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه ؛ أن رسول الله "ﷺ وآله" قال : ﴿ إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة ﴾[1].

---

(١) صحيح البخاري ومسلم .

وفي الصحيحين ومسند أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله "ﷺوآله" : ﴿ إذا دخل شهر رمضان فتحت أبواب السماء ﴾ ، وفي رواية : ﴿ فتحت أبواب الجنة ، وغلقت أبواب النار ﴾(١).

الجوارح وأبواب الجنة :

وفي بيان معنى قول سيدنا رسول الله : "ﷺ وآله" ﴿ المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ﴾(٢) وفي رواية أخرى : ﴿ من سلم الناس من لسانه ويده ﴾ يقول الإمام المجدد أبو العزائم رضي الله عنه : ومتى سلم الناس من لسانه ويده ، سلموا من باب أولى من جميع الجوارح ، فإن كل المعاصي في الحقيقة سبيلها اللسان ، لا فرق بين معاصي الفرج والبطن وبين معاصي غيرهما .

فكأنه "ﷺ وآله" يقول : من سلم المسلمون من جميع جوارحه ، وتلك الجوارح في الحقيقة هي مفاتيح أبواب الجنة وأبواب النار ، وبعيشك ، هل يرضى مسلم يؤمن بالله واليوم الآخر أن يفتح على نفسه بابا من أبواب النار ويقفل أبواب الجنة ؟ .

مع أن الله سبحانه مكنه وخيره بين فتح باب الجنة وفتح باب النار ، قال تعالى : ﴿ فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ﴾(٣) ، وشتان بين من يفتح أبواب النار في مجلس واحد ، وبين من يفتح أبواب الجنة في نفس واحد :

فتح أبواب الجنة :

مثال ذلك : رجل مشى برجليه لزيارة عالم حتى وصل إليه ، ففتح باب الرجلين .
وجلس معه فسمع الحكمة فوعاها ؛ ففتح باب الأذنين .

---

(١) مشكاة المصابيح .
(٢) البخاري و أبو داود فى الأدب ، والنسائى ، والترمذى ، وابن حبان .
(٣) الكهف : ٢٩ .

ونظر إلى الفقراء معه فشكر الله تعالى على ما أنعم به عليه من اليسار والعافية ؛ ففتح باب العينين .

ثم ذكر الله تعالى مع الذاكرين معه ؛ ففتح باب اللسان .

ثم مد يده بصدقة لفقير أو لغيره ؛ ففتح باب اليدين .

ثم تحمل الجوع مع العالم ـ لأن أكثرهم فقراء ـ ففتح باب البطن .

ثم تذكر ذنوبه لحلاوة الحكمة فتاب إلى الله ؛ ففتح باب الجنة المعد للفرج ، وهو باب الخيام المضروبة على المقصورات من الحور .

ثم سمع علم التوحيد وعين التوحيد وحق التوحيد ؛ فانفتح له باب القلب في الجنة ، وهو مقعد الصدق للصادقين والصديقين ، كل ذلك في نَفَس أو أكثر .

الفصل الثانى

غرف الجنة وقصورها

غرف الجنة :

كما أن في الجنة قصورا وبيوتا فإن فيها غرفا ، يقول الله تعالى : ﴿ لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ ﴾(١) ، فرفع الله سبحانه بهذا الخبر الوهم عن النفوس، وجعل مكانه اليقين بخبره هذا أن في الجنة غرفاً فوق غرف وأنها مبنية بعضها فوق بعض ، حتى أصبح القارئ لكلام الله سبحانه والسامع له كأنه ينظر إليها بعينه .

وكلمة ﴿ مبنية ﴾ صفة للغرف الأولى والثانية ، أى : كأن الله يقول : للذين اتقوا عند ربهم في الجنة منازل مرتفعة وفوقها منازل أرفع منها ، والغرفة جنس كالجنة .

والذين اتقوا ربهم هم الذين وصفوا بقوله تعالى : ﴿ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ ﴾(٢) ، وحصل لهم البشرى ، حيث استمعوا واتبعوا أحسن القول ، وهم المخاطبون بقوله تعالى : ﴿ قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ ﴾(٣) ، فبين الحق سبحانه وتعالى أن لهم درجات عالية في جنات النعيم ، في مقابل ما للكفرة من دركات سافلة في الجحيم وهي مقابل قوله تعالى : ﴿ مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ﴾(٤) في حق الكفار وما أعده لهم .

لكن أهل التقى لهم علالى (غرف) بعضها فوق بعض مبنية بناء المنازل المؤسسة على الأرض في الرصانة والإحكام ، وفوق ذلك هذه الغرف ﴿ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ﴾(٥) من غير تفاوت بين العلو والسفل .

---

(١) الزمر : ٢٠ .
(٢) الزمر : ١٦ .
(٣) الزمر : ١٠ .
(٤) الزمر : ١٦ .
(٥) الزمر : ٢٠ .

ومن اتقى الله فيما أمر ونهى كانت له درجات حسية في الجنة مبنية من الذهب والفضة واللؤلؤ والياقوت والزبرجد يترقى فيها على قدر عمله وتقواه ، ومن اتقى ما يشغل عن الله من جنس الكائنات كانت له درجات ومقامات معنوية وتجليات ربانية ، ومنازل قربية اصطفائية ، يرتقي فيها بقدر تقواه وسعيه إلى مولاه ، وعد الله لا يخلف الله الميعاد .

وقال عز وجل : ﴿ أُوْلَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا ﴾[1] فجعل سبحانه جزاء عباد الرحمن على صبرهم على سوء خطاب الجاهلين ، وصبرهم على مشاق الطاعات وترك الشهوات ، وتحمل المجاهدات ، وعلى أذية أهل الإنكار ﴿ الغرفة ﴾ والجمع : غرفات ، وهى العلالي من الجنة .

روى الإمام الطبراني في المعجم الكبير عن أبي مالك الأشعري ﷺ أن رسول الله "ﷺ وآله" قال : ﴿ إن في الجنة غرفاً يرى ظاهرها من باطنها ، وباطنها من ظاهرها ، أعدها الله لمن أطعم الطعام ، وأدام الصيام ، وصلى بالليل والناس نيام ﴾ . وفي حديث متفق عليه عن أبي سعيد رضي الله عنه أن رسول الله "ﷺ وآله" قال : ﴿ إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف كما تراءون الكوكب الغابر من الأفق ﴾ .

وفي الصحيحين من حديث أبي موسى الأشعري ﷺ عن النبي " ﷺ وآله " قال: ﴿ إن للمؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها ستون ميلا ، فيها أهلون يطوف عليهم المؤمن ، فلا يرى بعضهم بعضا ﴾ .

وروى البيهقي من حديث حفص بن عمر عن عمر بن قيس الملائى عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله "ﷺ وآله" : ﴿ إن في الجنة لغرفا، فإذا كان ساكنها فيها لم يخف عليه ما خلفها ، وإذا كان خلفها لم يخف عليه ما فيها ﴾ قيل: لمن هي يا رسول الله ؟ قال : ﴿ لمن أطاب الكلام ، وواصل الصيام ، وأطعم الطعام ، وأفشى السلام ، وصلى والناس نيام ﴾ ، قال : وما طيب الكلام ؟ قال : ﴿ سبحان الله ، والحمد لله، ولا إله إلا الله ، والله أكبر ، فإنها تأتي يوم القيامة ولها مقدمات ومعقبات ﴾ .

---

(١) الفرقان : ٧٥ .

قيل : وما وصال الصيام ؟ قال : ﴿ من صام شهر رمضان ثم أدرك شهر رمضان فصامه﴾ قيل : وما إطعام الطعام ؟ قال : ﴿ من قات عياله وأطعمهم ﴾ ، قيل : وما إفشاء السلام؟ قال : ﴿ مصافحة أخيك وتحيته ﴾ ، قيل : وما الصلاة والناس نيام ؟ قال : ﴿ صلاة العشاء الآخرة ﴾ .

وفي حلية الأولياء لأبي نعيم وفوائد ابن السماك عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال النبي "ﷺ وآله" : ﴿ ألا أحدثكم بغرف الجنة ﴾ قال ، قلنا : بلى يا رسول الله ؛ بأبينا أنت وأمنا ، قال : ﴿ إن في الجنة غرفا من أصناف الجوهر كله يرى ظاهرها من باطنها ، وباطنها من ظاهرها ، فيها من النعيم واللذات ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ﴾ قال : قلنا: يا رسول الله لمن هذه الغرف ؟ قال : ﴿ لمن أفشى السلام ، وأطعم الطعام ، وأدام الصيام ، وصلى بالليل والناس نيام ﴾ قال : قلنا : يا رسول الله ومن يطيق ذلك ؟ قال : ﴿ أمتي تطيق ذلك ، وسأخبركم عن ذلك ، من لقي أخاه فسلم عليه ، فقد أفشى السلام ، ومن أطعم أهله وعياله من الطعام حتى يشبعهم فقد أطعم الطعام ، ومن صام رمضان ومن كل شهر ثلاثة أيام فقد أدام الصيام ، ومن صلى صلاة العشاء الأخيرة في جماعة فقد صلى والناس نيام ..... ﴾ إلخ الحديث .

عن سهل بن سعد رضي الله عنه، عن رسول الله "ﷺ وآله" في قوله تعالى : ﴿ أُوْلَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا ﴾[1] وقوله : ﴿ وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ ﴾[2] قال : ﴿ الغرفة من ياقوتة حمراء أو زبرجدة خضراء ، أو درة بيضاء ليس فيها فصم ولا وصل ، وإن أهل الجنة ليتراءون الغرفة منها كما تتراءون الكوكب الشرقي أو الغربي في أفق السماء ، وإن أبا بكر وعمر منهم وأنعما ﴾[3] .

---

(١) الفرقان : ٧٥ .
(٢) سبأ : ٣٧ .
(٣) الحكيم الترمذي في نوادر الأصول .

وعن الإمام عليّ عليه السلام أنه قال : قال رسول الله "ﷺ وآلــه" : ﴿إن في الجنــة لغرفا يرى ظهورها من بطونها ، وبطونها من ظهورها ﴾ فقام أعرابي فقال : يا رسول الله ، لمن هي؟ قال : ﴿ لمن طيب الكلام ، وأطعم الطعام ، وأدام الصيام ، وصــلى بالليــل والنــاس نيام﴾[1].

وعن عبد الله بن عمرو أن النبي "ﷺ وآله" قال : ﴿ إن في الجنة غرفا يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها ﴾ قال أبو مالك الأشعري : لمن هي يا رسول الله ؟ قال : ﴿ لمن أطاب الكلام ، وأطعم الطعام ، وبات قائما والناس نيام ﴾[2] .

فانظر كيف ربط "ﷺ وآله" بين حسن الخلق والعبادة ، حتى لا تكتفي الأمة الإســلامية بصحوة تعبدية وتهمل المحاسن الأخلاقية ، وسعادة المسلمين في دنياهم وآخراهم إنمــا هــي بمكارم الأخلاق التي يجب أن تكون مواكبة للقيام بالعبادات .

أهل غرف الجنة :

قال الله تعالى : ﴿ لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ ﴾[3] الآية ، وقال تعالى : ﴿ إلا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُــمْ فِــي الْغُرُفَاتِ آمِنُون ﴾[4]، وقال سبحانه :﴿ أُوْلَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا ﴾[5] .

روى مسلم عن سهل بن سعد رضي الله عنه أن سيدنا رسول الله "ﷺ وآله" قال : ﴿إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم كما تتراءون الكوكب الدري الغائر في الأفق من المشرق أو المغرب ، لتفاضل ما بينهم ، قالوا : يا رسول الله ، تلك منازل الأنبياء لا يبلغهــا غيرهم ؟ قال : بلى ، والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين ﴾[6].

(١) الترمذي فى الجنة .
(٢) أحمد .
(٣) الزمر : ٢٠ .
(٤) سبأ : ٣٧ .
(٥) الفرقان : ٧٥ .
(٦) البخاري ومسلم .

و هذه الغرف مختلفة في العلو والصفة بحسب اختلاف أصحابها في الأعمال ، فبعضها أعلى من بعض وأرفع ، وقوله : الغائر من المشرق أو المغرب يروى بالياء اسم الفاعل ، من غار ، وقد روى مسلم في غير الغارب بتقديم الراء ، والمعنى واحد .

وروي الغابر بالباء بواحدة ، ومعناه الذاهب أو الباقي ، فإن غبر من الأضداد ، يقال غبر إذا ذهب ، وغبر إذا بقي ، ويعني به أن الكوكب حالة طلوعه وغروبه بعيد عن الأبصار فيظهر صغيرا لبعده ، وقد بينه بقوله : ﴿ من المشرق أو المغرب ﴾ ، وقد روي العازب بالعين المهملة والزاى ، أي : البعيد ، ومعانيها كلها متقاربة .

وعن عبد الله بن مسعود ﷺ عن رسول الله "ﷺ وآله" قال : ﴿ إن المتحابين في الله تعالى لعلى عمود من ياقوتة حمراء ، في رأس العمود سبعون ألف غرفة يضيء حسنهم أهل الجنة ، كما تضيء الشمس أهل الدنيا .

يقول أهل الجنة بعضهم لبعض : انطلقوا حتى ننظر إلى المتحابين في الله عز وجل ، فإذا أشرفوا عليهم أضاء حسنهم أهل الجنة كما تضيء الشمس أهل الدنيا ، عليهم ثياب خضر من سندس ، مكتوب على جباههم : هؤلاء المتحابون في الله عز وجل ﴾[1] .

وذكر الثعلبي من حديث أبي عمران عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله "ﷺوآله" قال : ﴿ إن أهل عليين لينظرون إلى الجنة ، فإذا أشرف رجل من أهل عليين أشرقت الجنة لضياء وجهه ، فيقولون : ما هذا النور ؟ فيقال : أشرف رجل من أهل عليين الأبرار أهل الطاعة والصدق ﴾[2].

وروى أبو سعيد الخدرى ﷺ ، أن النبي "ﷺ وآله" قال : ﴿ إن أهل الغرف ليتراءون عليين كما تتراءون الكوكب الدري في أفق السماء ، وإن أبا بكر وعمر منهم وأنعما ﴾[3].

(١) الكامل في الضعفاء لابن عدي .
(٢) انحاف السادة المتقين للزبيدي .
(٣) سنن أبي داود .

روي من حديث أنس بن مالك ﷺ قال : قال رسول الله "ﷺ وآله" : ﴿ إن فى الجنة لغرفا ليس لها مغاليق من فوقها ولا عماد من تحتها ﴾ ، قيل : يا رسول الله ، وكيف يدخلها أهلها ؟ قال : ﴿ يدخلونها أشباه الطير ﴾ قيل : هي يا رسول الله لمن ؟ قال : ﴿ لأهل الأسقام والأوجاع والبلوى ﴾[1] ، خرجه أبو القاسم زاهر بن ظاهر بن محمد بن محمد الشحامي .

وروى الليث بن سعد قال : حدثنا محمد بن عجلان أن واقد البصري ، أخبره عن أنس بن مالك ﷺ أن رسول الله "ﷺ وآله" قال : ﴿ ليُؤتين برجال يوم القيامة ليسوا بأنبياء ولا شهداء ، تغبطهم الأنبياء والشهداء بمنازلهم من الله ، يكونون على منابر من نور ﴾ قالوا : ومن هم يا رسول الله ؟ قال : ﴿ هم الذين يحببون الله إلى الناس ، يحببون الناس إلى الله ، ويمشون لله فى الأرض نصحاء ﴾ .

قلنا : يا رسول الله ، هم يحببون الله إلى الناس ، فكيف يحببون الناس إلى الله ؟ قال : ﴿يأمروهم بالمعروف وينهوهم عن المنكر ، فإذا أطاعوهم أحبهم الله تعالى﴾[2].

قصور الجنة وبيوتها :

قال تعالى عن امرأة فرعون آسية رضى الله عنها قالت : ﴿ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ ﴾[3]، فحكى عنها القرآن حالها حين اشتد بها عذاب فرعون فتوجهت إلى ربها وقالت: ﴿ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ ﴾ أي : قريبا منك ومن رضوانك في أعلى درجات المقربين ، وهكذا اختارت الجار قبل الدار ، وروي أنها لما قالت ذلك أريت بيتها في الجنة .

قال الحسن وابن كيسان : نجاها الله أكرم نجاة ، ورفعها إلى الجنة فهي فيها تأكل وتشرب. ١ هـ . ذكره ابن عجيبة الحسني عليه السلام في تفسيره : البحر المديد .

---

(١) الزهد لابن المبارك ، وأمالي الشجرى .
(٢) الكامل في الضعفاء لابن عدي .
(٣) التحريم : ١١ .

وقال عز وجل : ﴿ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ﴾ خرج أبو الحسين الآجري عن الحسن قال : سألت عمران بن الحصين وأبا هريرة عن تفسير هذه الآية ﴿ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً ﴾ فقالا : على الخبيرسقطت ، سألنا رسول "ﷺ وآله" عنها فقال : ﴿ قصر من لؤلؤة في الجنة سبعون دارا من ياقوتة حمراء ، في كل دار سبعون بيتا من زبرجدة خضراء ، في كل بيت سبعون سريرا ، على كل سرير سبعون فراشا من كل لون ، على كل فراش سبعون امرأة من الحور العين ، في كل بيت سبعون مائدة ، على كل مائدة سبعون لونا من الطعام ، في كل بيت سبعون وصيفا ووصيفة ، فيعطى الله تبارك وتعالى المؤمن من القوة في غداة واحدة ما يأتى على ذلك كله ﴾[1].

وفى الصحيح من الحديث قوله "ﷺ وآله" : ﴿من بنى لله مسجدا بنى الله له بيتا فى الجنة﴾.

وفى الصحيحين البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن أبي أوفى وأبي هريرة والسيدة عائشة رضي الله عنهم أن جبريل قال للنبي "ﷺ وآله" : ﴿ هذه خديجة أقرئها السلام من ربها، وأمره أن يبشرها ببيت في الجنة من قصب ، لا صخب فيه ولا نصب ﴾ (والقصب : قصب اللؤلؤ المجوف) .

وروي ابن أبي الدنيا عن عكرمة عن أبي هريرة ﷺ عن النبي "ﷺ وآله" قال : ﴿ إن في الجنة لقصرا من لؤلؤة ليس فيه صدع ، ولا وهن ، أعده الله عز وجل لخليله إبراهيم ﴾.

قال الحسن : قصر من ذهب لا يدخله إلا نبي أو صديق أو شهيد أو حكم عدل يرفع بها صوته .

وقال الأعمش عن مال بن الحارث عن مغيث بن سمي قال : إن في الجنة قصورا من ذهب ، وقصورا من فضة ، وقصورا من لؤلؤ ، وقصورا من ياقوت ، وقصورا من زبرجد .

---

(١) هكذا ذكره القرطبي في التفسير جـ ١٠ .

قال الأعشى عن مجاهد عن عبيد بن عمير قال : إن أدنى أهل الجنة منزلة من لـــه دار من لؤلؤة واحدة منها غرفها وأبوابها .

وذكر ابن وهب قال : أخبرنا ابن زيد عن أبيه رضـــي الله عنـــهما قـــال رســـول الله "ﷺوآله": ﴿ إنه ليجاء للرجل الواحد بالقصر من اللؤلؤة الواحدة ، في ذلك القصر سبعون غرفة ، في كل غرفة زوجة من الحور العين ، في كل غرفة سبعون بابا يدخل عليه مـــن كـــل باب رائحة من رائحة الجنة سوى الرائحة التي تدخل عليه من الباب الآخر ﴾ ، وقرأ قول الله عز وجل : ﴿فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾[1].

وخرج أبو داود عن أبي موسى ﷺ قال : قال رسول الله "ﷺ وآله" : ﴿ إذا قبض الله عز وجل وجل ابن العبد قال للملائكة : ماذا قال عبدي ؟ قالوا : حمدك واسترجع، قـــال : ابنوا له بيتا في الجنة وسموه بيت الحمد ﴾ .

وروى الترمذى عن أبي سعيد الخدري ﷺ عن النبي "ﷺ وآله" في قوله تعالى: ﴿ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴾[2] . قال : ﴿ ارتفاعها لكما بين السماء والأرض مسيرة خمسائة عام ﴾ .

وروى مسلم عن أبي موسى الأشعري ﷺ أن رسول الله "ﷺ وآله" قال : ﴿ في الجنـــة خيمة من لؤلؤة مجوفة عرضها ستون ميلا ، في كل زاوية منها أهل للمؤمن ما يرون الآخرين يطوف عليهم المؤمن ﴾ .

وفي رواية قال : ﴿ الخيمة درة طولها في السماء ستون ميلا ، في كل زاوية منها أهـــل للمؤمن ما يرون الآخرين ﴾ .

قال ابن عباس رضي الله عنهما : قصور الجنة عدد نجوم السماء ، وأنهارها عدد نجـــوم السماء ، فيها نهر يقال له نهر الرحمة يجري في جميع الجنان .

---

(١) السجدة : ١٧ .
(٢) الواقعة : ٣٤ .

عن أبي عقيل أنه سمع سعيد بن المسيب ﷺ يقول : إن نبي الله "ﷺ وآله" قال: ﴿ من قرأ: (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) عشر مرات بني له قصر في الجنة ، ومن قرأها عشرين مرة بني له قصران في الجنة ، ومن قرأها ثلاثين مرة بني له ثلاثة قصور في الجنة ﴾ فقال عمر بن الخطاب ﷺ : إذا لتكثرن قصورنا ، فقال رسول الله "ﷺ وآله" : ﴿ الله أوسع من ذلك ﴾(١).

قال الدرامي : أبو عقيل زهرة بن معبد زعموا أنه كان من الأبدال .

وقد أخبرنا الرسول "ﷺ وآله" عن صفات قصور بعض أزواجه وبعض أصحابه ، ففي صحيحي البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ ، قال : أتى جبريل النبى "ﷺ وآله" فقال : ﴿يا رسول الله ، هذه خديجة قد أتت معها إناء فيه إدام وطعام ، فإذا أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومني ، وبشرها ببيت في الجنة من قصب ، لا صخب فيه ولا نصب ﴾(٢).

وقد أخبرنا الرسول "ﷺ وآله" بالطريق الذي يحصل به المؤمن على مزيد من البيوت في الجنة ، فالذي يبني مسجدا يبني الله له بينا في الجنة ، ففي مسند أحمد عن ابن عباس بإسناد صحيح أن الرسول "ﷺ وآله" قال : ﴿ من بنى لله مسجدا ، ولو كمفحص قطاة لبيضها ، بنى الله له بيتا في الجنة ﴾(٣) .

وفى مسند أحمد وصحيحي البخاري ومسلم وسنن الترمذي وسنن ابن ماجه ، عن عثمان ﷺ أن رسول الله "ﷺ وآله" قال : ﴿ من بنى مسجدا يبتغى به وجه الله ، بنى الله له مثله في الجنة ﴾(٤) .

---

(١) سنن الدرامي ، ومسند الإمام أحمد .
(٢) مشكاة المصابيح .
(٣) صحيح الجامع الصغير .
(٤) المصدر السابق .

وفي صحيح مسلم ومسند أحمد وسنن أبي داود ، وسنن النسائي وسنن ابن ماجه عن أم حبيبة رضي الله عنها أن رسول الله "ﷺ وآله" قال : ﴿ من صلى في اليوم والليلة اثنتي عشرة ركعة تطوعا ، بنى الله له بيتا في الجنة ﴾[1] .

نور الجنة وبياضها :

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله "ﷺ وآله" قال : ﴿ إن الله خلق الجنة بيضاء ، وإن أحب اللون إلى الله البياض ، فيلبسه أحياؤكم وكفنوا فيه موتاكم ﴾[2].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله "ﷺ وآله" : ﴿ عليكم بالبياض ، فإن الله خلق الجنة بيضاء ، فليلبسه أحياؤكم وكفنوا فيه موتاكم ﴾[3].

ولقي بعضهم عبد الله بن عباس رضي الله عنهما بالمدينة بعد أن كف بصره فقال : يا ابن عباس ، ما أرض الجنة ؟ قال : مرمرة بيضاء من فضة كأنها مرآة ، قلت : فما نورها ؟ قال : ما رأيت الساعة التي تكون فيها قبل طلوع الشمس فذلك نورها ، إلا أنه ليس فيها شمس ولا زمهرير[4] ، وذكر الحديث .

وإذا كان سيدنا رسول الله "ﷺ وآله" يستحب لنا أن نلبس البياض ونكفن فيه موتانا ، فلعل فى ذلك إشارة إلى وجوب الحرص على بياض القلب ونقائه من الكبر والطمع والحسد وهى أمهات المعاصي

يقول الإمام المجدد أبو العزائم ﷺ في إحدى حكمه : بيَّضَ الأسود وهو شعر اللحية والرأس إكراما لك ، فلا تُسَوِّد له الأبيض وهو القلب إجلالا له .

(١) صحيح الجامع .
(٢) أبو نعيم فى صفة الجنة .
(٣) أبو نعيم فى صفة الجنة .
(٤) أبو نعيم فى صفة الجنة ، والزمهرير : شدة البر .

وفى حديث لابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله "ﷺ وآله" قال : ﴿ خلق الله الجنة بيضاء ، وأحب الزي إلى الله البياض ، فليلبسه أحياؤكم وكفنوا فيه موتاكم ﴾ ثم أمر برعاء الشاة فجمعت ، فقال : ﴿ من كان منكم ذا غنم سود فليخلط بها بيضاء ﴾ فجاءته امرأة فقالت : يا رسول الله ، إني اتخذت غنما سودا فلا أراها تنمو ؟ قال : ﴿ عفرى ﴾ .

رعاء : رعاة الشاة ، ويقال : رعاة ورعيان ، والمفرد : راعى . ﴿ عفرى ﴾ أى : بيضى.

قال القرطبي : قال العلماء : ليس في الجنة ليل ونهار ، وإنما هم في نور دائم أبدا ، وإنما يعرفون مقدار الليل بإرخاء الحجب وإغلاق الأبواب ، ويعرفون مقدار النهار برفع الحجب وفتح الأبواب ، ذكره أبو الفرج بن الجوزي[1].

قال ابن كثير في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴾[2] أي : في مثل وقت البكرات ووقت العشيات ، لا أن هناك ليلا ونهارا ، ولكنهم في أوقات تتعاقب يعرفون مضيها بأضواء وأنوار[3].

والجنة ليس فيها شمس ولا قمر ، ولا ليل ولا نهار ، لكن تعرف البكرة والعشية بنور يظهر من قِبل العرش .

ريح الجنة وهواؤها :

للجنة رائحة عبقة زكية تملأ جنباتها ، وهذه الرائحة يجدها المؤمنون من مسافات بعيدة ، أخرج الإمام أحمد في مسنده والحاكم في المستدرك وصححه عن الحسن عن أبي بكرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله "ﷺ وآله" يقول : ﴿ إن ريح الجنة ليوجد من مسيرة مائة عام ﴾ .

وعن قتادة ﴿ من مسيرة خمسائة عام ﴾ .

---

(١) التذكرة للقرطبي .
(٢) مريم : ٦٢ – ٦٣ .
(٣) تفسير ابن كثير جـ ٤ .

وروى أبو نعيم في حلية الأولياء عن أبي هريرة ﵁ : تراح رائحة الجنة من مسيرة خمسائة عام

وأخرج أبو بكر الهيثمى في مجمع الزوائد وعزاه إلى الطبراني في الأوسط عن جابر﵁ قال: قال رسول الله "ﷺ وآله" : ﴿ إن ريح الجنة لتوجد من مسيرة ألف عام ، والله لا يجد ريحها عاق ولا قاطع رحم ﴾ .

وأخرج البخاري والبيهقي في السنن الكبرى والإمام أحمد والحاكم في المستدرك وابن ماجه عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال : قال رسول الله "ﷺ وآله" : ﴿ من قتل معاهدا بغير حق، لم يرح رائحة الجنة ، وإنه ليوجد ريحها من مسيرة أربعين عاما ﴾ .

وروى الترمذي عن أبي هريرة ﵁ عن النبى "ﷺ وآله" قال : ﴿ ألا من قتل نفسا معاهدة له ذمة الله وذمة رسول الله ، فقد أخفر بذمة الله فلا يراح رائحة الجنة ، وإن ريحها ليوجد من مسيرة سبعين خريفا ﴾ .

وفى الصحيحين من حديث أنس ﵁ قال : لم يشهد عمي مع رسول الله "ﷺ وآله" بدرا، قال : فشق عليه ، قال : أول مشهد شهده رسول الله "ﷺ وآله" غبت عنه ، قال : فإن أراني الله مشهدا فيما بعد مع رسول الله "ﷺ وآله" ليرين الله ما أصنع ، قال : فهاب أن يقول غيرها .

فشهد مع رسول الله "ﷺ وآله" يوم أحد ، قال : فاستقبل سعد بن معاذ ، فقال له : أين؟ فقال : واها لريح الجنة أجده دون أحد ، قال : فقاتلهم حتى قتل ، قال : فوجد في جسده بضع وثمانون ما بين ضربه وطعنه ورمية ، فقالت أخته عمة الربيع بن النضر : فما عرفت أخي إلا ببنانه ، ونزلت هذه الآية ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾[1] . قال : فكانوا يرون أنها نزلت فيه وفي أصحابه .

---

(١) الأحزاب : ٢٣ .

وريح الجنة نوعان : ريح يوجد في الدنيا تشمه الأرواح أحيانا لا تدركه العباد ، وريح أخرى تدرك بحاسة الشم للأبدان كما تشم روائح الأزهار وغيرها وهذا يشترك أهل الجنة في إدراكه في الآخرة من قرب وبعد ، أما في الدنيا فقد يدركه من شاء الله له من أنبيائه ورسله وأوليائه ، يقول الإمام أبو العزائم رضي الله عنه :

مـــن خمـــر نـــور جمالـــك	ومـــن رحيـــق وصـــالك
شـــربت صـــرفا فهمـــت	وهـــام أهـــل كمالـــك
وأشـــرق القلـــب نـــوراً	والقلـــب قـــد كـــان حالـــك
ومبشـــري قـــال هيـــا	قـــم فـــالحمى لـــك ســـالك
فســـرت وهـــو إمـــامي	حـــتى وصـــلت هنالـــك
وقلـــت يـــا ليـــت قـــومي	قـــد يعلمـــون بـــذلك
وصـــرت حـــيران ممـــا	شـــاهدته مـــن جمالـــك

وقد روى أبو نعيم في حلية الأولياء عن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله " ﷺ وآله " : يقول الله عز وجل للجنة : طيبي لأهلك ، فتزداد طيبا ، فذلك البرد يجده النـــاس بالسَّحَرِ من ذلك " .

وقد أخبر النبي " ﷺ وآله " أن شدة الحر والبرد من أنفاس جهنم ، فكذلك يشـــهد الله عباده وأولياءه أنفاس جنته وما يذكرهم بهاحسب مشيئته .

وهذه الألفاظ التي وردت في الحديث : أربعين عاما ، وسبعين عامـــا ، ومائـــة عـــام ، وخمسائة عام ، وسبعين خريفا ، وألف عام ؛ لا تعارض بينها بوجه ، فأهل الفضل متفـــاوتون في درجات نوالهم لفضل الله تعالى ، جعلنا الله تعالى من أهل فضله .

الباب الثانى عشر

نساء الجنة وحورها وطعام أهلها وشرابهم

الفصل الأول

نساء الجنة وحورها

نساء أهل الجنة وحسنهن :

قال الله تعالى : ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِين آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقاً قَالُواْ هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُواْ بِهِ مُتَشَابِهاً وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾[1].

والأزواج : جمع زوج ، والمرأة زوج الرجل وهو زوجها ، قال تعالى : ﴿ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ ﴾[2] ومن العرب من يقول : زوجة ، وهو نادر لا يكادون يقولونه .

ونساء الجنة مطهرات من الحيض والبول والنفاس والغائط والمخاط والبصاق وكل قذر وكل أذى يكون من نساء الدنيا ، كما أن باطنهن مطهر من الأخلاق السيئة والصفات المذمومة ، وألسنتهن مطهرة من الفحش والبذاء ، وطرفهن مطهر من أن تطمح به إلى غير زوجها ، وطهرت ثيابهن من أن يعرض لها دنس أو وسخ .

روى عبد الله بن المبارك عن أبي سعيد رضي الله عنه عن النبي "صلى الله عليه وآله" : ﴿ ولهم فيها أزواج مطهرة ﴾ قال: ﴿ من الحيض والغائط والنجاسة والبصاق ﴾ .

وقال عبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس رضي الله عنهم : مطهرة : لا يحضن ولا يحدثن ولا يتخمن .

وقال ابن عباس رضي الله عنه أيضا : مطهرة من القذر والأذى .

---

(١) البقرة : ٢٥ .
(٢) البقرة :٣٥ .

وقال مجاهد : لا يبلن ولا يتغوطن ولا يمذين ولا يمنين ولا يحضن ولا يبصقن ولا يتنخمن ولا يلدن .

وقال قتادة ﷺ : مطهرة من الإثم والأذى ، طهرهن الله سبحانه من كل بول وغائط وقذر ومأثم .

والإمام أبو العزائم ﷺ يبين في معنى قوله تعالى : ﴿ولهم فيها أزواج مطهرة﴾ أن الإنسان خلق مفطورا على الأنس وخصوصا بما لا بد له منه ، ولما كان أشهر ما يأنس به الإنسان وينال به بهجته ومسرته الزوجة الصالحة الجميلة ؛ بشرنا الله تعالى بأن لنا أزواجا في الجنة .

وأزواج الجنة مطهرة مما يعتري أزواج الدنيا من الحيض والمرض والبول والغائط ، مما ينغص الحياة ، ولا ينال الطهر في تلك الدار الدنيا لأنها دار البلاء ، وشر البلاء في هذه الدار الدنيا سببه النساء لفقد الأخلاق الجميلة منهن قبل دخولهن الجنة التي بها يكمل جمال الزوج .

ولفظ : ﴿ مطهرة ﴾ يشمل الكمال الذى لا يعتوره نقص من حيض ونفاس وبول وغائط ونوم وملل وفتور ومرض ينغص الحياة .

زواج أهل الجنة بالحور العين :

روي عن النبي "ﷺ وآله" أنه قال : ﴿ إن الرجل من أهل الجنة يتزوج فى شهر واحد ألف حوراء يعانق كل واحدة منهن مقدار عمره في الدنيا ﴾ .

وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : إن الرجل من أهل الجنة ليعانق الحور سبعين سنة لا يملها ولا تمله كلما أتاها وجدها بكرا وكلما رجعت إليه عادت إليه شهوته ، فيجامعها بقوة سبعين رجلا لا يكون بينهما من ، يأتي من غير منى منه ولا منها .

وقال المسيب بن شريك : قال "ﷺ وآله" في قوله تعالى : ﴿ إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاء فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا عُرُبًا أَتْرَابًا ﴾[1] قال : ﴿ هن عجائز الدنيا أنشأهن الله خلقا جديدا كلما أتاهن أزواجهن وجدوهن أبكاراً ﴾ فلما سمعت عائشة ذلك قالت : واوجعاه ، فقال النبي "ﷺ وآله" : ﴿ ليس هناك وجع ﴾ .

عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : قال رسول الله "ﷺ وآله" : ﴿ إن الرجل من أهل الجنة ليتنعم مع زوجته في تكأة واحدة سبعين عاما فتناديه أبهى منها وأجمل من غرفة أخرى : أما آن لنا منك دولة بعد ، فيلتفت إليها فيقول : من أنت ؟ فتقول : أنا من اللاتي قال الله تعالى: (ولدينا مزيد)[2] فيتحول إليها يتنعم معها سبعين عاما في تكأة واحدة ، فتناديه أبهى وأجمل من غرفة أخرى : أما آن لنا منك دولة بعد ، فيلتفت إليها فيقول : من أنت ؟ فتقول : أنا من اللاتى قال الله تعالى : (فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاء بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)[3] فيتحول إليها يتنعم معها في تكأة واحدة سبعين عاما ، فهم كذلك يزورون . قال تعالى : (وزوجناهم بحور عين)[4] ، الحور : البيض ، في قول قتادة والعامة ، والعين : العظام العيون ﴾[5].

ويقول الله تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَابِلِينَ كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ لا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلا الْمَوْتَةَ الأُولَى وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴾[6].

فجمع لهم بين حسن المنزل وحصول الأمن فيه من كل مكروه ، واشتماله على الثمار والأنهار ، وحسن اللباس وكمال العشرة لمقابلة بعضهم بعضا ، ثم تمام اللذة بالحور العين ،

---

(١) الواقعة : ٣٥ ـ ٣٧ .
(٢) ق : ٣٥ .
(٣) السجدة : ١٧ .
(٤) الدخان : ٥٤ .
(٥) الدر المنثور للسيوطي .
(٦) الدخان : ٥١- ٥٦ .

ودعائهم بجميع أنواع الفاكهة مع أمنهم من انقطاعها ومضرتها وغائلتها ، وختام ذلك أعلمهم بأنهم لا يذوقون فيها هناك موتا .

والحور : جمع حوراء ، وهي المرأة الشابة الحسناء الجميلة البيضاء شديدة سواد العين

وقال زيد بن مسلم : الحوراء التى يحار فيها الطرف ، وعين : حسان الأعين .

وقال مجاهد : الحوراء التى يحار فيها الطرف من رقة الجلد وصفاء اللون .

وقال الحسن : الحوراء شديدة بياض العين ، شديدة سوداء العين .

وفي الصحاح : الحور : شدة بياض العين في شدة سوادها ، امرأة حوراء : بينة الحور .

وقيل : لا تسمى المرأة حوراء حتى يكون مع حور عينها بياض لون الجسد .

والعين : جمع عيناء ، وهي العظيمة العين من النساء ، ورجل أعين ضخم العين إذا كان، وامرأة عيناء ، والجمع : عين ، والصحيح : أن العين اللاتى جمعت أعينهن صفات الحسن والملاحة .

يقول الله تعالى : ﴿ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴾[1].

قال أبو عبيدة : جعلناهم اثنين اثنين .

وقال يونس : قرناهم بهن وليس من عقد التزويج ، قال : والعرب لا تقول : تزوجت بها ، وإنما تقول : تزوجتها .

قال ابن نصر : هذا والتنزيل يدل على ما قاله يونس وذلك قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَراً زَوَّجْنَاكَهَا ﴾[2] ولو كان على تزوجت بها لقال : زوجناك بها .

---

(١) الدخان : ٥٤ .
(٢) الأحزاب : ٣٧ .

وقيل : تميم تقول : تزوجت امرأة وتزوجت بها .

وقال الأزهري : تقول العرب : زوجته امرأة وتزوجت امرأة ، وليس من كلامهم : تزوجت بامرأة ، وقوله تعالى : ﴿ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴾ أي : قرناهم .

وقال الواحدي : وقول أبي عبيدة في هذا أحسن ، لأنه جعله من التزويج الذى هو بمعنى جعل الشيء زوجا لا بمعنى عقد النكاح ، ومن هذا يجوز أن يقال : كان فردا فزوجته بآخر ، كما يقال : شفعته بآخر ، إنما تمنع الباء عند من يمنعها إذ كان بمعنى عقد التزويج .

وقيل : ولا يمتنع أن يراد الأمران معا ، فلفظ التزويج يدل على النكاح كما قال مجاهد: أنكحناهم الحور ، ولفظ الباء تدل على الاقتران والضم ، هذا أبلغ من حذفها ، والله أعلم .

نساء أهل الجنة مقصورات :

وقال تعالى : ﴿ فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلا جَانٌّ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ ﴾[1].

وصفهن سبحانه بقصر الطرف في ثلاثة مواضع ، أحدها : هذا ، والثانى : قوله تعالى في الصافات : ﴿ وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ ﴾[2] . الثالث : قوله تعالى : ﴿ وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ ﴾[3].

والمفسرون على أن المعنى : قصرن طرفهن على أزواجهن فلا يطمحن إلى غيرهم ، وقيل: قصرن طرف أزواجهن عليهن فلا يدعهم حسنهن وجمالهن أن ينظروا إلى غيرهن ، وهذا صحيح من جهة المعنى ، وأما من جهة اللفظ : فقاصرات صفة مضافة إلى الفاعل لحسان الوجوه وأصله قاصر طرفهن ، أي : ليس بطامح متعد .

(١) الرحمن ٥٦ ــ ٥٨ .
(٢) الصافات : ٤٨ .
(٣) ص : ٥٢ .

وعن مجاهد ﷺ في قوله تعالى : ﴿ فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ ﴾ قال : يقول قاصرات الطرف على أزواجهن فلا يبغين غير أزواجهن ، وعنه أيضا : قصرن أبصارهن وقلوبهم على أزواجهن فلا يردن غيرهم .

وعن الحسن ﷺ قال : قصرن طرفهن على أزواجهن فلا يردن غيرهم ، والله ما هن متبرجات ولا متطلعات .

وعن قتادة ﷺ قال : وقصرن أطرافهن على أزواجهن فلا يردن غيرهم ، أما الأتراب فجمع ترب : وهو لذة الإنسان .وقيل : أقران أسنانهن واحدة .

وقال ابن عباس رضي الله عنهما وغيره : مستويات على سن واحدة ثلاث وثلاثين سنة. وقيل : أتراب : أمثال .

وقال أبو إسحاق : هن فى غاية الشباب والحسن ، وسمي سن الإنسان وقرنه تربه ، لأنه مس تراب الأرض معه في وقت واحد ، والمعنى من الإخبار باستواء أسنهاهن أهن ليس فيهن عجائز قد فات حسنهن ، ولا ولائد لا يطقن الوطء بخلاف الذكور ، فإن فيهم الولدان وهم الخدم .

وبالنسبة للضمير في قوله تعالى : ﴿ فِيهِنَّ ﴾ :

قالت طائفة : مفسره : الجنتان وما حوتاه من القصور والغرف والخيام .

وقالت طائفة : مفسره : الفرش المذكورة في قوله تعالى : ﴿ مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ﴾[1] وهو بمعنى على .

وقوله تعالى : ﴿ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلا جَانٌّ ﴾ :

قال أبو عبيدة : لم يمسسهن ، يقال : ما طمث هذا البعير حبل قط ، أي : ما مسه .

---

(١) الرحمن : ٥٤ .

وقالو يونس : تقول العرب : هذا جمل ما طمثه حبل قط ، أي : ما مسه .

وقال الفراء : الطمث الافتضاض وهو النكاح بالتدمية ، والطمث هو الدم .

وقال الليث : طمثت الجارية إذا افترعتها[١] ، الطامث في لغتهم هي الحائض .

وقال أبو الهيثم : يقال للمرأة : طمثت تطمث إذا أدميت بالافتضاض ، وطمثت على فعلت تطمث إذا حاضت أول ما تحيض فهى طامث .

قال المفسرون : لم يطأهن ، ولم يغشهن ، ولم يجامعهن ، هذه ألفاظهم ، وهم مختلفون في هؤلاء ، فبعضهم يقول : هن اللواتى أنشئن في الجنة من حورها ، وبعضهم يقول : يعني نساء الدنيا أنشئن خلقا آخر أبكارا كما وصفن .

وقيل : نساء من نساء الدنيا لم يمسسن منذ أنشئن خلقا .

وقيل : لأنهن خلقن للجنة .

وقيل : هن الآدميات اللاتي متن أبكارا .

وقيل : لم يجامعهن في هذا الخلق الذي أنشئن فيه إنس ولا جان .

وقيل : ظاهر القرآن أن هؤلاء النسوة لسن من نساء الدنيا ، وإنما هن من الحور العين ، أما نساء الدنيا فقد طمثهن الإنس ، ونساء الجن قد طمثهن الجن ، والآية تدل على ذلك .

وهذه الآية تدل على أنهن الحور اللائى خلقن في الجنة ، فالله سبحانه جعلهن مما أعده الله في الجنة لأهلها من الفواكه والثمار والأنهار والملابس وغيرها ، ويدل عليه أيضا الآية التي بعدها وهي قوله تعالى : ﴿ حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ﴾[٢] ثم قال : ﴿ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلا جَانٌّ ﴾[٣].

---

(١) فَرَعَ البكر وافترعها: افتضها.
(٢) الرحمن : ٧٢ .
(٣) الرحمن : ٧٤ .

قال الإمام أحمد رضي الله عنه : والحور العين لا يمتن عند النفخة في الصور لأنهن خلقن للبقاء ، وفي الآية دليل لما ذهب إليه الجمهور أن مؤمن الجِنة في الجَنة كما أن كافرهم فى النار .

وفي قوله تعالى : ﴿ كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ ﴾(١) قيل : أراد الياقوت في بياض المرجان ، شبههن في صفاء اللون وبياضه بالياقوت والمرجان ويدل عليه ما قيل : إن المرأة من نساء أهل الجنة لتلبس عليها سبعين حلة من حرير ، فيرى بياض ساقيها من ورائهن ، ذلك بأن الله يقول : ﴿ كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ ﴾(٢) ألا وإن الياقوت حجر لو جعلت فيه سلكا ثم استصفيته لنظرت إلى السلك من وراء الحجر .

وقال تعالى في وصفهن : ﴿ حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ﴾(٣) قيل : خدرن في الخيام ، وفيه معنى آخر أن يكون المراد أنهن محبوسات على أزواجهن لا يرون غيرهم وهم في الخيام، وهذا معنى قول من قال : قصرن على أزواجهن فلا يردن غيرهم ، ولا يطمحن إلى من سواهم .

وقيل : هذا معنى قاصرات الطرف ، لكن أولئك قاصرات بأنفسهن وهؤلاء مقصورات، وقوله : ﴿ فِي الْخِيَامِ ﴾ على هذا القول : صفة لحور ، أي : هن في الخيام ، وليس معمولا للمقصورات ، وكأن أرباب هذا القول فسروا بأن يكن محبوسات في الخيام لا يفارقنها إلى الغرف والبساتين .

وأصحاب القول الأول يجيبون عن هذا بأن الله سبحانه وصفهن بصفات النساء المخدارت والمصونات ، وذلك أجمل في الوصف ، ولا يلزم من ذلك أنهن لا يفارقن الخيام إلى الغرف والبساتين ، كما أن نساء الملوك ودونهم من النساء المخدرات المصونات لا يمنعن أن يخرجن في سفر وغيره إلى منتزه وبستان ونحوه ، فوصفهن اللازم لهن القصر في البيت ، ويعرض لهن مع الخدم الخروج إلى البساتين ونحوها .

---

(١) الرحمن : ٥٨ .
(٢) الرحمن : ٧٢ .
(٣) الرحمن : ٧٢ .

وقيل : مقصورات قلوبهن على أزواجهن في خيام اللؤلؤ ، وقد تقدم وصف النسوة الأول بكونهن قاصرات الطرف ، وهؤلاء بكونهن مقصورات ، والوصفان لكلا النوعين فإنهما صفتا كمال ، فتلك الصفة قصر الطرف عن طموحه إلى غير الأزواج ، وهذه الصفة قصر الرِّجل على التبرج والبروز والظهور للرجال

خَيْرَاتٌ حِسان :

وقال تعالى : ﴿ فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ ﴾[1] فالخيرات جمع خيرة وهى مخففة من خيرة ، كسيدة ولينة ، وحسان : جمع حسنة ، فهن خيرات الصفات والأخلاق والشيم ، حسان الوجوه .

قال وكيع : حدثنا سفيان عن جابر عن القاسم عن أبي بزة عن أبي عبيدة عن مسروق عن عبد الله قال : لكل مسلم خيرة ، ولكل خيرة خيمة ، ولكل خيمة أربعة أبواب يدخل عليها في كل يوم من كل باب تحفة وهدية وكرامة لم تكن قبل ذلك ، لا ترحات ولا زفرات ولا بخرات ولا طماحات .

عُرُبا أترابا :

ويقول الله تعالى : ﴿ إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا عُرُبًا أَتْرَابًا لأَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴾[2].

قيل : أعاد الضمير إلى النساء ولم يجر لهن ذكر ، لأن الفرش دلت عليهن إذ هن محلهن، وقيل : الفرش في قوله تعالى : ﴿ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴾[3] كناية عن النساء ، كما يكنى عنهن بالقوارير والأزر وغيرها ، ولكن قوله : ﴿ مَّرْفُوعَةٍ ﴾ يأبى هذا إلا أن يقال : رفعة القدر .

---

(١) الرحمن : ٧٠ .
(٢) الواقعة : ٣٥ ـ ٣٨ .
(٣) الواقعة : ٣٤ .

وقد تقدم تفسير النبي "ﷺ وآله" للفرش وارتفاعها ، فالصواب أنها الفرش نفسها ، ودلت على النساء لأنها محلهن غالبا .

قال قتادة وسعيد بن جبير : خلقناهن خلقا جديدا .

وقال ابن عباس : يريد نساء الآدميات .

وقال الكلبي ومقاتل : يعني نساء أهل الدنيا العجز الشمط ، يقول تعالى : خلقناهن بعد الكبر والهرم بعد الخلق الأول في الدنيا ، ويؤيد هذا التفسير حديث أنس المرفوع : ﴿ هن عجائزكم العمش الرُّمْص ﴾ (١)

ويؤيد ذلك ما روي عن السيدة عائشة رضي الله عنها أن رسول الله "ﷺ وآله" دخل عليها وعندها عجوز فقال : ﴿ من هذه ؟ ﴾ فقالت : إحدى خالاتي ، فقال : ﴿ أما إنه لا يدخل الجنة العجوز ﴾ فدخل على العجوز من ذلك ما شاء الله ، فقال النبي "ﷺ وآله" : ﴿إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً﴾ : ﴿ خلقا آخر يحشرون يوم القيامة حفاة عراة غرلا ، وأول من يكسي إبراهيم خليل الله ﴾ ثم قرأ النبي "ﷺ وآله" ﴿ إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً ﴾ .

قال آدم بن أبي إياس : حدثنا شيبان عن الزهري عن جابر الجعفي عن يزيد بن مرة عن سلمة بن يزيد قال : سمعت رسول الله "ﷺ وآله" يقول في قوله : ﴿ إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً ﴾ قال : ﴿ يعنى الثيب والأبكار اللاتى كن في الدنيا ﴾ .

وعن المبارك بن فضالة عن الحسن قال : قال رسول الله "ﷺ وآله" : ﴿ لا يدخل الجنة العجز ﴾ فبكت عجوز ، فقال رسول الله "ﷺ وآله : ﴿ أخبروها أنها يومئذ ليست بعجوز ، إنها يومئذ شابة ، إن الله عز وجل يقول : (إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً) ﴾ .

وعن السيدة عائشة رضى الله عنها أن النبى " ﷺ وآله " أتته عجوز من الأنصار فقالت: يا رسول الله ، ادع الله أن يدخلني الجنة ، فقال النبى " ﷺ وآله " : ﴿ إن الجنة لا يدخلها

---

(١) الترمذي في التفسير ، والشمط : العجائز ، جمع شمطاء . والعمش : جمع عمشاء ، وهى ضعيفة البصر والرمص : جمع رمصاء ، وهى التي تخرج من أطراف عينها وسخ أبيض وهو (العماص) .

عجوز ﴾ فذهب نبي الله "ﷺ وآله" فصلى ثم رجع إلى عائشة فقالت عائشة : لقد لقيت من كلمتك مشقة وشدة ، فقال "ﷺ وآله" : ﴿ إن ذلك كذلك ، إن الله تعالى إذا أدخلهن الجنة حولهن أبكارا ﴾[1] .

وذكر مقاتل قولا آخر وهو اختيار الزجاج أهْن الحور العين الآتي ذكرهن ، قيل : أنشأهن الله عز وجل لأوليائه لم يقع عليهن ولادة ، الظاهر أن المراد أنشأهن الله تعالى في الجنة إنشاءً ويدل عليه وجوه :

أحدها : أنه قال في حق السابقين : ﴿ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ بِأَكْوَابٍ ﴾ إلى قوله : ﴿ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ ﴾[2] فذكر سررهم وآنيتهم وشرابهم وفاكهتهم وطعامهم وأزواجهم من الحور العين ، ثم ذكر أصحاب الميمنة وطعامهم وشرابهم وفرشهم ونساءهم ، والظاهر : أهْن مثل نساء من قبلهن خلقن في الجنة .

الثاني : أنه سبحانه قال : ﴿ إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً ﴾ وهذا ظاهر أنه إنشاء أول لا ثان ، لأنه سبحانه حيث يريد الإنشاء الثاني يقيده بذلك كقوله : ﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الأُخْرَى﴾[3] وقوله : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الأُولَى ﴾[4].

الثالث : أن الخطاب بقوله سبحانه : ﴿ وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلاثَةً ﴾[5] إلى آخره للذكور والإناث ، والنشأة الثانية أيضا عامة للنوعين .

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً ﴾ ظاهره اختصاصهن بهذا الإنشاء ، وتأمل تأكيده بالمصدر ، والحديث لا يدل على اختصاص العجائز المذكورات بهذا الوصف ، بل يدل على مشاركتهن للحور العين في هذه الصفات المذكورة ، فلا يتوهم انفراد الحور العين بما ذكر من الصفات ، بل هي أحق به منهن ، فالإنشاء واقع على الصنفين ، والله أعلم .

---

(١) الهيثمي في المجمع .
(٢) الواقعة : ١٧ ـ ٢٣.
(٣) النجم : ٤٧.
(٤) الواقعة : ٦٢ .
(٥) الواقعة : ٧ .

وقوله تعالى : ﴿ عُرُبًا ﴾ جمع : عَرُوب ، وهن المتحببات إلى أزواجهن ، وقيل : العروب من النساء : المطيعة لزوجها المتحببة إليه . وقيل العروب : الحسنة التبعل .وقيل : هي العاشقة لزوجها .

وقيل : فجمع الله تعالى بين حسن صورها وحسن عشرها ، وهذا غاية ما يطلب من النساء ، وبه تكمل لذة الرجل بهن .

وفي قول الله تعالى : ﴿ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلا جَانٌّ ﴾[1] إعلام بكمال اللذة بهن ، فإن لذة الرجل بالمرأة التى لم يطأها سواه لها فضل على لذته بغيرها ، وكذلك هي أيضا .

يقول الله تعالى : ﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴾[2] فالكواعب جمع كاعب ، وهي الناهد ، قاله قتادة ومجاهد والمفسرون .

وقال الكلبي : هن الفلكات اللواتى تكعب ثديهن وتفلكت[3] ، وأصل اللفظة من الاستدارة ، والمراد أن ثديهن نواهد كالرمان ، ليست متدلية إلى أسفل ، يسمين : نواهد ، وكواعب .

عن أنس بن مالك ﷺ أن رسول الله "ﷺ وآله" قال : ﴿ لغدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها ، ولقاب قوس أحدكم أو موضع قيده – يعنى سوطه – من الجنة خير من الدنيا وما فيها ، ولو طلعت امرأة من نساء أهل الجنة إلى الأرض لملأت ما بينهما ريحا ولأضاءت ما بينهما ، ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها ﴾[4] (نصيفها: خمارها).

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي "ﷺ وآله" : ﴿ إن أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر ، والتي تليها على أضوأ كوكب دري في السماء ، ولكل امرئ منهم زوجتان ، يرى مخ سوقهما من وراء اللحم ، وما في الجنة أعزب ﴾ .

---

(١) ٥٦ الرحمن: ٥٦ .
(٢) النبأ : ٣١ – ٣٣ .
(٣) فلك َثدي الجارية وأفلكَ : استَدارَ .
(٤) البخاري فى الجهاد والسير .

وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي "ﷺ وآله" قال : ﴿ للرجل من أهل الجنة زوجتان من الحور العين ، على كل واحدة سبعون حلة يرى مخ ساقها من وراء الثياب ﴾[1].

وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت : قلت : يا رسول الله ، أخبرني عن قول الله عز وجل : ﴿ وحور عين ﴾ قال : ﴿ حور بيض ، عين ضخام العيون شقر ، الحوراء بمترلة جناح النسر ﴾ قلت : أخبرني عن قوله عز وجل : ﴿ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ ﴾ قال : ﴿ صفاؤهن صفاء الدر الذى في الأصداف الذي لم تمسه الأيدي ﴾ قلت : يا رسول الله أخبرني عن قوله عز وجل : ﴿ فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ ﴾ قال : ﴿ خيرات الأخلاق حسان الوجه ﴾ قلت : يا رسول الله ، أخبرني عن قوله عز وجل : ﴿ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴾ قال : ﴿ رقتهن كرقة الجلد الذي رأيته في داخل البيضة مما يلي القشر وهو الغرقىء ﴾ .

قلت : يا رسول الله ، أخبرنى عن قوله عز وجل : ﴿ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴾ قال : ﴿ هن اللواتي قبضن في دار الدنيا عجائز رمضا شمطا خلقهن الله بعد الكبر ، فجعلهن عذارى عربا متعشقات متحببات أترابا على ميلاد واحد ﴾ .

قلت : يا رسول الله ، نساء الدنيا أفضل أم الحور العين ؟ قال : ﴿ بل نساء الدنيا أفضل من الحور العين كفضل الظهارة على البطانة ﴾ قلت : يا رسول الله ، وبم ذلك ؟ قال: ﴿ بصلاتهن وصيامهن وعبادتهن الله تعالى ، ألبس الله وجوههن النور ، وأجسادهن الحرير ، بيض الألوان ، خضر الثياب ، صفر الحلى ، مجامرهن الدر ، وأمشاطهن الذهب ، يقلن : نحن الخالدات فلا نموت ، ونحن الناعمات فلا نبأس أبدا ، ونحن المقيمات فلا نظعن أبدا ، ونحن الراضيات فلا نسخط أبدا ، وطوبى لمن كنا له وكان لنا ﴾ .

قلت : يا رسول الله ، المرأة منا تتزوج زوجين أو ثلاثة أو أربعة ثم تموت فتدخل الجنة ويدخلون معها ، من يكون زوجها ؟ قال : ﴿ يا أم سلمة إنها تخير فتختار أحسنهن خلقا

---

(١) أحمد .

فتقول : أي رب ، إن هذا كان أحسنهم معي خلقا في دار الدنيا فزوجنيه ، يـا أم سـلمة ذهب حسن الخلق بخير الدنيا والآخرة ﴾[١].

وقال ابن وهب : أخبرني عمرو بن الحارث ، عن أبي السمح ، عن أبي الهيثم ، عن أبي سعيد الخدري ، عن النبي "ﷺ وآله" في قوله تعالى : ﴿ كأنهن الياقوت والمرجان ﴾ قـال : ﴿ينظر إلى وجهه في جيدها أصفى من المرآة ، وإن أدنى لؤلؤة عليها لتضيء ما بين المشـرق والمغرب ، وإنه ليكون عليها سبعون ثوبا ينفذها بصره حتى يرى مخ ساقها من وراء ذلك﴾.

وقال الليث بن سعد عن يزيد بن أبي حبيب عن الوليد بن عبدة قال : قال رسـول الله "ﷺ وآله" لجبريل : ﴿يا جبريل ، قف بي على الحور العين ، فأوقفه عليهن ، فقال : من أنتن؟ فقلن : نحن جواري قوم كرام ، حلوا فلم يظعنوا ، وشبوا فلـم يهرمـوا ، ونقـوا فلـم يدرنوا﴾[٢].

ومن حديث كثير بن مرة عن معاذ بن جبل عن النبي "ﷺ وآله" قـال : ﴿ لا تـؤذي امرأة زوجها في الدنيا إلا قالت زوجته من الحور العين : لا تؤذيه قاتلك الله ، فإنما هو عندك دخيل يوشك أن يفارقك إلينا ﴾[٣].

وفي مراسيل عكرمة عن النبي "ﷺ وآله" قال : ﴿ إن الحور العين لأكثر عددا مـنكن يدعون لأزواجهن يقلن : اللهم أعنه على دينك ، وأقبل بقلبه على طاعتك ، وبلغه بعزتك يا أرحم الراحمين ﴾ ذكره ابن أبي الدنيا من حديث أسامة بن زيد عن عطاء عنه .

وقال عطاء السلمي لمالك بن دينار : يا أبا يحيى ، شوقنا ، قال : يا عطاء ، إن في الجنة حوراء يتباهى أهل الجنة بحسنها ، لولا أن الله تعالى كتب على أهل الجنة أن لا يموتوا لماتوا من حسنها ، فلم يزل عطاء كمداً من قول مالك .

---

(١) العقيلي في الضعفاء .
(٢) ابن أبى الدنيا فى صفة الجنة .
(٣) الترمذي .

وقال أحمد بن الحواري : حدثني جعفر بن محمد قال : لقي حكيم حكيما ، فقال : أتشتاق إلى الحور العين ؟ فقال : لا ، فقال : فاشتق إليهن ، فإن نور وجههن من نور الله عز وجل ، فغشي عليه ، فحمل إلى منزله فجعلنا نعوده شهرا .

كف حوراء يفتن الخلائق كلهم بحسنه :

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : ﴿لو أن حوراء أخرجت كفها بين السماء والأرض لافتتن الخلائق بحسنها ، ولو أخرجت نصيفها لكانت الشمس عند حسنها مثل الفتيلة في الشمس لا ضوء لها ، ولو أخرجت وجهها لأضاء حسنها ما بين السماء والأرض﴾[1] .

وقال ابن المبارك : حدثنا الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير : إن الحور العين يتلقين أزواجهن عند أبواب الجنة فيقلن : طالما انتظرناكم ، فنحن الراضيات فلا نسخط ، والمقيمات فلا نظعن ، والخالدات فلا نموت ، بأحسن أصوات سمعت ، وتقول : أنت حِبِّي وأنا حِبُّك ، ليس دونك تقصير ، ولا وراءك معدل .

زوجة المؤمن في الدنيا زوجته في الجنة إذا كانت صالحة :

إذا دخل المؤمن الجنة ، فإن كانت زوجته صالحة ، فإنها تكون زوجته في الجنة أيضا : ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ﴾[2] ، وهم في الجنات منعمون مع الأزواج ، يتكئون في ظلال الجنة مسرورين فرحين ﴿ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ ﴾[3] ، ﴿ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴾[4] .

---

(١) ابن أبي الدنيا .
(٢) الرعد : ٢٣ .
(٣) يس : ٥٦ .
(٤) الزخرف : ٧٠ .

المرأة لآخر أزواجها :

روى ابن عساكر عن عكرمة أن أسماء بنت أبي بكر كانت تحت الزبير بن العوام ، وكان شديدا عليها ، فأتت أباها ، فشكت ذلك إليه ، فقال : يا بنية اصبري ، فإن المرأة إذا كان لها زوج صالح ، ثم مات عنها فلم تزوج بعده ؛ جمع بينهما في الجنة .

وعن البيهقي في السنن أن حذيفة ﷺ قال لزوجته : إن شئت أن تكوني زوجتي في الجنة؛ فلا تزوجي بعدي ، فإن المرأة في الجنة لآخر أزواجها في الدنيا ، فذلك حرَّم الله على أزواج النبي "ﷺ وآله" أن ينكحن من بعده ، لأهن أزواجه في الآخرة .

روى ابن وهب عن مالك ، أن أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما ، امرأة الزبير بن العوام كانت تخرج عليه حتى عوتب في ذلك قال : وغضب عليها وعلى ضرقما ، فعقد شعر واحدة بالأخرى ثم ضربهما ضربا شديدا ، وكانت الضرة أحسن اتقاء ، وكانت أسماء لا تتقي ، فكان الضرب بها أكثر ، فشكت إلى أبيها أبي بكر فقال لها : أي بينة اصبرى، فإن الزبير رجل صالح ، ولعله أن يكون زوجك في الجنة ، ولقد بلغني أن الرجل إذا ابتكر بالمرأة تزوجها في الجنة .

قال أبو بكر بن العربي : هذا حديث غريب ذكره في أحكام القرآن له ، فإن كانت المرأة ذات أزواج فقيل : إن من مات عنها من الأزواج آخرهم لها.

وخطب معاوية بن أبي سفيان أم الدرداء فأبت وقالت : سمعت أبا الدرداء يحدث عن رسول الله "ﷺ وآله" أنه قال : ﴿ المرأة لآخر أزواجها في الجنة ﴾ وقال لي : إن أردت أن تكوني زوجتي في الجنة ، فلا تتزوجي من بعدى[1].

---

(١) المطالب العالية لابن حجر .

عن أنس رضي الله عنه أن أم حبيبة زوج النبي "ﷺ وآله" قالت : يا رسول الله ، المرأة يكون لها زوجان في الدنيا ، ثم يموتون ويجتمعون في الجنة لأيهما تكون ، للأول أو للآخر ؟ ، قال : ﴿لأحسنهما خُلُقًا كان معها يا أم حبيبة﴾[1] . ذهب حسن الخُلق بخير الدنيا والآخرة .

وقيل : إنها تُخيّر إذا كانت ذات أزواج .

المرأة من أهل الجنة ترى زوجها من أهل الدنيا :

روى ابن وهب قال : وحدثنا ابن زيد قال : يقال للمرأة من أهل الجنة وهي في السماء : أتحبين أن نريك زوجك من أهل الدنيا ؟ فتقول : نعم ، فيكشف لها عن الحجب ، وتفتح الأبواب بينها وبينه حتى تراه وتعرفه وتعاهده بالنظر حتى تستبطىء قدومه ، وتشتاق إليه كما تشتاق المرأة إلى زوجها الغائب عنها .

ولعله يكون بينه وبين زوجته ما بين النساء وأزواجهن من مكالمة أو مخاصمة فتغضبه زوجته التي في الدنيا ، فيشق ذلك عليها وتقول : ويحك ، دعيه من شرك ، إنما هو معك ليال قلائل .

أخرجه الترمذي بمعناه عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : ﴿ لا تؤذي امرأة زوجها في الدنيا ، إلا قالت زوجته من الحور العين : لا تؤذيه قاتلك الله ، فإنما هو دخيل عندك يوشك أن يفارقك إلينا ﴾[2] ، قال أبو عيسى : هذا حديث حسن غريب خرجه ابن ماجه أيضا .

---

(١) مجمع الزوائد للهيثمى .
(٢) سنن الترمزي،سنن ابن ماجه .

بعض ما جاء في صفة الحور العين

١ – خمار رأسها أجمل ما يكون :

عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله "ﷺ وآله" قال : ﴿ لو أن المرأة من الحور العين اطلعت إلى الدنيا لأضاءت ما بين السماء والأرض ولملأت ما بينهما ريحاً ، وإن نصيف إحداهن خير من الدنيا وما فيها ﴾[١] .

فإذا كان هذا الجمال في الخمار فكيف بجمال من تلبس الخمار ؟ فسبحان الله الذى أتقن كل شيء .

وقال "ﷺ وآله" : ﴿ والذي نفس محمد بيده لقاب قوس أحدكم أو موضع سوط من الجنة خير من الدنيا وما فيها ، والذي نفس محمد بيده لنصيف المرأة من نساء أهل الجنة خير من الدنيا وما فيها ، والذي نفس محمد بيده لو اطلعت امرأة من نساء أهل الجنة لملأت الأرض ريحا ﴾[٢].

٢ – أزواج :

قال تعالى : ﴿ وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ ﴾[٣].

وقال سبحانه : ﴿ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴾[٤] ولا شك أن أحب النساء إلى الرجل زوجاته ، لما جعل الله سبحانه من المودة والرحمة بينهما ، والسكن والألفة والاستمتاع والإفضاء ، وخاصة إذا حسنت العشرة ، هذا في الدنيا ، أما في الآخرة فلها شأن آخر .

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم .
(٢) ألفاظه يشهد لها في صحيح البخاري .
(٣) البقرة : ٢٥ .
(٤) الطور : ٢٠ .

٣ - بياض الوجه وحسنه :

فهي حوراء والجمع حور ، والحوراء هي البيضاء النقية ، وبياضها مختلط بصفرة حتى لا يكون كالبرص قال تعالى: ﴿ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴾[١].قال الله عز وجل : ﴿ حِسَانٌ ﴾[٢] ، قال الألوسي : حسان الخَلق والخُلق .

٤- قاصرات الطرف :

والطرف : العين ، فعينها ليست متطلعة متفحصة ذات اليمين وذات الشمال ، وإنما قصرت الحورية طرفها على زوجها وليس غيره ، قال مجاهد : قاصرات الطرف على أزواجهن فلا يبغين غير أزواجهن وهذه العين قريرة كما في الحديث: ﴿ينظرن بقرة أعين﴾[٣].

٥ - نقاء خدها وصفاؤه وحمرته :

فعن أبي سعيد رضي الله عنه أن النبي "ﷺ وآله" قال في قوله تعالى : ﴿كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾[٤] : ﴿ ينظر إلى وجهه فى خدها أصفى من المرأة ﴾[٥] .

هل تخيلت هذا الجمال الذي هو من صنع الكبير المتعال ؟ وهل حرصت عليه يوما بالعمل لنيله والجد من أجله ؟ .

ومن جملة من يحظى بهذا من يكظم غيظه ويعفو عن الناس، فعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله "ﷺ وآله" قال : ﴿ من كظم غيظا وهو قادر على أن ينفذه ؛ دعاه الله على رؤوس الخلائق يوم القيامة حتى يخيره من أي الحور شاء ﴾ [٦] .

---

(١) الصافات : ٤٩ .
(٢) الرحمن : ٧٠ .
(٣) صحح الجماع الصغير .
(٤) الرحمن : ٥٨ .
(٥) رواه البيهقي فى البعث والنشور .
(٦) أخرجه الترمذي .

٦ – غناؤها بأحسن الأصوات :

قال "ﷺ وآله" : ﴿ إن أزواج أهل الجنة ليغنين أزواجهن بأحسن أصوات ما سمعها أحد قط.. ﴾(١).

٧ – غناء الحور العين فى الجنة :

قال الله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴾(٢) يقول يحيى بن كثير : الحبرة : اللذة والسماع ، أو قال : السماع في الجنة .

ولا يخالف هذا قول ابن عباس : يكرمون .

وقال مجاهد وقتادة : ينعمون ، فلذة الأذن بالسماع من الحبرة والنعيم .

وعن النعمان بن سعد عن الإمام عليّ عليه السلام قال : قال رسول الله "ﷺ وآله" : ﴿إن في الجنة لمجتمعا للحور العين يرفعن بأصوات لم تسمع الخلائق بمثلها ، يقلن : نحن الخالدات فلا نبيد ، ونحن الناعمات فلا نبأس ، ونحن الراضيات فلا نسخط ، طوبى لمن كان لنا وكنا له﴾(٣).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : إن في الجنة نهرا طول الجنة ، حافتاه العذارى قيام متقابلات ، يغنين بأصوات حتى يسمعها الخلائق ، ما يرون في الجنة لذة مثلها ، فقلنا : يا أبا هريرة ، وما ذاك الغناء ؟ قال : إن شاء الله التسبيح والتحميد والتقديس وثناء على الرب عز وجل .
هكذا رواه موقوفا .

---

(١) صحح الجامع الصغير .
(٢) الروم : ١٤ – ١٥ .
(٣) الترمذي فى الجنة .

وعن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله "ﷺ وآله" : ﴿ إن في الجنة شجرة جذوعها من ذهب ، وفروعها من زبرجد ولؤلؤ ، فتهب لها ريح فيصفقن فما سمع السامعون بصوت شيء قط ألذ منه ﴾[١].

وعن أنس قال : قال رسول الله "ﷺ وآله" : ﴿ إن الحور العين يغنين في الجنة يقلن : نحن الحور الحسان ، خلقن لأزواج كرام ﴾[٢].

وعن أبي أمامة رضي الله عنه عن رسول الله "ﷺ وآله" قال : ﴿ ما من عبد يدخل الجنة إلا ويجلس عند رأسه وعند رجليه اثنتان من الحور العين ، يغنيانه بأحسن صوت سمعه الإنس والجن ، وليس بمزامير الشيطان ﴾[٣].

وعن زيد بن أسلم عن ابن عمر ﷺ قال : قال رسول الله "ﷺ وآله" : ﴿إن أزواج أهل الجنة ليغنين أزواجهن بأحسن أصوات ما سمعها أحد ، إن ما يغنين به : نحن الخيرات الحسان ، أزواج قوم كرام ، ينظرون بقرة أعين ، وإن مما يغنين به : نحن الخالدات فلا نمتن ، نحن الآمنات فلا نخفن ، نحن المقيمات فلا نظعن ﴾[٤].

وعن ابن وهب : عن سعيد بن أبي أيوب أن رجلاً من قريش سأل ابن شهاب : هل في الجنة سماع فإنه حبب إلَّي السماع ؟ فأجابه : إن في الجنة لشجرا حمله اللؤلؤ والزبرجد ، وتحته جوار ناهدات يتغنين بألوان يقلن : نحن الناعمات فلا نبأس ، ونحن الخالدات فلا نموت، فإذا سمع ذلك الشجر صفق بعضه بعضا ، فأجبن الجواري ، فلا ندري أصوات الجواري أحسن أم أصوات الشجر .

وقال ابن وهب : وحدثنا الليث بن سعد عن خالد بن يزيد : أن الحور العين يغنين أزواجهن فيقلن : نحن الخيرات الحسان ، أزواج شباب كرام ، ونحن الخالدات فلا نموت ،

---

(١) أبو نعيم في صفة الجنة .
(٢) أبو نعين في صفة الجنة .
(٣) أبو نعيم في صفة الجنة .
(٤) الطبرانى في الصغير . ونظعن : نسير ونسافر ونرحل .

ونحن الناعمات فلا نبأس ، ونحن الراضيات فلا نسخط ، ونحن المقيمات فلا نظعن . في صدر إحداهن مكتوب : أنت حِبِّي وأنا حِبُّك ، انتهت نفسي عندك ، لم تر عيناي مثلك .

قيل : ولأهل الجنة سماع أعلى من هذا يضمحل دونه كل سماع ، وذلك حين يسمعون كلام الرب جل جلاله وخطابه وسلامه عليهم ومحاضرته لهم ، ويقرأ عليهم كلامه ، فإذا سمعوه منه فكأنهم لم يسمعوه قبل ذلك ، وهذا أحب من كل سماع لك في الدنيا ، وألذ لأذنك وأقر لعينك ، إذ ليس في الجنة لذة أعظم من النظر إلى وجه الرب تعالى ، وسماع كلامه منه ، ولا يعطى أهل الجنة شيئا أحب إليهم من ذلك .

يقول الإمام المجدد أبو العزائم رضي الله عنه :

أغني إذا دار الشراب طهورا ... فأفنى به عني أشاهد نورا
أغني إذا صح الشهود لدى الصفا ... فأشهد ربا منعما وقديرا
يواجهني في سكري متنزلا ... أغيب به عني صفا وحبورا

إلى أن يقول :

شربت بحارا أربعا في تطوري ... لقد ذكرت في الآي ذقه قريرا
تناولت من خمر المحبة راحها ... وكان رسول الله ثَمَّ مديرا
ومن قبلها فضلا سقاني حنانة ... وفي "هل أتى" فاتلو بها التفسيرا
عجبت ومن طين حقيقة نشأتي ... يواجهني في كونه منظورا
أفي حيطة الأكوان يجلي لي الضيا ... وكوني حجاب الحجب صار غرورا
أفي جنة الفردوس أشهد وجهه؟! ... أم انبلجت شمس القبول سرورا؟!
فأشهدني طورا أنا صورة له ... وطورا أراني العبد صرت حقيرا
وطورا أراني الطين صار حقيقتي ... فصرت بنفخته العلية نورا
أيا هيكلي هل أنت لوح لآيه؟! ... أم البيت صرت بنوره معمورا؟!
ويا نفخة القدس العلية أنبئي ... فتى يرتجي فضلا يكون شكورا
أنا صورة تجلى لمن سبقت له ... عناية مولاه فصار منيرا
أنا سر تسخير الوجود بأسره ... ونوري تجلى ظاهرا وسفورا

ويقول ﷺ :

أتغنى بحضرة الإطلاق بمعان تشير للخلاق
ثم أتلو صريح قولي إذا ما صار جمعي عن حيطة الآفاق
يَسمعن نغمتي قريب مجيب وودود من صحبتي ورفاقي
هي قول لكنها الخمر صرفا لأولي الصدق من أولي الأشواق
في مقام الشهود دارت عليهم فانجلى الوصف مشرقا في الساقي
شربوها من غير مزج فلاحت آية البشر تنبئ بالمراقي
رفعوا للمقام حضرة قرب أفق أعلى منازل العشاق
نشلوا من حضيض شك ووهم وبعين التوحيد صح التلاقي
صح توحيدهم بحق يقين فصافهم بحلة الأخلاق
شهدوه بعينه عين حق لا بعين الأوهام عين افتراق
ورأوا وجهه بأفق التجلى بعيون التنزية لا الآماق
حجب الكونَ نورُه فرأوه وقيود الأكوان محض محاق
شرفوا بالوصول طابوا فغابوا عن شهود الأسرار والآفاق
لم يحنوا لجنة الخلد لكن رغبوها للأنس بالخلاق
كشف الحجبَ عنهمو ودعاهم فمحاهم عن رتبة ومراق
سيد الرسل كعبة لفؤادي وهو بيت لحضرة الإشراق
وهوقصد الفؤاد وهو مرادي وهو نور لخلتي ورفاقي

ويقول ﷺ :

أحـــــنين أشـــــباح إلى الجنـــــات؟! أم ذا حـــــنين الــــرُّوح للجلـــــوات؟!
أم ذاك خمــــر مــــن جمـــال تــــترل طابـــت بـــه الأرواح بالنفحـــات؟!
أم ذاك نــــور الله في القلـــب انجلـــى فتجملـــــت أوصــــافه بهبـــات؟!
أم ذاك جمـــع الجمـــع في حـــال الصـــفا ســـر الوصـــول لمظهـــر الآيـــات؟!
أم ذاك نــــور الفــــرد لاح مبشـــــرا هامـــت بـــه الأرواح في الحانـــات؟!
أم ذاك كـــتر الغيـــب فُـــك فأشـــرقت أنـــواره في صـــورة المشـــكاة؟!
حاشــــا وكـــلا ذاك نـــور نزاهـــة عـــن حضـــرة المجلـــى بســـر الـــذات
أنـــا لا أغـــني إن ســـكرت وإنمـــا يفـــنى المـــراد بلحظـــة النظـــرات
ما الخمر؟! ما الأسـرار عنـد شـهودنا؟! ما العرش؟! ما الكرسـي؟! مـا جنـاتي؟!
عـــن حضـــرة المجلـــى جمـــالي ظـــاهر عــــال عــــن الآيـــات والهيئـــات
أنـــا لـــو أغـــني في الخفـــا لتكلمـــت أحجـــار هـــذا البيـــت عـــن كلمـــاتي
قـــد أوّبـــت قبلـــي لمـــن هـــو عـــارف تلــــك الجبـــال بســـرها حيطــــاتي
لكــــن أشــــير بفــــرق فــــرق محــــرق يــــدري مباديـــه أولـــو الهمـــات
غيــــب عــــن الأرواح في كــــتر عـــلا ومطلســـــم بالإســــم بــــل والـــذات

٨ – الخالدات :

كما جاء في الحديث : ﴿ نحن الخالدات ﴾ الخ . وكما قال تعالى : ﴿ وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[١] .

وللخلود معنى عظيم يترتب على ذلك دوام اللذة والمتعة وحسن العشرة وأنها ليست عارضة أو مقطوعة ، بل خالدة دائمة ، ولو يعلم المتعجل بشهوة الدنيا المقطوعة كم يعقبها من حسرة لما تعجل .

(١) البقرة : ٢٥ .

٩ - راضيات :

فلا يسخطن ولا يتضجرن ولا يكفرن العشير ، والرضا من أعلى درجات النعمة سواء من المنعم أو للمنعم عليه ، وقد قال الله عز وجل في الحديث القدسي : ﴿ يا أهل الجنة ، هل رضيتم ؟ فيقولون : وما لنا لا نرضى يا رب وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدا من خلقك ؟ فيقول: أفلا أعطيكم أفضل من هذا ؟ فيقولون : وأي شيء أفضل من هذا ؟ فيقول : أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبدا ﴾(١).

١٠ - مقصورات فى الخيام :

قال تعالى : ﴿ حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ﴾(٢).

قال أبو عبيدة : خدرن في لخيام ، أي : سترن يها .

قال : إذا كانت الجنة التي هي دار النعيم وليس فيها فتن ولاطمع ولا معصية ، جعل الله تعالى النساء فيها مستورات مقصورات على أزواجهن ، فما بالنا بدار الدنيا دار الفتن والشهوات والمعاصي والمحرمات، والنظر والتطلعات ؟ أليس لكل عاقل منصف غيور أن يقول : إن النساء فيها أجدر بالتستر والاقتصار ؟ ! .

قال ابن جرير : والخيام يعني بها : البيوت ، وقد يسمي العرب هوادج النساء خياما(٣).

١١ - مادحات مهنئات :

حيت يقلن في غنائهن : نحن الخيرات الحسان أزواج قوم كرام ، ويقلن : طوبى لمن كان لنا وكنا له(٤)

---

(١) رواه مسلم .
(٢) الرحمن : ٧٢ .
(٣) محاسن التأويل .
(٤) الترغيب والترهيب للمنذري .

١٢ – كواعب :

وهذا وصف للثدي ، وكواعب أي : مستديرات الثدي ، والمراد أن ثُـدِيّهن متكعبة مستديرة كالرمان ، وليست متدلية دانية من البطان ، كما يحدث للمرأة إذا تزوجت بسبب حمل الثديين للبن ورضاعة الطفل وتعلقه بثدي أمه .قال الله تعالى : ﴿ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴾[١]

١٣ – كبدها مرآة لزوجها :

قال "ﷺ وآله" : ﴿ ... حوراء عيناء ، عليها سبعون حلة يرى مخ ساقها من وراء حللها ، كبدها مرآته... ﴾.

١٤ – أبكار عَذَارَى :

قال تعالى ﴿ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴾[٢] قال الآلوسي رحمه الله : أبكارا دائمات البكارة ، كلما وطئن وجدن أبكارا[٣]، فلا تنتهي البكارة بالجماع أبدا ، بل تتجدد بدون دم ولا ألم ، نعم إنها الجنة والنعيم المقيم . قيل : أتراب : على سن واحدة ، وميلاد واحد بنات ثلاث وثلاثين، كما في الحديث : ﴿ بني ثلاث وثلاثين ﴾[٤].فإذا كان الشرع رغب في الأبكار في الدنيا رغم أن بكارتهن مؤقتة ، فما القول في أبكار الجنة التي كلما جامع المؤمن زوجته عادت بكرا .

١٥ – شفافية ساقها وبياض قدمها :

عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله " ﷺ وآله " قال : ﴿ ... ولكل منهم زوجتان اثنتان يري مخ سوقهما من وراء اللحم ... ﴾ [٥] .

---

(١) النبأ : ٣٣ .
(٢) الواقعة : ٣٧ .
(٣) الجمع الصغير .
(٤) الترغيب والترهيب للمنذري .
(٥) رواه البخاري ومسلم .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله "ﷺ وآله" قال : ﴿ ... يرى مخ ساقها من وراء لحومها وحللها ، كما يرى الشراب الأحمر من الزجاجة البيضاء ﴾[1].

١٦ – ﴿ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلا جَانٌّ ﴾[2].

وهذا إعلام بكمال اللذة ، فإن لذة الرجل بالمرأة التي لم يطأها سواه لها فضل على لذته بغيرها .قال أبو الهيثم : يقال للمرأة " طمثت " : إذا أدميت بالافتضاض ، وخرج الدم حال افتضاض بكارتها .

قيل : والظاهر أن هؤلاء النسوة لسن من نساء الدنيا ، وإنما هن من الحور العين .

أكثر الناس حظا من الحور العين :

قال النبي " ﷺ وآله " عن أهل الجنة : ﴿ ... لكل واحد منهم زوجتان من الحور العين، على كل زوجة سبعون حلة ... ﴾[3].فهل لأحد من الناس فضل وزيادة من هؤلاء الحوريات؟!:

و الجواب : نعم .

روى الترمذي أن النبي "ﷺ وآله" قال : ﴿ للشهيد عند الله ست خصال ، يغفر له في أول دفعة – أي : من الدم المندفع من جسمه – ويرى مقعده من الجنة ، ويجار من عذاب القبر ، ويؤمن من الفزع الأكبر ، ويوضع على رأسه تاج الوقار ، الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها ، ويزوج باثنتين وسبعين زوجة من الحور العين ، ويشفع في سبعين من أقاربه ﴾[4].

بل أن الحورية لتبتدر زوجها الشهيد بعد قتله فتدخل بينه وبين ثوبه .

---

(١) رواه مسلم .
(٢) الرحمن : ٧٤ .
(٣) رواه مسلم .
(٤) السلسلة الصحيحة .

قال "ﷺ وآله" : ﴿ فقد رأيت زوجته من الحور العين نازعته جبة له من صوف ، تدخل بينه وبين جبته ﴾[1].

وقال "ﷺ وآله" : ﴿ إن أول قطرة تقطر من دم أحدكم يحط الله منه بها خطاياه ، كما يحط الغصن من ورق الشجر ، وتبتدره اثنتان من الحور العين ويمسحان التراب عن وجهه ، ويقولان : قد أني لك ، ويقول : قد أني لكما ، فيكسى مائة حلة لو وضعت بين أصبعي هاتين لوسعتاهما ليست من نسج آدم ، ولكنها من نبات الجنة ، مكتوبون عند الله بأسمائكم وسماتكم ﴾[2].

الحور العين ومن أي شيء خلقن ؟ :

روى الترمذي أن الرسول "ﷺ وآله" سئل عن الحور العين من أي شيء خلقن ؟ فقال "ﷺ وآله" : ﴿ من ثلاثة أشياء : أسفلهن من المسك ، وأوسطهن من العنبر ، وأعلاهن من الكافور ، وشعورهن وحواجبهن سواد خط من نور ﴾ .

وروي عنه "ﷺ وآله" أنه قال : ﴿ سألت جبريل عليه السلام فقلت : أخبرني كيف يخلق الله الحور العين ؟ قال لي : يا محمد ، يخلقهن الله من قضبان العنبر والزعفران ، مضروبات عليهن الخيام ، أول ما يخلق الله منهن نهد من مسك أذفر أبيض عليه يلتام البدن﴾.

وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : خلق الله الحور العين من أصابع رجليها إلى ركبتها من الزعفران ، ومن ركبتها إلى ثديها من المسك الأذفر ، ومن ثديها إلى عنقها من العنبر الأشهب ، ومن عنقها إلى رأسها من الكافور الأبيض ، عليها سبعون ألف حلة من شقائق النعمان ، إذا أقبلت يتلألأ وجهها نورا ساطعا كما تتلألأ الشمس لأهل الدنيا ، وإذا أقبلت يرى كبدها من رقة ثيابها وجلدها وفي رأسها سبعون ألف ذؤابة من المسك الأذفر،

---

(١) الترغيب والترهيب .
(٢) الترغيب والترهيب .

ولكل ذؤابة منها وصيفة ترفع ذيلها وهي تنادي : هذا ثواب الأولياء ، جزاء بما كانوا يعملون .

وروى أبو نعيم والحافظ المنذري في الترغيب والترهيب عن أنس يرفعه : ﴿لو أن حوراء بصقت في سبعة أبحر لعذبت البحار من عذوبة فمها ، وخلق الحور العين من الزعفران﴾ .

من دعاء الحور العين وحسنهن :

من مراسيل عكرمة ﷺ عن النبي "ﷺ وآله" قال : ﴿ إن الحور العين لأكثر عددا منكن يدعون لأزواجهن يقلن : اللهم أعنه على دينك ، وأقبل بقلبه على طاعتك ، وبلغه بعزتك يا أرحم الراحمين ﴾ ذكره ابن أبي الدنيا من حديث أسامة بن زيد .

وذكر الأوزاعي عن حسان بن عطية عن ابن مسعود ﷺ قال : إن في الجنة حوراء يقال لها اللعبة ، كل حور الجنان يعجبن بها ، يضربن بأيديهين على كتفيها ، ويقلن : طوبى لك يا لعبة لو يعلم الطالبون لك لجدوا ، بين عينيها مكتوب : من كان يبتغي أن يكون له مثلي فليعمل برضاء ربي .

قال ربيعة بن كلثوم : نظر إلينا الحسن ﷺ ونحن حوله شباب فقال : يا معشر الشباب أما تشتاقون إلى الحور العين ؟ .

وقال ابن أبي الدنيا عن سعيد بن جبير ﷺ قال : سمعت ابن عباس يقول : لو أن حوراء أخرجت كفها بين السماء والأرض لافتتن الخلائق بحسنها ، ولو أخرجت نصيفها لكانت الشمس عند حسنها مثل الفتيلة في الشمس لا ضوء لها ، ولو أخرجت وجهها لأضاء حسنها ما بين السماء والأرض .

وعن سفيان الثوري قال : سطع نور في الجنة لم يبق موضع من الجنة إلا دخل فيه من ذلك النور ، فنظروا فوجدوا ذلك من حوراء ضحكت في وجه زوجها .

ورواه الخطيب في تاريخه عن عبد الله بن مسعود ﷺ عن النبي "ﷺ وآلـه" قـال : ﴿سطع نور في الجنة فرفعوا أبصارهم ، فإذا هو ثغر حوراء ضحكت في وجه زوجها ﴾ .

الحور العين والنساء الآدميات :

ذكر أن الآدميات في الجنة على سن واحد ، وأما الحور العين فأصناف مصنفة صغار وكبار على ما اشتهت أنفس أهل الجنة .

عن الإمام على كرم الله وجهه قال : قال رسول الله "ﷺ وآله" : ﴿ إن في الجنة لمجتمعا للحور العين يرفعن بأصوات لم تسمع الخلائق بمثلها ﴾ ، قال : ﴿يقلن : نحن الخالدات فلا نبيد ، ونحن الناعمات فلا نبأس ، ونحن الراضيات فلا نسخط ، وطوبى لمن كان لنا وكنا له﴾[1] وفي الباب عن أبي هريرة وأبي سعيد وأنس رضي الله عنهم .

وقالت السيدة عائشة رضي الله عنها : إن الحور العين إذا قلن هذه المقالة أجابهن المؤمنات من نساء أهل الدنيا : نحن المصليات وما صليتن ، ونحن الصائمات وما صمتن ، ونحن المتوضئات وما توضأتن ، ونحن المتصدقات وما تصدقتن . قالت السيدة عائشة : فغلبنهن . والله أعلم .

وذكر ابن وهب ، عن محمد بن كعب القرظي أنه قال : والله الذي لا إله إلا هو لو أن امرأة من الحور العين أطلعت سوارها من العرش لأطفأ نور سوارها نور الشمس والقمر ، فكيف المسورة ، وأن ما خلق الله شيئا تلبسه إلا عليه مثل ما عليها من ثياب وحلى .

وقال أبو هريرة ﷺ : إن في الجنة حوراء يقال لها : العيناء ، إذا مشت مشى حولها سبعون ألف وصيف عن يمينها وعن يسارها كذلك وهي تقول : أين الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر ؟ .

---

(١) سنن الترمذى .

وروي عن النبي "ﷺ وآله" أنه وصف حوراء ليلة الإسراء فقال: ﴿ ولقد رأيت جبينها كالهلال في طول البدر منها ألف وثلاثون ذراعا ، في رأسها مائة ضفيرة ، ما بين الضفيرة والضفيرة سبعون ألف ذؤابة ، والذؤابة أضوأ من البدر مكلل بالدر وصفوف الجواهر ، على جبينها سطران مكتوبان بالدر والجوهر ، في السطر الأول : بسم الله الرحمن الرحيم ، وفي السطر الثاني : من أراد مثلي فليعمل بطاعة ربي ، فقال لي جبريل : يا محمد ، هذه وأمثالها لأمتك فأبشر يا محمد ، وبشر أمتك ، وأْمرهم بالاجتهاد ﴾ .

وذكر الختلي أبو القاسم قال : حدثنا إبراهيم بن أبي بكر ، حدثنا أبو إسحاق ، حدثني محمد بن صالح الضبي قال : قال عطاء السلمي لمالك بن دينار : يا أبا يحيى شوقنا . قال : يا عطاء ، إن في الجنة حوراء يتباهى بها أهل الجنة من حسنها ، لولا أن الله كتب على أهل الجنة أن لا يموتوا لماتوا عن آخرهم من حسنها ، قال : فلم يزل عطاء كمدا من قول مالك أربعين يوما .

قال ابن المبارك : أخبرنا معمر عن أبي إسحاق ، عن عمر بن ميمون الأودي ، عن ابن مسعود قال : إن المرأة من الحور العين ليرى مخ ساقيها من وراء اللحم والعظم ومن تحت سبعين حلة كما يرى الشراب الأحمر في الزجاجة البيضاء .

قال : وأخبرنا رشدين عن ابن أنعم ، عن حبان بن أبي جبلة قال : إن نساء الدنيا من دخل منهن الجنة ؛ فضلن على الحور العين بما عملن في الدنيا . وروي مرفوعا : ﴿ إن الآدميات أفضل من الحور العين بسبعين ضعف ﴾ . كل ذلك رواه القرطبي في : "التذكرة" .

المتعة بنساء الجنة ليست كالمتعة بنساء الدنيا :

ورد في هذا الباب أحاديث عديدة يجب أن نفهمها في إطار ما ورد عنه "ﷺ وآله" أن فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، ولا يجوز لنا أن نصرف معاني المتعة بنساء الجنة كالمتعة الحسية بالنساء في الدنيا ، إذ الأمر فوق ذلك .

ومما جاء فى هذا الباب ما رواه الطبراني في الأوسط والصغير من حديث أبي هريرة رضي الله عنه

قال : قيل : يا رسول الله ، هل نصل إلى نسائنا في الجنة ؟ فقال : ﴿ إن الرجل ليصـــل في اليوم إلى مائة عذراء ﴾ .

وأخرج أبو يعلي في مسنده وهناد في الزهد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قيل : يا رسول الله ، أنفضي إلى نسائنا في الجنة كما نفضي إليهن في الدنيا ؟ قال : ﴿ والذي نفس محمد بيده إن الرجل ليفضي في الغداة الواحدة إلى مائة عذراء ﴾ .

ومما يؤيد ما قدمنا به هذا الباب ما قاله سعيد بن جبير رضـــي الله عنـــه : إن شـــهوته لتجري في جسده سبعين عاما يجد اللذة ، ولا يلحقهم بذلك جنابة فيحتاجون إلى الـــتطهير ، ولا ضعف ، ولا انحلال قوة .

بل وطؤهم وطء التذاذ ونعيم لا آفة فيه بوجه من الوجوه ، وأكمل الناس فيه أصونهم لنفسه في هذه الدار عن الحرام ، فكما أن من شرب الخمر في الدنيا لم يشربها في الآخـــرة ؛ ومن لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة ؛ ومن أكل في صحاف الـــذهب والفضـــة في الدنيا لم يأكل فيها في الآخرة كما قال النبي "ﷺ وآله" : ﴿إنهـــا لهـــم في الـــدنيا ولكـــم في الآخرة﴾ فمن استوفى طيباته ولذاته وأذهبها في هذه الدار ؛ حرمها هناك .

الفصل الثانى

طعام أهل الجنة وشرابهم وآنيتهم

في الجنة ما تشتهيه الأنفس :

في الجنة ما تشتهيه الأنفس من المآكل والمشارب ﴿ وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴾[١]، ﴿ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الأنفُسُ وَتَلَذُّ الأعْيُنُ ﴾[٢]، وقد أباح الله لهم أن يتناولوا من خيراتها وألوان طعامها وشرابها ما يشتهون ﴿ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴾[٣] .

وفي الجنة أنهار الماء ، وأنهار اللبن ، وأنهار الخمر ، وأنهار العسل ، وفي الجنة عيون كثيرة، وأهل الجنة يشربون من تلك الأنهار والعيون .

قال تعالى : ﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى ولهم فيها من كل الثمرات وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ﴾[٤].

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴾[٥].

---

(١) الواقعة : ٢٠ .
(٢) الزخرف : ٧١ .
(٣) الحاقة : ٢٤ .
(٤) محمد : ١٥ .
(٥) الإنسان : ٥ – ٦ .

وقال سبحانه : ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلا عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلا﴾(١)، وقال جل شأنه : ﴿ وَمِزَاجُهُ مِن تَسْنِيمٍ *عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ﴾(٢).

وقال الله تعالى : ﴿ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾(٣).

وقال تعالى : ﴿ مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وِظِلُّهَا ﴾(٤).

وقال سبحانه : ﴿ وَأَمْدَدْنَاهُم بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لا لَغْوٌ فِيهَا وَلا تَأْثِيمٌ ﴾(٥).

وقال عز وجل : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَؤُوا كِتَابِيهْ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلاقٍ حِسَابِيهْ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴾(٦) .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلالٍ وَعُيُونٍ وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾(٧) .

وقال سبحانه : ﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُوْلَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ثُلَّةٌ مِّنَ الأَوَّلِينَ وَقَلِيلٌ مِّنَ الآخِرِينَ عَلَى سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ مُّتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ لا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلا يُنزِفُونَ وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴾(٨).

---

(١) الإنسان : ١٧ ـ ١٨ .
(٢) المطففين : ٢٧ ـ ٢٨ .
(٣) الزخرف : ٧٢ ـ ٧٣ .
(٤) الرعد : ٣٥ .
(٥) الطور : ٢٢ ـ ٢٣ .
(٦) الحاقة : ١٨ ـ ٢٠ .
(٧) المرسلات : ٤١ ـ ٤٣ .
(٨) الواقعة : ١٠ ـ ٢١ .

وقال تعالى : ﴿ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴾[١].

أول طعام أهل الجنة :

أول طعام يتحف الله به أهل الجنة زيادة كبد الحوت ، فقد روى البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال : قال رسول الله "ﷺ وآله" : ﴿ تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة ، يتكفؤها الجبار بيده ، كما يتكفأ أحدكم خبزته في السفر نزلا لأهل الجنة ﴾ فأتى رجل من اليهود فقال : بارك الرحمن عليك يا أبا القاسم ، ألا أخبرك بنزل أهل الجنة يوم القيامة ؟ قال : ﴿ بلى ﴾ . قال : تكون الأرض خبزة واحدة كما قال النبي "ﷺ وآله" فنظر النبي "ﷺ وآله" إلينا ، ثم ضحك حتى بدت نواجذه ثم قال : ﴿ ألا أخبرك بإدامهم ؟ بالام والنون ، قالوا : وما هذا ؟ قال : ثور ونون ، يأكل من زائدةكبدهما سبعون ألفا ﴾[٢].

قال النووي في شرح الحديث ما ملخصه : النزل : ما يعد للضيف عند نزوله ، ويتكفأها بيده ، أي : يميلها من يد إلى يد حتى تجتمع وتستوي ، لأنها ليست منبسطة كالرقاقة ونحوها ، ومعنى الحديث : أن الله تعالى يجعل الأرض كالرغيف العظيم ، ويكون طعاما ونزلا لأهل الجنة ، والنون : الثور ، وال (بلام) : لفظة عبرانية ، معناها : ثور، وزائدة كبد الحوت : هي القطعة المنفردة المتعلقة في الكبد ، وهي أطيبها[٣].

وفى صحيح البخاري أن عبد الله بن سلام سأل النبي "ﷺ وآله" أول قدومه المدينة أسئلة منها : ما أول شيء يأكله أهل الجنة ؟ فقال : ﴿ زيادة كبد الحوت ﴾[٤].

وفى صحيح مسلم عن ثوبان أن يهوديا سأل الرسول "ﷺ وآله" قال : فما تحفتهم حين يدخلون الجنة ؟ قال : ﴿ زيادة كبد الحوت ﴾ .

---

(١) المطففين : ٢٥ ــ ٢٦ .
(٢) مشكاة المصابيح .
(٣) شرح النووي على مسلم .
(٤) النهاية لابن كثير .

قال : فما غذاؤهم على إثرها ؟ قال : ﴿ينحر لهم ثور الجنة الذي يأكل من أطرافها﴾. قال : فما شرابهم عليه ؟ قال : ﴿ من عين تسمى سلسبيلا ﴾ قال : صدقت[1].

طعام أهل الجنة وشرابهم لا دنس معه :

قد يتبادر إلى الذهن أن الطعام والشراب في الجنة ينتج عنه ما ينتج عن طعام أهل الدنيا وشرابهم من البول والغائط والمخاط والبزاق ونحو ذلك ، والأمر ليس كذلك ، فالجنة دار خالصة من الأذى ، وأهلها مطهرون من أوشاب أهل الدنيا ، ففي الحديث الذي يرويه صاحبا الصحيحين عن أبي هريرة عن النبي "ﷺ وآله" قال نافيا هذا الظن : ﴿ أول زمرة تلج الجنة صورهم على صورة القمر ليلة البدر ، لا يبصقون فيها ، ولا يتمخطون ، ولا يتغوطون فيها ﴾[2].

وليس هذا خاص بأول زمرة تدخل الجنة ، وإنما هو عام في كل من يدخل الجنة ، ففي رواية عند مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله "ﷺ وآله" : ﴿ أول زمرة تدخل الجنة من أمتي على صورة القمر ليلة البدر ، ثم الذين يلونهم على أشد نجم في السماء إضاءة ، ثم هم بعد ذلك منازل ، لا يتغوطون ، ولا يتبولون ، ولا يتمخطون ، ولا يبزقون ﴾[3].

فالذي يتفاوت فيه أهل الجنة مما نص عليه في الحديث قوة نور كل منهم ، أما خلوصهم من الأذى فإنهم يشتركون فيه جميعا ، فهم لا يتغوطون ولا يتبولون ، ولا يتفلون ، ولا يبزقون ، ولا يتمخطون .

وقد يقال : فأين تذهب فضلات الطعام والشراب ؟ وقد وجه هذا السؤال إلى الرسول "ﷺ وآله" من قبل أصحابه رضي الله عنهم ، فأفاد أن بقايا الطعام والشراب تتحول إلى رشح كرشح المسك يفيض من أجسادهم ، كما يتحول بعض منه أيضا إلى جشاء ، ولكنه جشاء تنبعث منه روائح طيبة عبقة عطرة .

---

(١) النهاية لابن كثير .
(٢) رواه البخاري ، كتاب بدء الخلق ، باب ما جاء في صفة الجنة ، مسلم في كتاب الجنة .
(٣) رواه مسلم ، كتاب الجنة .

ففي صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله قال : سمعت رسول الله "ﷺ وآله" يقول : ﴿إن أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون ، ولا يتفلون ، ولا يتبولون ، ولا يتغوطون ، ولا يتمخطون﴾ قالوا : فما بال الطعام قال : ﴿ جشاء كجشاء المسك ﴾[1].

والفاكهة متعددة الألوان ، دانية القطوف ، سهلة المأخذ ، حلوة الطعم واللون والرائحة ، وفيها ثمار تشبه ثمار الدنيا وليست هي .

وروى ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله "ﷺ وآله" قال : ﴿ إنك لتنظر إلى الطير في الجنة فتشتهيه فيخر بين يديك مشويا ﴾ .

وقال الصديق رضي الله عنه : يا رسول الله ، إني لأرى طير الجنة ناعما كما أن أهلها ناعمون ، قال "ﷺ وآله" : ﴿ أنعم منها من يأكلها ، أنت ممن يأكلها يا أبا بكر ﴾ .

وبطيب المكان وطيب الطعام وبرد الشراب تطيب الجنة ﴿ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ ﴾[2] . ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ ﴾[3] . ﴿وَنُدْخِلُهُمْ ظِلاًّ ظَلِيلاً﴾[4] . ﴿ يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴾[5] . ﴿ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وِظِلُّهَا ﴾[6] . أي : دائم كذلك .

وعن قتادة عن أبي أيوب عن رجل من أهل البصرة عن عبد الله بن عمرو في قوله تعالى: ﴿ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ﴾[7] قال : يطاف عليهم بسبعين صحفة من ذهب كل صحفة منها فيها لون ليس في الأخرى .

---

(١) رواه مسلم فى صحيحه.
(٢) يس : ٥٦ .
(٣) المرسلات : ٤١ .
(٤) النساء : ٥٧ .
(٥) ص : ٥١ .
(٦) الرعد : ٣٥ .
(٧) الزخرف : ٧١ .

عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى ﴿ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴾ يقول : الخمـــر لا فيها غول ، ويقول ليس فيها صداع وفي قوله تعالى : ﴿ وَلا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴾ يقـــول : لا تذهب عقولهم ، وقوله تعالى : ﴿ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴾ يقول : ممتلئة ، وفي قوله تعالى : ﴿ وَمِزَاجُهُ مِن تَسْنِيمٍ ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما : يشرب منها المقربون صرفا وتمزج لمن دونهم .

وعن أبي الدرداء ﷺ في قوله تعالى : ﴿ خِتَامُهُ مِسْكٌ ﴾ قال : هو شراب أبيض مثـــل الفضة يختمون به آخر شرابهم ، لو أن رجلا من أهل الدنيا أدخل يده فيه ثم أخرجها لم يبـــق ذو روح إلا وجد ريح طيبها . أخرجه الحاكم .

ومن النصوص التى سبقت نرى أن في الجنة خبزا ولحما وفاكهة وحلوى وأشربة كالماء واللبن والخمر والعسل ، وليس في الدنيا مما في الآخرة إلا الأسماء ، أما المسميات ففيها مـــن التفاوت ما لا يعلمه بشر .

وروى الحافظ أبو نعيم في صفة الجنة عن بكر بن عبد الله المزني قال : بلغني أن الرجـــل من أهل الجنة ليشتهي اللحم ، فيجيء الطائر فيقع قدامه ، فيقول : يا ولي الله ؛ شربتُ مـــن السلسبيل ، ورعيتُ من الزنجبيل ، ورتعتُ بين العرش والكرسي ؛ فكلني .

وعن أبي شيبة في مصنفه عن مغيث بن سمي قال : يجيء الطير فيقع علـــى الشـــجرة ، فيأكل من أحد جنبيه قديدا ، ومن الآخر شواء .

حاجة أهل الجنة عرق كالمسك :

روي أنه أتى النبي "ﷺ وآله" رجل من اليهود فقال : يا أبا القاسم ، ألست تزعم أن أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون ؟ – ويقول لأصحابه : إن أقر لي بهذا خصـــمته – فقـــال رسول الله " ﷺ وآله " : ﴿ والذي نفس محمد بيده ؛ إن أحدهم ليعطى قوة مائة رجـــل في المطعم والمشرب والشهوة والجماع ﴾ فقال له اليهودى : فإن الذي يأكل ويشرب تكون له

الحاجة ، فقال له رسول الله "ﷺ وآله" : ﴿ حاجتهم عرق يفيض من جلوهم مثل المسك ، فإذا البطن قد ضمر ﴾ [١] .

طيور الجنة ناعمة وأهلها ناعمون :

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله "ﷺ وآله" : ﴿ إنك لتنظر إلى الطير في الجنة فتشتهيه فيخر بين يديك مشويا ﴾[٢].

وعن حذيفة قال : قال رسول الله "ﷺ وآله" : ﴿ إن في الجنة طيرا أمثال البَخَـاتي ﴾ فقال أبو بكر : إنها لناعمة يا رسول الله ، فقال : ﴿ أنعم منها من يأكلها ، وأنت ممن يأكلها يا أبا بكر ﴾[٣].

وعن قتادة في قوله تعالى : ﴿ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴾[٤] قال : ذكر لنا أن أبا بكر قال : يا رسول الله ، إني لأرى طير الجنة ناعمة كما أن أهلها ناعمون ، قال : ﴿ من يأكلها أنعم منها ، وأنها أمثال البَخاتي ، وإني لأحتسب على الله أن تأكل منها يا أبا بكر ﴾ .

وعن عبد الله بن عمرو في قوله تعالى : ﴿يُطَـافُ عَلَـيْهِم بِصِـحَافٍ مِـن ذَهَـبٍ وَأَكْوَابٍ﴾[٥] قال : يطاف عليهم بسبعين صحفة من ذهب ، كل صحفة منها فيها لون ليس ليس في الأخرى .

خمر الجنة ليس فيها غَوْل :

وعن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى : ﴿ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴾[٦] يقول : الخمر الخمر لا فيها غول ، يقول : ليس فيها صداع ، وفي قوله تعالى : ﴿ لا فيها غَـوْلٌ وَلا هُـمْ

---

(١) الحاكم في صحيحه .
(٢) ابن عدي في الكامل .
(٣) ابن عدي . والبَخَاتىّ : الإبل الخراسانية .
(٤) الواقعة :٢١.
(٥) الزخرف : ٧١ .
(٦) الواقعة : ١٨ .

عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴾[١] يقول : لا تذهب عقولهم ، وقوله تعالى : ﴿ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴾[٢] يقول : ممتلئة، وقوله سبحانه : ﴿ رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴾[٣] يقول : الخمر ختم بالمسك .

وعن مسروق عن عبد الله في قوله تعالى : ﴿ وَمِزَاجُهُ مِن تَسْنِيمٍ ﴾[٤] قال : تمزج لأصحاب اليمين ، ويشربها المقربون صرفا وكذلك قال ابن عباس : يشرب منها المقربون صرفا ، وتمزج لمن دونهم .

وعن عطاء قال : التسنيم : اسم العين التي يمزج بها الخمر .

وقيل في قوله تعالى : ﴿ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلا ﴾[٥] السلسبيل كلمة مفردة وهي اسم للعين نفسها باعتبار صفتها .

وقيل : تسيل عليهم في الطرق وفي منازلهم ، وهذا سلاستها وحدة جريتها .

وقيل : معناها : طيبة الطعم والمذاق .

وقيل : سلسبيل ، صفة لما كان في غاية السلاسة فسميت العين بذلك .

وقيل : الصواب في سلسبيل أنه صفة للماء وليس باسم العين .

مجامر أهل الجنة الألوَّة :

وقد صح عن النبي "ﷺ وآله" قوله : ﴿ مجامرهم الألوَّة ﴾ والمجامر : جمع مجمرة ، وهو البخور الذى يتبخر بإحراقه ، والألوة : العود الطري ، فأخبر أنهم يتجمرون ، أي : يتبخرون بإحراقه لتسطع لهم رائحته

---

(١) الصافات : ٤٧ .
(٢) النبأ : ٣٤ .
(٣) المطففين : ٢٥ .
(٤) المطففين : ٢٧ .
(٥) الإنسان : ١٨ .

وقد أخبر سبحانه أن في الجنة ظلالا ، والظلال لابد أن تفيء مما يقابلها فقال : ﴿ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ ﴾(١) وقال : ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ ﴾(٢) وقال ﴿ وَنُدْخِلُهُمْ ظِـلاًّ ظَلِيلاً ﴾(٣).

الله تعالى رب كل شيء ومليكه :

فالأطعمة والحلوى وغيرها تستدعي أسبابا تتم بها ، والله سبحانه خالق السبب والمسبب ، وهو رب كل شيء ومليكه لا إله إلا هو ، وكذلك جعل سبحانه أسبابا تصرف الطعام من الجُشاء والعرق الذي يفيض من جلودهم ، فهذا سبب إخراجه .

وكذلك جعل في أجوافهم من أسباب قدرته ما يطبخ ذلك الطعام ويلطفه ويهيئه لخروجه رشحا وجشاء ، وكذلك ما هناك من الفواكه والثمار يجعل لها من الأسباب ما ينضجها ، ويجعل سبحانه أوراق الشجر ظلالها .

ورب الدنيا والآخرة سبحانه واحد ، وهو الخالق للأسباب في الدنيا والآخرة ، والأسباب مظاهر أفعاله وحكمته .

والنشأة الثانية عجيبة نعم ، لكن النشأة الأولى عجيبة أيضا إذا تأملها اللبيب ، بل لعلها أعجب!!.

فلعل إخراج هذه الفواكه والثمار من بين هذه التربة الغليظة والماء والخشب والهواء المناسب لها في الدنيا أعجب عند العقل من إخراجها من تربة الجنة ومائها وهوائها .

ولعل إخراج أشربة الدنيا التي هي غذاء ودواء وشراب ولذة من بين فرث ودم ومن إنتاج نحل أعجب من إجرائها أنهارا في الجنة بأسباب أخر .

---

(١) يس : ٥٦ .
(٢) المرسلات : ٤١ .
(٣) النساء : ٥٧ .

ولعل إخراج جوهري الذهب والفضة من عروق الحجارة من الجبال وغيرها أعجب من إنشائها هناك بأسباب أخرى .

ولعل إخراج الحرير من لعاب دودة القز وبنائها على أنفسها القباب البيض والحمر والصفر أحكم بناء أعجب من إخراجه من أكمام تنشق عنه شجر هناك قد أودع فيها وأنشيء منها .

ولعل جريان بحار الماء بين السماء والأرض على ظهور السحاب أعجب من جرياها في الجنة في غير أخدود .

إنها آيات الله الدالة على كمال قدرته وعلمه ومشيئته وحكمته ، وانفراده بالألوهية دون غيره .

لماذا يأكل أهل الجنة ويشربون ويمتشطون :

إذا كان أهل الجنة خالدين فيها ، وكانت خالية من الآلام والأوجاع والأمراض ، لا جوع فيها ولا عطش ، ولا قاذورات ولا أوساخ ، فلماذا يأكل أهل الجنة فيها ويشربون ، ولماذا يتطيبون ويمتشطون ؟ .

أجاب القرطبي في التذكرة عن هذا السؤال قائلا : نعيم أهل الجنة وكسوهم ليس عن دفع ألم اعتراهم ، فليس أكلهم عن جوع ، ولا شربهم عن ظمأ ، ولا تطيبهم عن نتن ، وإنما هي لذات متوالية ، ونعم متتابعة ، ألا ترى قوله تعالى لآدم : ﴿ إِنَّ لَكَ أَلا تَجُوعَ فِيهَا وَلا تَعْرَى وَأَنَّكَ لا تَظْمَأُ فِيهَا وَلا تَضْحَى ﴾(١).

وحكمة ذلك أن الله تعالى عرفهم في الجنة بنوع ما كانوا يتنعمون به في الدنيا ، وزادهم على ذلك ما لا يعلمه إلا الله عز وجل .

---

(١) طه : ١١٨ – ١١٩ .

أنواع الشراب في الجنة :

أنهار الجنة تجري تحتها ، وذكر الحق سبحانه أنها : ﴿ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَـارُ ﴾[1] . فهناك إذاً أنهار تجري .

قال أنس بن مالك رضي الله عنه : أظنكم تظنون أن أنهار الجنة أخدود في الأرض ، لا والله ، إنها لسائحة على وجه الأرض ، إحدى حافتيها اللؤلؤ والأخرى الياقوت ، وطينها المسك الأذفر، قلت : ما الأذفر ؟ قال : الذى لا خلط له .

وتتفاوت الأشربة كيفا ، فشراب الأبرار ممزوج ، وشرب المقربين صرف بلا مـزج ، لأن هؤلاء أخلصوا الأعمال كلها لله فأخلص شرابهم وصفى كأسهم ، وأولئك مزجوا الأعمال فمزج لهم الشراب ، وانظر ؛ حسنات الأبرار سيئات المقربين .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ الأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴾[2] وقال في آية آخرى : ﴿ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلا عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلا ﴾[3] وقيل : المعنى : سل سبيلا إليه سبحانه ، فهو شـراب أهـل الوصال .

وقال سبحانه : ﴿ إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ عَلَى الأَرَائِكِ يَنظُرُونَ تَعْرِفُ فِـي وُجُـوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴾[4] .

الكافور طيب الرائحة بارد ، والزنجبيل حار طيب الرائحة ، يـذكر الكـافور أولا ثم الزنجبيل آخرا ، ليعتدل حال الشراب والشارب .

---

(١) الكهف : ٣١ .
(٢) الإنسان : ٥ – ٦ .
(٣) الإنسان : ١٧ – ١٨ .
(٤) المطففين : ٢٢ – ٢٨ .

ولعل مقامات الأبرار في الخوف والصبر والتجمل ظاهرا بالشرع وباطنا بالرضا عن الله ؛ جعل ذلك سبيلا لنعمه الظاهرة ﴿ عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ ﴾ وجملهم باطنا ﴿ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴾(١) ، ولكل درجات مما عملوا .

وفي الجنة عيون ﴿ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴾(٢). ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴾(٣). وانظر العين التي يشرب بها المقربون ، قال أنس رضي الله عنه : نضاختان بالمسك والعنبر على دور أهل الجنة كما ينضخ المطر على دور أهل الدنيا ، وقال جعفر عن سعيد : نضاختان بالفواكه والماء .

الشراب الطهور لأهل الجنة :

وقال الإمام عليّ عليه السلام في قوله تعالى : ﴿ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴾ قال : إذا توجه أهل الجنة مروا بشجرة يخرج من تحت ساقها عينان ، فيشربون من إحديهما ، فتجرى عليهم بنضرة النعيم فلا تتغير أبشارهم ولا تشعث أشعارهم أبدا ، ثم يشربون من الأخرى فيخرج ما في بطونهم من الأذى ، ثم تستقبلهم خزنه الجنة فتقول لهم : ﴿ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴾(٤).

وذكره ابن المبارك قال : أخبرنا معمر ، عن أبي إسحاق ، عن عاصم بن ضمرة ، عن عليّ "عليه السلام" أنه تلا هذه الآية : ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا ﴾(٥) وجدوا عند باب الجنة شجرة يخرج من ساقها عينان ، فعمدوا إلى إحديهما كأنما أمروا بها ، فاغتسلوا منها فلم تشعث رؤوسهم بعدها أبدا ، ولم تغير جلودهم بعدها أبدا، كأنما دهنوا بالدهن .

---

(١) الإنسان : ٢١ .
(٢) الرحمن : ٦٦ .
(٣) الذاريات : ١٥ .
(٤) الزمر : ٧٣ .
(٥) الزمر : ٧٣ .

ثم عمدوا إلى الأخرى فشربوا منها فطهرت أجوافهم وغسلت كل قذر فيها وتتلقاهم على كل باب من أبواب الجنة ملائكة ﴿ سَلامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴾ ثم تتلقاهم الولدان يطيفون بهم كما يطيف ولدان الدنيا بالحميم يجيء من الغيبة يقولون : أبشر ، أعد الله لك كذا وكذا .

ثم يذهب الغلام منهم إلى الزوجة من أزواجه فيقول : قد جاء فلان – باسمه الذي كان يدعى في الدنيا – فتقول له : أنت رأيته ؟ فيستخفها الفرح حتى تقوم على أُسْكُفَّة الباب[1]، ثم ترجع فتجيء فينظر إلى تأسيس بنيانه من جندل اللؤلؤ أخضر وأصفر وأحمر من كل لون ، ثم يجلس فينظر ، فإذا زاربي مبثوثة ، وأكواب موضوعة ، ونمارق مصفوفة ، ثم يرفع رأسه إلى سقف بنيانه ، فلولا أن الله قدر ذلك لأذهب ببصره إنما هو مثل البرق ، ثم يقول : كما أخبرنا تعالى : ﴿ الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللّهُ ﴾[2].

وذكره القتبي في عيون الأخبار له مرفوعا عن النبي "ﷺ وآله" عن الإمام عليّ عليه السلام أنه قال : سألت رسول الله "ﷺ وآله" عن قول الله عز وجل : ﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا ﴾[3]، ما هؤلاء الوفد ؟ قال : ﴿ يحشرون ركبانا ﴾ ثم قال : ﴿ والذي نفسي بيده ، إنهم إذا خرجوا من قبورهم ركبوا نوقا عليها رحائل الذهب مرصعة بأنواع الجوهر فتسير بهم إلى باب الجنة ﴾ قال : ﴿ وعند باب الجنة شجرة ينبع من أصلها عينان فيشربون من إحدى تلك العيون ، فإذا بلغ الشراب البطن طهرهم الله به من دنس الدنيا وقذرها فذلك قوله تعالى : (وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا)[4]﴾ قال : ﴿ ثم يغتسلون من العين الأخرى فلا تشعث رؤوسهم ولا تتغير ألوانهم ﴾ . قال : ﴿ ثم يضربون حلق أبواب الجنة فلو سمعت الخلائق طنين الأبواب افتتنوا بها ، فيبادر رضوان فيفتح لهم ، فينظرون إلى حسن وجهه ، فيخرون ساجدين ، فيقول لهم رضوان : يا أولياء الله ، أنا قيمكم الذي وكلت بكم وبمنازلكم ، فينطلق بهم إلى قصور من فضة شرفاتها من ذهب ، يرى ظاهرها من

---

(١) الأَسْكُفَّة : خشبة الباب التى يوطأ عليها .
(٢) الأعراف : ٤٣ .
(٣) مريم : ٨٥ .
(٤) الإنسان : ٢١ .

باطنها من النور والرقة والحسن ﴾ قال : ﴿ فيقول أولياء الله عند ذلك : يا رضوان ، لمن هذا؟ فيقول : هذا لكم ﴾ فقال رسول الله "ﷺ وآله": ﴿ فلو أن الموت يرفع عن أهل الجنة لمات أكثرهم فرحا ﴾ .

قال : ﴿ ثم يريد أحدهم أن يدخل قصره ، فيقول له رضوان : اتبعني حتى أريك ما أعد الله لك ﴾ قال : ﴿ فيمر به فيريه قصورا وخياما وما أعطاه الله عز وجل ﴾ ، قال : ﴿ ثم يأتي به إلى غرفة من ياقوتة من أسفلها إلى أعلاها مائة ذراع قد لونت بجميع الألوان على جنادل الدر والياقوت ، وفي الغرفة سرير طوله فرسخ في عرض مثل ذلك ، عليه من الفراش كمقدار خمسين غرفة بعضها فوق بعض ﴾[١].

قال رسول الله "ﷺ وآله" : ﴿ فذلك قوله عز وجل : (وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ)[٢] وهي من نور ، والسرير من نور ، وعلى رأس ولي الله تاج له سبعون ركنا ، في كل ركن سبعون ياقوته تضيء ، وقد رد الله وجهه كالبدر وعليه طوق ووشاح يتلألأ من نور ، وقد سور بثلاثة أسورة ، سوار من ذهب وسوار من فضة وسوار من لؤلؤ ، فذلك قوله تعالى : (يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ)[٣]﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا ﴾[٤] قال ابن عباس رضي الله عنهما : الجنات سبع : دار الجلال ، ودار السلام ، وجنة عدن ، وجنة المأوى ، وجنة الخلد ، وجنة الفردوس، وجنة النعيم .

هل ينام أهل الجنة ؟ :

روى الدارقطني عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه : قيل : يا رسول الله ، أينام أهل الجنة ؟ قال "ﷺ وآله" : ﴿ لا ، النوم أخو الموت والجنة لا موت فيها ﴾ .

---

(١) الدر المنثور للسيوطي .
(٢) الواقعة : ٤٣ .
(٣) الحج : ٣٢ .
(٤) الرعد : ٢٣ .

كيف يعرف أهل الجنة الوقت ؟ :

جاء فى تذكرة القرطبي : يعرفون الصباح برفع الحجاب ، والمساء بإرخائه ، وأوقات الصلاة بالتهليل والتكبير ، ويعرفون يوم الجمعة بالزيارة لله تعالى ، ويعرفون الشهر بالهدايا والتحف تأتيهم الملائكة بها من الله تعالى في رأس كل شهر ، ويعرفون العام بقول الملائكة لهم: إن الله تعالى يدعوكم للطعام ، فهو لهم عيد من العام للعام ، ويزوجون من الحور العين في ذلك اليوم .

آنية الجنة وأكوابها وكؤوسها وشرابها :

قال الله تعالى : ﴿ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ﴾(١) والصحاف : جمع صحفة ، يقول الكلبي : بقصاع من ذهب ، وقال الليث : الصحفة قطعة مسطحة عريضة فالجمع : صحاف . والأكواب : جمع كوب ، قال الفراء : الكوب المستدير الرأس الذى لا أذن له .

وقال أبو عبيد : الأكواب : الأباريق التى لا خراطيم لها .

وقال أبو إسحاق : واحدها كوب ، وهو إناء مستدير لا عروة له .

وقال ابن عباس رضي الله عنهما : هي الأباريق التى ليست لها آذان .

وقال مقاتل : هى أوانٍ مستديرة الرأس ليس لها عرى .

والبخاري يقول في صحيحه : الأكواب : الأباريق التي لها خراطيم .

وروى عن النبي "ﷺ وآله" أنه قال : ﴿ إن أدنى أهل الجنة منزلة الذي يقوم على رأسه عشرة آلاف خادم ، بيد كل خادم صحفتان ، واحدة ذهب والأخرى فضة ، كل واحدة لون لا يشبه الأخرى ﴾ ذكره القتبي في عيون الأخبار .

---

(١) الزخرف : ٧١ .

وقال المفسرون : يطوف على أدناهم مترلة سبعون ألف غلام بسبعين ألف صحفة من ذهب يغدى عليه بها ، في كل واحدة منها لون ليس في صاحبتها ، يأكل من آخرها كما يأكل من أولها ، ويجد طعم آخرها كما يجد طعم أولها لا يشبه بعضه بعضا ويراح عليه بمثلها، ويطوف على أرفعهم درجة كل يوم سبعمائة ألف غلام ، مع كل غلام صحفة من ذهب فيها ألوان الطعام ليس في صاحبتها ، يأكل من آخرها كما يأكل من أولها ، ويجد طعم آخرها كما يجد طعم أولها لا يشبه بعضه بعضا .

وأكواب ، أي : ويطاف عليهم بأكواب كما قال تعالى : ﴿ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ ﴾(١)، قال قتادة : الكوب : المدوَّر القصير العنق القصير العروة ، والإبريق: المستطيل العنق الطويل العروة .

وقال تعالى : ﴿ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ بأكوابٍ وأَباريقَ وكأسٍ من مَّعِين ﴾(٢) الأباريق هي الأكواب التي لها خراطيم ، فإن لم يكن لها خراطيم ولا عرى فهي أكواب ، وإبريق : فعيل من البريق وهو الصفاء ، فهو الذى يبرق لونه من صفائه ، ثم سمي كل ما كان على شكله إبريقا وإن لم يكن صافيا .

وأباريق الجنة من الفضة في صفاء القوارير يرى من ظاهرها ما في باطنها ، والعرب تسمي السيف إبريقا لبريق لونه ويقال : امرأة إبريق ؛ إذا كانت براقة .

وقال الله تعالى :﴿ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا قَوَارِيرَ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴾(٣)، فالقوارير هي الزجاج ، فأخبر سبحانه وتعالى عن مادة تلك الآنية أنها من الفضة وأنها بصفة الزجاج وشفافته ، وقطع سبحانه توهم كون تلك القوارير من زجاج فقال : ﴿ قوارير من فضة ﴾ فقوارير الجنة من الفضة ، فاجتمع لها بياض الفضة وصفاء القوارير .

---

(١) الإنسان : ١٥ .
(٢) الواقعة : ١٧ ــ ١٨ .
(٣) الإنسان : ١٥ ــ ١٦ .

قال ابن قتيبة : كل ما في الجنة من الأنهار وسررها وفرشها وأكوابها مخالف لما في الدنيا من صنعة العباد

كما قال ابن عباس رضي الله عنهما : ليس في الدنيا شيء مما في الجنة إلا الأسماء ، والأكواب في الدنيا قد تكون من فضة وتكون من قوارير ، فأعلمنا الله أن هناك أكوابا لها بياض الفضة وصفاء القوارير ، قال : وهذا على التشبيه أراد قوارير كأنها من فضة .

وهذا كقوله تعالى: ﴿ كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ ﴾[1] أي : لهن ألوان المرجان في صفاء الياقوت .

ويرد على ذلك أن الآية الكريمة صريحة أنها من فضة ، و ﴿من﴾ هنا لبيان الجنس كما تقول : خاتم من فضة ولا يراد بذلك أنه يشبه الفضة ، بل جنسه ومادته الفضة .

وقوله تعالى : ﴿ قَوَارِيرَ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴾[2] التقدير : جعل الشيء بقدر مخصوص ، فالآنية على القدر الأمثل ، وهذا أبلغ في لذة الشارب ، فلو نقص لنقص التذاذه ، ولو زاد حتى يشمئز منه حصل له ملالة وسآمة من الباقي ، وهذا قول جماعة من المفسرين .

قال الفراء : قدروا الكأس على قدر ري أحدهم لا فضل فيه ولا عجز ، وهو ألذ الشراب .

وقال الزجاج : جعلوا الإناء على قدر ما يحتاجون إليه ويريدونه .

وقال أبو عبيد : يكون التقدير : الذي يسقون يقدرونها ثم يسقون ، يعني : أن الضمير في ﴿ قدروها ﴾ للملائكة والخدم قدّروا الكأس على قدر الري ، فلا يزيد عليه فيثقل الكف[3] ، ولا ينقص منه فتطلب النفس الزيادة كما تقدم .

(١) الرحمن : ٥٨ .
(٢) الإنسان : ١٦ .
(٣) كَفَّ عن الأمر كفاً ، أي : انصرف وامتنع .

وقال ابن عباس ومجاهد : أتوا بها على قدر رتبتهم بغير زيادة ولا نقصان ، والمعنى قدرها الملائكة التي تطوف عليهم .

وقالت طائفة : الضمير يعود على الشاربين ، أي : قدروا في أنفسهم شيئا فجاءهم الأمر بحسب ما قدروه وأرادوه .

أما الكأس فقال أبو عبيدة : هو الإناء بما فيه .

وقال أبو إسحاق : الكأس الإناء إذا كان فيه خمر ، ويقع الكأس لكل إناء مع شرابه .

وبعض المفسرين فسر الكأس بالخمر حتى قال الضحاك : كل كأس في القرآن فإنما عنى به الخمر ، وهذا نظر منهم إلى المعنى المقصود ، فإنما المقصود ما في الكأس لا الإناء نفسه ، وأيضا فإن من الأسماء ما يكون اسما للحال والمحل مجتمعين ومنفردين كالنهر والكأس ، فإن النهر اسم للماء ولمحله معا ، ولكل منهما على انفراده ، وكذلك الكأس ، والقرية ، لهذا يجيء لفظ القرية مرادا به الساكن فقط ، والمسكن فقط، والأمران معا .

وقد جاء في الصحيحين من حديث أبي موسى الأشعري ﵁ أن رسول الله "ﷺ وآله" قال: ﴿ جنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما ، وجنتان من فضة آنيتهما وما فيهما ، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه فى جنة عدن ﴾ .

ومن حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه أن النبي "ﷺ وآله" قال : ﴿ لا تشربوا فى آنية الذهب والفضة ، ولا تأكلوا في صحافهما ، فإنها لهم في الدنيا ولكم في الآخرة ﴾(١).

وعن أنس ﵁ قال : كان رسول الله "ﷺ وآله" يعجبه الرؤيا ، فربما رأى الرجل الرؤيا فيسأل عنه إذا لم يكن يعرفه ، فإذا أثنى بمعروف كان أعجب لرؤياه إليه ، فأتته امرأة فقالت: يا رسول الله ، رأيت كأني أتيت فأخرجت من المدينة فأدخلت الجنة ، فسمعت وجبة انفتحت لها الجنة فنظرت ، فإذا فلان بن فلان ، وفلان بن فلان ، فسمت اثنى عشر رجلا -كان

---

(١) البخاري فى الأطعمة .

رسول الله "ﷺ وآله" قد بعث سرية قبل ذلك – فجيء بهم ، عليهم ثياب طلس تشخب أوداجهم ، فقيل : اذهبوا بهم إلى نهر البيدخ أو البيدج ، فغمسوا فيه فخرجوا ووجوههم كالقمر ليلة البدر ، فأتوا بصحفة من ذهب فيها بسر ، فأكلوا من ذلك البسر ما شاءوا فما يقلبونها من وجه إلا أكلوا من الفاكهة ما أرادوا ، وأكلت معهم .

فجاء البشير من تلك السرية فقال : أصيب فلان وفلان – حتى عدّ اثنى عشر رجلا – فدعا رسول الله "ﷺ وآله" المرأة فقال : ﴿ قصي رؤياك ﴾ فقصتها ، وجعلت تقول : جيء بفلان وفلان ، كما قال[1].

شراب الأبرار وشراب المقربين :

قال تعالى : ﴿ إِنَّ الأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴾[2]. وقال سبحانه: ﴿ وَمِزَاجُهُ مِن تَسْنِيمٍ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ﴾[3].

وهذا إظهار من الله سبحانه للفرق بين الشرابين ، هذا من كأس وهذا من عين ، ليعلم الفرق بين الصنفين في الشراب ، فما بالك بالفرق في المقامات والدرجات ، وذلك يكون على قدر تباينهم في الأعمال الصالحات والاجتهاد في الطاعات .

قال تعالى : ﴿ كَلا إِنَّ كِتَابَ الأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ﴾[4]. وأهل عليين هم جلساء الرحمن وهم أهل المنابر النوارنية في مقعد صدق .

وقال سبحانه : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَؤُوا كِتَابِيهْ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلاقٍ حِسَابِيهْ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴾[5] . وشتان بين الدرجتين والمترلتين على ما تتذوق من معاني الآيتين، وبين المترلتين والدرجتين منازل ودرجات لا يعلمها إلا الله.

---

(١) أحمد . ومعنى وجبة : صوت السقوط . طلس : الطُّلسة : الغبرة إلى السواد . تشخب : تسيل . أوداجهم جمع ودج وهو شريان فى العنق . بسر : التمر قبل أن يرطب .
(٢) الإنسان : ٥ .
(٣) المطففين : ٢٧ ـ ٢٨ .
(٤) المطففين : ١٨ .
(٥) الحاقة : ١٩ ـ ٢٢ .

وللمقربين في الدنيا شراب صافٍ من خمرة الحب حال وصالهم ، يتجـدد بالشـراب حالهم ، ويجنن الأرواح فتطير شوقاً إلى الملك الفتاح ، فتحيا القلوب ، ويكشف لهـا مـن الغيوب ، وتتوالى البشائر بلا انقطاع ، يقول الإمام المجدد أبو العزائم ﷺ :

خمـرةُ الحـبِّ في مقـام الوصـال ... قـد سـقانا محبوبُنـا بالجمـال
جـدَّدَ الحـالَ جـنن الـرُّوحَ حـتى ... أشـرق القلـبُ في مقـام اتصـالى
قـد سـقانا خمـرَ المحبـة صـرفا ... فأرانـا وجـهَ العلـي المتعـال
كشـفَ الحجـبَ أشـرق النـورُ لمـا ... أن تجلـى الحبيـبُ بالإقبـال
مرحبـاً مرحبـاً حبـيبي ورُوحـي ... وجهُـك القصـدُ والرضـا آمـالى
أَحْـيِ بالوصـل مغرمـا في هيـام ... أنـت يـا سـيدي حيـاةُ الرجـال
أنـت أحييـتَ بالوصـال قلوبـاً ... عمِّـم النـورَ بالصـفا والوصـال
يـا حيـاةَ الأرواح أنـت ضـياها ... أنـت نـورُ الأفـراد والأبـدال
صـلواتٌ عليـك يـا نـورَ ربي ... تتـوالى البشـرى بخـير نـوال

ويقول في موضع آخر :

حَـيْهلَن فالشـرابُ في الحـان راقـا ... وسـقانا المحبـوبُ كأسـاً دِهاقـا
أسـكرَ الـرُّوحَ مـن طهـور التجلـي ... بـالتجلي وجَمَّـل الأخلاقـا
قـد أدار الطهـورَ في حـان قـدسٍ ... أشـرق الوجـهُ ظـاهرا إشـراقا
قـد نسـيتُ الطهـورَ لمـا تجلـى ... أنت قصدي قـد ذبـتُ فيـك اشـتياقا
حـيهلن فالحبيـبُ لاح لرُوحـي ... عنـدها شَـاهَدَتْ بـه خَلاّقـا
سـتر الآيَ والملائـكَ عـني ... وجهُـهُ كعـبتي أُرى تواقـا
مـن يـر الوجـهَ يَفْـنَ فيـه يقينـا ... كيـف أرضـى وبعـده إحراقـا؟!
كيف تـرأى رُوحـي الملائـكَ حـولي؟! ... كـل قصـدي قـد صـار فيـه محاقـا

صار كلي وظاهري وبطوني صرتُ كلي مؤلهاً[1] شواقا
كيف أرضى بغيره وهو ربي؟! كلُّ غيرٍ أراه عندي نفاقا
حيهلن فالجميلُ لما تجلى آنسَ الرُّوحَ جدَّدَ الأشواقا
كل نور إليه يجذب رُوحي لاتحادٍ محا به الآفاقا

ويقول أيضا :

راحُ الشهود يُدار للألبابِ صرفاً بفضل تنزل الوهابِ
في حانها راحٌ إذا ما نُوِّلَتْ لاح الجميلُ لوالهٍ أواب
سكِرَتْ بها الأرواحُ يوم " أَلَسْتُ "[2] إذ ظهرت لهم علنا بغير حجاب
والرُّوحُ سَكْرَى بالشهود لأنها سمعت خطابَ المنعم التواب
فالجسمُ ذو الرُّوح التي قد شاهدت متألهٌ لمشاهد الأواب
والجسمُ ذو النفس التي قد أُبعِدت في ظلمةِ الأوهام والأسباب
بشرى لنا نلنا المنى بهيامنا في الله بالأرواح والألباب
قد ناولونا من " أَلَسْتُ" مُدَامَةً صرفاً بلا قدح ولا أكواب
لم يَشْرَبْنها مُبْعَدٌ عن سرِّنا كلا ولا لمعاند مرتاب
خمرٌ طهورٌ قد أدير حنانةً من ذي العطايا المنعمِ الوهاب
و مديرُه الفردُ المرادُ محمدٌ قد خُصَّ للأصحاب والأحباب
صلى عليك اللهُ يا شمسَ الهدى يا مقصدَ الوُرَّاثِ والأَنْجابِ

فإذا كان هذا للمقربين في الدنيا ؛ فما هو الظن بشراب الجنة .

(١) وَلِه فلانٌ وَلَهاً : أي : تحير من شدة الوجد فهو واله وولهان .
(٢) إشارة إلى قوله تعالى : (وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى .....) الأعراف : ١٧٢ .

خمر أهل الجنة :

من الشراب الذي يتفضل الله به على أهل الجنة الخمر ، وخمر الجنة خالي من العيوب والآفات التي تتصف بها خمر الدنيا ، فخمر الدنيا تذهب العقول ، وتصدع الرؤوس ، وتوجع البطون ، وتمرض الأبدان ، وتجلب الأسقام ، وهي معيبة في صنعها أو لونها أو غير ذلك .

أما خمر الجنة فإنها خالية من ذلك كله ، جميلة صافية رائقة ﴿ يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِن مَّعِينٍ بَيْضَاء لَذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ لا فِيهَا غَوْلٌ ولا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴾[1] .

لقد وصف الله جمال لونها ﴿ بيضاء ﴾ ثم بين أنها تلذ شاربها من غير اغتيال لعقله ، كما قال تعالى : ﴿ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ ﴾[2] .

ثم إن شاربها لا يمل من شربها ﴿ ولا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴾ ، وقال تعالى في موضع آخر يصف خمر الجنة : ﴿ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ لا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلا يُنزِفُونَ ﴾[3] .

قال ابن كثير في تفسير هذه الآيات : لا تصدع رؤوسهم ، ولا تنزف عقولهم ، بل هي ثابتة مع الشدة المطربة واللذة الحاصلة .

وروى الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : في الخمر أربع خصال : السكر ، والصداع ، والقيء ، والبول ، فذكر الله خمر الجنة ، ونزهها عن هذه الخصال .

وقال الحق سبحانه في موضع آخر : ﴿ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ خِتَامُهُ مِسْكٌ ﴾[4] ، والرحيق : الخمر ، ووصف هذا الخمر بوصفين : الأول : أنه مختوم ، أي : موضع عليه خاتم، والثاني : أنهم إذا شربوه وجدوا في ختام شربهم له رائحة المسك .

---

(١) الصافات : ٤٥ ــ ٤٧ .
(٢) محمد : ١٨ .
(٣) الواقعة : ١٧ ــ ١٩ .
(٤) المطففين : ٢٥ ــ ٢٦ .

من شرب الخمر في الدنيا إن لم يتب منها حرمها في الآخرة :

عن أبي هريرة ﷺ ، عن النبي "ﷺ وآله" أنه قال : ﴿ من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة ومن شرب الخمر في الدنيا لم بشربه في الآخرة ، ومن شرب في آنية الذهب والفضة لم يشرب بها في الآخرة ﴾ ، ثم قال رسول الله "ﷺ وآله" : ﴿ لباس أهل الجنة وشراب أهل الجنة وآنية أهل الجنة ﴾ [1].

قال القرطبي : إن قال قائل : قد سوى النبى "ﷺ وآله" بين الأشياء الثلاثة وأنه يحرمها في الآخرة ، فهل يحرمها إذا دخل الجنة ؟ : قلنا : نعم ، إذا لم يتب منها ، لقوله عليه الصلاة والسلام : ﴿ من شرب الخمر في الدنيا ثم لم يتب منها حرمها في الآخرة ﴾[2] ، خرجه مالك، عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما ، عن النبي "ﷺ وآله" ، وكذلك لابس الحرير ، ومن أكل في آنية الذهب والفضة ، أو شرب فيها لاستعجاله ما أخر الله له في الآخرة ، وارتكاب ما حرم الله عليه في الدنيا .

وعجيب سكر النفوس الزكية بلا كد ولا تعب من خمرة القدس ، التي تدار على الأرواح فتفنيها عن شهود غير ربها ، أو شهود الأسباب ، وهذه سبق أن تناول منها الصفوة من أصحاب النبي "ﷺ وآله" ومنهم سيدنا عمار رضي الله عنه ، يقول الإمام أبو العزائم ﷺ :

سكرُ النفوسِ بلا كد ولا تعبِ ... من خمر قدس صفا من أعجب العجبِ
خمرٌ تُدار على الأرواح تسكرها ... تفنى بها عن شهود الغير والسبب
هل دارت الراحُ للأرواح في قدح ... و الجسمُ حيطتها من غير ما طلب؟!
خمرٌ عتيقٌ وفي الماضى تناولها ... "عمارُ" صُفَّة خير العجم والعرب
قد أشرقت شمسُها للرُّوح فابتهجت ... هامت بها في رياض القدس والطرب
إني لأعجبُ من خمر تدار على ... من نُوِّلوها بسور الجسم لا النسب

(١) سنن النسائي .
(٢) صحيح البخاري .

مــاذا ؟ أفي الــزمن الماضــي نشــاهدها؟! أم ذاك ماضي البها بالفضــل والرغــب؟!
أم تلك شمــس أضــاءت للقلــوب علــى سبل الهدى ومراقــي القــرْب والقُــرَب؟!
حــــال وحــــب وأســــرار مشـــاهدة مواهــــب لم تُنــــل لأئمــــة الرتــــب
من أين هذا ؟! أعاد البــدء ؟! أم ظهــرت عنايــة جملــت بالحــب والكســب ؟!
يا مــن شــربتم مُــدام القــدس صــافيةً فجاهدوا الــنفس حــتى تُوصِــلُوا نســبي
هــــذا المــــدامُ أُديــــرت في بدايتــــها للمخلَصــين وأهــلِ القــرب والرَّهَــب

ويقول في قصيدة أخرى له :

لطــائف القلــب قــد حنَّــت إلى الــراح صــــرفا تطهــــر عــــن دَنٍّ وأقــــداحِ
طهــور قــدس وقبــل "أَلَسْــتُ" ناولهــا نـــورُ الوجـــود لأمـــلاك وأرواح
شــربتُها لا بمــزجٍ وهــي مشــرقة شمــسُ الجــالي بنــور جمــال فتــاح
و نشـــأتي أولا تـــنبي بمشـــهدها و نشـــأتي آخـــرا تـــنبي بإصـــلاح
و هـــا أنـــا ظـــاهر في النشـــأتين بهـــا نـــور يلـــوح بـــلا أفـــق وألـــواح
فهيكلـــي مَثَـــلٌ أعلـــى لوجهتـــها و بـــاطني صـــورةٌ للـــرُّوح والـــراح
أشـــتاقُها وأنـــا مـــرآةُ مظهرِهـــا مشكاتُها قــد أضــاء الكــونَ مصــباحي
شــوقي يزيــد ووهــي قــد يــدوم بهــا و الـــرُّوح في بهجـــةٍ وجميـــلِ أفـــراح
نَــاوِلْ فــديتُك رُوحــى فهــي والهــةٌ وانظـــر بعـــين حنانـــة لأشـــباح
يا ساقي الــرُّوحِ خــذ رُوحــي وناوِلْهــا فالرُّوح شــيءٌ قليــلٌ في احْتِسَــا راحــي

وللعارفين بالله خمر تدار حال الصفا ، نورها يطهر الآفاق من كل حاجب ، شمة منـها تخفي الأكوان ، يراها العارفون ويتناولونها حيث ولوا وجوههم ، فيتحقق لهم الغنى بالله عـن شهود ما سواه ، ولذلك يقول ﷺ :

راحُ رُوحــي لــو أديــرت في الــدنان فــاز أهــلُ الوجــه مــني بالعِيــان

يحتســيها مــن تحلــى بالصــفا بعــد محــو الــبين في حــال البيــان

نورُهــا يشــرق في الأفــق الــذي طُهِّــرَتْ أرجــاؤه مــن كــل دان

و الســويدا كأسُــها ومــدامُها مشــهد الأخفــى بــلا حجــب وران

هــي راح الــرُّوح إلا أهــا غيــبُ غيــبٍ في معــاليم الكِيــان

شمــة منــها بهــا الأخفــى جَــلٍ و ارتشــافُ مِزاجهــا يُخفــي المكــان

يظهــرُ الوجــهُ جليًّــا مشــرقا لفــتى خلــع العــذار بــلا تــوان

فَــرَّ منــه بشــمةٍ مــن طيبــها بل ومــن كــون الفســاد ومــن جِنــان

حيــث ولّــى يشــهدُ الوجــهَ العلِّــيّ حجَّــبَ الأغيــارَ في حــال التــدان

مــن يــر الوجــه العلــي بــه اغــتنى عن شهود الكــون بــل عــن كــل فــان

" كــلُّ شَــيْءٍ هَالِــكٌ "[1] تتلــى لــه غــير هــذا الوجــه في نــص القــرآن

كيــف تشــغلني المظــاهر بعــد أن شــاهدت عــينُ الســويدا بالعِيــان؟!

وي ونــور الوجــه حــولي مشــرق كيــف تشــغلني جِنــانٌ أو حِســان؟!

وي ومعنــاه العلــيُّ يلــوح لي حيثمــا وليــتُ وجهــي بالحنــان

أيهــا الــنفس ونــور جمالــه مشــرق فيــكِ بأســرار البيــان

أســلمي لله بــالله فقــد يمحــق التوحيــدُ ظلمــةَ كــلِّ دان

أي أنــيبي للــوَلِيّ بــه لــه كــي تنــالي بالرضــا كســب الرِّهــان

و الصــلاةُ علــى الحبيــب المصــطفى مــن بــه أحظــى بقــربي والأمــان

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى : (كل شئ هالك إلا وجهه) القصص : ٨٨ .

الباب الثالث عشر

بناء الجنة وأنهارها وعيونها
وزرعها وأشجارها وثمارها
ولباس أهلها وحليهم

الفصل الأول

أرض الجنة وحائطها

أرض الجنة وتربتها :

ثبت في الصحيحين عن أنس بن مالك عن أبي ذر رضي الله عنهما في حديث المعـــراج قال : قال رسول الله "ﷺ وآله" : ﴿ أدخلت الجنة ، فإذا فيها جنابذ اللؤلـــؤ ، وإذا ترابهـــا المسك ﴾ .

و في صحيح مسلم ومسند أحمد عن أبي سعيد أن ابن صياد سأل الرسول "ﷺ وآلـــه" عن تربة الجنة ، فقال : ﴿ هي درمكة[1] بيضاء مسك خالص ﴾ .

و في مسند أحمد عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : قال رسول الله "ﷺ وآله" في اليهود : ﴿إني سائلهم عن تربة الجنة ، وهي درمكة بيضاء﴾ فسألهم ، فقالوا : هي خبزة يا أبا القاسم، فقال رسول الله "ﷺ وآله" : ﴿ الخبز من الدرمك ﴾[2].

وروى أحمد والترمذي والدرامي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قلت : يا رسول الله ، مـــم خلق الخلق ؟ قال : ﴿ من ماء ﴾ قلنا : الجنة ما بناؤها ؟ قال : ﴿ لبنة من ذهب ، ولبنة من فضة، وملاطها المسك الأذفر[3]، وحصباؤها الدر والياقوت ، وتربتها الزعفران ، من يدخلها ينعم ولا ييأس ، ويخلد ولا يموت ، ولا يبلى ثيابهم ، ولا يفنى شبابهم ﴾[4].

---

(١) الدرمكة : واحدة الدرمك ، وهو الدقيق الحواري الخالص البياض .
(٢) انظر هذه الأحاديث في النهاية لابن كثير .
(٣) المسك الأذفر : طيب الرائحة ، أو الذي لا خلط فيه (حر أصيل) .
(٤) مشكاة المصابيح .

تراب الجنة الزعفران والمسك :

عن أبي هريرة ﷺ قال : قلنا : يا رسول الله ، إذا رأيناك رقت قلوبنا وكنا من أهل الآخرة ، وإذا فارقناك أعجبتنا الدنيا وشممنا النساء والأولاد ، قال : ﴿لو تكونون على كل حال على الحال التي أنتم عليها عندي لصافحتكم الملائكة بأكفهم ولزارتكم في بيوتكم ، ولو لم تذنبوا لجاء الله بقوم يذنبون كي يغفر لهم﴾ قال : قلنا : يا رسول الله ، حدثنا عن الجنة وما بناؤها ، قال : ﴿ لبنة ذهب ولبنة فضة ، وملاطها المسك ، وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت، وترابها الزعفران ، ومن يدخلها ينعم لا ييأس ، ويخلد لا يموت ، لا تبلى ثيابه ، ولا يفنى شبابه ، ثلاثة لا ترد دعوتهم : الإمام العادل ، والصائم حتى يفطر ، ودعوة المظلوم تحمل على الغمام وتفتح لها أبواب السموات ويقول الرب : وعزتي وجلالي لأنصرنك ولو بعد حين﴾[١].

وسئل "ﷺ وآله" عن الجنة فقال : ﴿ من يدخل الجنة يحيا ولا يموت ، وينعم ولا ييأس ، لا تبلى ثيابه ، ولايفنى شبابه ﴾ قيل : يا رسول الله ، كيف بناؤها ؟ قال : ﴿ لبنة من ذهب ولبنة من فضة ، وملاطها مسك أذفر ، وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت وترابها الزعفران ﴾[٢] هكذا جاء في الحديث أن ترابها الزعفران .

وسئل النبي "ﷺ وآله" عن تربة الجنة فقال : ﴿ درمكة بيضاء مسك خالص ﴾[٣].

وجاء رجل إلى رسول الله "ﷺ وآله" فقال : يا محمد ، قد غُلب أصحابك اليوم ، قال : ﴿ وبأي شيء غُلبوا ؟ ﴾ قال : سألهم اليهود كم عدد خزنة النار ؟ فقالوا : لا ندري حتى نسأل نبينا .

فقال رسول الله "ﷺ وآله" : ﴿ أيُغلب قوم سئلوا عما لا يعلمون فقالوا : حتى نسأل نبينا ؟!! ولكن هم أعداء الله ، سألوا نبيهم أن يريهم الله جهرة ، عليّ بأعداء الله فإني سائلهم

---

(١) أحمد . واللبنة : قالب الطوب من الطين ، الملاط : الطين ، وتبلى : تفنى وتعدم .
(٢) الهيثمي في المجمع وعزاه للطبراني بإسناد حسن . ومسك أذفر : أي : جيد للغاية .
(٣) مسلم في الفتن . والدرمك : الخبز الصافي الذى يميل لونه إلى الأصفر وهو لين ناعم .

عن تربة الجنة وأنها درمكة ﴾ فلما أن جاءوه قالوا : يا أبا القاسم كم عدد خزنة النار؟ فقال رسول الله "ﷺ وآله" بيديه كلتيهما هكذا وهكذا وقبض واحدة ، أي : تسعة عشر ، فقال لهم رسول الله : ﴿ ما تربة الجنة ؟ ﴾ فنظر بعضهم إلى بعض وقالوا : خبزة يا أبا القاسم، فقال النبي "ﷺ وآله" : ﴿ الخبزة من الدرمكة ﴾[1].

فهذه ثلاث صفات في تربتها لا تعارض بينها ، فذهبت طائفة من السلف إلى أن تربتها متضمنة للنوعين : المسك والزعفران .

و هذا يحتمل معنيين :

المعنى الأول : أن يكون التراب من زعفران فإذا عجن بالماء صار مسكا ، والطين يسمى ترابا ، ويدل على هذا قوله في اللفظ الآخر : ملاطها المسك ، والملاط : الطين ، ويدل عليه أن في حديث العلاء بن زياد : " ترابها الزعفران وطينها المسك " فلما كانت تربتها طيبة وماؤها طيبا فانضمام أحدهما إلى الآخر أحدث لهما طيبا آخر فصار مسكا .

المعنى الثاني : أن يكون زعفرانا باعتبار اللون ، مسكا باعتبار الرائحة ، وهذا من أحسن شيء يكون ، البهجة والإشراق لون الزعفران ، والرائحة رائحة المسك ، وكذلك تشبيهها بالدرمك وهو الخبز الصافي الذي يضرب لونه إلى صفرة مع لينها ونعومتها ، وهذا معنى ما ذكره سفيان بن عيينة عن أبي نجيح عن مجاهد بهذا ، أرض الجنة من فضة ، وترابها المسك ، فاللون في البيان لون الفضة ، والرائحة رائحة المسك [2] .

أرض الجنة بيضاء :

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي "ﷺ وآله" قال : ﴿ أرض الجنة بيضاء عرصتها – ساحتها – صخور الكافور ، وقد أحاط به المسك مثل كثبان الرمل ، فيها أنهار مطردة ، فيجتمع فيها أهل الجنة أدناهم وآخرهم ، فيتعارفون فيبعث الله ريح الرحمة فتهيج عليهم ريح المسك ،

---

(١) الترمذي في التفسير .
(٢) ابن أبي شيبة في المصنف .

فيرجع الرجل إلى زوجته وقد ازداد حسنا وطيبا فتقول : لقد خرجت من عندي وأنا بـــك معجبة ، وأنا بك الآن أشد إعجابا ﴾[1].

وعن أبي سعيد ﷺ قال : قال رسول الله "ﷺ وآله" : ﴿ إن الله بنى جنات عدن بيده ، وبناؤها لبنة من ذهب ، ولبنة من فضة ، وجعل ملاطها المسك الأذفر ، وترابها الزعفـــران ، وحصباؤها اللؤلؤ ، ثم قال لها : تكلمي ، فقالت : قد أفلح المؤمنون ، فقالـــت الملائكـــة : طوبى لك مترل الملوك ﴾ .

وقال أبو الشيخ : حدثنا عمرو بن الحسين ، حدثنا ابن علاثة ، حدثنا ابن جريج ، عن عطاء ، عن عبيد بن عمير ، عن أبيّ بن كعب قال : قال رسول الله "ﷺ وآله" : ﴿ قلت ليلة أسري بي : يا جبريل ، إنهم سيسألوني عن الجنة ، قال : فأخبرهم أنها من درة بيضـــاء ، وأن أرضها عِقْيَان ﴾ والْعِقْيَان : الذهب .

فإن كان ابن علاثة حفظه فهي أرض الجنتين الذهبيتين ، فيكون جبريل أخـــبره بـــأعلى الجنتين وأفضلهما ، والله أعلم .

أخرج البخاري والطبراني في الكبير عن سهل بن سعد رضي الله عنه قـــال : سمعـــت رسول "ﷺ وآله" الله يقول : ﴿ يحشرالناس يوم القيامة على أرض بيضاء ، كخبزة النَّقى ﴾ .

وأخرج البزار وابن المنذر والطبراني وابن مردويه والبيهقي في البعث ، وأبـــو نعـــيم في حلية الأولياء ، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي "ﷺ وآله" في قولـــه تعـــالى : ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ﴾ قال : ﴿ تبدل بأرض بيضاء كلها فضة ، لم يسفك فيها دم حرام ، ولم يعمل فيها خطيئة ﴾ .

وفي رواية ﴿ تبدل أرضا بيضاء مثل الفضة ، لم يعمل فيها خطيئة ، ولم يسفك عليها دم حرام ﴾ . وأخرجهما السيوطي في الدر المنثور .

---

(1) ابن أبي الدنيا في صفة الجنة .

وفي رواية أخرى : ﴿ يوم تبدل الأرض غير الأرض ﴾ قال: ﴿ تبدل خبـــزة بيضـــاء نقية، حتى يأكل المؤمن من بين رجليه ﴾ .

وفي حديث آخر : ﴿ يوم تبدل الأرض غير الأرض ﴾ قال : ﴿ يجاء بـــأرض الجنـــة ، كأنها سبيكة فضة ، لم يسفك عليها دم حرام ، ولم يعمل عليها خطيئة ﴾ .

حائط الجنة من ذهب وفضة وياقوت وزبرجد :

ذكر البيهقي من حديث البغوي عن أبي سعيد ﷺ قال : قال رسول الله "ﷺ وآلـــه" : ﴿إن الله أحاط حائط الجنة لبنة من ذهب ولبنة من فضة ، وغرس عرشها بيده ، وقال لهـــا : تكلمي، فقالت : أفلح المؤمنون ، فقال : طوبى لك مترلة الملوك﴾ .

وأخرج ابن أبي الدنيا في صفة الجنة عن قتادة عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله "ﷺ وآله" : ﴿ خلق الله جنة عدن بيده لبنة من درة بيضاء ، ولبنة من ياقوتـــة حمـــراء ، ولبنة من زبرجدة خضراء ، بلاطها المسك ، وحصباؤها اللؤلؤ ، وحشيشها الزعفـــران ، ثم قال لها: انطقي ، قالت : (قد أفلح المؤمنون) فقال الله عز وجل : وعزتي وجلالي لا يجاورني فيك بخيل ﴾ . ثم تلا رسول الله "ﷺ وآله" : ﴿وَمَن يُـــوقَ شُـــحَّ نَفْسِـــهِ فَأُوْلَئِـــكَ هُـــمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[1].

---

(١) الحشر : ٩ .

الفصل الثانى

أنهار الجنة وعيونها وزرعها وأشجارها

من أين تفجر أنهار الجنة ؟ :

أخرج الطبراني في المعجم من حديث الحسن عن سمرة ﷺ قال: قال رسول الله "ﷺ وآله": ﴿ الفردوس ربوة الجنة وأعلاها وأوسطها ومنها تنفجر أنهار الجنة ﴾ .

وروى الترمذي من حديث معاذ بن جبل وعبادة بن الصامت ﷺ : ﴿ الجنة مائة درجة، ما بين كل درجتين مسيرة مائة عام ، والفردوس أعلاها درجة ، ومنها الأنهار الأربعة، والعرش فوقها ، فإن سألتم الله فاسألوه الفردوس الأعلى ﴾ .

وفي البخاري والطبراني من حديث شعبة عن قتادة عن أنس بن مالك ﷺ أن رسول الله "ﷺ وآله" قال : ﴿ رفعت إلى سدرة المنتهى في السماء السابعة نبقها مثل قلال هجر ، وورقها مثل آذان الفيلة ، يخرج من ساقها نهران ظهران ونهران باطنان ، فقلت : يا جبريل ، ما هذا؟ قال : أما النهران الباطنان ففي الجنة ، وأما الظاهران فالنيل والفرات ﴾ .

وعن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله "ﷺ وآله" : ﴿ من آمن بالله ورسوله وأقام الصلاة وصام رمضان ؛ كان حقا على الله أن يدخله الجنة ، هاجر في سبيل الله أو جلس في أرضه التى ولد فيها ﴾ قالوا : يا رسول الله ، أفلا نبشر الناس ؟ قال : ﴿ إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله ، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض ، فإذا

سألتم الله فاسألوه الفردوس ، فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الـرحمن ، ومنـه تفجر أنهار الجنة ﴾[١].

وقال أبو حاتم البستي : معنى قوله : ﴿ فإنه أوسط الجنة ﴾ يريد الارتفاع ، وقال قتادة: الفردوس ربوة الجنة وأوسطها وأعلاها وأفضلها وأرفعها .

قد قيل : إن الفردوس اسم يشمل جميع الجنة ، كما أن جهنم اسم لجميع النيران كلها، لأن الله تعالى مدح في أول سورة (المؤمنون) أقواما وصفهم ، ثم قـال : ﴿ أُوْلَئِـكَ هُـمُ الْوَارِثُونَ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [٢] ثم أعاد ذكرهم في سـورة المعـارج فقال : ﴿ أُوْلَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ ﴾[٣] فعلمنا أن الفردوس جنات ، لا جنة واحدة . قاله وهب بن منبه .

أنهار الجنة في القرآن :

أخبرنا الله تبارك وتعالى بأن الجنة تجري من تحتها الأنهار ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِين آمَنُواْ وَعَمِلُـواْ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ﴾[٤]، وأحيانا يقول : تجرى من تحتـهم الأنهار ، كما في قوله تعالى : ﴿ أُوْلَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ ﴾[٥] .

وقد حدثنا الرسول "ﷺ وآله" عن أنهار الجنة حديثا واضحا بينا ، ففي إسرائه صلوات الله وسلامه عليه رأى أربعة أنهار يخرج من أصلها [٦] نهران ظاهران ونهران باطنان ، فقـال : ﴿ يا جبريل ، ما هذه الأنهار ؟ قال : أما النهران الباطنـان : فنـهران فى الجنـة ، وأمـا الظاهران : فالنيل والفرات ﴾[٧].

(١) البخاري . وابن ماجه وغيره.
(٢) المؤمنون : ١٠ - ١١ .
(٣) المعارج : ٣٥ .
(٤) البقرة : ٢٥ .
(٥) الكهف : ٣١ .
(٦) الضمير عائد إلى سدرة المنتهى ، كما دل على ذلك سياق بعض الأحاديث .
(٧) رواه مسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان .

وفى صحيح البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قـال رسـول الله "ﷺ وآله": ﴿ رفعت لى السدرة ، فإذا أربعة أنهار : نهران ظاهران ، ونهـران باطنـان ، فأمـا الظاهران : فالنيل والفرات ، وأما الباطنان : فنهران فى الجنة ﴾[1].

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسـول الله "ﷺ وآلـه" : ﴿سيحان وجيحان والفرات والنيل كل من أنهار الجنة﴾[2].

قيل : ولعل المراد من كون هذه الأنهار من الجنة أن أصلها منها ، فلا ينافي الحديث مـا هو معلوم مشاهد من أن هذه الأنهار تنبع من منابعها المعروفة ف الأرض ، فإذا لم يكن هذا هو المعنى أو ما يشبهه ، فالحديث من أمور الغيب التي يجب الإيمان بها ، والتسـليم للمخـبر عنها .

قال القاري : إنما جعل الأنهار الأربعة من أنهار الجنة ، لما فيها من العذوبـة والهضـم ، ولتضمنها البركة الإلهية ، وتشرفها بورود الأنبياء إليها وشربهم منها .

أنهار الجنة جارية غير متوقفة :

ذكر الله تعالى في القرآن الكريم في عدة مواضع قوله سبحانه :﴿ تَجْرِي مِـنْ تَحْتِهَـا الأَنْهَارُ ﴾[3] وفي موضع :﴿ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ ﴾[4] وفي موضع : ﴿ تَجْرِي مِن تَحْـتِهِمُ الأَنْهَارُ ﴾[5].

وهذا يدل على وجود الأنهار في الجنة حقيقة ، وأنها أنهار جارية لا متوقفة ، وأنها تحـت غرفهم وقصورهم وبساتينهم كما هو المعهود في أنهار الدنيا ، وأنهار الجنة – وإن خرجت في غير أخدود – فهي تحت القصور والمنازل والغرف وتحت الأشجار .

---

(١) جامع الأصول .
(٢) صحيح مسلم ، كتاب الجنة .
(٣) البقرة : ٢٥ .
(٤) التوبة : ١٠٠ .
(٥) الأعراف : ٤٣ .

والله سبحانه لم يقل : من تحت أرضها ، وقد أخبر سبحانه عن جريان الأنهار تحت الناس في الدنيا فقال : ﴿ أَلَمْ يَرَوْاْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاء عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا الأَنْهَارَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ ﴾(١) فهذا على ما هو المعهود المتعارف ، وكذلك ما حكاه عن قول فرعون : ﴿ وَهَذِهِ الأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي ﴾(٢).

والله تعالى يقول : ﴿ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴾(٣) قال ابن أبي شيبة : حدثنا يحي بن يمان عن أشعب ، عن جعفر ، عن سعيد قال : نضاختان بالماء والفواكه .

وعن أنس ﷺ قال : نضاختان بالمسك والعنبر ، ينضخان على دور أهل الجنة كما ينضخ المطر على دور أهل الدنيا .

وعن البراء ﷺ قال : اللتان تجريان أفضل من النضاختين .

وقال تعالى : ﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاء غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ﴾(٤).

فذكر سبحانه هذه الأجناس الأربعة ونفى عن كل واحد منها الآفة التى تعرض له في الدنيا ، فآفة الماء أن يأسن ويأجن من طول مكثه ، وآفة اللبن أن يتغير طعمه إلى الحموضة ، وأن يصير قارصا ، وآفة الخمر كراهة مذاقها المنافى للذة شربها ، وآفة العسل عدم تصفيته .

هذه من آيات ربنا سبحانه أن تجري أنهار من أجناس لم تجر العادة في الدنيا بإجرائها ، ويجريها في غير أخدود ، وينفي عنها الآفات التي تمنع كمال اللذة بها ، كما ينفي عن خمر الجنة جميع آفات خمر الدنيا من الصداع والسكر ووجع البطن وذهاب العقل وعدم اللذة .

---

(١) الأنعام : ٦ .
(٢) الزخرف : ٥١ .
(٣) الرحمن : ٦٦ .
(٤) محمد : ١٥ .

فهذه آفات من آفات خمر الدنيا تغتال العقل ويكثر اللغو على شربها ، بل لا يطيب شرابها ذلك إلا باللغو ، وتنزف في نفسها وتنزف المال ، وتصدع الرأس ، وهى كريهة المذاق، وهي رجس من عمل الشيطان يوقع العدواة والبغضاء بين الناس ، وتصد عن ذكر الله وعن الصلاة ، وتدعو إلى الزنا ، وتذهب الغيرة ، وتورث الخزي والندامة والفضيحة .

وتلحق صاحبها بأحط أنواع الإنسان ، وتسلبه أحسن السمات وتكسوه أقبحها ، وتسهل قتل النفس ، وإفشاء السر ، ومؤاخاة الشياطين في تبذير المال الذى جعله الله قياما له، وتهتك الأستار ، وتدل على العورات ، وتهون ارتكاب القبائح والمآثم ، وتجعل القلب خاليا من تعظيم المحارم .

وكم أهاجت من حرب ، وأفقرت من غني ، وأذلت من عزيز ، ووضعت من شريف ، وسلبت من نعمة ، وجلبت من نقمة ، وفسخت مودة ، ونسجت عدواة ، وكم فرقت بين زوج وزوجه فذهبت بعقله ، وراحت بلبه ، وكم أورثت من حسرة ، وأجرت من عبرة ، وكم أغلقت في وجه شاربها أبوابا من الخير ، وكم أوقعت في بلية ، وعجلت في منية ، وكم جرت على صاحبها من المحن .

فهي جماع المآثم ، ومفتاح الشر ، وسلابة النعم ، وجالبة النقم ، ولو لم يكن من رذائلها إلا أنها لا تجتمع هي وخمر الجنة في جوف عبد كما ثبت عن رسول الله "ﷺ وآله" قوله : ﴿من شرب الخمر في الدنيا لم يشربها في الآخرة﴾[1] لكفى .

خمر الجنة ؛ ما أدراك ما خمر الجنة ؟ .

يقول الإمام أبو العزائم رضي الله عنه :

خمرٌ صفا من حوض طه خُصِّصَتْ للعاشقين جمال ذات نُوِّلَتْ
دارت عليهم عند ذكر حبيبهم فتهيموا وشموسُهم لهمو بدت
عشقو الجميل فلاح فى أفق القلوب فأشرقت

(١) ابن ماجه وفي الزوائد صحيح ورجاله ثقات .

شـــــهدوا مجاليــــــه بـــــأعين فضـــــله و العـــين عـــين القلــــب منــــه تمتعـــت

بشـــــرى لهـــــم بحبيبـــــهم وشـــــهوده و فنـــــاؤهم في ذاتـــــه حـــــتى انجلـــــت

طـــــافوا علـــــيهم يـــــالرحيق مُدامـــــة من حضـــرة القـــدس الـــتي قـــد نولـــت

قـــــبلا لأمنـــــاء المقـــــام وحـــــزبهم و لأهـــل علـــيين كـــم قـــد أســـكرت

هــــي لـــــذة للشــــاربين يــــديرها فــــردٌ مــــرادٌ رُوحـــه قـــد قُدســـت

قـــد هَــمَّ يشــربها رجـــالٌ قبلـــهم صُـــعقوا ومـــا ثبتـــوا لهـــا لمـــا بـــدت

و سمعتمــــــو وشــــــربتمو وشممتمــــــو خمـــرا علـــت وتقدســـــت وتنزهـــــت

الشــــــوقُ يـــــزعجكم لأن شــــــرابكم مُزِجَـــت بنـــور الحـــق حـــتى طُلسِـــمت

فســــلوا الإلـــــهَ دوامهـــــا وتقربـــــوا بالشـــكر للمـــولى الـــذي منـــه أتـــت

صـــــلوا عليـــــه وســـــلموا بقلـــــوبكم فهـــو الحبيـــب وشمســـه قـــد أشـــرقت

يـــــا نـــــورَ قلـــــبي نظــــرةً لمتــــيَّمٍ يحيـــا بهـــا فـــالرُّوح مـــني شُـــوِّقَتْ

فإن قيل : فقد وصف سبحانه الأنهار بأنها جارية ، ومعلوم أن الماء الجاري لا يأســن ، فما فائدة قوله تعالى ﴿ غير آسن ﴾ ؟ .

قيل : الماء الجاري وإن كان لا يأسن ، فإنه إن أخذ منه شيء وطال مكثه أسن ، ومــاء الجنة لا يعرض له ذلك ولو طال مكثه ما طال .

وتأمل هذه الأنهار الأربعة التى هي أفضل أشربة الناس ، فهذا لشربهم وطهورهم ، وهذا لقوتهم وغذائهم ، وهذا للذتهم وسرورهم ، وهذا لشفائهم ومنفعتهم ، والله أعلم .

يقول القشيري رضي الله عنه : كذلك اليوم شأن الأولياء ، فلهم شراب الوفــاء ، ثم شراب الصفاء ، ثم شراب الولاء ، ثم شراب حال اللقاء .

ولكل من هذه الأشربة عمل ، ولصاحبه سكر وصحو ، فمن تحسى شراب الوفــاء لم ينظر إلى أحد في أيام غيبته عن أحبابه :

وما سَرَّ صدري منذ شط بك النوى أنيسٌ ولا كأسٌ ولا متصرف

ومن شرب كأس الصفاء خلص له عن كل شوب ، فلا كدورة في عهده ، وهو في كل وقت صاف عن نفسه ، خال عن مطالبته – أي : مطالبات حظوظ النفس – قائم بلا شغل في الدنيا والآخرة ولا أرب .

ومن شرب كأس الولاء عَدِمَ فيه القرار ، ولم يغب بسره لحظة في ليل أو نهار .

ومن شرب في حال اللقاء أنس على الدوام ببقائه ، فلم يطلب مع بقائه شيئا آخر من عطائه ، لاستهلاكه في علائه عند سطوات كبريائه .

الكوثر نهر في الجنة :

عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي "ﷺ وآله" قال : ﴿ الكوثر نهر في الجنة وعدنيه ربي عز وجل ﴾[1] فالكوثر من أنهار الجنة أعطاه الله لرسوله "ﷺ وآله" : ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴾[2]، وقد رآه الرسول "ﷺ وآله" وحدثنا عنه .

ففي صحيح البخارى عن أنس بن مالك عن النبي "ﷺ وآله" قال : ﴿ بينما أنا أسير فى الجنة ، إذ أنا بنهر حافتاه قباب الدر المجوف ، قلت : ما هذا يا جبريل ؟ قال : هذا الكوثر الذى أعطاك ربك ، فإذا طيبه – أو طينه – مسك أذفر ﴾ .

وقد فسر ابن عباس رضي الله عنهما الكوثر بالخير الكثير الذى أعطاه الله لرسوله "ﷺوآله" ، فقال أبو بشر لسعيد بن جبير راوي هذا التفسير عن ابن عباس رضي الله عنهما: إن أناسا يزعمون أنه نهر في الجنة ، فقال سعيد : النهر الذى في الجنة من الخير الذي أعطاه الله إياه .

---

(١) مسلم في الصلاة .
(٢) الكوثر : ١ .

وقد جمع الحافظ ابن كثير الأحاديث التي أخبر الرسول "ﷺ وآله" فيها عن الكـــوثر ، فمن هذه الأحاديث ما رواه مسلم في صحيحه عن أنس رضي الله عنه ، أن الرسول "ﷺ وآله" حـــين أنزلت عليه ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴾ قال : ﴿ أتدرون ما الكوثر ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم، قال : هو نهر وعدنيه الله عز وجل ، عليه خير كثير ﴾ .

وساق حديث أنس رضي الله عنه عند أحمد في مسنده عن الرسول "ﷺ وآله" قال : ﴿ أعطيـــت الكوثر، فإذا نهر يجري على ظهر الأرض ، حافتاه قباب اللؤلؤ ، ليس مســـقوفا ، فضـــربت بيدي إلى تربته ، فإذا تربته مسك أذفر ، وحصباؤه اللؤلؤ ﴾ .

وفي رواية أخرى في المسند عن أنس رضي الله عنه يرفعه : ﴿ هو نهـــر أعطانيـــه الله في الجنة ، ترابه مسك ، ماؤه أبيض من اللبن ، وأحلى من العسل ، ترده طيور أعناقها مثـــل أعناق الجزور ﴾ .

وعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله "ﷺ وآله" : ﴿ دخلت الجنة فإذا بنـــهر يجـــري حافتاه خيام اللؤلؤ ، فضربت يدي إلى ما يجري فيه من الماء فإذا أنا بمسك أذفر ، فقلت : لمن هذا يا جبريل ؟ قال : هذا الكوثر الذى أعطاك الله عز وجل ﴾[١].

وذكر البخاري من طريق شريك ، عن أنس رضي الله عنه في حديث الإســـراء : فـــإذا هـــو في السماء الدنيا بنهرين يطردان ، فقال : ﴿ ما هذا يا جبريـــل ؟، قـــال : النيـــل والفـــرات عنصرهما﴾ ، ثم مضى في السماء ، فإذا هو بنهر آخر عليه قصر من اللؤلـــؤ والزبرجـــد ، فضرب بيده فإذا هو مسك أذفر ، قال : ﴿ ما هذا يا جبريل ؟ ، قال : هذا الكوثر الـــذى خبأ لك ربك ﴾[٢].

---

(١) أحمد ، وبنحوه البخاري في الرقاق .
(٢) البخاري ، وشرح السنة للبغوي .

وروى الترمذي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله "ﷺ وآله": ﴿ الكوثر نهر في الجنة ، حافتاه من ذهب ، ومجراه على الدر والياقوت ، تربته أطيب من المسك ، وماؤه أحلى من العسل ، وأبيض من الثلج ﴾[1].

وروى أبو نعيم الفضل عن مجاهد في معنى قول الله تعالى : ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴾ قال : الخير الكثير

وقال أنس بن مالك ﷺ : نهر في الجنة .

وقالت السيدة عائشة رضي الله عنها : هو نهر في الجنة ليس يدخل أحد أصبعيه في أذنيه إلا سمع خرير ذلك النهر ، أي : يشبه صوت الخرير ، قيل : هذا معناه أن خرير ذلك النهر يشبه الخرير الذي يسمعه الإنسان حين يدخل أصبعيه في أذنيه .

جاء في كتاب : (السيدة فاطمة الزهراء من المهد إلى اللحد) للقزويني : وفي تفسير قوله تعالى : ﴿ إنا أعطيناك الكوثر ﴾ أقوال للمفسرين ، وإن كان المشهور أن الكوثر هو الحوض المعروف في القيامة ، أو النهر المشهور في الجنة ، ولكن الكوثر على وزن فَوْعل ؛ هو الشيء الكثير والخير الكثير .

وذكر السيوطي في (الدر المنثور) في تفسير شرح الكوثر : وأخرج البخاري وابن جرير والحاكم عن طريق أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهم أنه قال : الكوثر : الخير الكثير الذي أعطاه الله إياه ، قال أبو بشر : قلت لسعيد بن جبير فإن ناساً يزعمون أنه نهر في الجنة ، قال : النهر الذي في الجنة هو من الخير الكثير الذي أعطاه .

والأنسب بالمقام وبمقتضى الحال – كما في تفسير الرازي – أن يكون المقصود من الكوثر هي الصديقة فاطمة الزهراء – عليها السلام – ، فقد ذكر الطبرسي في (مجمع البيان) في تفسير سورة الكوثر ؛ قال : قيل : الكوثر هو الخير الكثير ، وقيل : هو كثرة النسل

(١) الترمذي في التفسير .

والذرية ، وقد ظهرت الكثرة في نسله – رسول الله "ﷺ وآله" – من ولد فاطمة حتى لا يحصى عددهم ، واتصل إلى يوم القيامة مددهم .

وقال الفخر الرازي في تفسيره حول الآية : الكوثر أولاده ، قالوا : لأن هذه السوره إنما نزلت ردًّا علة من عابه "ﷺ وآله" بعدم الأولاد ، فالمعنى أنه يعطيه نسلا يبقون على مر الزمان ، فانظر كم قتل من أهل البيت ؛ ثم العالم ممتلئ منهم ، ولم يبق من بني أمية في الدنيا أحد يُعبأ به ، ثم انظر كم كان فيهم من الأكابر من العلماء كالباقر والصادق والكاظم والرضا عليهم السلام والنفس الزكية وأمثالهم .

ووجه المناسبة أن الكافر شمت بالنبي "ﷺ وآله" حين مات أحد أولاده وقال : إن محمدا أبتر ، فإن مات ؛ مات ذكره .

فأنزل الله هذه السورة على نبيه "ﷺ وآله" تسلية له ، كأنه تعالى يقول : إن كان ابنك قد مات فإنا أعطيناك فاطمة ، وهي وإن كانت واحدة وقليلة ؛ ولكن الله سيجعل هذا الواحد كثيرا .

أنهار الجنة سائحة على وجه الأرض :

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : أظنكم تظنون أن أنهار الجنة أخدود فى الأرض ؟ لا والله ، إنها لسائحة على وجه الأرض ، إحدى حافتيها اللؤلؤ والأخرى الياقوت ، وطينها المسك الأذفر ، قلت : وما الأذفر ؟ قال : الذى لا خلط له[1].

وذكر سفيان الثوري عن عمرو بن مرة عن أبي عبيدة عن مسروق في قوله تعالى : ﴿وَمَاء مَّسْكُوبٍ ﴾[2] قال : أنهار تجري في غير أخدود ، قال : ﴿ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴾[3] قال : من أصلها إلى فروعها ، أو من كلمة نحوها .

---

(١) أبو نعيم في صفة الجنة .
(٢) الواقعة : ٣١ .
(٣) الشعراء : ١٤٨ .

نهر البيدخ :

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : ﴿ إن في الجنة نهرا يقال له : البيدخ ، عليه قباب من ياقوت تحته جوار ، يقول أهل الجنة : انطلقوا بنا إلى البيدخ ، فيتصفحون تلك الجواري ، فإذا أعجب رجلا منهم جارية مس معصمها فتتبعه ﴾[1].

أنهار الجنة الأربعة وجبالها :

وفى قول الله تعالى : ﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ﴾[2] روي أنها تجرى من غير أخدود ، منضبطة بالقدرة .

عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله : ﴿ من سره أن يسقيه الله عز وجل من الخمر في الآخرة فليتركه في الدنيا ، ومن سره أن يكسيه الله الحرير في الآخرة فليتركه في الدنيا ، وأنهار الجنة تفجر من تحت تلال أو تحت جبال المسك ، ولو كان أدنى أهل الجنة حلية عدلت بحلية أهل الدنيا جميعا ؛ لكان ما يحليه الله به في الآخرة أفضل من حلية أهل الدنيا جميعا ﴾[3].

وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي "ﷺ وآله" قال : ﴿ أنهار في الجنة تخرج من تحت تلال أو جبال مسك ﴾[4].

وذكر إسماعيل بن إسحاق قال : حدثنا بن أبي إدريس قال : حدثني كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف ، عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله "ﷺ وآله" : ﴿ أربعة جبال من جبال الجنة ، وأربعة أنهار من أنهار الجنة ، وأربعة ملاحم من ملاحم الجنة ﴾ قيل : فمن الأَجْبُل ؟ قال : ﴿جبل أُحد يحبنا ونحبه ، والطور جبل من جبال الجنة ، ولبنان جبل من جبال

---

(١) أبو نعيم فى صفة الجنة .
(٢) محمد : ١٥ .
(٣) أبو نعيم في الحلية ، وعدلت : أي : ساوت .
(٤) مورد الظمآن للهيثمي.

الجنة ، والجودي جبل من جبال الجنة ، والأنهار : النيل ، والفرات ، وسيحان ، وجيحان ، والملاحم : بدر ، وأحد ، والخندق ، وخيبر﴾[١].

وعن حكيم بن معاوية عن أبيه عن النبي " ﷺ وآله " قال : ﴿ إن في الجنة بحر الماء ، وبحر اللبن ، و بحر العسل ، وبحر الخمر ، ثم تنشق الأنهار بعد ذلك﴾[٢] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله "ﷺ وآله" : ﴿ سيحان وجيحان والنيل والفرات كل من أنهار الجنة﴾[٣] قال كعب : نهر دجلة نهر باجلة ، ونهر الفرات نهر لبنهم ، ونهر مصر نهر خمرهم ، ونهر سيحان نهر عسلهم ، وهذه الأنهار الأربعة تخرج من نهر الكوثر .

خصيب جبل من جبال الجنة :

وبالسند المذكور قال : غزونا مع النبي "ﷺ وآله" أول غزوة غزاها ؛ الأبواء ، حتى إذا كنا بالروحاء نزل بعرق الظبية فصلى بهم ، ثم قال : ﴿ هل تدرون ما اسم هذا الجبل ؟ ﴾ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : ﴿ هذا خصيب جبل من جبال الجنة ، اللهم فبارك فيه وبارك لأهله ﴾ ، وقال للروحاء : ﴿ هذه سجاسج واد من أودية الجنة ، ولقد صلى في هذا المسجد قبلي سبعون نبيا ، ولقد مر بها موسى عليه السلام ؛ عليه عباءتان قطوانيتان على ناقة ، ورد في سبعين ألفا من بني إسرائيل حتى جاءت البيت العتيق﴾[٤] الحديث .

خمسة أنهار من عين من عيون الجنة :

عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهم أن رسول الله "ﷺ وآله" قال : ﴿ أنزل الله عز وجل إلى الأرض خمسة أنهار : سيحون : وهو نهر الهند ، وجيحون : وهو نهر بلخ ،

(١) مجمع الزوائد للهيثمي والطبراني في المعجم الكبير ، اللآلئ المصنوعة للسيوطي ، والكامل في الضعفاء لابن عدي
(٢) سنن الترمذي ، ومشكاة المصابيح للتبريزي .
(٣) صحيح مسلم ومسند الإمام أحمد .
(٤) مجمع الزوائد للهيثمي، والطبراني في المعجم الكبير . والسجسج : الأرض ليست بصلبة ولا سهلة .

ودجلة والفرات وهما نهرا العراق ، والنيل وهو نهر مصر ، أنزلها الله من عين واحدة من عيون الجنة في أسفل درجة من درجاتها على جناحي جبريل عليه السلام ، فاستودعها الجبال، وأجراها في الأرض ، وجعل فيها منافع للناس في أصناف معايشهم ، وذلك قوله جل ثناؤه : ﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الأَرْضِ ﴾(١).

فإذا كان عند خروج يأجوج ومأجوج ؛ أرسل الله جبريل عليه السلام رفع من الأرض القرآن والعلم وجميع الأنهار الخمسة ، فيرفع ذلك إلى السماء ، فذلك قوله تعالى : ﴿وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ﴾(٢) فإذا رفعت هذه الأشياء من الأرض فقد أهلها خير الدنيا والدين﴾(٣).

عيون الجنة :

في الجنة عيون كثيرة مختلفة الطعوم والمشارب ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴾(٤) ، ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلالٍ وَعُيُونٍ ﴾(٥)، وقال في وصف الجنتين اللتين أعدهما لمن خاف ربه﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾(٦). وقال في وصف الجنتين دونهما ﴿ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴾(٧).
﴾(٧).

وفي الجنة عينان يشرب المقربون ماءهما صرفا غير مخلوط ، ويشرب منهما الأبرار الشراب مخلوطا ممزوجا بغيره .

العين الأولى :

(١) المؤمنون : ١٨ .
(٢) المؤمنون : ١٨ .
(٣) الكامل في الضعفاء لابن عدي.
(٤) الحجر : ٤٥ .
(٥) المرسلات : ٤١ .
(٦) الرحمن : ٥٠ .
(٧) الرحمن : ٦٦ .

عين الكافور ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ الأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴾[1]. فقد أخبر أن الأبرار يشربون شراهم ممزوجا من عين الكافور ، بينما عباد الله يشربوها خالصا .

العين الثانية :

عين التسنيم ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ عَلَى الأَرَائِكِ يَنظُرُونَ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ وَمِزَاجُهُ مِن تَسْنِيمٍ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ﴾[2].

في الجنة عيون كثيرة :

وفي بيان عيون الجنة قال تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴾[3] وقال تعالى : ﴿إِنّ الأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾[4] وقال بعض السلف : معهم قضبان الذهب حيثما مالوا مالت معهم .

وفي قوله تعالى : ﴿ يَشْرَبُ بِهَا ﴾ :

قال الكوفيون : الباء بمعنى : من ، أي : يشرب منها .

وقال آخرون : بل الفعل مضمن معني يشرب بها ، أي : يروى بها ، ضمنه معناه عداه تعديته .

وقالت طائفة : الباء للظرفية ، والعين اسم للمكان كما يقول : كنا بمكان كذا وكذا .

عين السلسبيل للمقربين :

---

(١) الإنسان : ٥ – ٦ .
(٢) المطففين : ٢٢ – ٢٨ .
(٣) الحجر : آية ٤٥ .
(٤) الإنسان : آية ٥ – ٦ .

ومن عيون الجنة عين السلسبيل ؛ قال تعالى : ﴿ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلا عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلا ﴾[1] فأخبر سبحانه عن العين التى يشرب بها المقربون صرفا أن شراب الأبرار يمزج منها ، لأن أولئك أخلصوا الأعمال كلها لله فأخلص شرابهم ، وهؤلاء مزجوا فمزج شرابهم .

ونظير هذا قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ عَلَى الأَرَائِكِ يَنظُرُونَ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ وَمِزَاجُهُ مِن تَسْنِيمٍ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ﴾[2].

فأخبر سبحانه عن مزاج شرابهم بشيئين : بالكافور في أول السورة ، والزنجبيل في آخرها ، فإن في الكافور من البرد وطيب الرائحة ، وفي الزنجبيل من الحرارة وطيب الرائحة، وما يحدث لهم بإجتماع الشرابين ومجيء أحدهما على أثر الآخر حالة أخرى أكمل وأطيب وألذ من كل منهما بانفراده ، ويعدل كيفية كل منهما بكيفية الآخر .

وما ألطف موقع ذكر الكافور في أول السورة والزنجبيل في آخرها ، فإن شرابهم مزج بالكافور وفيه من البرد ما يجيء الزنجبيل بعده فيعدله .

والظاهر أن الكأس الثانية غير الأولى ، وأنهما نوعان لذيذان من الشراب ؛ أحدهما : مزج بكافور ، والثاني : بزنجبيل أيضا ، فإنه سبحانه أخبر عن مزج شرابهم بالكافور وبرده في مقابلة ما وصفهم به من حرارة الخوف والإيثار والصبر؛ والوفاء بجميع الواجبات التى نبه على وفائهم بأضعفها ؛ وهو ما أوجبوه على أنفسهم بالنذر على الوفاء بأعلاها ، وهو ما أوجبه الله عليهم ، ولهذا قال : ﴿ وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴾[3].

فإن في الصبر من الخشونة وحبس النفس عن شهواتها ما اقتضى أن يكون في جزائهم من سعة الجنة ؛ ونعومة الحرير ما يقابل ذلك الحبس والخشونة ؛ وجمع لهم بين النضرة والسرور ،

---

(١) الإنسان : آية ١٧ ــ ١٨ .
(٢) المطففين : ٢٢ ــ ٢٨ .
(٣) سورة الإنسان : آية ١٢

وهذا جمال ظواهرهم ، وهذا حال بواطنهم ، كما جملوا في الدنيا ظواهرهم بشرائع الإسلام ؛ وبواطنهم بحقائق الإيمان .

ونظير قوله تعالى في آخر السورة : ﴿ عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ ﴾[1] فهذه زينة الظاهر ، ثم قال : ﴿ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴾[2] فهذه زينة الباطن المطهر لهم من كل أذى ونقص .

ونظيره قوله تعالى لسيدنا آدم عليه السلام : ﴿ إِنَّ لَكَ أَلا تَجُوعَ فِيهَا وَلا تَعْرَى وَأَنَّكَ لا تَظْمَأُ فِيهَا وَلا تَضْحَى ﴾[3] فضمن له أن لا يصيبه ذل الباطن بالجوع ؛ ولا ذل الظاهر بالعري ، وأن لا يناله حر الباطن بالظمأ ؛ ولا حر الظاهر بالضحى .

ونظير هذا ما عدده الله تعالى على عباده من نعمه أنه أنزل عليهم لباسا يواري سوآتهم ؛ ويزين ظواهرهم ، ولباسا آخر يزين بواطنهم وقلوبهم وهو لباس التقوى ، وأخبر أنه خير اللباسين في قوله تعالى : ﴿ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىَ ذَلِكَ خَيْرٌ ﴾[4].

وقريب من هذا إخباره أنه ﴿ زَيَّنَّا السَّمَاء الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ وَحِفْظاً مِّن كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ ﴾[5] فزين ظاهرها بالنجوم وباطنها بالحراسة .

وقريب منه أمره من أراد الحج بالزاد الظاهر ، ثم أخبر أن خير الزاد الزاد الباطن وهو التقوى ﴿ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى ﴾[6].

وقريب منه قول امرأة العزيز عن يوسف عليه السلام : ﴿فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ﴾[1].

---

(١) الإنسان : ٢١ .
(٢) الإنسان : ٢١.
(٣) طه : ١١٨-١١٩ .
(٤) الأعراف : ٢٦ .
(٥) الصافات : ٦-٧
(٦) البقرة : ١٩٧

فأرهن حسنه وجماله ، ثم قالت : ﴿ وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسَتَعْصَمَ ﴾[2] فـأخبرهن بجمال باطنه وزينته بالعفة ، وهذا كثير في القرآن لمتأمله .

أشجار الجنة وثمارها :

أشجار الجنة كثيرة طيبة متنوعة ، وقد أخبرنا الحق أن في الجنة أشجار العنب والنخل

والرمان ، كما فيها أشجار السدر والطلح ، ﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَـازًا حَـدَائِقَ وَأَعْنَابًـا ﴾[3]، ﴿فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾[4] ، ﴿ وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ وَمَاء مَّسْكُوبٍ وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴾[5] ، والسدر : هو شجر البنق الشائك ، ولكنه في الجنة مخضود شوكه ؛ أي : منزوع ، والطلح : شجر من شجر الحجـاز من نوع العِضاه[6] فيه شوك ، ولكنه في الجنة منضود معد للتناول بلا كد ولا مشقة .

وهذا الذي ذكره القرآن من أشجار الجنان شيء قليل مما تحويه تلك الجنان ؛ ولذا قال الحق سبحانه : ﴿ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴾[7] ، ولكثرتها فإن أهلها يدعون منها بمـا يريدون ، ويتخيرون منها ما يشتهون ﴿ يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴾[8]، ﴿ وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴾[9] ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴾[10] ، وبالجملـة فإن في الجنة من أنواع الثمار والنعيم كل ما تشتهيه النفوس وتلذه العيون ﴿ يُطَافُ عَلَـيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الأَنفُسُ وَتَلَذُّ الأَعْيُنُ ﴾[11] .

---

(١) يوسف : ٣٢ .
(٢) يوسف : ٣٢ .
(٣) النبأ : ٣١ – ٣٢ .
(٤) الرحمن : ٦٨ .
(٥) الواقعة : ٢٧- ٣٢ .
(٦) العِضَاهة ، بالكسر : أعظم الشجر ، أو كل ذات شوك ، والجمع : عِضاه وعِضون وعِضَوات .
(٧) الرحمن : ٥٢ .
(٨) ص : ٥١ .
(٩) الواقعة : ٢٠ .
(١٠) المرسلات : ٤١ – ٤٢ .
(١١) الزخرف : ٧١ .

وقد قال ابن كثير كلاما لطيفا دلل فيه على عظيم ثمار الجنة ، إذ استنتج أن الله نبه بالقليل على الكثير ، والهين على العظيم عندما ذكر السدر والطلح ؛ قال : وإذا كان السدر الذي في الدنيا لا يثمر إلا ثمرة ضعيفة وهو النبق ، وشوكه كثير ، والطلح الذى لا يراد منه في الدنيا إلا الظل ؛ يكونان في الجنة في غاية من كثرة الثمار وحسنها ، حتى إن الثمرة الواحدة منها تتفتق عن سبعين نوعا من الطعوم والألوان التي يشبه بعضها بعضا ، فما ظنك بثمار الأشجار ، التي تكون في الدنيا حسنة الثمار ؛ كالتفاح ، والنخل ، والعنب ، وغير ذلك ؟ وما ظنك بأنواع الرياحين ، والأزاهير ؟ وبالجملة فإن فيها ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، نسأل الله من فضله .

وأشجار الجنة دائمة العطاء ، فهي ليست كأشجار الدنيا تعطي في وقت دون وقت ، وفصل دون فصل ، بل هي دائمة الإثمار والظلال ﴿ مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وِظِلُّهَا ﴾[١]، ﴿ وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ لا مَقْطُوعَةٍ وَلا مَمْنُوعَةٍ ﴾[٢]، أي : دائمة مستمرة ، وهي مع دوامها لا يمنع عنها أهل الجنة .

ومن لطائف ما يجده أهل الجنة عندما تأتيهم ثمارها أنهم يجدونها تتشابه في المظهر؛ ولكنها تختلف في المخبر ﴿ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقاً قَالُواْ هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُواْ بِهِ مُتَشَابِهاً ﴾[٣].

وأشجار الجنة ذات فروع وأغصان باسقة نامية ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ فَبِأَيِّ آلاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ذَوَاتَا أَفْنَانٍ ﴾[٤]، وهي شديدة الخضرة : ﴿ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ فَبِأَيِّ آلاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ مُدْهَامَّتَانِ ﴾[٥]، ولا توصف الجنة بأنها مدهامة إلا إذا كانت أشجارها مائلة إلى السواد من شدة خضرتها ؛ واشتباك أشجارها .

---

(١) الرعد : ٣٥ .
(٢) الواقعة : ٣٢ – ٣٣ .
(٣) البقرة : ٢٥ .
(٤) الرحمن : ٤٦ – ٤٨ .
(٥) الرحمن : ٦٢ – ٦٤ .

أما ثمار تلك الأشجار فإنها قريبة دانية مذللة ينالها أهل الجنة بيسر وسهولة ﴿ مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴾[1]، ﴿ وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلاً ﴾[2].

أما ظلها فكما قال تعالى : ﴿ وَنُدْخِلُهُمْ ظِـــلاًّ ظَلِيلاً ﴾[3] ، ﴿ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴾[4] ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلالٍ وَعُيُونٍ﴾[5].

وصف بعض شجر الجنة :

حدثنا سيدنا ومولانا الرسول "ﷺ وآله" عن بعض شجر الجنة حديثا عجبا ينبيك عن خلق بديع هائل يسبح الخيال في تقديره والتعرف عليه طويلا ، ونحن نسوق لك بعـــض مـــا حدثنا الرسول "ﷺ وآله" به :

١ – الشجرة التي يسير الراكب في ظلها مائة عام :

هذه شجرة هائلة لا يقدر قدرها إلا الذي خلقها ، وقد بين الرسول "ﷺ وآله" عظـــم هذه الشجرة بأن أخبر أن الراكب لفرس من الخيل التى تعد للسباق لا يقطعها ولو سار مائة عام بأقصى ما يمكنه ، ففي الصحيحين عن أبي سعيد الخدرى **رضي الله عنه** قال : ﴿ إن في الجنة لشجرة يسير الراكب الجواد المضمر[6] السريع مائة عام وما يقطعها ﴾ .

وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي "ﷺ وآله" قـــال : ﴿ إن في الجنـــة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة سنة ، واقرءوا إن شئتم : (وظل ممدود)[7]﴾ .

(١) الرحمن : ٥٤ .
(٢) الإنسان : ١٤ .
(٣) النساء : ٧٥ .
(٤) الواقعة : ٣٠ .
(٥) المرسلات : ٤١ .
(٦) الجَوَادُ : يقال فرسٌ جَوَادٌ أي : بَيِّن الجودة ، ويقال : ضَمَّرَ الخيلَ تضميراً وأضمرها ، أي : علفها القوتَ بعد السِّمَن ، والمضمار : غاية الفرس في السياق . وقيل : المضمر : هو الفرس السابق الذي قلل علفه تدريجيا ليشتد جريه .
(٧) الواقعة : ٣٠ .

ورواه مسلم عن أبي هريرة وسهل بن سعد رضي الله عنهما عن سيدنا رسول الله "ﷺوآله" قال :﴿ إن فس الجنة لشجرة يسير الراكب فس ظلها مائة سنة لا يقطعها ﴾ .

٢ – سدرة المنتهى :

هذه الشجرة ذكرها الحق في محكم التتزيل ، وهذه الشجرة عندها جنة المأوى ، كما أعلمنا أنه قد غشيها ما غشيها مما لا يعلمه إلا الله ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى عِندَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى ﴾(١) .

وقد أخبرنا الرسول "ﷺ وآله" عن هذة الشجرة بشيء مما رآه : ﴿ ثم رفعت لي سدرة المنتهى ، فإذا نبقها مثل قلال هجر ، وإذا ورقها مثل آذان الفيلة ، قال : – أي : جبريل – هذه سدرة المنتهى ، وإذا أربعة أنهار ؛ نهران باطنان ، ونهران ظاهران ، قلت : ما هذان يا جبريل ؟ قال : أما الباطنان فنهران في الجنة ؛ وأما الظاهران فالنيل والفرات ﴾ . رواه البخارى ومسلم .

وفي الصحيحين أيضا : ﴿ ثم انطلق بي حتى انتهى إلى سدرة المنتهى ، ونبقها مثل قلال هجر ، وورقها مثل آذان الفيلة ، تكاد الورقة تغطي هذه الأمة ، فغشيها ألوان لا أدري ما هي ، ثم أدخلت الجنة ، فإذا فيها جنابذ اللؤلؤ ، وإذا ترابها المسك ﴾ .

٣ – شجرة طوبى :

هذه شجرة عظيمة كبيرة تصنع ثياب أهل الجنة ، ففى مسند أحمد ، وتفسير ابن جرير ، وصحيح ابن حبان عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله قال : ﴿ طوبى شجرة في الجنة ، مسيرة مائة عام ، ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها ﴾ .

وقد دل على أن ثياب أهل الجنة تشقق عنها ثمار الجنة الحديث الذي يرويه أحمد في مسنده : عن عبد الله بن عمرو قال : جاء رجل إلى النبي"ﷺ وآله" فقال : يا رسول الله ،

---

(١) النجم : ١٣ – ١٧ .

أخبرنا عن ثياب أهل الجنة خلقا تخلق ؛ أم نسجا تنسج ؟ فضحك بعض القوم ، فقال رسول الله : ﴿ ومم تضحكون ؛ من جاهل سأل عالما ؟ ثم أَكَبَّ[1] رسول الله "ﷺ وآله" ، ثم قال : ﴿ أين السائل ؟ ﴾ قال : هو ذا أنا يا رسول الله ، قال : ﴿ لا ، بل تشقق عنها ثمر الجنة ، ثلاث مرات ﴾ .

روى ابن أبي الدنيا وصاحب الترغيب والترهيب عن إدريس بن سنان ، عن وهب بن منبه ، عن محمد ابن عليّ قال : ثم لقيت عليّ بن الحسن بن السيدة فاطمة رضي الله عنها فحدثني قال : قال رسول الله "ﷺ وآله" : ﴿ إن في الجنة شجرة يقال لها طوبى ؛ لو سخر الجواد الراكب أن يسير في ظلها لسار فيها مائة عام قبل أن يقطع ورقها ، وبُسرها[2] بَرُود خضر ، وزهرها رباط صفر ، وأمناؤها سندس ، وإستبرق ، وثمرها حلل أحمر ، وصمغها زنجبيل وعسل ، وبطحاؤها ياقوت أحمر وزمرد أخضر ، وترابها مسك وعنبر وكافور أصفر ، وحشيشها زعفران مونع والألنجوج تتأججان من غير وقود ، ينفجر من أصلها أنهار السلسبيل ، والمعين والرحيق ، وظلها مجلس من مجالس أهل الجنة يألفونه ، ومتحدَّث لجمعهم.

فبينا هم يوما يتحدثون في ظلها إذ جاءهم الملائكة يقودون نُجُبا بُخْتا جُبِلَتْ من الياقوت لم ينفخ فيها الروح ، مزمومة بسلاسل من ذهب ، كأن وجوهها المصابيح نضارة ، وحسنا ، ووبرها خَزٌّ ومرعزى أبيض مختلطان ، حسنا وبهاءا ، ذُلُلٌ من غير مهانة ، نُجُبٌ من غير رياضة ، عليها رحال ألواحها من الدر والياقوت ، مفضضة باللؤلؤ والمرجان ، صفائحها من الذهب الأحمر ملبسة بالعبقري ، والأرجوان .

فأناخوا لهم تلك النجائب ، ثم قالوا لهم : إن ربكم يقرئكم السلام ، ويستزيركم لتنظروا إليه ، وينظر إليكم ، وتحيونه ويحييكم ، ويكلمكم ، وتكلمونه ، يزيدكم من سعته وفضله إنه ذو رحمة واسعة وفضل عظيم .

---

(١) أكَبَّ عليه وانكبّ ، أي : أقبل ولزم .
(٢) البُسْرُ : التمر قبل إرطابه ، وبرود أي : بارد .

فيتجول كل رجل منهم على راحلته ، ثم انطلقوا صفا واحدا معتدلا لايفوت منه شيء شيئا ، ولا يفوت أذن الناقة أذن صاحبها ، ولا بَرْكة ناقته بَرْكة صاحبها ، ولا يمرون بشجرة من أشجار الجنة إلا أتحفتهم بثمرها ، وزحلت لهم عن طريقهم ، كراهية أن ينثلم صفهم ويفرق بين الرجل ورفيقه .

فلما دفعوا إلى الجبار تعالى سفر لهم عن وجهه الكريم ، وتجلى لهم في عظمته العظيمة تحيتهم السلام ، قالوا : ربنا أنت السلام ، ومنك السلام ، ولك حق الجلال والإكرام ، فقال لهم ربهم : إني السلام ، ومني السلام ولي حق الجلال والإكرام ، فمرحبا بعبادي الذين حفظوا وصيتي ورعوا عهدي ، وخافوني بالغيب ، وكانوا مني على كل حال مشفقين منتصحين . قالوا : أما وعزتك وعظمتك وجلالك وعلو مكانك ، ما قدرناك حق قدرك ، وما أدينا إليك كل حقك ، فأذن لنا بالسجود لك .

فقال لهم ربهم تبارك وتعالى : إني قد وضعت عنكم مؤنة العبادة ، وأرحت لكم أبدانكم، فطالما أنصبتم لي الأبدان ، وأعنيتم لى الوجوه ، فالآن أفضيتم إلى رَوْحي ، ورحمتي ، وكرامتي ، فسلوني ما شئتم ، وتمنوا علي أعطكم أمانيكم ، فإني لن أجزيكم اليوم بقدر أعمالكم ؛ ولكن بقدر رحمتي وكرامتي وطَوْلي وجلالي وعلو مكاني وعظمة شاني ، فما يزالون في الأماني والعطايا والمواهب ؛ حتى إن المقصر منهم في أمنيته ليتمنى مثل جميع الدنيا منذ خلقها الله عز وجل إلى يوم أفناها .

فقال لهم ربهم تبارك وتعالى : لقد قصرتم في أمانيكم، ورضيتم بدون ما يحق لكم ، فقد أوجبت لكم ما سألتم وتمنيتم ، وألحقت بكم ذريتكم ، وزدتكم ما قصرت عنه أمانيكم ، وانظروا إلى مواهب ربكم عز وجل الذي وهب لكم .

فإذا بقباب في الرفيع الأعلى ، وغرف مبنية من الدر والمرجان ، أبوابها من ذهب ، وسررها من ياقوت ، وفرشها من سندس وإستبرق ، ومنابرها من نور يثور من أبوابها ، وعراصها نور شعاع الشمس عنده مثل الكوكب الدري في النهار المضيء .

وإذا بقصور شامخة في أعلى عليين يزهر نورها ، فلولا أنه مسخر لالتمع البصر ، فما كان من تلك القصور من الياقوت الأبيض فهو مفروش من العبقري الأحمر ، وما كان فيها من الياقوت الأصفر فهو مفروش بالأرجوان الأصفر ، مموه بالزمرد الأخضر والذهب الأحمر والفضة البيضاء ، قواعدها وأركانها من الجوهر ، وشرفها قباب من اللؤلؤ ، وبروجها غرف من المرجان .

فلما أبصروا إلى ما أعطاهم ربهم تبارك وتعالى . قُرِّبت لهم براذين[1] من الياقوت الأبيض منفوخ فيها الروح ، بجنبها الولدان المخلدون بيد كل واحد منهم حَكَمة بِرْذَوْن تلك البراذين ، ولجمها وأعنتها من فضة بيضاء منظومة بالدر والياقوت ، سرجها موضونة مفروشة بالسندس والإستبرق ، فانطلقت بهم تلك البراذين تزف بهم وتنظر بهم رياض الجنة ، فلما انتهوا إلى منازلهم ؛ وجدوا الملائكة قعودا على منابر من نور ينتظرونهم ليزوروهم ويصافحوهم ، ويهنئوهم بكرامة ربهم عز وجل .

فلما دخلوا قصورهم ؛ وجدوا فيها جميع ما تطوَّل به عليهم ربهم عز وجل ، مما سألوا وتمنوا ، وإذا على باب كل قصر من تلك القصور أربع جنان ؛ ذواتا أفنان ، وجنتان مدهامتان ، فيهما عينان نضاختان ، وفيهما من كل فاكهة زوجان ، وحور مقصورات في الخيام .

فلما تبوءوا منازلهم ؛ واستقر قرارهم ؛ قال لهم الرب تبارك وتعالى : هل وجدتم ما وعدتكم حقا ؟ قالوا : نعم وربنا ، قال : هل رضيتم بثواب ربكم عز وجل ؟ قالوا : نعم ربنا رضينا ، قال : رضائي أحلكم داري ، ونظرتم إلى وجهي ، وصافحتم ملائكتي ، هنيئا هنيئا لكم عطائي غير مجذوذ ، ليس فيها تنغيص ولا تصديد .

فعند ذلك قالوا : ﴿ الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور الذي أحلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب ﴾[2][3] .

---

(١) البِرْذَوْنُ : الدابة ، والجمع : بَرَاذين .
(٢) فاطر :٣٤ - ٣٥ .
(٣) صحيح الجامع الصغير .

سيد ريحان الجنة :

أخبرنا الله تعالى أن في الجنة ريحانا ﴿ فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ ﴾[1] ، وأخبرنا الرسول "ﷺ وآله" أن سيد ريحان أهل الجنة الحناء ، ففي معجم الطبراني الكبير بإسناد صحيح على شرط الشيخين عن عبد الله بن عمرو عن النبي "ﷺ وآله" قال : ﴿سيد ريحان الجنة الحناء﴾[2].

سيقان أشجار الجنة من ذهب :

ومن عجيب ما أخبرنا به الرسول "ﷺ وآله" أن سيقان أشجار الجنة من ذهب ، ففي سنن الترمذي ، وصحيح ابن حبان ، وسنن البيهقي ، بإسناد صحيح ، عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله "ﷺ وآله" قال : ﴿ ما في الجنة شجرة إلا وساقها من ذهب ﴾[3].

كيف يكثر المؤمن حظه من أشجار الجنة ؟ :

طلب خليل الرحمن أبو الأنبياء سيدنا إبراهيم عليه السلام من سيدنا محمد "ﷺ وآله" في ليلة الإسراء أن يبلغ أمته السلام وأن يخبرهم بالطريقة التي يستطيعون بها تكثير حظهم من أشجار الجنة ، فقد روى الترمذي بإسناد حسن عن ابن مسعود ﷺ قال : قال رسول الله "ﷺوآله" : ﴿ لقيت إبراهيم ليلة أسرى بي ؛ فقال : يا محمد ، أقرئ أمتك أن الجنة أرض طيبة التربة ، عذبة الماء ، وأنها قيعان ، وأن غراسها سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله، والله أكبر ﴾[4].

---

(١) الواقعة : ٨٨ – ٨٩ .
(٢) صحيح الجامع الصغير.
(٣) صحيح الجامع الصغير .
(٤) صحيح الجامع الصغير .

سدر مخضود لأصحاب اليمين :

يقول الله تعالى : ﴿ وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ وَظِلٍّ مَّمْدُود وَمَاء مَّسْكُوب وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ لا مَقْطُوعَةٍ وَلاَ مَمْنُوعَةٍ ﴾[1] وقال تعالى : ﴿ ذَوَاتَا أَفْنَانٍ ﴾[2] وهو جمع فنن ، وهو الغصن ، وقال جل شأنه : ﴿ فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴾[3].

والمخضود : الذي قد خضد شوكه ، أي : نزع وقطع فلا شوك فيه ، وهذا قول ابن عباس ومجاهد ومقاتل وغيرهم . ويقال : نَضَدَ مَتَاعَهُ يَنْضِدُهُ ونَضّدَهُ : جعل بعضه فوق بعض فهو مَنْضُودٌ ، ونَضِيدٌ ، ومُنَضَّدٌ .

عن عتبة بن عبد السلمي ﷺ قال : كنت جالسا مع رسول الله "ﷺ وآله" ؛ فجاء أعرابي فقال : يا رسول الله ، أسمعك تذكر في الجنة شجرة لا أعلم شجرة أكثر شوكا منها – يعني الطلح – فقال رسول الله "ﷺ وآله" : ﴿ إن الله جعل مكان كل شوكة منها ثمرة مثل خصوة التيس الملبود فيها سبعون لونا من الطعام لا يشبه لون آخر ﴾[4].

والتيس هو ذكر الظباء والوعول والماعز ، والملبود : هو المكتنز اللحم الذي لزم بعضه بعضا فتلبد ، وقيل : هو الذي اجتمع شعره بعضه على بعض .

لقد كان أصحاب رسول الله "ﷺ وآله" ورضي الله عنهم يقولون : إن الله لينفعنا بالأعراب ومسائلهم ، وقد روي ذلك عبد الله بن المبارك عن صفوان بن عمرو عن سليم بن عامر .

---

(١) الواقعة : ٢٧ ـ ٣٣ .
(٢) الرحمن : ٤٨ .
(٣) الرحمن : ٦٨ .
(٤) الطبراني في الكبير .

مكان كل شوكة ثمرة :

وأقبل أعرابي يوما فقال : يا رسول الله ، ذكر الله في الجنة شجرة مؤذية وما كنت أرى في الجنة شجرة تؤذي صاحبها ، قال "ﷺ وآله" : ﴿ وما هي ؟ ﴾ قال : السدر ، فإن له شوكا مؤذيا ، قال : ﴿ أليس الله يقول : (فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ) خضد الله شوكه فجعل مكان كل شوكة ثمرة ﴾[1]. والسدر : شجرة النبق . وقيل : إن الله سبحانه وتعالى لما خضد شوكه وأذهبه ، وجعل مكان كل شوكة ثمرة أوقرت بالحمل .

وقيل : المخضود الذي لا يعقر اليد ، ولا يرد اليد عن شوك ، ولا أذى فيه .

أما الطلح فكثير من المفسرين قالوا : إنه شجر الموز ، قال مجاهد : أعجبهم طلح وَجّ[2] وحسنه فقيل لهم : ﴿ وطلح منضود ﴾ وهذا قول الإمام على بن أبي طالب وابن عباس وأبي هريرة ، وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهم أجمعين .

وقالت طائفة أخرى : بل هو شجر طوال عظام ، وهو شجر البوادي الكثير الشوك عند العرب ، قال حاديهم :

بشَّروها دليلُها وقالا غدا تَرين الطلح والجبالا

وهذا الشجر نَوْر ورائحة وظل ظليل ، وقد نضد بالحمل والثمر مكان الشوك .

وقال ابن قتيبة : هذا الذي نضد بالحمل أو بالورق والحمل من أوله إلى آخره ، فليس له ساق بارز .

وقال مسروق : ورق الجنة نضير من أسفلها إلى أعلاها ، وأنهارها تجري من غير أخدود.

---

(١) الحاكم .
(٢) البخاري في التفسير ، ومسلم في الجنة . ووَجٌّ : اسم وادٍ بالطائف .

وقال أبو إسحاق : يجوز أن يعنى به شجر أم غيلان لأن له نَوْرا طيب الرائحة جـدا ، فوُعدوا بما يحبون مثله ، إلا أن فضله على ما في الدنيا كفضل سائر ما في الجنة على سائر ما في الدنيا ، فإنه ليس في الجنة عمل إلا الأسامى ، والظاهر أن من فسر الطلح المنضود بالموز إنما أراد التمثيل به لحسن نضده ، وإلا فالطلح في اللغة : هو الشجر العظام من البوادي ، والله أعلم .

شجرة الخلد – وهى شجرة الظل الممدود – :

وعن سهل بن سعد ﷺ أن رسول الله "ﷺ وآله" قال : ﴿ إن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها ﴾

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ عن النبي "ﷺ وآله" : ﴿ إن في الجنة لشجرة يسير الركب الجواد المضمر السريع في ظلها مائة عام لا يقطعها﴾ [١].

وعن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله "ﷺ وآله" : ﴿ إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها سبعين أو مائة سنة ، هى شجرة جنة الخلد ﴾[٢].

وروى ابن أبي الدنيا عن ابن عباس رضي الله عنهما : الظل الممدود : شجرة في الجنة على ساق قدر ما يسير الراكب الجد في ظلها مائة عام في كل نواحيها ، فيخرج إليها أهل الجنة وأهل الغرف وغيرهم يتحدثون في ظلها ، قال : فيشتهي بعضهم ويذكر لهو الدنيا فيرسل الله ريحا من الجنة فتحرك تلك الشجرة بكل لهو كان في الدنيا .

وعن أبي هريرة ﷺ قال : قال "ﷺ وآله" : ﴿ما في الجنة شجرة إلا وساقها من ذهب﴾[٣]، وعنه أيضا قال : قال رسول الله "ﷺ وآله" : ﴿ يقول الله : (أعددت لعبادي الصالحين ما لاعين رأت ؛ ولا أذن سمعت ؛ ولا خطر على قلب بشر) ، اقرءوا إن شئتم :

(١) البخارى فى الرقاق ، ومسلم فى الجنة . والمضمر : هو الفرس السابق الذى قلل علفه تدريجيا ليشتد جريه .
(٢) أحمد .
(٣) الترمذي في الجنة .

(فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعلمون)[1] وفي الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها ، اقرءوا إن شئتم : (وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ) وموضع سوط من الجنة خير من الدنيا وما فيها ، اقرءوا إن شئتم : (فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز)[2]﴾. رواه بهذا اللفظ والسياق الترمذي والنسائي وابن ماجه ، وصدره في الصحيحين .

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ أن رجلا قال : يا رسول الله ، طوبى لمن رآك وآمن بك ، فقال "ﷺ وآله" : ﴿ طوبى لمن رآني وآمن بى . ثم طوبى ؛ ثم طوبى ؛ ثم طوبى لمن آمن بي ولم يرني ﴾ فقال رجل : يا رسول الله ، وما طوبى ؟ قال : ﴿ شجرة في الجنة مسيرة مائة عام ، ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها ﴾ وأول هذا الحديث في المسند ولفظه : ﴿ وطوبى لمن رآنى وآمن بي، وطوبى لمن آمن بي ولم يرني ﴾ سبع مرات .

يقول عتبة بن عبد السلمى : جاء أعرابي إلى النبي "ﷺ وآله" فسأله عن الحوض وذكر الجنة ، ثم قال الأعرابي : فيها فاكهة ؟ ، قال : ﴿ نعم وفيها شجرة تدعى طوبى ﴾ فذكر شيئا لا أدري ما هو ، فقال : أي شجر أرضنا تشبه ؟ قال : ﴿ليست تشبه شيئا من شجر أرضك﴾ فقال النبي "ﷺ وآله" : ﴿ أتيت الشام ؟ ﴾ قال : لا ، قال : ﴿ تشبه شجرة بالشام تدعى الجوزة تنبت على ساق واحد ويفترش أعلاها ﴾ قال : ما عظم أصلها ؟ قال : ﴿ لو ارتحلت جذعة من إبل أهلك ما أحاطت بأصلها حتى تنكسر ترقوتهم هرما ﴾ قال : فيها عنب ؟ قال : ﴿ نعم ﴾ قال : ما عظم العنقود ؟ قال : ﴿ مسيرة شهر للغراب لا يقع ولا يفتر ﴾ قال : فما عظم الحبة ؟ قال : ﴿ هل ذبح أبوك تيسا من غنمه قط عظيما ﴾ . قال : نعم ، قال : ﴿ فسلخ إهابه فأعطاه أمك وقال لها : اتخذي لنا منه دلوا ﴾ قال : نعم ، قال الأعرابى : فإن تلك الحبة لتشبعني أنا وأهل بيتي ، قال : ﴿ نعم وعامة عشيرتك ﴾[3].

---

(١) السجدة : ١٧ .
(٢) آل عمران : ١٨٥ .
(٣) أحمد .

ويلاحظ أن سيدنا ومولانا رسول الله "ﷺ وآله" في إطار إخباره للأعرابي عما سأل؛ كان يذكره ببعض ما فعل أبوه وما قال أبوه لأمه ويقرب المسألة له ويتنزل في ضرب الأمثلة له ؛ رفقا ورحمة منه "ﷺ وآله" وحرصا على نجاة السائل بتصديقه "ﷺ وآله".

وعن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت : سمعت رسول الله "ﷺ وآله" ، وذكر سدرة المنتهى فقال : ﴿ يسير في ظل الفنن منها الراكب مائة سنة – أو قال – يستظل في الفنن منها مائة راكب ، فيها فراش الذهب ، كأن ثمرها القلال ﴾[1].

وقال عبد الله بن المبارك رضي الله عنه : أنبأنا ابن عيينة عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال : أرض الجنة من ورِق[2]، وترابها من مسك ، وأصول أشجارها ذهب وورِق ، وأفناؤها لؤلؤ وزبرجد وياقوت ، والورَق والثمر تحت ذلك ، فمن أكل قائما لم يوذه ، ومن أكل جالسا لم يؤذه ، ومن أكل مضطجعا لم يؤذه ، وذللت قطوفا تذليلا .

في نخيل الجنة وخيرها :

قال ابن المبارك رضي الله عنه : أخبرنا سفيان عن حماد بن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : نخل الجنة جذوعها زمرد أخضر وكرمها ذهب أحمر ، وسعفها كسوة لأهل الجنة منها مقطعاقم وحللهم ، وثمرها أمثال القلال ، والدلاء أشد بياضا من اللبن ، وأحلى من العسل ، وألين من الزبد ، ليس فيها عجم[3].

وقال ابن وهب : وحدثنا ابن زيد قال : قال رجل : يا رسول الله ، هل في الجنة من نخل ، فإني أحب النخل ؟ قال : ﴿ إي ، والذي نفسي بيده ، لها جذوع من ذهب ، وكرانيف من ذهب ، وجريد من ذهب ، وسعف كأحسن حلل يراها أحد من العالمين ،

---

(١) الترمذي في الجنة . والفنن : الغصن .
(٢) الورق : الفضة .
(٣) كنز العمال للمتقي الهندي ، العجم : النوى ، الكرف : أصل النخل الغلاظ العراض ، والقلال : جمع قلة وهو ما يسع جرتين من الماء ، والدلاء : جمع دلو ، ومقطعاتهم أي : الثياب القصيرة .

وعراجين من ذهب وشماريخ وكرانيف من ذهب ، وأقماع من ذهب ، وثمارها كالقلال ، وألين من الزبد وأحلى حلاوة من العسل ﴾ .

وذكر أبو الفرج بن الجوزي ، عن جرير بن عبد الله البجلي ﷺ ، عن النبي "ﷺ وآله" أنه أخذ عودا بيده فقال : ﴿ يا جرير ، لو طلبت في الجنة مثل هذا العود لم تجده ﴾ قال : فقلت: فأين النخل والشجر ؟ قال : ﴿ أصولها اللؤلؤ والذهب ، وأعلاها الثمر ﴾[(١)].

هل يزرع أهل الجنة ؟:

قال الله تعالى : ﴿ وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين ﴾[(٢)] وعن أبي هريرة ﷺ أن النبي "ﷺ وآله" كان يحدث يوما وعنده رجل من أهل البادية : ﴿ إن رجلا من أهل الجنة استأذن ربه عز وجل في الزرع ، فقال له : أولست فيما اشتهيت ؟ فقال : بلى ، ولكني أحب أن أزرع ، فأسرع ، وبذر فبادر الطرف نباته واستواؤه واستحصاده وتكويره أمثال الجبال ، فيقول الله عز وجل : دونك يا ابن آدم فإنه لا يشبعك شيء ﴾ فقال الأعرابي : يا رسول الله؛ لا نجد هذا إلا قرشيا أو أنصاريا ؛ فإنهم أصحاب زرع ، فأما نحن فلسنا بأصحاب زرع، فضحك رسول الله "ﷺ وآله"[(٣)].

فإن قيل : فكيف استأذن هذا الرجل ربه في الزرع فأخبره أنه في غنية عنه ؟ قيل : لعله استأذنه في زرع يباشره بيده وقد كان في غنية عنه وقد كفى مئونته .

وروى إبراهيم بن الحكم عن أبيه عن عكرمة قال : بينما رجل في الجنة فقال في نفسه : لو أن الله يأذن لى لزرعت ، فلا يعلم إلا الملائكة على أبوابه فيقولون : سلام عليك ، يقول لك ربك : تمنيت في نفسك شيئا فقد علمتُه ، وقد بعث الله معنا البذر فيقول : ابذروا ، فيخرج أمثال الجبال ، فيقول له الرب من فوق عرشه : كل يا ابن آدم فإن ابن آدم لا يشبع. والله أعلم .

---

(١) الحلية لأبي نعيم .
(٢) الزخرف : ٧١ .
(٣) البخاري في الحرث والمزارعة .

شجر الجنة وثمارها تنفتق عنها ثياب الجنة وخيلها ونجبها :

وعن ابن المبارك : أخبرنا معمر ، عن الأشعث ابن عبد الله ، عن شهر بن حوشب ، عن أبي هريرة ﷺ قال : في الجنة شجرة يقال لها : طوبى ، يقول الله تعالى : تفتقي لعبدي ما شاء، فتنفتق له عن فرس بسرجه ولجامه وهيئته كما يشاء ، وتنفتق له عن الراحلة برحلها وزمامها وهيئتها كما يشاء ، وعن النجائب والثياب[(١)].

ثمار الجنة وتجددها :

قال الله تعالى : ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِين آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقاً قَالُواْ هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُواْ بِهِ مُتَشَابِهاً وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾[(٢)].

وقولهم : ﴿ هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ﴾ أي : شبيهه ونظيره لا عينه ، وهل المراد: هذا الذي رزقنا في الدنيا نظيره من الفواكه والثمار ؟ أو : هذا نظير الذي رزقناه قبل في الجنة ؟.

قيل : فيه قولان :

ففى تفسير السدي عن ابن مسعود ﷺ عن ناس من أصحاب رسول الله "ﷺ وآله" قالوا: هذا الذي رزقناه من قبل أنهم أُتوا بالثمرة في الجنة ، فلما نظروا إليها قالوا : هذا الذي رزقنا من قبل في الدنيا .

وقال مجاهد ما أشبه به .

وقال ابن زيد : هذا الذي رزقنا من قبل في الدنيا ، وأتوا به متشابها يعرفونه .

---

(١) زوائد الزهد لابن المبارك .
(٢) البقرة : ٢٥ .

وقال آخرون : هذا الذي رزقنا من قبل من ثمار الجنة من قبل هذا لشدة مشابهه بعضه بعضا في اللون والطعم .

وعند ابن عجيبة الحسني ﷺ في تفسير البحر المديد ﴿ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقاً﴾ رزقاً : صنفا ، ﴿ قالوا هذا الذي رزقنا من قبل ﴾ في دار الدنيا ، فإن الطباع تميل إلى المألوف ، فالصفة متفقة والطعم مختلف ، أو في الجنة ، قيل هذا لما روي عنه "ﷺ وآله" أنه قال: ﴿ والذي نفس محمد بيده إن الرجل من أهل الجنة ليتناول الثمرة ليأكلها ما هي واصلة إلى جوفه حتى يبدل الله تعالى مكانها مثلها ﴾ فلعلهم رأوها على الهيئة الأولى ، قالوا ذلك لفرط استغرابهم وتعجبهم بما وجدوا من التفاوت العظيم في اللذة ، والتشابه البليغ في الصورة .

وجمع الإمام المجدد أبو العزائم ﷺ بين القولين وزاد عليهما قولا ثالثا في سياق تفسيره لهذه الآية الكريمة في كتابه : (أسرار القرآن) فقال : ﴿ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقاً قَالُواْ هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ﴾ يعني : كلما تفضل الله عليهم من تلك الجنة برزق وهذا الرزق من ثمارها ، تذكروا ما كان يتفضل الله به من الثمار ، فحصل لهم الأنس والبهجة برؤية ما كانوا يعهدونه في الدنيا ، فلما ذاقوه وشموه ولمسوه ظهر لهم ما أعده الله فيه من الرائحة الطيبة والطعم الشهي ، فتحققوا أنه غير ما كان في الدنيا ، فازدادوا مسرة وحبورا وشكرا لله ، وليس المراد أن الثمار هي التي قدمت لهم في الدنيا ؛ ولكن الكلام على حذف مضاف ؛ يعني هذا النوع الذى رزقنا به من قبل أو شبهه ، أو على حذف حرف الجر ؛ أي : هذا من الذي رزقنا به من قبل .

ولنا أن نؤول هذه الآية بمعنى أن الذي يقدم لأهل الجنة من الثمار يقدم لهم مرة ثانية فيظنونه من نوع واحد ، وإذا به يختلف في الطعم والشم واللمس ، فيعجبون ، لأن الشكل واللون لا يختلفان عما قدم لهم أولا ، ويأخذ العجب منهم كل مأخذ ، فتتجلى لهم عجائب قدرة الله وأسرار تصريفها في الحقائق ، ويقول لهم الملك : إن الشكل واللون واحد ولكنهما يتفاوتان في الطعم والريح من لذة وطيب ، ويكون هذا مزيد شهود لهم في معانى قدرة الله

وحكمته ، وهذا معنى قوله تعالى : ﴿ وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴾[1] فما من شيء في الجنة إلا وهو يتغير من حسن إلى أحسن ، ومن جمال إلى أجمل ، وسبحان من أكرم أحبابه بما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر .

ثم يشير الإمام إلى معنى جديد قائلا : ولك أن تقول: ﴿ هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ﴾ أي: بُشرنا به ، بمعنى : وُعِدنا ؛ بالبناء للمجهول ، أي : أن الله تعالى وعدنا بهذا رزقا لنا ، فنحن رزقناه في الدنيا بخبر رسول الله "ﷺ وآله" ، وهذا أقرب إلى الفهم وإن لم يقل به أحد من السابقين ، كما يقول أهل الجنة : ﴿ أن قد وجدنا ما عدنا ربنا حقا ﴾[2].

أما قول الله عز وجل : ﴿ وَأُتُواْ بِهِ مُتَشَابِهاً ﴾[3] : قال الحسن رضي الله عنه : خيار كله لا رذل ، ألم تروا إلى ثمر الدنيا كيف تسترذلون بعضه ، وأن ذلك ليس فيه رذل ؟ .

وقال قتادة : خيار لا رذل فيه ، فإن ثمر الدنيا ينقى منها ويرذل منها ، وكذلك قال ابن جريج وجماعة ، وعلى هذا فالمراد بالتشابه التوافق والتماثل .

وقالت طائفة أخرى منهم ابن مسعود وابن عباس وناس من أصحاب رسول الله "ﷺ وآله" رضي الله عنهم أجمعين : متشابها في اللون والمرأى ، وليس يشبه الطعم .

وقال مجاهد : متشابها لونه مختلفا طعمه ، وكذلك قال الربيع بن أنس .

وقال يحيى بن أبي كثير : عشب الجنة زعفران ، وكثبانها المسك ، ويطوف عليهم الولدان بالفاكهة فيأكلونها ، ثم يأتونهم بمثلها فيقولون : هذا الذي جئتمونا به آنفا ، فيقول لهم الخدم : كلوا فإن اللون واحد والطعم مختلف ، فهو قوله عز وجل : ﴿ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقاً قَالُواْ هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُواْ بِهِ مُتَشَابِهاً ﴾ .

---

(١) ق : ٣٥
(٢) الأعراف :٤٤
(٣) البقرة ٢٥ .

وقالت طائفة : معنى الآية : أن يشبه ثمر الدنيا ، غير أن ثمر الجنة أفضل وأطيب .
وقال ابن وهب : قال عبد الرحمن بن زيد : يعرفون أسماءه كما كانوا في الدنيا ؛ التفاح بالتفاح والرمان بالرمان ، قالوا في الجنة: ﴿ هذا الذي رزقنا من قبل وأتوا به متشابها ﴾ يعرفونه ، وليس هو مثله في الطعم . واختار جرير هذا القول .

ثمار الجنة غير مقطوعة ولا ممنوعة :

وقال الله تعالى : ﴿ جَنَّاتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ الأَبْوَابُ مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴾[1] وقال تعالى : ﴿ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ ﴾[2] وهذا يدل على أمنهم من انقطاعها ومضرتها ، وقال تعالى : ﴿ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ ﴾[3].

وقال تعالى : ﴿ وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ لا مَقْطُوعَةٍ ولا مَمْنُوعَةٍ ﴾[4] أي : لا تكون في وقت دون وقت ، ولا تمنع ممن أرادها .

ثمار الجنة ذللت لأصحابها ودنت منهم :

وقال جل شأنه : ﴿ فهو في عيشة راضية في جنة عالية قطوفها دانية ﴾[5] والقُطوف : جمع قُطف ، وهو ما يقطف ، والقَطف – بالفتحة – الفعل ، أي : ثمارها دانية قريبة ممن يتناولها فيأخذها كيف يشاء .

قال البراء بن عازب رضي الله عنه : يتناول الثمرة وهو نائم ، وقال تعالى : ﴿ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلا ﴾[6].

---

(١) ص: ٥٠ – ٥١ .
(٢) الدخان : ٥٥ .
(٣) الزخرف : ٧٢ – ٧٣ .
(٤) الواقعة : ٣٢ – ٣٣ .
(٥) الحاقة : ٢١ – ٢٣ .
(٦) الإنسان : ١٤ .

قال ابن عباس رضي الله عنهما : إذا هم أن يتناول من ثمارها تدلت له حتى يتناول ما يريد .

وقال غيره : قريب إليهم مذللة كيف شاءوا ، فهم يتناولونها قياما وقعودا ومضطجعين ، فيكون كقوله تعالى : ﴿ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴾ .

ومعنى تذليل القطف : تسهيل تناوله ، وأهل المدينة يقولون : ذلَّل النخل ، أي : سوى عروقها وأخرجها من السعف حتى يسهل تناولها .

وقيل : في نصب قول الله تعالى ﴿ دَانِيَةً ﴾ وجهان :

أحدهما : أنه على الحال عطفا على قوله تعالى ﴿ مُتَّكِئِينَ ﴾ .

والثاني : أنه صفة الجنة .

وقال تعالى : ﴿ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴾[(١)] وفي الجنتين الأخريين : ﴿ فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴾[(٢)] وخص النخل والرمان من بين الفاكهة بالذكر لفضلهما وشرفهما كما نص على حدائق النخل والأعناب في سورة النبإ ، إذ هما من أفضل أنواع الفاكهة وأطيبها وأحلاها ، وقد قال تعالى : ﴿ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ﴾[(٣)].

وعن ثوبان رضي الله عنه أن رسول الله "ﷺ وآله" قال : ﴿ إن الرجل إذا نزع ثمرة من الجنة عادت مكانها أخرى ﴾[(٤)].

ويروي عبد الله بن الإمام أحمد عن أبي موسى رضي الله عنهم قال : قال رسول الله "ﷺوآله" : ﴿ أهبط الله آدم عليه السلام من الجنة وعلمه صنعة كل شيء ، وزوده من ثمار

---

(١) الرحمن: ٥٢ .
(٢) الرحمن : ٦٨ .
(٣) محمد : ١٥ .
(٤) الطبراني فى الكبير .

الجنة ، فثماركم هذه من ثمار الجنة غير أنها تغير، وتلك لا تتغير ﴾ وقد تقدم أن سدرة المنتهى نبقها مثل القلال .

وعن جابر رضي الله عنه عن النبي "ﷺ وآله" قال : ﴿ عرضت عليَّ الجنة حتى لو تناولت منها قطفا أخذته ﴾[1] وفي لفظ : ﴿ فتناولت منها قطفا فقصرت عنه يدي ﴾ .

وعن جابر رضي الله عنه قال : بينما نحن في صلاة الظهر ، إذ تقدم رسول الله "ﷺ وآله" فتقدمنا ، ثم تناول شيئا ليأخذه ثم تأخر ، فلما قضى الصلاة قال له أبيّ بن كعب : يا رسول الله ، صنعت اليوم في صلاتك شيئا ما كنت تصنعه ؟ قال : ﴿ إنه عرضت عليَّ الجنة وما فيها من الزهرة والنضرة ، فتناولت منها قطفا من عنب لآتيكم به فحيل بيني وبينه ، ولو أتيتكم به لأكل منه من بين السماء والأرض لا ينقصونه ﴾[2].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : ثمر الجنة أمثال القلال والدلاء ، أشد بياضا من اللبن ، وأحلى من العسل ، وألين من الزبد ، ليس فيه عجم .

---

(١) مسلم في الكسوف .
(٢) أبو نعيم في صفة الجنة .

الفصل الثالث

لباس أهل الجنة وحليّهم وفرشهم

لباس أهل الجنة سندس وإستبرق :

أهل الجنة يلبسون فيها الفاخر من اللباس ، ويتزينون فيها بأنواع الحلي من الذهب والفضة واللؤلؤ ، فمن لباسهم الحرير ، ومن حلاهم أساور الذهب والفضة واللؤلؤ : قال تعالى : ﴿ وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيراً ﴾(١) ، ﴿ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤاً وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴾(٢) ، ﴿ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤاً وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴾(٣) ﴿ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَاباً طَهُوراً ﴾(٤) .

وملابسهم ذات ألوان ، ومن ألوان الثياب التي يلبسون الخضر من السندس والإستبرق ﴿ يحلون فيها من أساور من ذهب ويلبسون ثيابا خضرا من سندس وإستبرق متكئين فيها على الأرائك نعم الثواب وحسنت مرتفقا ﴾(٥)، ﴿ عاليهم ثياب سندس خضر وإستبرق وحلوا أساور من فضة ﴾(٦).

ولباسهم أرقى من أي ثياب صنعها الإنسان ، فقد روى البخارى في صحيحه عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال : أتي الرسول "ﷺ وآله" بثوب من حرير ، فجعلوا يعجبون من حسنه ولينه،

فقال رسول الله " ﷺ وآله ": ﴿ لمناديل سعد بن معاذ في الجنة أفضل من هذا ﴾(٧).

---

(١) الإنسان : ١٢ .
(٢) الحج : ٢٣ .
(٣) فاطر : ٣٣ .
(٤) الإنسان : ٢١ .
(٥) الكهف : ٣١ .
(٦) الإنسان : ٢١ .
(٧) صحيح البخاري ، كتاب بدء الخلق .

قال الله تعالى : ﴿ إن المتقين في مقام أمين في جنات وعيون يلبسون من سندس وإستبرق متقابلين ﴾[1]، وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً أُوْلَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَاباً خُضْراً مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقاً ﴾[2].

قال جماعة من المفسرين : السندس : ما رَقَّ من الديباج ، والاستبرق : ما غلظ منه ، وقالت طائفة : ليس المراد به الغليظ ، ولكن المراد به الصفيق ، أي : ليس رقيقا .

وقيل : هما نوعان من الحرير ، وأحسن الألوان : الأخضر ، وألين اللباس : الحرير ، فجمع لهم بين حسن منظر اللباس والتذاذ العين به ، وبين نعومته والتذاذ الجسم به .

وقال تعالى : ﴿ ولباسهم فيها حرير ﴾[3] وصح عن النبي "ﷺ وآله" أنه قال : ﴿ من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه فى الآخرة ﴾[4].

معنى أن من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة :

قالت طائفة من السلف والخلف : إنه لا يلبس الحرير في الجنة ويلبس غيره من الملابس، قالوا : وأما قوله تعالى : ﴿ ولباسهم فيها حرير ﴾ فمن العام المخصوص .

وقيل : هذا من الوعيد الذي له حكم أمثاله من نصوص الوعيد التي تدل على أن الفعل مقتضي لهذا الحكم وقد يتخلف عنه المانع .

وقد دل النص والإجماع على أن التوبة مانعة من لحوق الوعيد ، ويمنع من لحوقه أيضا الحسنات الماحية والمصائب المكفِّرة ودعاء المسلمين ؛ وشفاعة من يأذن الله له في الشفاعة فيه؛

---

(١) الدخان : ٥١ ـ ٥٣ .
(٢) الكهف : ٣٠-٣١ .
(٣) الحج : ٢٣ .
(٤) البخاري في اللباس ، ومسلم في اللباس .

وشفاعة أرحم الراحمين إلى نفسه والله جل وعلا لا يخلف وعده ، ولكنه قد يخلف وعيده رحمة منه وفضلا .وهذا الحديث الشريف نظير الحديث الآخر : ﴿ من شرب الخمر في الدنيا لم يشربها في الآخرة ﴾ .

جمع الله لأهل الجنة بين الزينة الظاهرة والباطنة :

وقال تعالى : ﴿ وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيراً ﴾[1] وقال : ﴿ عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ ﴾[2].

وتأمل ما دلت عليه لفظة ﴿ عَالِيَهُمْ ﴾ من كون ذلك اللباس ظاهرا بارزا يجمل ظواهرهم ليس بمنزلة الشعار الباطن ، بل الذي يلبس فوق الثياب للزينة والجمال .

واختلف المفسرون : هل ذلك للولدان الذين يطوفون عليهم فيطوفون وعليهم ثياب السندس والاستبرق ؟ أو للسادات الذين يطوف عليهم الولدان فيطوفون على ساداهم وعلى السادات هذه الثياب ؟.

وفى ﴿إِسْتَبْرَقٌ﴾ قراءتان: الرفع عطفا على ثياب، والجر عطفا على سندس، وتأمل كيف جمع لهم بين نوعي الزينة الظاهرة من اللباس والحلي ، كما جمع لهم بين الظاهرة والباطنة كما تقدم قريبا، فجمل البواطن بالشراب الطهور، والسواعد بالأساور، والأبدان بثياب حرير .

ملَك يصوغ حُلِيَّ أهل الجنة إلى أن تقوم الساعة :

قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤاً وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴾[3] .

---

(١) الإنسان : ١٢ .
(٢) الإنسان : ٢١ .
(٣) الحج : ٢٣ .

روى ابن أبي الدنيا عن كعب قال : إن لله عز وجل ملكا منذ يوم خلق يصوغ حلـيّ أهل الجنة إلى أن تقوم الساعة ، لو أن قلبا من حليّ أهل الجنة أخرج لذهب بضـوء شـعاع الشمس ، فلا تسألوا بعد هذا عن حليّ أهل الجنة .

وعن الحسن ﷺ قال : ﴿ الحليّ في الجنة على الرجال أحسن منه على النساء ﴾ .

ويقول رسول الله "ﷺ وآله" : ﴿ لو أن رجلا من أهل الجنة اطلع فبدا سواره ، لطمس ضوء الشمس كما تطمس الشمس ضوء النجوم ﴾[١].

وعن أبي هريرة ﷺ قال : إن أبا أمامة حدث أن رسول الله "ﷺ وآله" حدثهم وذكـر حليّ أهل الجنة فقال : ﴿ مسورون بالذهب والفضة ، مكللون بالدر ، عليهم أكاليل من در وياقوت متواصلة ، وعليهم تاج كتاج الملوك ، شباب مرد مكحلون ﴾[٢].

ثياب أهل الجنة لا تبلى ويشقق عنها ثمر الجنة :

وفي قول النبي "ﷺ وآله" : ﴿ من يدخل الجنة ينعم ولا يبأس ، ولاتبلى ثيابه ، ولا يفنى شبابه ، وفي الجنة ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ﴾[٣].

﴿ لا تبلى ثيابه ﴾ الظاهر أن المراد به الثياب المعينة لا يلحقها البلى ، ويحتمل أن يـراد به الجنس ، بل لا يزال عليه الثياب الجدد ، كما أن الجنة لا ينقطع أكلها في جنسه ، بل كل مأكول يخلفه آخر ، والله أعلم .

وعن عبد الله بن عمرو ﷺ قال : جاء أعرابي حرمى فقال : يا رسول الله ، أخبرنا عن الهجرة ؟ إليك أينما كنت أم لقوم خاصة ؟ أم إلى أرض معلومة إذا مت انقطعت ؟ فسـأل ثلاث مرات ثم جلس ، فسكت رسول الله "ﷺ وآله" يسيرا ، ثم قال : ﴿ أين السـائل ؟ ﴾ فقال : ها هو ذا يا رسول الله .

---

(١) أبو نعيم في صفة الجنة .
(٣) أبو نعيم في صفة الجنة
(٣) مسلم في صحيحه.

قال : ﴿ الهجرة أن تهجر الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، ثم أنت مهاجر وإن مت بالحضر ﴾ .

فقام آخر فقال : يا رسول الله ، أخبرنى عن ثياب أهل الجنة ، أتخلق خلقا أوتنسج نسجا؟ قال : فضحك بعض القوم ، فقال رسول الله "ﷺ وآله" : ﴿ تضحكون من جاهل يسأل عالما ؟﴾ فسكت النبي "ﷺ وآله" ساعة ثم قال : ﴿ أين السائل عن ثياب الجنة ؟ ﴾ فقال : ها هو ذا يا رسول الله ، قال : ﴿ لا ، بل يشقق عنها ثمر الجنة ﴾ .

وفي الطبراني في معجمه عن النبي "ﷺ وآله" قال : ﴿ أول زمرة يدخلون الجنة كأن وجوههم ضوء القمر ليلة البدر ، والزمرة الثانية لى لون أحسن كوكب درى فى السماء ، لكل واحد منهم زوجتان من الحور العين ، على كل زوجة سبعون حلة ، يرى مخ سوقها من وراء لحومها وحللها ، كما يرى الشراب الأحمر فى الزجاجة البيضاء ﴾(١).

فضل ثياب أهل الجنة على ثياب الدنيا :

وعن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله "ﷺ وآله" : ﴿ لقيد سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا ومثلها معها ، ولقاب قوس أحدكم من الجنة خير من الدنيا ومثلها معها ، ولنصيف امرأة من الجنة خير من الدنيا ومثلها معها ﴾ قال : قلت : يا رسول الله ، وما النصيف ؟ قال: ﴿ الخمار ﴾(٢).

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال : قال رسول الله "ﷺ وآله" : ﴿ إن الرجل ليتكئ في الجنة سبعين سنة قبل أن يتحول ، ثم تأتيه امرأة فتضرب على منكبيه فينظر وجهه في خدها أصفى من المرآة ، وإن أدنى لؤلؤة عليها لتضيء ما بين المشرق والمغرب ، فتسلم عليه فيرد السلام ، ويسألها : من أنت ؟ فتقول : أنا المزيد ، وإنه ليكون عليها سبعون ثوبا أدناها مثل

---

(١) الهيثمي في المجمع وعزاه للطبراني في الأوسط عن ابن مسعود ﷺ وقال : إسناد ابن مسعود صحيح.
(٢) أحمد .

النعمان من طوبى ، فينفذها بصره حتى يرى مخ ساقها من وراء ذلك ، وإن عليها التيجان، وإن أدنى لؤلؤة عليها لتضيء ما بين المشرق والمغرب ﴾[1].

وعن بن أبي الدنيا ، عن أبي أمامة رضي الله عنه عن رسول الله "ﷺ وآله" قال : ﴿ مـــا منكم من أحد يدخل الجنة إلا انطلق به إلى طوبى ، فتفتح له أكمامها فيأخذ من أي ذلـــك ، إن شاء أبيض ، وإن شاء أحمر ، وإن شاء أخضر ، وإن شاء أصفر ، وإن شاء أسود ، ومثل شقائق النعمان وأرق وأحسن ﴾ .

وعن ابن أبي الدنيا : سئل ابن عباس رضي الله عنهما : ما حلل الجنة ؟ قـــال : فيهـــا شجرة فيها ثمرة كأنه الرمان ، فإذا أراد ولي الله كسوة انحدرت إليها غصنها ، فانفلت عـــن سبعين حلة ألوانا بعد ألوان ، ثم تنطبق ترجع كما كانت ﴾ .

وعن أبي سعيد ﷺ عن رسول الله "ﷺ وآله" أن رجلا قال له : يا رسول الله ، طوبى لمن رآك وآمن بك ، فقال : ﴿ طوبى لمن رآني وآمن بي ، وطوبى ثم طوبى لمن آمن بي ولم يرني ﴾ فقال له رجل : وما طوبى ؟ قال : ﴿ شجرة في الجنة مسيرة مائة عام ، ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها ﴾ .

وقال أبو هريرة ﷺ : دار المؤمن في الجنة لؤلؤة فيها شجرة تنبت الحلل ، فيأخذ الرجل بأصبعيه – وأشار بالسبابة والإبهام – سبعين حلة ممنطقة باللؤلؤ والمرجان[2].

وعن شريح بن عبيد قال : قال كعب : لو أن ثوبا من ثياب أهل الجنة لبس اليـــوم في الدنيا لصعق من ينظر إليه وما حملته أبصارهم .

وقال عبد الله بن المبارك : أنبأنا سليمان بن المغيرة عن حميد بن هلال عن بشر بن كعب أو غيره قال : ذكر لنا أن الزوجة من أزواج الجنة لها سبعون حلة هي أرق من شقيقكم هذا، يرى مخ ساقها من وراء اللحم .

---

(١) أحمد .
(٢) ابن أبي الدنيا في صفة الجنة .

وعن أنس بن مالك ﷺ قال : أهدى أكيدر دومة إلى النبي"ﷺ وآله" جبة من سندس، فتعجب الناس من حسنها فقال : ﴿ لمناديل سعد في الجنة أحسن من هذا ﴾[1].

و من حديث البراء ﷺ قال : أهدى لرسول الله "ﷺ وآله" ثوب حرير ، فجعلوا يعجبون من لينه ، فقال رسول الله "ﷺ وآله" : ﴿ تعجبون من هذا ؟ لمناديل سعد بن معاذ في الجنة أحسن من هذا ﴾[2].

و لا يخفى ما في ذكر سعد بن معاذ بخصوصه هاهنا ، فإنه كان ﷺ بمنزلة علية ، واهتز لموته العرش ، وكان لا يأخذه في الله لومة لائم ، وختم الله تعالى له بالشهادة ، وآثر رضا الله ورسوله على رضا قومه وعشيرته وحلفائه ، ووافق حكمه الذي حكم به حكم الله تعالى ، ونعاه جبريل إلى النبي "ﷺ وآله" يوم موته ، فحُقّ له أن تكون مناديله التي يمسح بها يديه في الجنة أحسن من حلل الملوك .

فرش أهل الجنة والبسط والزرابي والنمارق :

أعدت قصور الجنة ، وأماكن الجلوس في حدائقها وبساتينها بألوان فاخرة رائعة من الفرش للجلوس والاتكاء ونحو ذلك ، فالسرر كثيرة راقية ، والفرش عظيمة القدر ، بطائنها من الإستبرق ، فما بالك بظاهرها .

وهناك ترى النمارق مصفوفة على نحو يسر الخاطر ، ويبهج النفس ، والزرابي مبثوثة على شكل منسق متكامل ، قال تعالى : ﴿ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴾[3]، ﴿ مُتَّكِئِينَ عَلَى سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴾[4] ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ الأَوَّلِينَ وَقَلِيلٌ مِّنَ الآخِرِينَ عَلَى سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ مُّتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ﴾[5].

(١) البخاري في بدء الخلق ، ومسلم في فضائل الصحابة .
(٢) البخارى في بدء الخلق ، ومسلم في فضائل الصحابة
(٣) الغاشية : ١٣ ـ ١٦ . (ونمارق مصفوفة) : وسائد بعضها بجانب بعض يستند إليها (وزرابي) : بسط طنافس لها خمل (مبثوثة) : مبسوطة .
(٤) الطور : ٢٠ .
(٥) الواقعة : ١٣ ـ ١٦.

واتكاؤهم عليها على هذا النحو نوع من النعيم الذي يتمتع به أهل الجنة حين يجتمعون كما أخبر الله تعالى : ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَاناً عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾(١) ، وقال : ﴿ مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ﴾(٢) ، ﴿ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَائِكِ ﴾(٣) . والمراد بالنمارق : المخاد ، والوسائد : المساند ، والزرابى : البسط ، والعبقرى : البسط الجياد ، الرفرف : رياض الجنة ، وقيل : نوع من الثياب ، والأرائك : السرر .

قال الله تعالى : ﴿ مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ﴾(٤) وقال تعالى : ﴿ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴾(٥) فوصف الفرش بكونها مبطنة بالإستبراق ، وهذا يدل على أمرين :

أحدهما : أن ظهائرها أعلى وأحسن من بطائنها ، لأن بطائنها للأرض ، وظهائرها للجمال والزينة والمباشرة ، قال سفيان الثوري عن أبي إسحاق عن أبي هبيرة بن مريم عن عبد الله في قوله تعالى : ﴿ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ﴾ قال : هذه البطائن قد خبرتم بها ، فكيف بالظهائر ؟ .

الثاني : يدل على أنها فرش عالية لها سمك وحشو بين البطانة والظهارة ، وقد روي في سمكها وارتفاعها آثار إن كانت محفوظة فالمراد ارتفاع محلها كما رواه الترمذي من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ عن النبي "ﷺ وآله" في قوله تعالى : ﴿ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴾ قال : ﴿ارتفاعها كما بين السماء والأرض ومسيرة ما بينهما خمسائة عام﴾(٦).

قال الترمذي : حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث رشدين بن سعد ، وقيل : معناه : أن الارتفاع المذكور للدرجات والفرش عليها .

---

(١) الحجر : ٤٧ .
(٢) الرحمن : ٧٦ .
(٣) الكهف : ٣١ .
(٤) الرحمن :٥٤ .
(٥) الواقعة :٣٤ .
(٦) الترمذي في الجنة.

وعن أبي أمامة ﷺ قال : سئل رسول الله "ﷺ وآله" عن الفرش المرفوعة قال : ﴿ لو طرح فراش من أعلاها لهوى إلى قرارها مائة خريف ﴾[1] .

يقول الله تعالى : ﴿ مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ﴾ [2] وقال تعالى : ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ﴾[3].

وعن سعيد بن جبير قال : الرفرف : رياض الجنة ، والعبقري : عتاق الزرابي .

وعن الحسن ﷺ في قوله تعالى : ﴿ مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ﴾ قال : هي البسط ، قال : وأهل المدينة يقولون : هي البسط .

وأما النمارق : هي الوسائد ؛ في قول الجميع ، وأحدها : نُمرقة – بضم النون – وقيل: بكسرها .

وقيل : هي وسائد مصفوفة بعضها إلى بعض ، أو هي الوسائد مصفوفة على الطنافس ، والطنافس : جمع طنفسة : للبُسط والثياب ، والزرابي بمعنى البسط والطنافس ، ومبثوثة : أي: مبسوطة ومنتشرة .

فتأمل كيف وصف سبحانه الفرش بأنها مرفوعة ، والزرابي بأنها مبثوثة ، والنمارق بأنها مصفوفة ، فرفع الفرش دال على سمكها ولينها ، وبث الزرابي دال على كثرتها ، وأنها في كل موضع لا يختص بها صدر المجلس دون مؤخره وجوانبه ، ووصف المساند يدل على أنها مهيئة للاستناد إليها دائما ، ليست مخبأة في وقت دون وقت ، والله أعلم .

وقد قيل : إن الفرش كناية عن النساء اللواتي في الجنة ، والمعنى نساء مرتفعات الأقدار في حسنهن وكمالهن ، والعرب تسمي المرأة فراشا ولباسا وإزارا على الاستعارة ، لأن الفرش

---

(١) الطبراني في الكبير .
(٢) الرحمن:٧٦ .
(٣) الغاشية : ١٣ – ١٦ .

محل النساء ، وفي الحديث : ﴿ الولد للفراش وللعاهر الحجر ﴾ وقال الله تعالى : ﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ﴾(١).

خيام أهل الجنة وسررهم وأرائكهم :

يقول الله تعالى : ﴿ حُورٌ مقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ﴾(٢) ومن حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي "ﷺ وآله" قال : ﴿ إن للمؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها ستون ميلا ، فيها أهلون يطوف عليهم المؤمن ، فلا يرى بعضهم بعضا ﴾(٣).

وفي لفظ آخر للبخاري ومسلم : ﴿ في الجنة خيمة من لؤلؤة مجوفة ، عرضها ستون ميلا، في كل زاوية منها أهل ما يرون الآخرين ، يطوف عليهم المؤمن ﴾ .

وفي لفظ آخر أيضا : ﴿ الخيمة درة طولها في السماء ستون ميلا ، في كل زاوية منها أهل المؤمن ، لا يراهم الآخرون ﴾ .

قيل : وهذه الخيم غير الغرف والقصور ، بل خيام في البساتين وعلى شواطئ الأنهار .

قال ابن أبي الدنيا : حدثنا بن عبد الرحمن عن أحمد بن أبي الحواري قال : سمعت أبا سليمان قال : ينشأ خلق الحور العين إنشاء ، فإذا تكامل خلقهن ضربت عليهم الملائكة الخيام .

وقال بعضهم : لما كنَّ أبكاراً ، وعادة البكر أن تكون مقصورة في خدرها حتى يأخذها بعلها ، أنشأ الله تعالى الحور وقصرهن في خدور الخيام حتى يجمع بينهن وبين أوليائه في الجنة .

ويروى ابن أبي الدنيا عن مسروق عن عبد الله قال : لكل مسلم خيرة ، ولكل خيرة خيمة ، ولكل خيمة أربعة أبواب يدخل عليها كل يوم من كل باب تحفة وهدية وكرامة لم

(١) البقرة : ١٨٧ .
(٢) الرحمن : ٤٢ .
(٣) البخاري فى بدء الخلق ، ومسلم في الجنة .

تكن قبل ذلك ، لا مزجات ، ولا زفرات ، ولا بخرات ، ولا طمحات ، حور عين كأنهن بيض مكنون[1] .

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه في قوله تعالى : ﴿ حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ﴾ قال : در مجوف

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : الخيمة لؤلؤة واحدة لها سبعون بابا كلها من درة.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : الخيمة درة مجوفة فرسخ في فرسخ ، لها أربعة آلاف مصراع من ذهب .

وقال ابن أبي الدنيا : حدثنا فضيل بن عبد الوهاب ، حدثنا شريك عن منصور عن مجاهد : ﴿ حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ﴾ قال : قال في خيام اللؤلؤ، والخيمة لؤلؤة واحدة .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما : ﴿ حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ﴾ قال : الخيمة درة من لؤلؤ مجوفة طولها فرسخ وعرضها فرسخ ، ولها ألف باب من ذهب ، حولها سرادق دوره خمسون فرسخا ، يدخل عليه من كل باب منها ملك بهدية من عند الله عز وجل ، وذلك قوله : ﴿ والملائكة يدخلون عليهم من كل باب ﴾[2] والله أعلم .

وأما السرر فقال تعالى : ﴿ مُتَّكِئِينَ عَلَى سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴾[3] وقال تعالى : ﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ الأَوَّلِينَ وَقَلِيلٌ مِّنَ الآخِرِينَ عَلَى سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ ﴾[4] وقال تعالى : ﴿ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴾[5].

فأخبر تعالى عن سررهم بأنها مصفوفة بعضها إلى جانب بعض ، ليس بعضها خلف بعض ولا بعيدا عن بعض .

---

(١) ابن أبي الدنيا في صفة الجنة .
(٢) الرعد :٢٣ .
(٣) الطور : ٢٠ .
(٤) الواقعة :١٣ ــ ١٦ .
(٥) الغاشية : ١٣ .

وأخبر أنها موضونة ، والوضن في اللغة : النضيد والنسيج المضاعف ، يقال : وضـن فلان الحجر والآجر بعضه فوق بعض فهو موضون .

وقال الليث : الوضن : نسيج السرير وأشباهه .

ويقال : درع موضونة مقاربة النسج ، وقال رجل من العرب لامرأته : ضـنِّي متـاع البيت ، أي : قاربي بعضه من بعض .

وقيل : موضونة : منسوجة بقضبان الذهب مشتبكة بالدرر واليـاقوت والزبرجـد . وقيل: موصولة بالذهب .

وقال عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما : سرر من ذهب مكللة بالزبرجـد والـدر والياقوت ، والسرير مثل ما بين مكة وأيلة .

وقيل : طول السرير في السماء مائة ذراع ، فإذا أراد الرجل أن يجلس عليه تواضع له حتى يجلس عليه ، فإذا جلس عليه ارتفع إلى مكانه .

وأما الأرائك فهي جمع أريكة ، وعن ابن عباس رضي الله عنهما في قـول الله تعـالى : ﴿مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَائِكِ﴾[١] قال : لا تكون أريكة حتى يكون السرير في الحجلـة[٢] ، فإن كان سريراً بغير حجلة لا يكون أريكة ، وإن كانت حجلة بغير سرير لم تكن أريكة ، ولا تكون أريكة إلا والسرير في الحجلة ، فإذا اجتمعا كانت أريكة .

وقال أبو إسحاق : الأرائك : الفرش في الحجال .

وفي الصحاح : الأريكة سرير متخذ مزين في قبة أو بيت ، فإذا لم يكن فيه سرير فهـو حجلة ، والجمع : الأرائك .

---

(١) الكهف :٣١.
(٢) الحَجَلَةُ : ساتر كالقبة يزين بالثياب والستور للعريس ، والجمع : حَجَلٌ وحِجَالٌ .

وفي الحديث : (أن خاتم النبيين " ﷺ وآله " كان مثل زِرِّ الحَجَلة)[1] وهو الزِرُّ الذي يجمع بين طرفيها من جملة أزرارها ، والله أعلم .

الرفرف والعبقري :

يقول الليث عن الرفرف : ضرب من الثياب خضر تبسط ، والواحد : رفرفة ، ويقول أبو عبيدة : الرفارف : البسط ، ويقول أبو إسحاق : قالوا : الرفرف ها هنا : رياض الجنة .

وقيل : الوسائد .

وقيل : هو فضول الثياب التي تتخذه الملوك في الفرش وغيره ، والعرب تسمي كسر الخباء والخرقة التي تخاط في أسفل الخباء: رفرفا، ومنه الحديث في انتقال رسول الله "ﷺ وآله": (فرفع الرفرف فرأينا وجهه كأنه ورقة)[2].

العبقري : هو السيد من الرجال ، وهو الفاخر من الحيوان والجوهر ، يقول ابن عباس رضي الله عنهما : (وعبقري) : يريد البسط والطنافس ، وقال الكلبي : هي الطنافس المجملة ، وقال مجاهد : الديباج الغليظ ، وعبقري : جمع واحده عبقرية ولهذا وصف بالجمع .

(١) البخاري في الوضوء ، ومسلم في الفضائل .
(٢) البخاري في الأذان . وورقة .: أي في الورق كالجمال وحسن البشرة ، والحديث عند مسلم في الصلاة بلفظ : " كأن وجهه ورقة مصحف " .

الباب الرابع عشر

دواب الجنة وطيورها وسوقها ومراكبها
وكلام أهلها وأمانيهم وزيارة بعضهم بعضاً

الفصل الأول

دواب الجنة وطيورها وسوقها ومراكب أهلها

طيور الجنة ودوابها :

في الجنة من الطيور والدواب ما لا يعلمه إلا الله تعالى ، قال تعالى فيما يناله أهل الجنة من النعيم : ﴿ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ وَحُورٌ عِينٌ ﴾[1] ، وفي سنن الترمذي عن أنس ﷺ قال: سئل رسول الله "ﷺ وآله" ما الكوثر ؟ قال : ﴿ ذاك نهر أعطانيه الله – يعني في الجنة – أشد بياضا من اللبن ، وأحلى من العسل ، فيه طير أعناقها كأعناق الجزر ﴾[2] . قال عمر رضي الله عنه : إن هذه لناعمة ، قال رسول الله "ﷺ وآله" : ﴿ أكلتها أنعم منها ﴾[3].

وأخرج أبو نعيم في الحلية ، والحاكم في مستدركه عن ابن مسعود ﷺ قال : جاء رجل بناقة مخطومة ، فقال : يا رسول الله ، هذه الناقة في سبيل الله فقال "ﷺ وآله" : ﴿ لك بها سبعمائة ناقة مخطومة[4] في الجنة ﴾ . وقال الحاكم : صحيح على شرط الشيخين .

ورواه مسلم في صحيحه عن أبي مسعود الأنصاري ﷺ ، قال : جاء رجل بناقة مخطومة، فقال : هذه في سبيل الله ، فقال رسول الله "ﷺ وآله" : ﴿ لك بها يوم القيامة سبعمائة ناقة كلها مخطومة ﴾[5].

وخرجه الثعلبي ، من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه أن النبي "ﷺ وآله" قال : ﴿ إن في الجنة طيرا مثل أعناق البخت تصطف على يد وليّ الله فيقول أحدها : يا وليَّ الله ، رعيتُ في مروج الجنة تحت العرش ، شربت من التنسيم ، فكل مني ، لايزلن يفتخرن بين يديه حتى

---

(١) الواقعة : ٢١ – ٢٢ .
(٢) الجزر : الجمال .
(٣) مشكاة المصابيح رواه الترمذى وقال : حديث حسن غريب .
(٤) مخطومة : فيها خطام وهو قريب من الزمام .
(٥) صحيح مسلم .

يخطر على قلبه أكل أحدها ، فيخر بين يديه على ألوان مختلفة ، فيأكل منه ما أراد ، فإذا شبع تجمع عظام الطير فيطير يرعى في الجنة حيث شاء ﴾ ، فقال عمر رضي الله عنه : يا نبي الله إنها لناعمة ، قال : ﴿ آكلها أنعم منها ﴾[1].

عن سليمان بن بريدة ، عن أبيه ، أن رجلا سأل النبي "ﷺ وآله" فقال : يا رسول الله ، هل في الجنة من خيل ؟ قال : ﴿ إن أدخلك الله الجنة فلا تشاء أن تحمل فيها على فرس من ياقوته حمراء تطير بك حيث شئت إلا فعلت ﴾ قال : وسأله رجل فقال : يا رسول الله ، هل في الجنة من إبل ؟ قال : فلم يقل له ما قال لصاحبه فقال : ﴿ إن يدخلك الله الجنة لك فيها ما اشتهت نفسك ولذت عينك ﴾[2].

وذكر ابن وهب قال : حدثنا ابن يزيد قال : كان الحسن البصري يذكر عن رسول الله "ﷺ وآله" : ﴿ إن أدنى أهل الجنة منزلة الذي يركب في ألف ألف من خدمه من الولدان المخلدين على خيل من ياقوت أحمر ، لها أجنحة من ذهب ، اقرءوا إن شئتم : (وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيماً وَمُلْكاً كَبِيراً)[3] ﴾[4].

وذكر ابن المبارك عن شفي بن ماتع ، أن رسول الله "ﷺ وآله" قال : ﴿ إن من نعيم أهل الجنة أنهم ليتزاورون على المطايا والنجب ، وأنهم يأتون في يوم الجمعة بخيل مسرجة ملجمة لا تروث ولا تبول فيركبونها حتى ينتهوا حيث شاء الله ﴾[5] وذكر الحديث .

وعن عكرمة عن ابن عباس أنه ذكر مراكبهم ، ثم تلا قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيماً وَمُلْكاً كَبِيراً ﴾[6].

---

(١) إتحاف السادة المتقين ، مصنف ابن أبي شيبة .
(٢) سنن الترمذي .
(٣) الإنسان : ٢٠ .
(٤) الدر المنثور للسيوطي ، مصنف ابن أبي شيبة .
(٥) الترغيب والترهيب للمنذري .
(٦) ذكره ابن المبارك فى زوائد الزهد .

وحكى عن عبد الله بن المبارك أنه خرج إلى غزو فرأى رجلا حزينا قد مات فرسه فبقى محزونا ، فقال له : بعنى إياه بأربعمائة درهم ، ففعل الرجل ذلك ، أي : باعه له ، فرأى من ليلته في المنام كأن القيامة قامت وفرسه في الجنة وخلفه سبعمائة فرس ، فأراد أن يأخذه فنودي : أن دعه ، فإنه لابن المبارك وقد كان لك بالأمس ، فلما أصبح جاء إليه وطلب الإقالة ، فقال له : ولم ؟ قال : فقص عليه القصة فقال : اذهب فما رأيته في المنام رأيناه في اليقظة .

قال القرطبي الذي أورد ذلك في كتابه " التذكرة " : وهذه الحكاية صحيحة لأنها في معنى ما ثبت في صحيح مسلم عن بن مسعود ﷺ كما ذكرناه .

وروى من حديث عطاء بن يسار عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله "ﷺ وآله" وذكر الجنة ، فقال : ﴿ والفردوس أعلاها سموا ، وأوسعها منه محلا ، ومنها تفجر أنهار الجنة، وعليها يوضع العرش يوم القيامة ﴾ : فقام إليه رجل فقال : يا رسول الله، إني رجل حبب إليَّ الخيل ، فهل في الجنة خيل ؟ قال : ﴿ إي والذي نفسي بيده إن في الجنة لخيلا وإبلا هفافة تزف بين خلال ورق الجنة ، يتزاورون عليها حيث شاءوا ﴾ .

سوق الجنة وما أعده الله فيها :

هل يوجد في الجنة سوق يلتقي فيه أهلها ؟ .

نعم ، في الجنة سوق يأتيها أهل الجنة في كل جمعة ولكنها ليست كسوق الدنيا ، إنها سوق يفاض فيها الجمال الإلهي على أهل الجنة فيزدادون بهاءا وحسنا وجمالا ، إنها سوق رفعة ونضارة ، إنها جمعية كبرى لأهل الجنة على الله يزيدهم فيها من عطاياه ويتفضل عليهم بعظيم المنن والنعم .

روى الإمام مسلم في صحيحه عن أنس بن مالك ﷺ أن رسول الله "ﷺ وآله" قال : ﴿إن في الجنة لسوقا يأتونها كل جمعة ، فتهب ريح الشمال فتحثو في وجوههم ، وثيابهم ، فيزدادون حسنا وجمالا ، فيرجعون إلى أهليهم ، وقد ازدادوا حسنا وجمالا ، فيقول لهم

أهلوهم : والله لقد ازددتم بعدنا حسنا وجمالا ، فيقولون : والله وأنتم ازددتم بعدنا حسنا وجمالا﴾ .

قال النووي في شرحه لهذا الحديث : المراد بالسوق مجمع لهم يجتمعون كما يجتمع الناس في الدنيا في السوق ، ومعنى يأتونها كل جمعة ، أي : في مقدار كل جمعة ، أي: أسبوع ، وليس هناك حقيقة أسبوع لفقد الشمس والليل والنهار ، ....

وخص ريح الجنة بالشمال ، لأنها ريح المطر عند العرب ، كانت تهب من جهة الشام ، وبها يأتي سحاب المطر ، وكانوا يرجون السحابة الشامية ، وجاءت في الحديث تسمية هذه الريح المثيرة ، أي : المحركة ، لأنها تثير في وجوههم ما تثيره من مسك أرض الجنة وغيره من نعيمها .

وروى أحمد في مسنده عن عفان عن حماد بن سلمة وقال : فيها كثب من المسك ، فإذا أخرجوا إليها هبت الريح .

وأخرج الترمذي وابن ماجه وابن أبي عاصم في كتاب السنة عن سعد بن المسيب رضي الله عنه أنه لقي أبا هريرة رضي الله عنه فقال أبو هريرة : أسأل الله أن يجمع بيني وبينك في سوق الجنة ، فقال سعيد : أو فيها سوق ؟

قال : نعم ، أخبرني رسول الله "ﷺ وآله" : ﴿ أن أهل الجنة إذا دخلوها ، نزلوا بفضل أعمالهم ، فيؤذن لهم في مقدار يوم الجمعة من أيام الدنيا ، فيزورون الله تبارك وتعالى ، فيبرز لهم عرشه ، ويتبدى لهم في روضة من رياض الجنة ، فيوضع لهم منابر من نور ، ومنابر من لؤلؤ ، ومنابر من زبرجد ، ومنابر من ياقوت ، ومنابر من ذهب ، ومنابر من فضة ، ويجلس أدناهم – وما فيها دني– على كثبان المسك والكافور ، ما يرون أن أصحاب الكراسي بأفضل منهم مجلسا ... ﴾ .

وروى ابن المبارك في الزهد عن حميد الطويل عن أنس بن مالك قال : إن في الجنة سوقا فيها كثبان مسك ، يخرجون إليها ، ويجتمعون إليها ، فيبعث الله ريحا فتدخلها بيوتهم ، فيقول

لهم أهلوهم إذا رجعوا إليهم : قد ازددتم حسنا بعدنا ، فيقولون لأهليهم : قد ازددتم أيضا بعدنا حسنا .

وخرجه ابن ماجه مكملا وفيه بعد قوله ، قال : نعم : أخبرني رسول الله "ﷺ وآله" قال: ﴿ إن أهل الجنة إذا دخلوا الجنة نزلوا فيها بفضل أعمالهم ، فيؤذن لهم في مقدار يوم الجمعة من أيام الدنيا ، فيرون الله ويبرز لهم عرشه ، ويبرز لهم في روضة من رياض الجنة ، فتوضع لهم منابر من نور ومنابر من لؤلؤ ، ومنابر من ياقوت ، ومنابر من زبرجد ، ومنابر من ذهب، ومنابر من فضة ، ويجلس أدناهم – وما فيهم دني – على كثبان المسك والكافور ، ما يرون بأن أصحاب الكراسي أفضل منهم مجلسا ﴾ .

قال أبو هريرة : قلت يا رسول الله ، هل نرى ربنا ؟ قال : ﴿ نعم ، هل تتمارون في رؤية الشمس والقمر ليلة البدر ﴾ ؟ قلنا : لا ، قال : ﴿ كذلك لا تمارون في رؤية ربكم عز وجل ، ولا يبقى في ذلك المجلس أحد إلا حاضره الله محاضرة ، حتى إنه يقول للرجل منكم : ألا تذكر يا فلان يوم عملت كذا وكذا ، يذكره بعض غدراته في الدنيا ، فيقول : يا رب ، ألم تغفر لى ؟ فيقول : بلى ، فبسعة مغفرتي بلغت متزلتك هذه ، فبينما هم كذلك إذ غشيتهم سحابة من فوقهم ، فأمطرت عليهم طيبا لم يجدوا مثل ريحه شيئا قط ، ثم يقول : قوموا إلى ما أعدت لكم من الكرامة فخذوا ما اشتهيتم ، قال : فنأتي سوقا ﴾ الحديث بلفظه ومعناه ، إلى أن قال : ﴿ وذلك لأنه لا ينبغي لأحد أن يحزن فيها ﴾. قال : ﴿ ثم ننصرف إلى منازلنا فتلقانا أزواجنا ، فيقلن : مرحبا وأهلا لقد جئت وإن بك من الجمال والطيب أفضل مما فارقتنا عليه ، فيقولون : إنا جالسنا اليوم ربنا الجبار ، وبحقنا أن ننقلب بمثل ما انقلبنا ﴾[1].

وعن الإمام عليّ عليه السلام : قال رسول الله "ﷺ وآله" : ﴿ إن في الجنة لسوقا ما فيها بيع ولا شراء إلا الصور من الرجال والنساء ، فإذا اشتهى الرجل صورة دخل فيها ﴾ . قيل: هذا حديث غريب .

---

(١) سنن ابن ماجه .

وروى أبو هدبة إبراهيم بن هدبة قال : حدثنا أنس بن مالك ﷺ قال : قال رسـول الله "ﷺ وآله" : ﴿ إن في الجنة أسواقا لا شراء فيها ولا بيع ، أهل الجنة لما أفضـوا إلى رَوْح الجنة ، جلسوا متكئين على لؤلؤ رطب وترابها مسك ، يتعارفون في تلك الجنان كيف كانت الدنيا وكيف كانت عبادة الرب ، وكيف يُحيي الليل ويُصام النهار ، وكيف كان فقر الدنيا وغناؤها ، وكيف كان الموت وكيف صرنا بعد طول البلاء من أهل الجنة ﴾ . والله أعلم .

مراكب أهل الجنة وخيولهم :

عن سليمان بن بريدة عن أبيه ﷺ أن رجلا سأل النبي "ﷺ وآله" فقال : يا رسول الله ، هل في الجنة من خيل ؟ قال : ﴿ إن أدخلك الله الجنة فلا تشاء أن تحمل فيها على فرس من ياقوتة حمراء يطير بك في الجنة حيث شئت ﴾ قال : وسأله رجل فقال : يا رسول الله ، هل في الجنة من إبل ؟ قال : فلم يقل ما قال لصاحبه ، قال : ﴿ إن أدخلك الله الجنة يكن لك فيها ما اشتهت نفسك ولذت عينك ﴾[1].

وعن أبي أيوب ﷺ قال : أتى النبي "ﷺ وآله" أعرابي فقال : يا رسول الله ، إني أحب الخيل ، أفي الجنة خيل ؟ قال رسول الله "ﷺ وآله" : ﴿ إذا دخلت الجنة أتيت بفرس من ياقوتة له جناحان فحملت عليه ثم طار بك حيث شئت ﴾[2] ، وقد رواه أبو نعيم عن أبي هريرة ﷺ أن أعرابيا قال : يا رسول الله ، أفي الجنة إبل ؟ قال : ﴿ يا أعرابي إن يدخلك الله الجنة رأيت فيها ما تشتهي نفسك وتلذ عينك ﴾ .

ورواه أيضا عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله "ﷺ وآله" وذكر الجنة فقال : ﴿والفردوس أعلاها سموا ، وأوسعها منه محلا ، ومنها تفجر أنهار الجنة ، وعليها يوضع العرش يوم القيامة﴾ فقام إليه رجل فقال : يا رسول الله ، إني رجل حبب إليّ الخيل فهل في الجنة خيل ؟ قال : ﴿ إي والذي نفسي بيده إن في الجنة لخيلا وإبلا هفافة تزف بين خلال

---

(١) الترمذي في الجنة .
(٢) الترمذي في الجنة .

ورق الجنة ، يتزاورون عليها حيث شاءوا ﴾ وقام رجل فقال : يا رسول الله إني حبب إلى الإبل .... وذكر الحديث .

وروى أبو الشيخ عن جابر بن عبد الله ﷺ عن النبي"ﷺ وآله" قال : ﴿ إذ دخل أهل الجنة الجنة جاءهم خيول من ياقوت أحمر لها أجنحة ، لا تبول ولا تروث ، فقعدوا عليها ثم طارت بهم في الجنة ، فتجلى لهم الجبار ، فإذا رأوه خروا سجدا ، فيقول لهم الجبار تعالى : ارفعوا رؤوسكم فإن هذا ليس يوم عمل ، إنما هو يوم نعيم وكرامة ، فيرفعون رؤوسهم فيمطر الله عليهم طيبا ، فيمرون بكثبان المسك فيبعث الله على تلك الكثبان ريحا فتهيجها عليهم حتى إنهم ليرجعوا إلى أهليهم وإنهم لشعث غبر ﴾ .

السحاب والمطر الذي يصيب أهل الجنة :

قد تقدم في حديث سوق الجنة أنه يغشاهم يوم الزيارة سحابة من فوقهم فتمطر عليهم طيبا لم يجدوا مثل ريحه قط .

وروى بقية بن الوليد عن كثير بن مرة قال : إن من المزيد أن تمر السحابة بأهل الجنة فتقول : ماذا تريدون أن أمطركم ؟ فلا يتمنون شيئا إلا أمطروا .

قال عبدالله بن المبارك : أنبأنا إسماعيل بن عياش قال : حدثني ثعلبة بن مسلم عن أيوب بن بشير العجلي عن شفي بن ماتع أن رسول الله "ﷺ وآله" قال : ﴿ إن من نعيم أهل الجنة أنهم يتزاورون على المطايا والنجب ، وأنهم يؤتون في الجنة بخيل مسرجة ملجمة لا تروث ولا تبول ، يركبونها حتى ينتهوا حيث شاء الله ، فيأتيهم مثل السحابة فيها ما لاعين رأت ولا أذن سمعت ، فيقولون : أمطري علينا ، فما يزال المطر عليهم حتى ينتهي ذلك فوق أمانيهم .

ثم يبعث الله ريحا غير مؤذية فتنسف كثبانا من مسك عن أيمانهم وعن شمائلهم ، فيأخذون ذلك المسك في نواصى خيولهم وفي مفارقهم وفي رؤوسهم، ولكل رجل منهم جُمَّة على ما اشتهت نفسه ، فيتعلق ذلك المسك في تلك الجمام وفي الخيل وفيما سوى ذلك من الثياب ، ثم يقبلون حتى ينتهوا إلى ما شاء الله .

فإذا المرأة تنادي بعض أولئك : عبد الله ، أما لك فينا حاجة ؟ فيقول : ما أنت ومن أنت ؟ فتقول : أنا زوجتك وحِبك ، فيقول : ما كنت علمت بمكانك ، فتقول المرأة : أو ما تعلم أن الله تعالى قال : ﴿فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاء بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[1] فيقول : بلى وربي ، فلعله يشتغل عنها بعد ذلك الموقف أربعين خريفا ، ما يشغله عنها إلا ما هو فيه من النعيم ﴾ .

(١) السجدة : ١٧ .

الفصل الثانى

كلام أهل الجنة وأمانيهم وزيارة بعضهم بعضاً

كلام أصحاب الجنة لأصحاب النار:

في معنى قول الله تعالى : ﴿ وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّاً فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقّاً قَالُواْ نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ اللّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾(١) يبين الإمام أبو العزائم ﷺ أن هذا خبر من الله تعالى عما يكون بين أصحاب الجنة وأصحاب النار ؛ من إظهار المسرة والفرح من أصحاب الجنة بما فازوا به من النعيم المقيم ، ومن الشماتة بأصحاب النار الذين كانوا طالما يؤذونهم ويعيرونهم في الدنيا .

وهذا الخبر يقتضى أن نتلقاه عن الله تعالى بالتسليم والإيمان ، فإن الذي خلق السموات والأرض بكلمة قادر أن يكشف الحجاب عن أهل الجنة فيرونهم ويتكلمون معهم كلام القريب للقريب ، ليزيدهم فرحا وحبورا ، وقادر أن يكشف الحجاب عن أهل النار ليشهدوا أهل الجنة وما هم فيه من الفرح والبهجة فيضاعف لهم العذاب برؤيتهم ، ويسمعون كلام أهل الجنة ، ويسمعونهم كلامهم كما يتكلم الواحد منا مع الجالس معه في تلك الدار الدنيا .

وهذا الخبر لا يشك فيه مسلم ، فإن القادر الذي لا يعجزه شيء إذا أخبرنا خبرا يجب علينا التسليم به تسليما ، ولا نتأوله بحسب عقولنا وحسنا ، لأن نداء أصحاب الجنة أصحاب النار خبر من الله القادر سبحانه.

ومعنى قوله تعالى : ﴿ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّاً ﴾ أي : ما وعدنا به من النعيم المقيم الذى نحن فيه الآن ، والذى بشرنا به سبحانه على لسان خاتم أنبيائه سيدنا ومولانا

---

(١) الأعراف : ٤٤ .

محمد "ﷺ وآله" من أننا إذا آمنا به واتبعناه وسارعنا إلى القيام بما كلفنا به ، نفوز بـــالنعيم المقيم في روضات الجنان في مسرات أبديه لا نهاية لها ، و(حقا) أي : محققا .

﴿ فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقّاً ﴾ الفاء هنا فاء الفصيحة رابطة لجواب شرط مقدر ، وتقديره : إذا ثبت وجود ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعدكم به سبحانه على ألســـنة أنبيائه عليهم السلام من أليم عقوبته وشديد عذابه على كفركم بالله تعالى وعلى تكـــذيبكم بآياته ﴿ حَقّاً ﴾ أي : محققا ﴿ قَالُواْ نَعَمْ ﴾ أي : وجدنا ما توعدنا به الله حقا محققا .

﴿ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ اللّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾ الأذان هو الإعلام والإنباء ، وإنمـــا سمي أذانا لأن فيه رفع الصوت وتبليغ الخبر ، وقوله تعالى : ﴿ بَيْنَهُمْ ﴾ أي : بين أصـــحاب الجنة وأصحاب النار ، ولما كان الأذان فيه معنى القول كانت ﴿ أَن ﴾ تفسيريه بمعـــنى : أي ﴿لَّعْنَةُ اللّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ أي : غضبه ومقته وسخطه وأليم عذابه على الذين ظلموا أنفسهم بالكفر بالله وبتكذيبهم لآياته ورسله .

كلام أصحاب النار لأصحاب الجنة :

أما كلام أصحاب النار لأصحاب الجنة فقد أخبر الله تعالى عنـــه بقولـــه : ﴿ وَنَـــادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُواْ عَلَيْنَا مِنَ الْمَاء أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللّهُ قَـــالُواْ إِنَّ اللّـــهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾(١) وسبب هذا الخبر من الله تعالى أن أهل النار يقولون : يا ربنا إن لنا ذوي قربى في الجنة نريد أن نكلمهم ؛ فيسِّر لنا الكلام معهم ، فيقولون لأشخاص معلومين لهم في الدنيا ﴿ أَنْ أَفِيضُواْ ﴾ أن : تفسيرية ، بمعنى : أفيضوا علينا من الماء لاحتراق قلوبنا من الظمأ ، أو مما رزقكم الله من الطعام لاحتراق بطوننا من الجوع .

﴿ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ . هذه الآية مؤكدة بحرف التوكيد ، وهـــي جملة اسمية تثبت استحالة نيل أهل النار من خيرات الجنة ، لأن أهل الكفر بالله أبـــاحوا مـــا حرمه الله تعالى من الأكل والشرب في الدنيا فانتقم الله منهم بالجوع والعطش في نار جهنم،

---

(١) الأعراف : ٥٠ .

وهذا جزاء من أحل ما حرم الله وحرم ما أحله ، كالبحيرة والسائبة والوصيلة والحام ...... إلخ .

التسبيح والتكبير من نعيم أهل الجنة :

الجنة دار جزاء وإنعام ، لا دار تكليف واختبار ، وقد يشكل على هذا ما رواه البخاري وغيره عن أبي هريرة ﷺ عن الرسول "ﷺ وآله" في صفة أول زمرة تدخل الجنة ، قال في آخره: ﴿ يسبحون الله بكرة وعشيا ﴾[1]، ولا إشكال في ذلك إن شاء الله تعالى ، لأن هذا ليس من باب التكليف ، قال ابن حجر في شرحه للحديث : قال القرطبي : هذا التسبيح ليس عن تكليف وإلزام ، وقد فسره جابر في حديثه عند مسلم بقوله : يُلهمون التسبيح والتكبير كما تلهمون النفَس .

ووجه التشبيه أن تنفس الإنسان لا كلفة عليه فيه ، ولا بد منه ، فجعل تنفسهم تسبيحا، وسببه أن قلوبهم تنورت بمعرفة الرب سبحانه ، وامتلأت بحبه ، ومن أحب شيئا أكثر من ذكره[2].

وقيل : إن هذا التسبيح والتكبير لون من ألوان النعيم الذي يتمتع به أهل الجنة ، وهذا ليس من عمل التكليف الذي يطلب له ثواب منفصل ، بل نفس هذا العمل من النعيم الذى تتنعم به الأنفس وتتلذذ به .

ضحك أهل الجنة من أهل النار :

بعد أن يدخل الله أهل الجنة الجنة ينادون خصومهم من الكفار أهل النار مبكتين ومؤنبين ﴿ وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّاً فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقّاً قَالُواْ نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ اللّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾[3].

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب بدء الخلق ، باب ما جاء فى صفة الجنة ، فتح الباري .
(٢) فتح الباري
(٣) الأعراف : ٤٤ .

لقد كان الكفار في الدنيا يخاصمون المؤمنين ، ويسخرون منهم ، ويهزءون بهم ، وفي ذلك اليوم ينتصر المؤمنون ، فإذا بهم – وهم في النعيم المقيم – ينظرون إلى المجرمين فيسخرون منهم ، ويهزءون بهم ﴿ إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ عَلَى الأَرَائِكِ يَنظُرُونَ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ وَمِزَاجُهُ مِن تَسْنِيمٍ عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُواْ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ وَإِذَا انقَلَبُواْ إِلَى أَهْلِهِمُ انقَلَبُواْ فَكِهِينَ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلاء لَضَالُّونَ وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُواْ مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ عَلَى الأَرَائِكِ يَنظُرُونَ هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾[١].

نعم ، والله لقد جوزي الكفار بمثل ما كانوا يفعلون ، والجزاء من جنس العمل ، ويتذكر المؤمن في جنات النعيم ذلك القرين أو الصديق الذي كان يزين له الكفر في الدنيا ، وكان يدعوه إلى تلك المبادئ الضالة التي تجعله في صف الكافرين أعداء الله ، فيحدث إخوانه عن ذلك القرين ، ويدعوهم للنظر إليه في مقره الذي يعذب فيه ، فعندما يرى ما يعاينه من العذاب ، يعلم مدى نعمة الله عليه ، وكيف خلصه من حاله ، ثم يتوجه إليه باللوم والتأنيب ﴿ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءلُونَ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ يَقُولُ أَئِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً وَعِظَاماً أَئِنَّا لَمَدِينُونَ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاء الْجَحِيمِ قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدتَّ لَتُرْدِينِ وَلَوْلا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ إِلا مَوْتَتَنَا الأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾[٢].

من أماني أهل الجنة :

يتمنى بعض أهل الجنة فيها أماني تتحقق على نحو عجيب ، لا تشبه حال ما يحدث في الدنيا ، وقد حدثنا الرسول "ﷺ وآله" عن بعض هذه الأماني وكيفية تحققها .

---

(١) المطففين : ٢٢ – ٣٦ .
(٢) الصافات : ٥٠ – ٦٠ .

فهذا واحد من أهل الجنة يستأذن ربه في الزرع ، فيأذن له ، فما يكاد يلقى البذر ، حتى يضرب بجذوره في الأرض ، ثم ينمو ، ويكتمل ، وينضج في نفس الوقت .

ففي صحيح البخاري عن أبي هريرة ﷺ أن النبي " ﷺ وآله " كان يتحدث – وعنده رجل من أهل البادية – : ﴿ إن رجلا من أهل الجنة استأذن ربه في الزرع ، فقال له : ألست فيما شئت ؟[1] قال : بلى ، ولكن أحب الزرع ، فبذر ، فبادر الطرف نباته [2] واستواؤه ، واستحصاده ، فكان أمثال الجبال ، فيقول الله تعالى : دونك يا ابن آدم ، فإنه لا يشبعك شيء ﴾ فقال الأعرابي : والله لا تجده إلا قرشيا أو أنصاريا ، فإنهم أصحاب الزرع ، وأما نحن فلسنا بأصحاب زرع ، فضحك رسول الله "ﷺ وآله"[3].

وهذا آخر يتمنى الولد ، فيحقق الله له أمنيته في ساعة واحدة ، حيث تحمل وتضع في ساعة واحدة .

وروى الترمذى في سننه ، وأحمد في مسنده ، وابن حبان في صحيحه بإسناد صحيح عن أبي سعيد أن النبي "ﷺ وآله" قال : ﴿ المؤمن إذا اشتهى الولد في الجنة ؛ كان حمله ووضعه وسنه في ساعة واحدة كما يشتهي ﴾[4].

قال الترمذي : وقد اختلف أهل العلم في هذا ، فقال بعضهم : في الجنة جماع ولا يكون ولد ، وهكذا يروى طاوس ومجاهد وإبراهيم النخعي ، وقال محمد : قال إسحاق بن إبراهيم في حديث النبي " ﷺ وآله " : ﴿ إذا اشتهى المؤمن الولد في الجنة كان في ساعة كما يشتهي، ولكن لا يشتهي هذا أبدا ﴾ .

وقد روي عن أبي رزين العقيلي عن النبي "ﷺ وآله" قال : ﴿ إن أهل الجنة لا يكون لهم فيها ولد ﴾ . والله أعلم .

---

(١) أي : فيما شئت من أنواع النعيم وألوان الطعام والشراب .
(٢) سابق النظر .
(٣) مشكاة المصابيح .
(٤) الجامع الصغير .

وفى هذا بيان لوسعة عطاء الله تعالى لأهل الجنة وأنه لا يرد لهم طلب ولا يخيب لهم أمل، وطلب الأولاد في الدنيا يكون لأهم كما بيّن الله تعالى ﴿ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾[١] ، فتترّل الله تعالى بالبيان على لسان سيدنا ومولانا رسول الله "ﷺ وآله" بحسب عقول الناس ، وإلا فإن الجنة فيها ما أشار إليه "ﷺ وآله" مما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر مما يستصغر الإنسان في جانب أقله نعيم الدنيا كله .

إجتماع أهل الجنة وأحاديثهم وزيارة بعضهم بعضاً :

أهل الجنة يزور بعضهم بعضا ، ويجتمعون في مجالس طيبة يتحدثون ، ويذكرون ما كان منهم في الدنيا ، وما منَّ الله به عليهم من دخول الجنان ، قال تعالى في وصف اجتماع أهل الجنة : ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَاناً عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴾[٢] وأخبرنا الله بلون من ألوان الأحاديث التي يتحدثون بها في مجتمعاهم ﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءلُونَ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴾[٣].

وقال الله تعالى : ﴿ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءلُونَ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ يَقُولُ أَئِنَّكَ لَمِنْ الْمُصَدِّقِينَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً وَعِظَاماً أَئِنَّا لَمَدِينُونَ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاء الْجَحِيمِ قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدتَّ لَتُرْدِينِ وَلَوْلا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴾[٤].

فأخبر الله سبحانه وتعالى أن أهل الجنة أقبل بعضهم على بعض يتحدثون ويسأل بعضهم بعضا عن أحوال كانت في الدنيا ، فأفضت بهم المحادثة والمذاكرة إلى أن قال قائل منهم : إني كان لي قرين في الدنيا ينكر البعث والدار الآخرة ، ويقول ما حكاه الله عنه يقول : أئنك لمن المصدقين بأنا نبعث ونجازى بأعمالنا ونحاسب بها بعد أن مزقنا البلى وكنا ترابا وعظاما ، ثم

(١) الكهف : ٤٦ .
(٢) الحجر : ٤٧ .
(٣) الطور : ٢٥ – ٢٨ .
(٤) سورة الصافات آية ٥٠ - ٥٧ .

يقول المؤمن لإخوانه في الجنة : هل أنتم مطلعون في النار لننظر منزلة قريني هذا وما صار إليه .وفيها قولان آخران :

أحدهما : أن الملائكة تقول لهؤلاء المتذاكرين الذين يحدث بعضهم بعضا : هل أنتم مطلعون ؟ رواه عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما .

والثاني : أنه من قول الله عز وجل لأهل الجنة يقول لهم : هل أنتم مطلعون .

وقيل : الصحيح القول الأول ، وأن هذا قول المؤمن لأصحابه ومحادثيه ، والسياق كله والإخبار عنه وعن حال قرينه .

قال كعب : بين الجنة والنار كُوًى[1] ، فإذا أراد المؤمن أن ينظر إلى عدو كان له في الدنيا اطلع من بعض تلك الكُوى . وقوله : ﴿ فاطلع ﴾ أي : أشرف .

قال مقاتل : لما قال لأهل الجنة : هل أنتم مطلعون ؟ قالوا له : أنت أعرف به منا فاطلع أنت ، فأشرف فرأى قرينه في سواء الجحيم ، ولولا أن الله عرفه إياه لما عرفه ، لقد تغير وجهه ولونه ، وغيره العذاب أشد تغيير ، فعندها قال : ﴿ قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدتَّ لَتُرْدِينِ وَلَوْلا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴾ أي : أن كدت لتهلكني ، ولولا أن أنعم الله عليّ بنعمته لكنت من المحضرين معك في العذاب .

وقال تعالى : ﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءلُونَ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾[2].

وعن أبي أمامة ﷺ قال : سئل رسول الله "ﷺ وآله" : أيتزاور أهل الجنة ؟ قال : ﴿يزور الأعلى الأسفل ولا يزور الأسفل الأعلى إلا الذين يتحابون في الله يأتون منها حيث شاءوا على النوق محتقبين الحشايا﴾[3].

---

(١) الكُوَّةُ – لغة - : الخرق في الجدار يدخل منه الهواء أو الضوء ، والجمع : كُوًى .
(٢) الطور : ٢٥ – ٢٨ .
(٣) الطبراني في الكبير .

قال الدورقي : عن حميد بن هلال قال : بلغنا أن أهل الجنة يزور الأعلى الأسفل ولا يزور الأسفل الأعلى .فأهل الجنة في الجنة يتزاورون لتتم مسرهم وتكمل لذهم ، وقد ورد في الحديث أن رسول الله "ﷺ وآله" سأل حارثة رضي الله عنه : ﴿ كيف أصبحت يا حارثه؟﴾ قال : أصبحت مؤمنا حقا ، قال : ﴿ إن لكل حق حقيقة فما حقيقة إيمانك ﴾ قال: عزفت نفسي عن الدنيا فأسهرت ليلي وأظمأت نهاري ، وكأني أنظر إلى عرش ربي بارزا، وإلى أهل الجنة يتزاورون فيها ، وإلى أهل النار يعذبون فيها ، فقال : ﴿ عبد نوّر الله قلبه ﴾ .

ولأهل الجنة زيارات أخرى عالية فوق زيارة بعضهم لبعض ، حيث يزورون رهم تبارك وتعالى ، فيريهم الله جمال وجهه ويسمعهم كلامه ويتزل عليهم برضوانه ، إن هذا لفوز عظيم نسأل الله تعالى أن يمنحنا إياه .

عن أيوب بن بشير العجلي عن شفي بن ماتع أن رسول الله "ﷺ وآله" قال : ﴿ إن من نعيم أهل الجنة أنهم يتزاورون على المطايا والنجب ، وأنهم يؤتون في الجنة بخيل مسرجة ملجمة لا تروث ولاتبول ، فيركبوها حتى ينتهوا حيث شاء الله عز وجل ، فيأتيهم مثل السحابة فيها ما لاعين رأت ولا أذن سمعت ، فيقولون : أمطري علينا ، فما يزال المطر عليهم حتى ينتهي ذلك فوق أمانيهم .

ثم يبعث الله ريحا غير مؤذية فتنسف كثائب من مسك عن أيمانهم وعن شمائلهم ، فيأخذ ذلك المسك في نواصي خيولهم وفي مفارقهم وفي رؤوسهم ، ولكل رجل منهم جمة على ما اشتهت نفسه فيتعلق ذلك المسك في تلك الجمام[1] وفي الخيل ، وفيما سوى ذلك من الثياب.

ثم يقبلون حتى ينتهوا إلى ما شاء الله تعالى ، فإذا المرأة تنادي بعض أولئك : يا عبد الله أما لك فينا حاجة ؟ فيقول : ما أنت ومن أنت ؟ فتقول : أنا زوجتك وحِبك ، فيقول : ما كنت علمت بمكانك ، فتقول المرأة : أو ما علمت أن الله قال : (فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ

(١) الجُمة من الإنسان : مجتمع شعر ناصيته وما ترامى من شعر الرأس على المنكبين ، والجمع : جُمم وجُمام .

لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاء بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)[1] فيقول : بلى وربي . فلعله يشتغل عنها بعد ذلك الموقف أربعين خريفا لا يلتفت ولا يعود ، ما يشغله عنها إلا ما هو فيه من النعيم والكرامة ﴾ .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه : ﴿ إن أهل الجنة ليتزاورون على العيس الجون عليها رحال الميس، تثير مناسمها غبار المسك ، خطام أو زمام أحدها خير من الدنيا وما فيها ﴾[2].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه سأل جبريل عن هذه الآية : ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلا مَن شَاء اللَّهُ ﴾ [3] قال : ﴿هم الشهداء يبعثهم الله متقلدين أسيافهم حول عرشه ، فأتاهم ملائكة من المحشر بنجائب من ياقوت ، أزمتها الدر الأبيض ، برحال الذهب ، أعناقها السندس والاستبرق ، ونمارقها ألين من الحرير ، مد خطاها مد أبصار الرجال ، يسيرون في الجنة على خيول ، يقولون عند طول النزهة : انطلقوا بنا ننظر كيف يقضي الله بين خلقه ، يضحك الله إليهم ، وإذا ضحك الله إلى عبد في موطن فلا حساب عليه ﴾[4].

أصحاب الجنة في شغل فاكهون :

يقول الله تعالى : ﴿ إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ ﴾[5] يقول القشيري في معنى هذه الآية الكريمة : إنما يضاف العبد إلى ما كان الغالب عليه ذكره والآخذ بمجامع قلبه، فصاحب الدنيا مَنْ في أسرها ، وأصحاب الجنة مَنْ هم طلابها والساعون لها والعاملون لنيلها، قال تعالى مخبرا عن أقوالهم وأحوالهم : ﴿ لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلْ الْعَامِلُونَ ﴾[6].

---

(١) السجدة : ١٧ .
(٢) البغوي في شرح السنة . والعيس : الإبل البيض يخالط بياضها شُقرة . والميس : التبختُر ، والمَنْسِم : خف البعير . والخِطام : كل ما وضع في أنف البعير ليقتاد به .
(٣) الزمر : ٦٨ .
(٤) ابن أبي الدنيا في صفة الجنة .
(٥) يس : ٥٥.
(٦) الصافات : ٦١ .

وهذه الأحوال – وإن جلَّت منهم ولهم – فهي بالإضافة إلى أحوال السادة والأكابر تتقاصر ، قال "ﷺ وآله" : ﴿ أكثر أهل الجنة البُلْه ﴾[1] ومن كان في الدنيا عن الآخرة حرا ؛ فلا يبعد أن يكون في الجنة عن الجنة حرا ، والله يختص برحمته من يشاء .

وقيل : إنما يقول هذا الخطاب لأقوام فارغين ، فيقول لهم : ﴿ إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ ﴾ وهم أهل الحضرة والدنو ، لا تشغلهم الجنة عن أنس القربة ، وراحات الوصلة ، والفراغ لله وبه ، وفي قول آخر عنه : والفراغ للرؤية .

يروى القرطبي : فينظر إليهم الحق وينظرون إليه فلا يلتفتون إلى شيء من النعيم ما داموا ينظرون إليه .

ويقال : لو علموا عمن شغلوا لما هنأوا بما شغلوا . ويقال : بل إنما يقول لأهل الجنة : ﴿ إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ... ﴾ كأنه يخاطبهم مخاطبة المعاينة إجلالا لهم ، كما يقال : الشيخ يفعل كذا ، ويراد به : أنت تفعل كذا .

ويقال : إنما يقول هذا لأقوام في العرصة أصحاب ذنوب لم يدخلوا النار ، ولم يدخلوا الجنة بَعدُ لعصيانهم ، فيقول الحق : عبدي ، أهل النار لا يتفرغون إليك لأهوالهم ، وما هم فيه من صعوبة أحوالهم ، وأهل الجنة وأصحابها اليوم في شغل عنك لأنهم في لذاتهم ، وما وجدوا من أفضالهم مع أهلهم وأشكالهم ، فليس لك اليوم إلا نحن .

وقيل : شغلهم تأهبهم لرؤية مولاهم ، وذلك من أتم الاشتغال ، وهي أشغال مؤنسة مريحة ، لا متعبة موحشة .

---

(١) جاء في اللسان أن الأبله : من تغلب عليه سلامة الصدر ، وحسن الظن بالناس لأنه يغفل أمر دنياه ، ويقبل على آخرته ويشغل نفسه بها ، قال " عليه السلام وآله " ﴿ أكثر أهل الجنة البله " فهم أكياس في أمر الآخرة .

ويقال : لا تنافي بين اشتغالهم بأبدانهم مع أهلهم ، وشهودهم مولاهم ، كما أنهم اليوم مشغولون مستديمون لمعرفته بأي حالة هم ، ولا يقدح اشتغالهم – باستيفاء حظـوظهم – في معارفهم .

ويقال : شغل نفوسهم بشهواتها ، حتى يخلص الشهود لأسرارهم على غيبة من إحساس النفس ، الذي هو أصعب الرقباء ، ولا شيء أعلى من رؤية الحبيب مع فقد الرقيب.

وفى قوله تعالى : ﴿ هم وأزواجهم في ظلال على الأرائك متكئون ﴾[١] قيل : أشكالهم في الحال والمنزلة ، كقوله تعالى : ﴿ احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ ﴾[٢].

وقيل : حظاياهم من زوجاتهم ، والحظايا : جمع حظية ، وهي المرأة التي تفضل على غيرها في المحبة .

﴿ لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ ﴾[٣] أي : نصيب أنفسهم ، ويقال الإشارة فيها إلى راحات الوقت دون حظوظ النفس . ﴿ ولهم ما يدّعون ﴾[٤] ما يريدون ، ويقال : تسلم لهم دعاويهم ، والدعوى – إذا كانت بغير حق – معلولة .

﴿ سَلامٌ قَوْلاً مِن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴾[٥] يسمعون كلامه وسلامه بلا واسطة ، وأكد ذلك بقوله : ﴿ قَوْلاً ﴾ . وبقوله : ﴿ مِن رَّبٍّ ﴾ ليُعلم أنه ليس سلاما على لسان سفير .

﴿ مِن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴾ والرحمة في تلك الحالة أن يرزقهم الرؤية في حال ما يسلم عليهم لتكمل لهم النعمة ، ويقال : الرحمة في ذلك الوقت أن ينقيهم في حال سماع السلام وحال اللقاء لئلا يصحبهم دهش ولا تلحقهم حيرة ، ويقال : إنما قال : ﴿ مِن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴾ ليكون للعصاة من المؤمنين فيه نفس ، ولرجائهم مساغ ، فإن الذي يحتاج إلى الرحمة ؛ العاصي .

---

(١) يس : ٥٦.
(٢) الصافات :٢٢.
(٣) يس : ٥٧.
(٤) يس : ٥٧.
(٥) يس : ٥٨ .

ويقال : قال ذلك ليعلم العبد أنه لم يصل إليه بفعله واستحقاقه ، وإنما وصل إليه برحمة ربه .

ويقول الزمخشري في معنى قوله تعالى : ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ﴾: حكاية ما يقال لهم في ذلك اليوم وفي مثل هذه الحكاية زيادة تصوير للموعود ، وتمكين له في النفوس ، وترغيب في الحرص عليه وعلى ما يثمره .

﴿ فى شغل ﴾ في أي شغل وفي شغل لا يوصف ، وما ظنك بشغل مَن سعد بدخول الجنة التي هي دار المتقين ، ووصل إلى نيل تلك الغبطة وذلك الملك الكبير والنعيم المقيم ، ووقع في تلك الملاذ التي أعدها الله للمرتَضَيْنَ من عباده ثوابا لهم على أعمالهم مع كرامة وتعظيم ؟ وذلك بعد الوله والصبابة والتفصي[1] من مشاق التكليف ومضايق التقوى والخشية ، وتخطي الأهوال ، وتجاوز الأخطار ، وجواز الصراط ، ومعاينة ما لقي العصاة من العذاب .

وعن ابن كيسان : في التزاور .

وعن الإمام الحسن عليه السلام : شَغَلَهم عما فيه أهل النار التنعُّمُ بما هم فيه .

والفاكِهُ والفَكِهُ : المتنعم والمتلذذ ، ومنه الفاكهة لأنها مما يُتلذَّذ به ، وكذلك الفكاهة وهي المزاحة ، على أن أزواجهم يشاركنهم في ذلك الشغل والتفكه والاتكاء على الأرائك تحت الظلال .

والأريكة : كل ما يتكأ عليه من سرير ومنصة وفراش ، والجمع : أرائك .

و ﴿ يَدَّعُونَ ﴾ يفتعلون من الدعاء ، أي : يدعون به لأنفسهم ، كقولك : اشتوى واجتمل إذا شوى وجمل لنفسه ، يقال : اجتمل وجمل الشيء إذا جمعه .

---

(١) الوله والصبابة : شدة الحيرة والخوف مع شدة عشق الجنة ، والتطلع إلى الظفر بها والسعادة بنعيمها . والتفصِّي : الانفلات والتخلص .

وقيل : يتمنون ، من قولهم : ادَّع عليَّ ما شئتَ ، بمعنى : تمنَّه عليَّ ، و: فلان في خير ما ادَّعى ، أي : في خير ما تمنى . قال الزجاج : وهو من الدعاء ، ما يدعو به أهــل الجنــة يأتيهم .

﴿ سلام ﴾ المعنى : أن الله يسلم عليهم بواسطة الملائكة أو بغــير واســطة مبالغــة في تعظيمهم ، وذلك متمناهم ، ولهم ذلك لا يُمنعونه ، قال ابن عبــاس رضــي الله عنــهما : فالملائكة يدخلون عليهم بالتحية من رب العالمين .

وقيل : ﴿ ما يدَّعون ﴾ مبتدأ ، وخبره ﴿ سلام ﴾ بمعنى : ولهم ما يدعون سلام خالص لا شوب فيه .

وقيل : المعنى : أن من ادعى منهم شيئا فهو له ، لأن الله تعالى قد طبعهم على ألا يدعى منهم أحد إلا ما يجمل ويحسن أن يدَّعيه .

وروى القرطبي في تفسيره من حديث جرير بن عبد الله البَجَليِّ رضي الله عنه أن رسول الله "ﷺ وآله" قال : ﴿ بينا أهل الجنة في نعيمهم إذ سطع لهم نور ، فرفعوا رؤوســهم فــإذا الرب تعالى قد اطلع عليهم من فوقهم فقال : السلام عليكم يا أهل الجنة ، فــذلك قولــه : (سَلامٌ قَوْلاً مِن رَّبٍّ رَّحِيمٍ) فينظر إليهم وينظرون إليه فلا يلتفتون إلى شيء من النعــيم مــا داموا ينظرون إليه حتى يحتجب عنهم ؛ فيبقى نوره وبركاته علــيهم في ديــارهم ﴾ ذكــره الثعلبي والقشيري ومعناه ثابت في صحيح مسلم .

ويروي القرطبي أيضا في تفسيره أنه إذا كان يوم القيامة نادى مناد : أين عبادي الذين أطاعوني وحفظوا عهدي بالغيب ؟ فيقومون كأنما وجوههم البدر والكوكب الدري ، ركبانا على نجب من نور ، أزمتها من الياقوت ، تطير بهم على رؤوس الخلائق حتى يقوموا بين يدي العرش ، فيقول الله جل وعز لهم : السلام على عبادي الذين أطــاعوني وحفظــوا عهــدي بالغيب ، أنا اصطفيتكم ، وأنا اجتبيتكم ، وأنا اخترتكم ، اذهبوا فادخلوا الجنة بغير حساب،

فــ ﴿ لا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴾[1] فيمرون على الصراط كالبرق الخاطف فتفتح لهم أبوابها .

ثم إن الخلق في المحشر موقوفون فيقول بعضهم لبعض : يا قوم ، أين فــلان وفــلان ؟ وذلك حين يسأل بعضهم بعضا ، فينادي مناد : ﴿إن أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون﴾ ومعنى ﴿ فاكهون ﴾ قال الحسن : مسرورون ، وقال ابــن عبــاس: فرحــون . مجاهــد والضحاك: معجبون . السدي : ناعمون . والمعنى متقارب .

(١) سورة الزخرف آية ٦٨ .

الباب الخامس عشر

الفوز العظيم ورؤية رب العالمين

الفصل الأول

الشفاعة ونداء الخلود وأذان الجنة

الشفاعة :

قال الله تعالى : ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَراً حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴾(١) .

الجنة دار كرامة الله تعالى ومحل خواصه من أوليائه ، فإذا انتهوا إليها صادفوا أبوابا مغلقة، فيرغبون إلى صاحبها ومالكها أن يفتحها لهم ويستشفعون إليه بأولي العزم من رسله، وكلهم يتأخر عن ذلك حتى تقع الدلالة على خاتمهم وسيدهم وأفضلهم ؛ فيقول "ﷺ وآله" : ﴿ أنا لها ﴾ .

عن أنس ﷺ أن النبي "ﷺ وآله" قال : ﴿ يحبس المؤمنون يوم القيامة حتى يهموا بذلك ، فيقولون : لو استشفعنا إلى ربنا فيريحنا من مكاننا ، فيأتون آدم فيقولون : أنت آدم أبو الناس خلقك الله بيده ، وأسكنك جنته ، وأسجد لك ملائكته ، وعلمك أسماء كل شيء ، اشفع لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا ، فيقول : لست هناكم ، ويذكر خطيئته التي أصاب وهي أكله من الشجرة وقد نهي عنها ، ولكن ائتوا نوحا أول نبي بعثه الله إلى الأرض .

فيأتون نوحا فيقول : لست هناكم ويذكر خطيئته التي أصاب وهي سؤاله ربه بغير علم، ولكن ائتوا إبراهيم خليل الرحمن ﴾ .

قال : ﴿ فيأتون إبراهيم فيقول : إني لست هناكم ، ويذكر ثلاث كذبات كذبهن ، ولكن ائتوا موسى عبدا آتاه الله التوراة وكلمه وقربه نجيا ﴾ .

---

(١) الزمر : ٧٣ .

قال : ﴿ فيأتون موسى فيقول : إني لست هناكم ، ويذكر خطيئته التي أصاب وهي قتله النفس ، ولكن ائتوا عيسى عبد الله ورسوله وروح الله وكلمته ﴾ . قال : ﴿فيأتون عيسى فيقول : لست هناكم ، ولكن ائتوا محمدا عبدا غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر﴾.

قال : ﴿ فيأتوني ، فأستأذن على ربي في داره فيؤذن لى عليه ، فإذا رأيته وقعت ساجدا ، فيدعني ما شاء الله أن يدعني ، ثم يقول : ارفع محمد ، وقل يسمع ، واشفع تشفع ، وسل تعطه ﴾ . قال : ﴿ فأرفع رأسي فأثني على ربي بثناء وتحميد يعلمنيه ، ثم أشفع فيحد لى حدا ، فأخرج فأخرجهم من النار فأدخلهم الجنة ، ثم أعود فأستأذن على ربي في داره ، فيؤذن لى عليه ، فإذا رأيته وقعت ساجدا فيدعني ما شاء الله أن يدعني ثم يقول : ارفع محمد ، وقل يسمع ، واشفع تشفع ، وسل تعطه ﴾ .

قال : ﴿ فأرفع رأسي فأثني على ربي بثناء وتحميد يعلمنيه ، ثم أشفع فيحد لى حدا فأخرج فأدخلهم الجنة ثم أعود الثالثة فاستأذن على ربي في داره فيؤذن لي عليه ، فإذا رأيته وقعت ساجدا فيدعني ما شاء الله أن يدعني ، ثم يقول : ارفع محمد ، وقل يسمع ، واشفع تشفع ، وسل تعطه ﴾ .

قال : ﴿ فأرفع رأسي فأثني على ربي بثناء وتحميد يعلمينه فيحد لي حدا فأخرج ، فأدخلهم الجنة ، حتى ما يبقى في النار إلا من حبسه القرآن ، أي : وجب عليه الخلود ﴾ ، ثم تلا هذه الآية : ﴿ عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا ﴾[1]. قال : ﴿ وهذا المقام المحمود الذي وعده نبيكم ﴾ .

يقول الإمام المجدد أبو العزائم عليه السلام مخاطباً الشفيع الأعظم " ﷺ وآله " :

إلى المرجى ليوم الهول في الحشر حبيبِ ربي رفيع الذكر والقدر

(١) الإسراء : ٧٩ .

وسيلةِ الرسل والمحبوبِ من أزل   وفردِ ذاتٍ تعالت محكم الذكر
شفيعِنا يوم موقفنا وحُجَّتِنا   يوم اللقاء لدفع الهول والشر
غياثِنا في مقام الإضطرار وفي   مقام أخْذِ النواصي شدة الأمر
إليك يا رحمةَ الرحمن جاء بنا   يقينُ حقٍّ بنيل الفضل والخير
وأنت يا سيدي المقبول رحمته   وحِبه صح في التنزيل من بر
وقد ظلَمْنا وخالَفْنا وأنت بنا   بمحكم الآي أولى فاشرحن صدري
تشفَّعَن سيدي فلك المقام به   أنال كل قصودي ليلة القدر
وفي الضحى آية التنزيل تنبئنا   (وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ) بالإحسان والبر
فنظرة لجميع المسلمين بها   عناية الله تتوالى بلا عسر
وعطف رؤفٍ رحيمٍ نص آيته   يصح منه جمال الجسم والسر
فأنت أوْلى بنا مِنَّا فعاطفة   بها يلوح الضيا في البحر والبر
وسيلتي أنت يا محبوبَ خالقِه   فكن لنا سيدي في الوصل والسير
مرادنا القرب نحيا في جوارك يا   حبيبَ ربي في أنس وفي خير
ذنوبنا سيدي عظمت وأنت لها   فسَلْ إلهك محوَ الظلم والوزر
وسَلْهُ قربةَ إقبالٍ نكون بها   مشاهدين جمالَ المنعم البَر
مواجَهين بوجهِ الله في نِعَمٍ   على صراطك في وِرد وفي صدر
مؤانَسين على بسط الولاية في   رياض قرب بنور الشمس والبدر
مؤيَّدين برُوح الإتحاد به   مقربين بلا عتب ولا عذر
إليك يا سيد الرسل الكرام سرت   فآنس الرُّوح في ليلى إلى الفجر
ليشرق النورُ من فجر الحقائق لي   يبين الغيب لي في السر والجهر
و لي وحقك قصد لا أبيح به   عن العبارة عالٍ في خفا صدري
فَمُنَّ فضلا به للعبد عاطفة   لأشهد الوجهَ يمحو ظلمةَ الغير
كبِرْتُ سنًّا وضعفي لا أطيق به   لواعجَ الشوقِ أرجو الوصلَ بالنصر
و أنت رحمةُ ربي مُنَّ لي كرما   بطيبة في صفاء العيش واليسر

ويروى الإمام أحمد عن حذيفة عن أبي بكر الصديق رضي الله عنهم قال :

أصبح رسول الله "ﷺ وآله" ، ذات يوم فصلى الغداة فجلس ، حتى إذا كان من الضحى ضحك رسول الله "ﷺ وآله" ، ثم جلس مكانه حتى صلى الأولى والعصر والمغرب ، كل ذلك لا يتكلم حتى صلى العشاء الأخيرة ، ثم قام إلى أهله ، فقال النـــاس لأبي بكـــر : ألا تســـأل رسول الله "ﷺ وآله" ما شأنه ؟ صنع اليوم شيئا لم يصنعه قط ، قال : فسأله فقال : ﴿ نعم ، عرض عليّ ما هو كائن من أمر الدنيا والآخرة ، فجمع الأولون والآخرون في صعيد واحد ، فقطع الناس بذلك حتى انطلقوا إلى آدم عليه السلام والعرق يكاد يلجمهم ، فقالوا : يا آدم أنت أبو البشر ، وأنت اصطفاك الله عز وجل ، اشفع لنا عند ربك ، قال : لقد لقيت مثـــل الذي لقيتم ، انطلقوا إلى أبيكم بعد أبيكم ، إلى نوح : (إِنَّ اللّهَ اصْـــطَفَى آدَمَ وَنُوحـــاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ)(١)﴾ .

قال : ﴿ فينطلقون إلى نوح عليه السلام ، فيقولون : اشفع لنا عنـــد ربـــك ، فأنـــت اصطفاك الله ، واستجاب لك في دعائك ولم يدع على الأرض من الكافرين ديارا ، فيقـــول : ليس ذلكم عندي ، انطلقوا إلى إبراهيم عليه السلام فإن الله اتخذه خليلا .

فينطلقون إلى إبراهيم فيقول : ليس ذلكم عندي ، انطلقوا إلي موسى عليه السلام فـــإن الله عز وجل كلمه تكليما ، فيقول موسى عليه السلام : ليس ذلكم عنـــدي ، انطلقـــوا إلى عيسى بن مريم عليه السلام ، فإنه كان يبرئ الأكمه والأبرص ويحيي الموتى فيقول عيســـى : ليس ذلكم عندي ، انطلقوا إلى سيد ولد آدم ، انطلقوا إلى محمد "ﷺ وآله" فليشفع لكم إلى ربكم عز وجل ﴾ .

قال : ﴿ فينطلق فيأتي جبريل ربه تبارك وتعالى ، فيقول له الله عز وجل : ائذن له وبشره بالجنة فينطلق جبريل به "ﷺ وآله" فيخر ساجدا قدر جمعة ، ويقول الله عـــز وجـــل : ارفـــع رأسك وقل تسمع واشفع تشفع ﴾ .

---

(١) آل عمران : ٣٣ .

قال : ﴿ فيرفع رأسه فإذا نظر إلى وجه ربه خر ساجدا قدر جمعة أخرى ، فيقول الله عز وجل : ارفع رأسك وقل تسمع ، واشفع تشفع ، قال : فيذهب ليقع ساجدا فيأخذ جبريل بضبعيه [١] فيفتح الله عليه من الدعاء شيئا لم يفتحه على بشر قط ، فيقول :أي رب خلقتني سيد ولد آدم ولا فخر ، وأول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة ولا فخر ، حتى إنه ليرد على الحوض أكثر مما بين صنعاء وأيلة ، ثم يقال : ادعوا الصديقين ، فيشفعون .ثم يقال : ادعوا الأنبياء ﴾ .

قال : ﴿فيجيء النبي ومعه العصابة ، والنبي ومعه الخمسة والستة، والنبي وليس معه أحد، ثم يقال : ادعوا الشهداء ، فيشفعون لمن أرادوا ﴾ .

قال : ﴿ فإذا فعلت الشهداء ذلك ، قال : فيقول الله عز وجل أنا أرحم الراحمين ، أدخلوا جنتي من كان لا يشرك بي شيئا ، قال : فيدخلون الجنة ﴾ .

قال : ﴿ ثم يقول الله عز وجل : انظروا في أهل النار هل تلقون من أحد عمل خيرا قط؟ قال : فيجدون في النار رجلا فيقولون له : هل عملت خيرا قط فيقول : لا ، غير أني كنت أسامح الناس في البيع ، فيقول الله عز وجل : اسمحوا لعبدي بسماحته إلى عبيدي .

ثم يخرجون من النار رجلا يقولون له : هل عملت خيرا قط ؟ فيقول : لا ، غير أني أمرت ولدي إذا مت فأحرقوني في النار ثم اطحنوني حتى إذا كنت مثل الكحل فاذهبوا بي إلى البحر فاذروني[٢] في الريح ، فوالله لا يقدر عليّ رب العالمين أبدا . فقال الله عز وجل له : لم فعلت ذلك ؟ قال : من مخافتك ﴾ .

قال : ﴿ فيقول الله عز وجل : انظر إلى مُلْك أعظم مَلِك فإن لك مثله وعشرة أمثاله ، قال : فيقول : أتسخر بي وأنت الملك ؟ ، وذلك الذي ضحكت منه من الضحى ﴾ .

---

(١) ضبعيه : الضبع : أعلى العضد .
(٢) اذروني : انثروني .

الشفاعة لمن يأذن الله ويرضى :

تطرف الخوارج والمعتزلة [1] وزعموا أن أهل الكبائر لا يخرجون من النار ، ولا تنفعهم شفاعة الشافعين ، وتطرف غيرهم حيث لم يقطعوا بدخول أحد من أهل الكبائر النار ويزعمون أن أهل الكبائر جميعا في الجنة من غير عذاب ، وكلا الفريقين مخالف للسنة المتواترة الثابتة عن سيدنا ومولانا رسول الله "ﷺ وآله" ، وهم مخالفون لإجماع سلف الأمة الصالحين وأئمتها .

والحقيقة أن أهل الكبائر تحت مشيئة الله تعالى ، إن شاء غفر لهم برحمته ، وإن شاء عذبهم بذنوبهم ثم أدخلهم الجنة برحمته ﴿إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾[2] وقال تعالى : ﴿ قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم ﴾[3] فالشرك لا يغفره الله ، وما دونه تحت مشيئته سبحانه ، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له .

وحجة الخوارج في نفى هذه الشفاعة الآيات الواردة في نفي الشفاعة التي يثبتها أهل الشرك ، أهل الشرك يعتقدون أن الشفاعة عند الله كالشفاعة في الدنيا تشفع الشافع عند غيره دون إذن منه ، ويشفع الشافع عند غيره ولو لم يرض المشفوع له ، وهذا لا يكون عند الله تعالى .

وقد جاءت النصوص بإبطال هذا النوع من الشفاعة كما قال تعالى : ﴿ وَاتَّقُواْ يَوْماً لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئاً وَلاَ يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلاَ يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ ﴾[4]. وقال سبحانه :

---

(١) الخوارج فرقة خرجت بعد معركة صفين ، كفَّرت الإمام عليا عليه السلام ومعاوية ومن معهما ، وزعمت أن أهل المعاصي مخلدون في النار . والمعتزلة : أصحاب واصل بن عطاء ذهبوا إلى القول بتخليد أصحاب الكبائر في النار، وتوقفوا في أمرهم في الدنيا .
(٢) النساء : ٤٨ .
(٣) الزمر : ٥٣ .
(٤) البقرة : ٤٨ .

﴿ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴾[1] وقال جل وعلا : ﴿ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ ولا شَــفِيعٍ يُطَاعُ ﴾[2].

وقد جاءت النصوص مبينة أن الشفاعة عند الله تعالى لا تكون إلا بإذنه ، ولا تكون إلا بعد أن يرضى عن الشافع والمشفوع له كما قال تعالى : ﴿مَن ذَا الَّــذِي يَشْــفَعُ عِنْــدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ﴾[3] وقال سبحانه : ﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً إلا مِن بَعْــدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَى ﴾[4] وقال سبحانه : ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُــمْ وَلاَ يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَى وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴾[5] وقال جــل شــأنه : ﴿ وَلا تَنفَــعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إلا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ ﴾[6] وقال عز وقائل : ﴿ يَوْمَئِذٍ لا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إلا مَنْ أَذِنَ لَهُ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلاً ﴾[7] .

فهذه النصوص تنفي تلك الشفاعة التي أثبتها المشركون ، وتثبت الشفاعة التي تكــون بإذن الله ورضاه عن الشافع والمشفوع ، والله تعالى لا يرضى عن الكفرة والمشركين ، وأمــا عصاة المسلمين فيشفع فيهم الشافعون .

روى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة ﷺ أنه قال : قلت : يا رسول الله ، من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة ؟ قال : ﴿ لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألني عن هذا الحديث أحد أولى منك ، لما رأيت من حرصك على الحديث ، أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة مــن قال : لا إله الله خالصا من قبل نفسه ﴾[8].

---

(١) المدثر : ٤٨ .
(٢) غافر : ١٨ .
(٣) البقرة : ٢٥٥ .
(٤) النجم : ٢٦ .
(٥) الأنبياء :٢٨ .
(٦) سبأ:٢٣ .
(٧) طه : ١٠٩ .
(٨) البخاري باب صفة الجنة والنار .

إخراج المؤمنين من النار وإدخالهم الجنة بالشفاعة :

روى مسلم من حديث جابر بن عبد الله ﷺ يرفعه إلى رسول الله "ﷺ وآلـه" : ﴿ إن أقواما يخرجون من النار يحترقون فيها ؛ إلا دارات وجوههم ، حتى يدخلون الجنة ﴾ – دارات وجوههم أي : ما يحيط بالوجه من جوانبه – .

وهؤلاء الذين يخرجون من النار ويدخلون الجنة يسميهم أهل الجنة بالجهنميين ، عن عمران بن حصين رضي الله عنه عن النبي "ﷺ وآله" قال : ﴿ يخرج قوم من النار بشفاعة محمد "ﷺ وآله" فيدخلون الجنة ، يسمون الجهنميين ﴾[1].

وفي الصحيح عن جابر‌ﷺ أن النبي "ﷺ وآله" قال : ﴿ يخرج[2] من النار بالشفاعة كأهم كأهم الثعارير ، قلت : وما الثعارير ؟ قال : الضغابيس ﴾[3].

وروى البخاري عن أنس بن مالك عن النبي "ﷺ وآله" قال : ﴿ يخرج قوم من النار بعد ما مسهم منها سَفَعٌ ، فيدخلون الجنة ، فيسميهم أهل الجنة : الجهنميين ﴾ .

وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة الطويل في وصف الآخرة :

﴿ حتى إذا فرغ الله من القضاء بين العباد وأراد أن يُخرج برحمته من أراد من أهل النار، أمر الملائكة أن يخرجوا من النار من كان لا يشرك بالله شيئا ممن أراد الله أن يرحمه ممن يقول: لا إله إلا الله ، فيعرفونهم في النار ، يعرفونهم بأثر السجود ، تأكل النار من ابن آدم إلا أثر السجود ، حرم الله على النار أن تأكل أثر السجود ، فيخرجون من النار وقد امتحشوا – أي: احترقوا – فيصب عليهم ماء الحياة ، فينبتون منه كما تنبت الحبة في حميل السيل ﴾ .

(١) البخاري باب صفة الجنة والنار ولهم ذكر فى حديث جابر عند مسلم .
(٢) أي : قوم .
(٣) هذا الحديث رواه البخاري .ومعنى الثعارير أي : قثاء صغار ، والضغبوس : نبت يخرج قدر شبر في دقة الأصبع لا ورق له ، وفيه حموضة .

وقد ورد في أكثر من حديث أن الله يخرج من النار من كان في قلبه مثقال دينار أو نصف دينار أو مثقال ذرة من إيمان ، بل يخرج أقواما لم يعملوا خيرا قط ، ففي حديث أبي سعيد الخدري ﷺ قال : قال رسول الله "ﷺ وآله" : ﴿ يدخل الله أهل الجنة الجنة ، يدخل من يشاء برحمته ، ويدخل أهل النار النار ، ثم يقول : انظروا من وجدتم في قلبه حبة من خردل من إيمان فأخرجوه .... ﴾[1].

وفي حديث جابر بن عبد الله ﷺ في ورود النار : ﴿ ثم تحل الشفاعة ، ويشفعون حتى يخرج من النار من قال : لا إله إلا الله ، وكان في قلبه من الخير مثقال شعيرة ، فيجعلون بفناء الجنة ، ويجعل أهل الجنة يرشون عليهم الماء حتى ينبتوا نبات الشيء في جميل السيل ، ويذهب حراقه ، – معناه : أثر النار ، والضمير في : حراقه يعود على المخرَجين – ثم يسأل حتى يجعل له الدنيا وعشرة أمثالها معها ﴾[2].

وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ : ﴿... حتى إذا خلص المؤمنون من النار ، فوالذي نفسي بيده ما من أحد منكم بأشد مناشدة في استيفاء الحق من المؤمنين لله تعالى يوم القيامة لإخوانهم الذين في النار ، يقولون : ربنا كانوا يصومون معنا ، ويصلون ، ويحجون، فيقال لهم : أَخْرِجُوا مَن عرفتم ، فيحرم صورهم على النار فيخرجون خلقا كثيرا ، قد أخذت النار إلى أنصاف ساقيه وإلى ركبتيه ، فيقولون : ربنا ما بقي فيها أحد ممن أمرتنا ، فيقول : ارجعوا ، فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من خير فأخرجوه ، فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون : ربنا لم نذر فيها ممن أمرتنا أحدا .

ثم يقول : ارجعوا ، فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار من خير فأخرجوه ، فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون : ربنا لم نذر فيها ممن أمرتنا أحدا ، ثم يقول : ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذره من خير فأخرجوه ، فيخرجون خلقا كثيرا ، ثم يقولون : ربنا لم نذر فيها خيرا قط ﴾ .

---

(١) مسلم في كتاب الإيمان باب إثبات الشفاعة وإخراج الموحدين .
(٢) مسلم باب أدنى أهل الجنة منزلة .

وكان أبو سعيد الخدري رضي الله عنه يقول : إن لم تصدقوني بهذا الحديث فاقرءوا إن شئتم : ﴿إِنَّ اللّهَ لاَ يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْراً عَظِيماً﴾[1].

﴿ فيقول الله عز وجل : شفعت الملائكة ، وشفع النبيون ، وشفع المؤمنون ، ولم يبق إلا أرحم الراحمين ، فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط قد عادوا حمما ، فيلقيهم في نهر في أفواه الجنة يقال له : نهر الحياة ، فيخرجون كما تخرج الحبة في حميل السيل، ألا تروها تكون إلى الحجر أو إلى الشجر، ما يكون منها إلى الشمس أصيفر وأخيضر ، وما يكون منها إلى الظل يكون أبيض ﴾ فقالوا : يا رسول الله ، كأنك كنت ترعى بالبادية .

قال : ﴿ فيخرجون كاللؤلؤ ، في رقابهم الخواتيم ، يعرفهم أهل الجنة ، فيقول أهل الجنة: هؤلاء عتقاء الله الذين أدخلهم الله الجنة بغير عمل عملوه ، وخير قدموه ، ثم يقول : ادخلوا الجنة فما رأيتموه فهو لكم ، فيقولون : ربنا أعطيتنا ما لم تعط أحدا من العالمين ، فيقول: لكم عندي أفضل من هذا ، فيقولون : يا ربنا وأي شيء أفضل من هذا ؟ فيقول تعالى: رضائي ؛ فلا أسخط عليكم بعده أبدا ﴾[2].

وفي حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي "ﷺ وآله" قال : ﴿ يخرج من النار من قال : لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة ، ثم يخرج من النار من قال : لا إله إلا الله وكان في قلبه ما يزن برة ، ثم يخرج من النار من قال : لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن ذرة ﴾[3]

إلى غير ذلك من الأحاديث الشريفة الكثيرة في هذا الباب .

---

(١) النساء : ٤٠ .
(٢) البخاري في التوحيد ، ومسلم فى الإيمان .
(٣) مسلم في كتاب الإيمان باب أدنى أهل الجنة منزلة .

آخر من يدخل الجنة :

ذكر سيدنا ومولانا رسول الله "ﷺ وآله" قصة آخر رجل يخرج من النار ويدخل الجنة وما جرى من حوار بينه وبين ربه وما أعطاه الله من الكرامة العظيمة ، وقد جمع ابن الأثير روايات هذا الحديث في جامع الأصول ومنها :

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله "ﷺ وآله" : ﴿ إني لأعلم آخر أهل النار خروجا منها ، وآخر أهل الجنة دخولا الجنة : رجل يخرج من النار حبوا فيقول الله تعالى: اذهب فادخل الجنة ، فيأتيها فيخيل إليه أنها ملأى ، فيرجع فيقول : يا رب ، وجدتها ملأى ، فيقول : اذهب فادخل الجنة فإن لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها – أو أن لك مثل عشرة أمثال الدنيا – فيقول : أتسخربي – أو : أتضحك بي – وأنت الملك ؟ ﴾ قال : فلقد رأيت رسول الله "ﷺ وآله" ضحك حتى بدت نواجذه .قال : فكان يقال : ﴿ذلك أدنى أهل الجنة منزلة ﴾[1].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله "ﷺ وآله" قال : ﴿ آخر من يدخل الجنة رجل، فهو يمشي على الصراط مرة ، ويكبو مرة ، وتسفعه النار مرة ، فإذا ما جاوزها التفت إليها فقال : تبارك الذي نجاني منك ، لقدأعطاني الله شيئا ما أعطاه أحدا من الأولين والآخرين، فترفع له شجرة ، فيقول : أي رب ، أدنني من هذه الشجرة أستظل بظلها ، وأشرب من مائها ، فيقول الله تبارك وتعالى : يا ابن آدم لعلي إن أعطيتكها سألتني غيرها ، فيقول : لا يا رب ، ويعاهده أن لا يسأله غيرها ، وربه يعذره لأنه يرى ما لا صبر له عليه ، فيدنيه منها فيستظل بظلها ، ويشرب من مائها .

ثم ترفع له شجرة هى أحسن من الأولى ؛ فيقول : أي رب ، أدنني من هذه لأشرب من مائها ، وأستظل بظلها ، لا أسألك غيرها فيقول : يا ابن آدم ، ألم تعاهدني ألا تسألني غيرها ؟

---

(١) البخاري ومسلم ، سنن ابن ماجه .

فيقول : لعلي إن أدنيتك منها تسألني غيرها ؟ فيعاهده ألا يسأله غيرها ، وربه يعذره لأنه يرى ما لا صبر له عليه ، فيدنيه منها ، فيستظل بظلها ، ويشرب من مائها .

ثم ترفع له شجرة عند باب الجنة ، هي أحسن من الأوليين فيقول : أي رب ، أدنني من هذه لأستظل بظلها ، وأشرب من مائها ، لا أسألك غيرها ، فيقول يا ابن آدم ، ألم تعاهدني ألا تسألني غيرها ؟ قال : بلى ، يا رب هذه لا أسألك غيرها ، وربه يعذره لأنه يرى ما لا صبر له عليه ، فيدنيه منها .

فإذا أدناه منها سمع أصوات أهل الجنة ، فيقول : يا رب أدخلنيها ، فيقول : يا ابن آدم ، ما يرضيك منى ؟ أيرضيك أن أعطيك الدنيا ومثلها معها ؟ قال : يا رب ، أتستهزئ مني وأنت رب العالمين ؟ .

فضحك ابن مسعود رضي الله عنه فقال : ألا تسألوني مم أضحك ؟ قالوا : مم تضحك ؟ قال : ضحك رسول الله "ﷺ وآله" ، فقالوا : مم تضحك يا رسول الله ؟ قال : ﴿ من ضحك رب العالمين حين قال : أتستهزئ بي وأنت رب العالمين ؟ فيقول : لا أستهزئ بك ، ولكني على ما أشاء قادر ﴾[1].

الجنة خالدة وأهلها خالدون :

الجنة خالدة لا تفنى ولا تبيد ، وأهلها فيها خالدون ، لا يرحلون عنها ولا يظعنون ، ولا يبيدون ولا يموتون ﴿ لا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلاَّ الْمَوْتَةَ الأولَى وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴾[2]، ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً خَالِدِينَ فِيهَا لا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلاً ﴾[3] .

(١) أخرجه مسلم في الإيمان .
(٢) الدخان : ٥٦ .
(٣) الكهف : ١٠٧ – ١٠٨ .

عن أبي سعيد الخدري ﷺ أن رسول الله "ﷺ وآله" قال : ﴿ يؤتى بالموت يوم القيامة في صورة كبش أملح ، فيقام بين الجنة والنار ، فينادي مناد : يا أهل الجنة ، فيستجيبون ، وينتظرون ، فيقال لهم : هل تعرفون هذا ؟ فيقولون : نعم ؛ هذا الموت ، ثم ينادي مناديا أهل النار ، فيستجيبون وينظرون ، فيقال لهم : هل تعرفون هذا ؟ فيقولون : نعم ؛ هذا الموت ، ثم يؤمر به فيذبح ، فيقال : يا أهل الجنة خلود فلا موت ، ويا أهل النار خلود فلا موت ﴾(١).

إن مقتضى النصوص أن الجنة تخلق خلقا غير قابل للفناء ، وكذلك أهلها ، ففي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي "ﷺ وآله" قال : ﴿ من يدخل الجنة ينعم لا ييأس ، لا تبلى ثيابه، ولا يفنى شبابه ﴾(٢). وقد تقدم قول الحور العين : نحن الخالدات فلا نبيد .

واستمع إلى النداء العلوي الرباني الذي ينادي به أهل الجنة بعد دخولهم الجنة ؛ وذلك فيما ورد عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي الله عنهما عن النبي "ﷺ وآله" قال : ﴿ينادي مناد أن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدا ، وأن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبدا ، وأن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبدا ، وأن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبدا ، وذلك قوله عز وجل : (وَنُودُواْ أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ)﴾(٣).

عن ابن عمر ﷺ قال : قال رسول الله "ﷺ وآله" : ﴿ إذا صار أهل الجنة إلى الجنة ، وأهل النار إلى النار ، جيء بالموت حتى يجعل بين الجنة والنار ثم يذبح ، ثم ينادى : يا أهل الجنة لا موت ، ويا أهل النار لا موت ، فيزداد أهل الجنة فرحا إلى فرحهم ، ويزداد أهل النار حزنا إلى حزنهم ﴾(٤).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله "ﷺ وآله" : ﴿ إذا دخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار ، يجاء يوم القيامة بالموت كأنه كبش أملح فيوقف بين الجنة والنار ،

---

(١) رواه البخاري ومسلم .
(٢) رواه مسلم .
(٣) الأعراف : ٤٣ .
(٤) صحيح البخاري ، مسند الإمام أحمد ، حلية الأولياء لأبي نعيم ، الترغيب والترهيب ، الزهد لابن المبارك .

فيقال : يا أهل الجنة هل تعرفون هذا ؟ فيشرئبون وينظرون فيقولون : نعم ، هذا المـــوت . قال : فيؤمر به فيذبح ، قال : ثم يقال : يا أهل الجنة خلود فلا موت ، ويا أهل النار خلـــود فلا موت فيها ﴾ ، ثم قرأ رسول الله "ﷺ وآله" : ﴿ وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضى الأمر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون ﴾[1] وأشار بيده إلى الدنيا[2].

وأخرج أبو عيسى الترمذي عن أبي سعيد الخدري ﷺ يرفعه قال : ﴿ إذا كـــان يـــوم القيامة أتي بالموت كالكبش الأملح فيوقف بين الجنة والنار ، فيذبح وهم ينظرون ، فلـــو أن أحدا مات فرحا لمات أهل الجنة ، ولو أن أحدا مات حزنا لمات أهل النار ﴾[3] . قال : هـــذا حديث حسن صحيح .

وذكر ابن ماجه في حديث فيه طول عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله "ﷺ وآله": ﴿يجاء بالموت يوم القيامة فيوقف على الصراط فيقال : يا أهل الجنة ، فيطلعـــون خـــائفين أن يخرجوا من مكانهم الذي هم فيه ، ثم يقال ، يا أهل النار ، فيطلعون مستبشـــرين فـــرحين أن يخرجوا من مكانهم الذي هم فيه ، فيقال : هل تعرفون هذا ؟ قالوا : نعم : هذا الموت . قال : فيؤمر به فيذبح على الصراط ، ثم يقال للفريقين كليهما : خلود فيما تجدون لا موت فيـــه أبدا﴾[4].

وخرجه الترمذي بمعناه مطولا عن أبي هريرة ﷺ أيضا وفيه : ﴿ فإذا أدخـــل الله أهـــل الجنة الجنة وأهل النار النار ، أتى الموت ملببا ، فيوقف على السور الذي بين الجنة والنار ، ثم يقال: يا أهل الجنة ، فيطلعون خائفين ، ثم يقال : يا أهل النار ، فيطلعون مستبشرين يرجـــون الشفاعة ، فيقال لأهل الجنة وأهل النار : هل تعرفون هذا ؟ فيقول هؤلاء وهؤلاء : عرفناه ، هو الموت الذي وكل بنا ، فيضجع فيذبح ذبحا على السور ، ثم يقال : يا أهل الجنة خلود لا موت ، ويا أهل النار خلود لا موت ﴾ [5] قال : هذا حديث حسن صحيح .

---

(١) مريم : ٣٩ .
(٢) صحيح مسلم كتاب الجنة .
(٣) سنن الترمذي ، كنز العمال للمتقي الهندي .
(٤) سنن الترمذي ، كنز العمال للمتقي الهندي .
(٥) سنن الترمذي .

وذكر القرطبي في التذكرة أن الموت معنى ، والكلام في ذلك وفي الأعمال وأنها لا تنقلب جوهرا ، بل يخلق الله تعالى أشخاصا من ثواب الأعمال ، وكذلك يخلق الله كبشا يسميه الموت ، ويلقي في قلوب الفريقين أن هذا هو الموت ، ويكون ذبحه دليلا على الخلود في الدارين .

قال الترمذي : والمذهب في هذا عند أهل العلم من الأئمة رضي الله عنهم ، مثل سفيان الثوري ، ومالك ابن أنس ، وابن المبارك ، وابن عيينة ، ووكيع وغيرهم أنهم رووا هذه الأشياء وقالوا : ونروي هذه الأحاديث ولا يقال : كيف ؟ وهذا الذي اختاره أهل الحديث أن تروى هذه الأشياء ويؤمن بها ولا تفسَّر ولا تُتَوهم ، ولا يقال : كيف ؟ وهذا أمر أهل العلم الذي اختاروه وذهبوا إليه .

الأذان في الجنة وما يقول المؤذن فيها :

قال عثمان بن أبي شيبة حدثنا يحيى بن آدم ، حدثنا حمزة الزيات عن أبي إسحاق عن المزني عن أبي هريرة وأبي سعيد عن النبي "ﷺ وآله" : ﴿ ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون ﴾ قال : ﴿ نودوا أن صِحُّوا فلا تسقموا أبدا ، واخلدوا فلا تموتوا أبدا ، وانعموا فلا تبأسوا أبدا ﴾ ينادي المؤذن من قبل الحق بالخلود الدائم الأبدي لأهل الجنة ؛ نداء الحياة الكاملة صحة وسعادة ونعمة بلا فتور أو انقطاع ، قال تعالى : ﴿ لا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلا الْمَوْتَةَ الأولَى وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴾[1].

﴿ وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ ﴾ أي : الحياة الحقيقية ، حياة السعادة بلا شقاء ، والصحة بلا سقم ، والنعيم بلا بأس ، فهي الحياة الكاملة في الجنة تبرز الحقائق جلية واضحة باقية ، وتفنى الأحداث ، والموت حدث لا يستقيم له وجود عند إيذان الحق بظهور الحقائق الباطنة في القدم .

---

(١) الدخان : ٥٦ .

قيل للإمام الجنيد ﷺ : أهل الجنة باقون ببقاء الحق ؟ فقال : لا ، ولكنهم مُبْقَوْنَ ببقاء الحق ، والباقي على الحقيقة من لم يزل ولا يزال باقيا .

والفرق بين الباقي والمبقى في كلام الجنيد : أن الباقي يدل على ثبوت بقائه مستقلا ، بخلاف الْمُبْقَى ؛ لا وجود لبقائه بل مُبقى ببقاء غيره .

وأشار النبي "ﷺ وآله" إلى ذلك فقال : ﴿ حجابه النور ، لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه ﴾ أي : فيتلاشى الخلق ويبق الحق . أخرجه مسلم في الإيمان وأحمد في المسند .

ومن الأذان والنداء في الجنة ما رواه الإمام مسلم من حيث حماد بن سلمة عن ثابت عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن صهيب ﷺ أن النبي "ﷺ وآله" قال : ﴿ إذا دخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار ، نادى مناد : يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعدا ، فيقولون : ما هو ؟ ألم يثقل موازيننا ، ويبيض وجوهنا ، ويدخلنا الجنة ، وينجنا من النار ؟ فيكشف الحجاب فينظرون إلى الله ، فوالله ما أعطاهم الله شيئا هو أحب إليهم من النظر إليه ﴾ .

ومن النداء في الجنة أيضا ما رواه عبد الله بن المبارك ﷺ قال : أنبأنا أبو بكر الألهاني أخبرني أبو تميم الهجيمي قال : سمعت أبا موسى الأشعري رضي الله عنه يخطب على منبر البصرة يقول : إن الله عز وجل يبعث يوم القيامة ملكا إلى أهل الجنة يقول : يا أهل الجنة هل أنجزكم الله ما وعدكم ؟ فينظرون فيرون الحلي والحلل والأنهار والأزواج المطهرة فيقولون : نعم ، قد أنجزنا ما وعدنا ، قالوا ذلك ثلاث مرات ، فينظرون فلا يفتقدون شيئا مما وعدوا ، فيقولون : نعم ، فيقول : قد بقي شيء ، إن الله يقول : ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾[1]، قال : ألا إن الحسنى الجنة ، والزيادة النظر إلى وجه الله .

ومن النداء في الجنة أن الله تعالى ينادي أهل الجنة أيضا ، فقد جاء في الصحيحين من حيث أبي سعيد الخدري ﷺ قال : قال رسول الله "ﷺ وآله" : ﴿ إن الله عز وجل يقول لأهل

---

(١) يونس : ٢٦ .

الجنة : يا أهل الجنة ، فيقولون : لبيك ربنا وسعديك ، فيقول : هل رضيتم ؟ فيقولون : وما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدا من خلقك ؟ فيقول : أنا أعطيكم أفضل من ذلك ، قالوا : ربنا وأي شيء أفضل من ذلك ؟ قال : أحل عليكم رضوانى فلا أسخط عليكم بعده أبدا ﴾ أخرجه البخاري ومسلم وقد ترجمه البخاري في باب كلام الرب مع أهل الجنة .

وفي الصححين البخاري ومسلم من حديث نافع عن ابن عمر رضي الله عنه قال : قال رسول الله "ﷺ وآله" : ﴿ يدخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار ، ثم يقوم مؤذن بينهم فيقول : يا أهل الجنة لا موت ، ويا أهل النار لا موت ، كل خالد فيما هو فيه ، وهذا الأذان وإن كان بين الجنة والنار فهو يبلغ جميع أهل الجنة والنار﴾ .

الفصل الثانى

ميراث أهل الجنة وأبديتها وآخر دعواهم

أهل الجنة يرثون نصيب أهل النار في الجنة :

جعل الله لكل واحد من بني آدم مترلين : مترلا في الجنة ، ومترلا في النار ، ثم إن من كتب له الشقاوة من أهل الكفر والشرك يرثون منازل أهل الجنة التي كانت لهم في النـــار ، والذين كتب لهم السعادة من أهل الجنة يرثون منازل أهل النار التي كانت لهم في الجنة ، قال تعالى في حق المؤمنين المفلحين بعد أن ذكر أعمالهم التي تدخلهم الجنة : ﴿ أُوْلَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾[1].

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية : قال ابن أبي حاتم وساق الإسناد إلى أبي هريـــرة ﷺ قال: قال رسول الله "ﷺ وآله" : ﴿ ما منكم من أحد إلا وله مترلان : مترل في الجنة ومـــترل في النار، فأما المؤمن فيبنى بيته الذي في الجنة ، ويهدم بيته الذي في النار ﴾ .

وروي عن سعيد بن جبير نحو ذلك .

فالمؤمنون يرثون منازل الكفار ، لأهم خلقوا لعبادة الله وحده لا شريك له ، فلما قـــام هؤلاء بما وجب عليهم من العبادة ، وترك أولئك ما أمروا به مما خلقوا له ، أحـــرز هـــؤلاء نصيب أولئك لو كانوا أطاعوا رهم عز وجل .

وفي صحيح مسلم قال رسول الله "ﷺ وآله" : ﴿ إذا كان يوم القيامة دفـــع الله لكـــل مسلم يهوديا أو نصرانيا ، فيقال : هذا فكاكك من النار ﴾ .. وهذا الحديث بمعنى قوله تعالى:

---

(١) المؤمنون : ١٠ – ١١ .

﴿ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيّاً ﴾[1] ، وقوله : ﴿ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[2] فهم يرثون نصيب الكفار في الجنان .

قال سبحانه وتعالى في سورة المؤمنون : ﴿ أُوْلَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ .

قال الآلوسي – رحمة الله – في كتاب (روح المعاني) : ﴿ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ ﴾ صفة كاشفة أو عطف بيان أو بدل ، وأيا كان ففيه بيان لما يرثونه ، وتقييد للوراثة بعد إطلاقها تفخيما لها وتأكيدا ، والفردوس أعلى الجنان .

وقال الشيخ محمد الطاهر بن عاشور : واستعيرت الوراثة للاستحقاق الثابت ، لأن الإرث أقوى الأسباب لاستحقاق المال ، قال تعالى : ﴿ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ .

عن أبي هريرة ﷺ ، عن النبي "ﷺ وآله" قال : ﴿ إن الله تعالى جعل لكل إنسان مسكنا في الجنة ومسكنا في النار ، فأما المؤمنون فيأخذون منازلهم ويرثون منازل الكفار ، ويجعل الكفار في منازلهم في النار ﴾ خرجه ابن ماجه بمعناه [3] .

ويؤيد هذا ما روي عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله "ﷺ وآله" : ﴿ ما منكم من أحد إلا وله مترلان ، مترل في الجنة ومترل في النار ، فإذا مات فدخل النار ورث أهل الجنة مترله ، فذلك قوله تعالى : (أُوْلَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ) ﴾ إسناده صحيح[4].

وهذا بيّن في أن لكل إنسان مترلا في الجنة ومترلا في النار كما تقدم ، وقد قال "ﷺوآله" هنا : ﴿ ما منكم ... ﴾ فخاطب الكرام المترهين عن الذنوب العظام الموجبة للنيران.

---

(١) مريم : ٦٣ .
(٢) الزخرف : ٧٢ .
(٣) تفسير القرطبي للآية ١٠ من سورة المؤمنون .
(٤) تفسير القرطبي للآية ١٠ من سورة المؤمنون .

بطلان قول من قال بفناء الجنة :

قال بفناء الجنة كما قال بفناء النار الجهم بن صفوان إمام المعطلة ، وليس له سلف قط ، لا من الصحابة ولا من التابعين لهم بإحسان ، ولا من أئمة المسلمين ، ولا من أهل السنة ، وأنكره عليه عامة أهل السنة .

وأبو الهذيل العلاف شيخ المعتزلة قال بفناء حركات أهل الجنة والنار ، بحيث يصيرون إلى سكون دائم ، لا يقدر أحد منهم على حركة ، وكل هذا باطل .

قال شارح الطحاوية : فأما أبدية الجنة ، وأنها لا تفنى ولا تبيد ، فهذا مما يعلم بالضرورة أن الرسول "ﷺ وآله" أخبر به ، قال تعالى : ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاء رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾[1]، أي : غير مقطوع ، ولا ينافي ذلك قوله : ﴿ إِلاَّ مَا شَاء رَبُّكَ ﴾ .

وقد ذكر شارح الطحاوية اختلاف السلف في هذا الاستثناء فقال : واختلف السلف في هذا الاستثناء فقيل : معناه إلا مدة مكثهم في النار ، وهذا يكون لمن دخل منهم إلى النار ثم أخرج منها ، لا لكلهم . وقيل : إلا مدة مقامهم في الموقف . وقيل : إلا مدة مقامهم في القبور والموقف .

وقيل : هو استثناء الرب ولا يفعله ، كما تقول : والله لأضربنك إلا أن أرى غير ذلك ، وأنت لا تراه ، بل تجزم بضربه . وقيل : ﴿ إلا ﴾ بمعنى الواو ، وهذا على قول بعض النحاة ، وهو ضعيف .

سيبويه يجعل ﴿ إلا ﴾ بمعنى لكن ، فيكون الاستثناء منقطعا ، ورجحه ابن جرير وقال : إن الله تعالى لا خلف لوعده ، وقد وصل الاستثناء بقوله : ﴿ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾ ، قالوا :

---

(١) هود : ١٠٨ .

ونظيره أن تقول : أسكنتك داري حولا إلا ما شئت ، أي : سوى ما شئت ، ولكن ما شئت من الزيادة عليه .

وقيل : الاستثناء لإعلامهم بأنهم – مع خلودهم – في مشيئة الله ، لأنهم لا يخرجون عن مشيئته ، ولا ينافي ذلك عزيمته وجزمه لهم بالخلود ، كما في قوله تعالى : ﴿ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لاَ تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلاً ﴾[1] ، وقوله تعالى : ﴿ فَإِن يَشَأِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ ﴾[2]، وقوله : ﴿ قُل لَّوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلاَ أَدْرَاكُم بِهِ ﴾[3] ، ونظائره كثيرة ، يخبر عباده سبحانه أن الأمور كلها بمشيئته ، ما شاء كان ، وما لم يشاء لم يكن .

وقيل : إن ﴿ ما ﴾ بمعنى : مَنْ ، أي : إلا من شاء الله دخوله النار بذنوبه من السعداء . وقيل غير ذلك . وعلى كل تقدير ، فهذا الاستثناء من المتشابه .

وقوله سبحانه : ﴿ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾ وكذلك قوله تعالى : ﴿ إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِن نَّفَادٍ ﴾[4] . وقوله : ﴿ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وِظِلُّهَا ﴾[5]. وقد أكد الله خلود أهل الجنة بالتأبيد في عدة مواضع من القرآن ، وأخبر أنهم ﴿ لا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلا الْمَوْتَةَ الأُولَى ﴾[6] وهذا الاستثناء منقطع ، وإذا ضممته إلى الاستثناء في قوله تعالى : ﴿ إِلاَّ مَا شَاء رَبُّكَ ﴾[7] ، تبين أن المراد من الآيتين استثناء الوقت الذي لم يكونوا فيه في الجنة من مدة الخلود ، كاستثناء الموتة الأولى من جملة الموت ، فهذه موتة تقدمت على حياتهم الأبدية ، وذلك مفارقة للجنة تقدمت على خلودهم فيها .

---

(١) الإسراء : ٨٦ .
(٢) الشورى : ٢٤ .
(٣) يونس : ١٦ .
(٤) ص : ٥٤ .
(٥) الرعد : ٣٥ .
(٦) الدخان : ٥٦ .
(٧) هود : ١٠٨ .

آخر دعواهم :

يمر المؤمنون في الموقف العظيم بأهوال عظام ، ثم يمرون على الصراط فيشاهدون هــولا ورعبا ، ثم يدخلهم الله جنات النعيم بعد أن أذهب عنهم الحزن ، فيرون ما أعد الله لهم فيها من خيرات عظام ، فترتفع ألسنتهم تسبح ربهم وتقدسه ، فقد أذهب عنهم الحزن ، وصدقهم وعده ، وأورثهم الجنة ﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُــورٌ شَــكُورٌ الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ لا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴾[1]. ﴿وَقَــالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْــثُ نَشَــاء فَــنِعْمَ أَجْــرُ الْعَامِلِينَ﴾[2].

وآخر دعواهم في جنات النعيم : الحمد لله رب العالمين ﴿ دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلاَمٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾[3].

---

(١) فاطر : ٣٤ ــ ٣٥ .
(٢) الزمر : ٧٤ .
(٣) يونس : ١٠ .

الفصل الثالث

رؤية الله تعالى

رؤية الله تعالى ودلائلها :

يبين الإمام أبو العزائم عليه السلام[1] أن الرؤية وظيفة البصر ، والغاية منها الكشف والعلم، والبصر إنما يبين الألوان والأبعاد وما عليه الحقيقة المرئية من الشكل ، فالبصر لا يكشف الحقيقة من حيث ما هي عليه فقد يرى الناظر جسما أمامه فينكشف له لونه وشكله وبعده ، ولكنه يجهل حقيقته ، فإذا انكشفت حقيقته من حيث ما هي عليه ، فانكشافها يكون بغير البصر ، ويكون الإنسان بهذا الانكشاف أدرك الحقيقة .

فالرؤية شيء والإدراك شيء آخر ، لأن الرؤية علم ما يمكن أن يراه الناظر من الحقيقة ، وإنا لنرى كل الحقائق ونعجز عن إدراكها ، فنرى الشمس قدر الرغيف ، ونرى الشيء ونجهل طعمه وملمسه وريحه وخواصه وقدره ، ولا يمكننا أن نحصل شيئا من ذلك إلا بقوة أخرى غير البصر .

ولما كانت الرؤية هي الكشف أو العلم فقد تكون بالبصر للماديات ، وبما يجعله الله للعبد من النور الذي ينال به تلك الرؤية مما فوق المادة ، وكلنا نعلم أن الله تعالى تنزه عن الْمِثْل – بكسر الميم وسكون الثاء – وأن الله تعالى له الْمَثَل الأعلى – بفتح الميم والثاء – وكما أن الخيال يمثل المحسوسات ، والوهم يمثل الحقائق العقلية في كل إنسان مهما كان ، فالله

---

(١) راجع كتاب الإمام : (نعيم القبر وجمالات الآخرة).

تعالى يجعل للمؤمنين نورا يكرمهم به ليتفضل عليهم برؤيته سبحانه بمقدار ما تطمئن به قلوبهم، كل على قدره ، قال تعالى : ﴿ وَمَا مِنَّا إلا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴾[1] .

ولما كانت الأبصار تقتضي وجود الحقيقة مقابلة لها مفصوله عنها ، وأشعة من النور تنكسر على تلك الحقيقة في أفق خال من الحجاب حتى يحصل المراد من الرؤية وهو الكشف والعلم ، وكان الوهم والخيال يحتاجان إلى استخدام البصر ليقوما بوظيفتهما ، كانت رؤية الله تعالى بتلك الكيفية مستحيلة ، ومنكرها ممن وقفوا عند هذا الحد لهم العذر ، فإن إثباتها لا يقبله العقل المكتسب بتلك الكيفية .

فإذا نظرنا بعيون الإيمان إلى أن القادر الذي جعل عيونا ترى تلك الحقائق بالوسائط التي وضعها سبحانه وتعالى ؛ قادر أن يهب لأهل محبته نورا يرون به ربهم تنزه وتعالى عن المثل والنظير والشبيه ، قال سبحانه وتعالى : ﴿ لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارِ ﴾[2] أي : لا تحيط بكنهه الأبصار مطلقا ، لا أبصار الرؤوس ولا أبصار العقول ولا أبصار الأرواح ﴿ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ ﴾[3] كلها ، لأنه سبحانه هو الذي خلقها بعلم وقدرة وحكمة وإرادة ، قال سبحانه: ﴿ أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾[4] أي : كيف لا يعلم الرب جل ثناؤه من أنشأه من العدم وكيف يخفى عليه من خلق ، وهو اللطيف بعباده ، الخبير بهم وبأعمالهم وما تكنه صدورهم ؟ .

دليل رؤية الله تعالى من الكتاب الكريم :

أثبت سبحانه الرؤية بقوله : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾[5] فأثبت جل جلاله أنه يهب جمالا ونورا لأهل محبته حتى تكون وجوههم ناضرة بما يتفضل عليهم به من مزيد الإحسان ، قال تعالى : ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ ﴾[6] فالحسنى : النعيم المقيم

---

(١) الصافات : ١٦٤ .
(٢) الأنعام : ١٠٣ .
(٣) الأنعام : ١٠٣ .
(٤) الملك : ١٤ .
(٥) القيامة : ٢٢ – ٢٣ .
(٦) يونس : ٢٦ .

للجسم ، والمسرات الدائمة للحس ، والزيادة : رؤية الوجه العليّ الكريم بما يجعله الله تعالى للعبد من النضرة .

ومن ذاق طهور قوله "ﷺ وآله" في الحديث القدسي : ﴿ كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ... ﴾[1] الحديث ، يعتقد أن المؤمن يرى ربه في الدنيا يقظة ومناما ، ويراه يوم القيامة عيانا ، وكل على قدره ، وإنما هي طمأنينة القلب التي تحصل للمؤمن كما تحصل لمن رأى حقيقة ما بعيني رأسه .

وما على العبد المؤمن الذي منحه الله التسليم والذوق والفقه إلا أن يقول كما قال الراسخون في العلم : ﴿ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ﴾[2] خصوصا بعد أن أشهده خواص تلك الكائنات التي اخترعتها العقول واستخدمتها للنفع العام ، مما أودعه سبحانه في العقاقير الطبية، وفي المعادن وغيرها ، ومما رأته الأبصار من البأس الشديد في الحديد والنفع للناس مما كان يجهله الإنسان ، وقد انكشفت للعقول آيات كثيرة كانت خفية في طيّ تلك الكائنات أخبرنا عنها العليّ المجيد في آيات لا تحصى .

ومن أشهده الله تعالى حكمة رفع السماء بغير عمد ، وحكمة تسيير الأفلاك ، وتصريف الرياح ، وتسخير السحاب ، وما في الأرض وفي الأجواء والسموات من الآيات والخواص ، كل تلك الآيات المنكشفة لأهل الإيمان تجعلهم يعتقدون تمام الاعتقاد أن الله تعالى يكشف عنا حجاب البين ، ويجملنا بنضرة وجوهنا ووضاءتها وبهائها ، بما يتفضل به علينا من كمال معرفتنا بأنفسنا ، التي جعلها سببا لمعرفته سبحانه وتعالى ، فإن العبد المؤمن يعلم من الله تعالى بقدر ما علم من نفسه ، ومن خلقه ، وبقدر ما يعلم من الله تكون وضاءته وجماله ونضرته ، فيرى ربه عيانا بعد رؤيته سبحانه بيانا .

---

(١) رواه البخاري في كتاب الرقاق ، وأحمد في الجزء السادس.
(٢) آل عمران : ٧ .

وقد علمت أن الإيمان هو التصديق ، وأن فوق الإيمان علم بالمؤمن به ، وفوق العلم ذوق ، وفوق الذوق رؤية ، وفوق الرؤية شهود ، وفوق الشهود فناء عن الشهود ، إعظاما وإجلالا للجناب العلى ، وتفريدا لحضرته العلية بالقصد دون غيره .

وفوق ذلك مقام الرضا عن الله ، ويلي الرضا التوكل عليه سبحانه ، ويلي التوكل تفويض كل الأمور إليه جل جلاله ، فمن كان مقامه الإيمان وأنكر خبرا من أخبار رسول الله "ﷺ وآله" ، نفى الإيمان عن نفسه ، فإن الصادق لا يتهم بالكذب في أخباره ، وقد يلعب إبليس بعقول بعض المؤمنين فينكر تأويلا ، ومتى وجد إبليس منفذا يدخل منه في قلب المؤمن أفسد عليه القلب ، قال الله تعالى : ﴿ وما يعلم تأ ويله إلا اللّهُ ﴾[1] ثم أخبر عن الراسخين في العلم أنهم ﴿ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الألْبَابِ رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴾[2].

وهذا ما أدب الله به الراسخين في العلم ، والسلامة كلها في اتباع السلف في هذه المواضيع التي هي محل الاختبار والامتحان ، وكيف لا ؟ والله تعالى يقول : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾[3] فنفى المثلية عنه سبحانه في ذاته أو أسمائه وصفاته وأفعاله ، فمن شبه الخالق بالمخلوق وحكم على الخلاق العظيم بما يحكم به على المخلوقين أخطأ وأساء الأدب .

وقد ثبت جواز الرؤية بطلب كليم الله عليه السلام بقوله : ﴿ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ ﴾[4] ورسل الله معصومون من خطأ طلب المستحيل ، ورد الله تعالى عليه بقوله : ﴿ لَن تَرَانِي ﴾[5] لأن الله سبحانه لم يمنحه القوة على تحمل الرؤية كما منحه القوة على تحمل الكلام ، بدليل أنه تجلى جل جلاله للجبل بقدر الجبل ، فدك الجبل ، وصعق الكليم عليه السلام ، ولم يقو على رؤية تجلي ربنا جل جلاله .

---

(١) آل عمران : ٧ .
(٢) آل عمران : ٧ـ ٨.
(٣) الشوري : ١١.
(٤) الأعراف : ١٤٣ .
(٥) الأعراف: ١٤٣ .

ولكن الله وهب لحبيبه ومصطفاه "ﷺ وآله" القوة على تحمل الرؤية فرأى ربه عند ربه، مطمئن القلب ثابت العقل والجسم والحس ، وقد أخبرنا الله تعالى بأن رؤية الملائكة لا تطيقها القوى البشرية إلا بقدرة من الله تعالى يتفضل بها على أنبيائه ورسله ، بها يتيسر لهم رؤية الملائكة والسماع منهم ، ومن لم يهب الله له تلك القوة لا يطيق رؤية الملائكة ، قال تعالى : ﴿ يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلائِكَةَ لا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْراً مَّحْجُوراً ﴾(١).

بل لا يطيق رؤية الجن ، لا ، بل قد يفزغ ويهلع ويجزع إذا رأى حيوانا مفترسا قريبا منه، فيغمى عليه من الهلع ، مع أننا نرى أن بعض الرجال يهاجمون السباع في غاباتها ، وبعض الأولياء يسخر الله لهم تلك الوحوش ، وكل ذلك بما يتفضل به من القوة على العبد .

والأولى أن يحفظ كل مسلم رتبته التي أقامه الله فيها ، فأهل الإيمان يلزمون التصديق بما جاء به رسول الله "ﷺ وآله" من أخبار البعث والحشر والميزان والصراط والجنة والنار والرؤية وغيرها .

وأهل الإحسان يلزمون مرتبتهم من رعاية آداب الله ، وآداب رسول الله "ﷺ وآله" ، وآداب الاتباع .

وأهل الإيقان يلزمون مرتبتهم من المراقبة لجلال الله تعالى ، رعاية عظمة وكبرياء وتتريه الحق جل جلاله ، والقيام بحقوق العبودية على صراط الله المستقيم محافظة على اتباع سيد المرسلين "ﷺ وآله" ، لأنهم من أهل محبة الله تعالى .

ومن سوء الأدب أن يتعدى أهل مقام الإيمان حدود الأدب ، فيطمعون فيما تفضل الله به على أهل الإحسان ، فإذا لم ينالوا أنكروا وأوَّلوا .

والجنين في بطن أمه لا يمكنه أن يتصور الدنيا حتى يراها ، وكذلك الطفل لا يمكننا أن نجعله يتصور لذة الوقاع لأنه ليست له تلك القوة التي يدرك بها ، وكم أهلك التأويل رجالا رمى بهم إلى هاوية البعد والقطيعة .

---

(١) الفرقان : ٣٣ .

منحنا الله تعالى التسليم في مقام الإيمان ، والذوق في مقام الإحسان ، والرؤية في مقام اليقين ، حتى تطمئن قلوبنا في كل مرتبة ، فنكون من الذين أثنى الله عليهم بقوله تعالى : ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُّتَشَابِهاً مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾(١) وقال سبحانه : ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُوْلَئِكَ هُمْ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾(٢).

دلائل رؤية الله تعالى من الحديث الشريف :

عن جرير بن عبد الله ﷺ قال : نظر رسول الله "ﷺ وآله" إلى القمر ليلة بدر فقال : ﴿إنكم سترون ربكم عِيانا كما ترون هذا القمر ، لا تضارون في رؤيته ، فإن استطعتم ألا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا ﴾ ثم قرأ : ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ﴾(٣).

وعن صهيب ﷺ قال : قال رسول الله "ﷺ وآله" : ﴿ إذا دخل أهل الجنة الجنة ؛ يقول الله تعالى : أتريدون شيئا أزيدكم ؟ فيقولون : ألم تبيّض وجوهنا ؟ ألم تدخلنا الجنة ؟ ألم تنجنا من النار ؟ قال : فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئا أحب إليهم من النظر إلى ربهم تبارك وتعالى ، ثم تلى هذه الآية : ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ ﴾(٤) .

وعن أبي ذر ﷺ قال : سألت رسول الله "ﷺ وآله" : هل رأيت ربك تعالى ؟ قال : ﴿نور أنى أراه ﴾(٥).

---

(١) الزمر : ٢٣ .
(٢) الزمر: ١٧ – ١٨ .
(٣) رواه البخاري فى كتاب المواقيت ، وكتاب الأذان ، وكتاب تفسير سورة " ق " الباب الثاني، وكتاب الرقاق وكتاب التوحيد ، وأبو داود فى كتاب السنة، والترمذي فى كتاب الجنة ، وأحمد في الجزء الثالث.
(٤) رواه مسلم في كتاب الإيمان ، والترمذي في كتاب الجنة ، وكتاب تفسير سورة يونس الباب الأول، وأحمد في الجزء الرابع والجزء السادس .
(٥) رواه مسلم فى كتاب الإيمان، والترمذي في كتاب تفسير سورة النجم الباب السابع .

وأما حديث أبي هريرة وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهما ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة أن ناسا قالوا: يا رسول الله؛ هلى نرى ربنا يوم القيامة ؟ فقال رسول الله "ﷺ وآله": ﴿ هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ؟ ﴾ قالوا : لا يا رسول الله ، قال : ﴿ هل تضارون في رؤية الشمس ليس دونها سحاب ؟ ﴾ قالوا : لا ، قال : ﴿ فإنكم ترونه كذلك ، ويجمع الله الناس يوم القيامة فيقول : من كان يعبد شيئا فليتبعه ، فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس ، ويتبع من كان يعبد القمر القمر ، ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت[1] ، وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها ، فيأتيهم الله تعالى في صورة غير صورته التي يعرفون ، فيقول: أنا ربكم ، فيقولون : نعوذ بالله منك هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا ، فإذا جاء ربنا عرفناه .

فيأتيهم الله عز وجل في صورته التي يعرفون ، فيقول : أنا ربكم ، فيقولون : أنت ربنا فيتبعونه ، ويضرب الصراط بين ظهراني جهنم ، فأكون أنا وأمتي أول من يجيز ، ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل ، ودعوى الرسل يومئذ : اللهم سلم سلم ، وفي جهنم كلاليب [2] مثل شوك السعدان[3]، هل رأيتم السعدان ؟ ﴾ قالوا : نعم يا رسول الله ، قال : ﴿ فإنها مثل شوك السعدان غير أنه لا يعلم قدر عظمها إلا الله عز وجل ، تخطف الناس بأعمالهم ، فمنهم الموبق بعمله ، ومنهم المجازى حتى ينجو .

فإذا فرغ الله من القضاء بين العباد ، وأراد أن يخرج برحمته من أراد من أهل النار ، أمر الملائكة أن يخرجوا من النار من كان لا يشرك بالله شيئا ممن أراد الله أن يرحمه ممن يقول : لا إله إلا الله ، فيعرفونهم بأثر السجود ، وتأكل النار من ابن آدم إلا أثر السجود ، حرم الله على النار أن تأكل أثر السجود ، فيخرجون من النار قد امتحشوا [4]، فيصب عليهم ماء الحياة فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل[5] ... ﴾ .

---

(١) الطواغيت : جمع طاغوت ، قيل : هو الشيطان ، وقيل : هو كل ما عُبد غير الله عز وجل.
(٢) كلاليب : جمع (كُلوب) وهو الخطاف .
(٣) السعدان : نبات ذو شوك يضرب به المثل فى طيب مرعاه .
(٤) .امتحشوا أي: احترقوا.
(٥) حميل السيل : أي : ما حمله السيل من النبات .

وفي الصحيحين أيضا عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه : أن ناسا في زمن رسول الله "ﷺ وآله" قالوا : يا رسول الله ، هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ قال رسول الله "ﷺ وآله" : ﴿نعم، هل تضارون في رؤية الشمس بالظهيرة صحوا ليس معها سحاب ؟ وهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر صحوا ليس فيها سحاب ؟﴾ قالوا : لا يا رسول الله ، قال : ﴿ ما تضارون في رؤيته تبارك وتعالى يوم القيامة إلا كما تضارون في رؤية أحدهما ، إذا كان يوم القيامة أذن مؤذن : ليتبع كل أمة ما كانت تعبد ، فلا يبقى أحد كان يعبد غير الله من الأصنام والأنصاب إلا يتساقطون في النار .

حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله من بَر وفاجر ، وغبرات أهل الكتاب ، فتدعى اليهود فيقال لهم : ما كنتم تعبدون ؟ قالوا :كنا نعبد عزير ابن الله ، فيقال : كذبتم ، ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد ، فماذا تبغون ؟ قالوا : عطشنا يا ربنا فاسقنا ، فيشار إليهم ألا تردون ؟ فيحشرون إلى النار كأنهم سراب يحطم بعضها بعضا فيتساقطون في النار .

ثم تدعى النصارى فيقال لهم : ما كنتم تعبدون ؟ قالوا : كنا نعبد المسيح ابن الله ، فيقال لهم : كذبتم ، ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد ، فيقال لهم : ماذا تبغون ؟ فيقولون : عطشنا يا ربنا فاسقنا ، قال : فيشار إليهم ألا تردون ؟ فيحشرون إلى جهنم كأنها سراب يحطم بعضها بعضا فيتساقطون في النار .

حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله من بَرٍّ وفاجر ، أتاهم رب العالمين سبحانه وتعالى في أدنى صورة من التي رأوه فيها ، قال : فما تنتظرون ؟ لتتبع كل أمة ما كانت تعبد ، قالوا : يا ربنا فارقنا الناس في الدنيا أفقر ما كنا إليهم ولم نصاحبهم ، فيقول : أنا ربكم ، فيقولون : نعوذ بالله منك لا نشرك بالله شيئا – مرتين أو ثلاثا – حتى إن بعضهم ليكاد أن ينقلب ، فيقول : هل بينكم وبينه آية تعرفونه بها ؟ فيقولون : نعم .

فيكشف عن ساق فلا يبقى من كان يسجد لله من تلقاء نفسه إلا أذن الله له بالسجود ، ولا يبقى من كان يسجد اتقاء ورياء إلا جعل الله ظهره طبقة واحدة ، كلما أراد أن يسجد خر على قفاه .

ثم يرفعون رؤوسهم وقد تحول في صورته التي رأوه فيها أول مرة ، فيقول : أنا ربكم ، فيقولون : أنت ربنا ، ثم يضرب لهم الجسر على جهنم وتحل الشفاعة ... ﴾ .

وأما حديث جرير بن عبد الله في الصحيحين من حديث إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم رضي الله عنه قال : كنا جلوسا مع النبي "ﷺ وآله" فنظر إلى القمر ليلة أربع عشرة فقال : ﴿ إنكم ستروْن ربكم عِيانا كما ترون هذا ، لا تضامون في رؤيته ، فإن استطعتم ألا تُغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل الغروب فافعلوا ﴾ ثم قرأ قوله : ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾[1].

ومما أجمع عليه السلف الصالح في عقيدتهم جواز رؤية الله تعالى في الدار الآخرة بالأبصار، وأوجبوه بالآيات الظاهرة والأخبار الصحيحة ، وإنما نفى الله الإدراك بالأبصار لأن ذلك يوجب كيفية وإحاطة ؛ وليست كذلك الرؤية .

والنبي "ﷺ وآله" شبه النظر بالنظر لا المنظور بالمنظور إليه بقوله "ﷺ وآله" : ﴿ إنكم سترون ربكم ﴾ الحديث الذي رواه البخاري ومسلم .

وأما حديث صهيب رضي الله عنه فرواه مسلم في صحيحه من حديث حماد بن سلمة ، عن ثابت، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، عن صهيب رضي الله عنه قال : قال رسول الله "ﷺ وآله" : ﴿ إذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله عز وجل : تريدون شيئا أزيدكم ؟ يقولون : ألم تبيض وجوهنا ؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار ؟ قال : فيكشف الحجاب ، فما أعطوا شيئا أحب إليهم من النظر إلى ربهم ﴾ ثم تلا هذه الآية : ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ ﴾[2].

وأما حديث أبي موسى رضي الله عنه ففي الصحيحين عنه ، عن النبي "ﷺ وآله" قال : ﴿جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما ، وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما ، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم تبارك وتعالى إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن﴾[3].

---

(١) ق : ٣٩ .
(٢) يونس : ٢٦ .
(٣) أحمد .

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : قال رسول الله "ﷺ وآله" : ﴿ يتجلى لهم الرب تبارك وتعالى ينظرون إلى وجهه ، فيخرون له سجدا ، فيقول : ارفعوا رؤوسكم فليس هذا بيوم عبادة ﴾[1].

وعن جابر بن عبد الله ﷺ قال : قال رسول الله "ﷺ وآله" : ﴿ بينا أهل الجنة في نعيمهم إذ سطع لهم نور فرفعوا رؤوسهم ، فإذا الرب جل جلاله قد أشرف عليهم من فوقهم فقال : السلام عليكم يا أهل الجنة ، وهو قول الله عز وجل : (سَلامٌ قَوْلاً مِن رَّبٍّ رَّحِيمٍ)[2] فلا يلتفتون إلى شيء مما هم فيه من النعيم ما داموا ينظرون إليه حتى يحتجب عنهم ، وتبقى فيهم بركته ونوره ﴾[3].

أما رؤية النبي "ﷺ وآله" لربه في هذا المقام ثابتة عنه ثبوتا يقطع به أهل العلم بالحديث والسنة ، وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه : ﴿ أنا أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة ولا فخر ، وأنا سيد ولد آدم ولا فخر ، وأنا صاحب لواء الحمد ولا فخر ، وأنا أول من يدخل الجنة ولا فخر ، آخذ بحلقة باب الجنة ، فيؤذن لي ، فيستقبلني وجه الجبار جل جلاله فأخر له ساجدا ﴾[4].

رؤية أهل الجنة لله تعالى أحب إليهم وأقر لأعينهم :

روى مسلم عن صهيب ﷺ عن النبي "ﷺ وآله" قال : ﴿ إذا دخل أهل الجنة الجنة قال الله تبارك وتعالى لهم : أتريدون شيئا أزيدكم ؟ فيقولون : ألم تبيض وجوهنا ؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار ؟ ﴾ قال : ﴿ فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئا أحب إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل ﴾ وفي رواية : ثم تلا : ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ ﴾[5].

---

(١) الدارقطني في الرؤية .
(٢) يس : ٥٨ .
(٣) ابن ماجه في المقدمة .
(٤) أحمد .
(٥) يونس : ٢٦ .

وخرّج النسائى عن صهيب ﷺ قال : قيل لرسول الله " ﷺ وآله " هـذه الآيـة ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ ﴾ قال : ﴿ إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار نـادى مناد : يا أهل الجنة ، إن لكم عند الله موعدا يريد أن ينجزكموه ، فقالوا : ألم تبيض وجوهنا وتثقل موازيننا وتجرنا من النار ؟ قال : فيكشف الحجاب فينظرون إليه ، فوالله ما أعطاهم الله شيئا أحب إليهم من النظر إلى وجه الله ولا أقر لأعينهم ﴾[١].

وخرجه ابن المبارك في دقائقه عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه موقوفا ، وقد ذكره القرطبي أيضا في كتاب : التذكرة .

وخرجه أبو داود الطيالسى أيضا ، قال : حدثنا حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن صهيب قال : تلا رسول الله "ﷺ وآله" هذه الآية : ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ ﴾ قال : ﴿ إذا دخل أهل الجنة الجنة نادى مناد : يا أهل الجنة ؛ إن لكم عند الله تعالى موعدا ، فيقولون : ما هو ؟ أليس قد بيض وجوهنا وثقل موازيننا وأدخلنا الجنة ؟ فيقال لهم ثلاثا ، فيتجلى لهم الرب تبارك وتعالى فينظرون إليه ، فيكون ذلك عندهم أعظم مما أعطوا ﴾[٢].

معنى كشف الحجاب :

ومعنى كشف الحجاب أن ترفع موانع الرؤية عن أبصارهم حتى يروه على ما هو عليه من نعوت العظمة والجلال والبهاء والكمال والرفعة والجمال ، لا إله إلا هو سبحانه عما يقول المبطلون .

فذكر الحجاب إنما هو في حق المخلوق لا في حق الخالق ، فهم المحجوبون ، والباري جل جلاله وتقدست أسماؤه منزه عما يحجبه ، إذ الحجب إنما يحيط بمقدر محسوس وذلك من نعوتنا، وحجبه عن أبصار خلقه سبحانه وبصائرهم وإدراكاهم بما شاء وكيف شاء .

---

(١) السنن الكبرى للنسائي ، ومسند الإمام أحمد .
(٢) أبو داود الطيالسي.

وقد روي أن الله تعالى إذا تجلى لعباده ؛ ورفع الحجب عن أعينهم ؛ فإذا رأوه تدفقت الأنهار، واصطفت الأشجار ، وتجاوبت السرر والغرفات بالصـــرير ، والأعـــين المتـــدفقات بالخرير، واسترسلت الريح المثيرة ، وثبت في الدور والقصور المســـك الأذفـــر والكـــافور ، وغردت الطيور ، وأشرقت الحور العين (١) .

هل قوله تعالى ﴿ لَن تَرَانِي ﴾ يمنع الرؤية ؟ :

أخبر الله تعالى عن أعلم الخلق به في زمانه وهو كليمه سيدنا موسى ﷺ أنه سأل ربـــه تعالى النظر إليه ﴿ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَـــكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكّاً وَخَرَّ موسَى صَعِقاً... ﴾(٢) .

الآية ليست دليل منع بل دليل إثبات ، ويستدل من هذه الآية الكريمة على جواز الرؤية بوجوه :

أحدها : أنه لا يظن بكليم الله ورسوله الكريم عليه أن يسأل ربه ما لا يجوز عليه .

الثاني : أن الله سبحانه لم ينكر عليه سؤاله ولو كان محالا لأنكره عليه ، ولهذا لما ســـأل إبراهيم الخليل ﷺ ربه تبارك وتعالى أن يريه كيف يحيي الموتى لم ينكر عليه ، ولما سأل عيسى بن مريم ﷺ ربه إنزال المائدة من السماء لم ينكر سؤاله ، ولما سئل نوح ﷺ ربه نجاة ابنـــه أنكر عليه سؤاله : ﴿ إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلاَّ تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ ﴾(٣) .

الثالث : أنه أجابه بقوله : ﴿ لن تراني ﴾ ولم يقل : لا تراني ، ولا أني لست بمرئي ، ولا تجوز رؤيتي ، والفرق بين الجوابين ظاهر لمن تأمله ، وهذا يدل على أنه سبحانه قـــد يُـــرى ،

---

(١) القرطبي " في التذكرة " بتصرف يسير .
(٢) الأعراف : ١٤٣ .
(٣) هود : ٤٦ – ٤٧ .

ولكن موسى عليه السلام لا تتحمل قواه رؤيته في هذا الدار لضعف قوة البشر فيها عن رؤيته تعالى .

الرابع : يوضح ذلك قوله تعالى : ﴿ انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تـــراني ﴾ فأعلمه أن الجبل مع قوته وصلابته لا يثبت لتجليه سبحانه له في هذه الدار ، فكيف بالبشـــر الضعيف الذي خلق من ضعف ؟ .

الخامس : أن الله تعالى قادر على أن يجعل الجبل مستقرا مكانه وليس هـــذا بممتنـــع في مقدوره بل هو ممكن وقد علق به الرؤية ، ولو كانت محالا في ذاتها لم يعلقها بالممكن في ذاته .

السادس : قوله سبحانه وتعالى : ﴿ فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا ﴾ : وهذا من أبـــين الأدلة على جواز رؤيته تبارك وتعالى ، فإذا جاز أن يتجلى سبحانه للجبل الذي هو جمـــاد لا ثواب له ولا عقاب ، فكيف يمتنع أن يتجلى لأنبيائه ورسله وأوليائه في دار كرامته ويـــريهم نفسه ، فأعلم سبحانه وتعالى سيدنا موسى عليه السلام أن الجبل إذا لم يثبت لرؤيته في هـــذه الـــدار فالبشر أضعف .

السابع : أن ربه سبحانه وتعالى قد كلمه منه إليه وخاطبه وناجاه وناداه ، ومن جاز عليه التكلم والتكليم أن يسمع مخاطبة كلامه معه بغير واسطة فرؤيته أولى بالجواز ، ولهـــذا ســـأله موسى عليه السلام النظر إليه لما أسمعه كلامه ؛ وعلم نبي الله جواز رؤيته من وقوع خطابه وتكليمـــه فلم يخبره باستحالة ذلك عليه ، ولكن أراه أن ما سأله لا يقدر على احتماله كمـــا لم يثبـــت الجبل لتجليه سبحانه .

و أما قوله تعالى : ﴿ لَن تَرَانِي ﴾ فإنما يدل على النفى في المستقبل ولا يدل علـــى دوام النفي ولو قيدت بالتأبيد ، فكيف إذا أطلقت ؟ قال تعالى : ﴿ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَداً ﴾ (١) مع قوله تعالى : ﴿ وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ﴾ (٢) .

---

(١) البقرة : ٩٥ .
(٢) الزخرف : ٧٧ .

ثلاثة أقوال لأهل السنة :

القول الأول : أن لا يراه إلا المؤمنون .

القول الثاني : يراه جميع أهل الموقف مؤمنهم وكافرهم ، ثم يحتجب عن الكفار فلا يرونه بعد ذلك .

القول الثالث : يراه المنافقون دون الكفار .

والأقوال الثلاثة في مذهب أحمد وهي لأصحابه وكذلك الأقوال الثلاثة بعينها لهم في تكليمه .

وقول الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الإنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلاقِيهِ ﴾(١) إن عاد الضمير على العمل فهو رؤيته في الكتاب مسطورا مثبتا ، وإن عاد على الرب سبحانه وتعالى فهو لقاؤه الذي وعد به .

الحُسنَى وزيادة :

يقول الله تعالى : ﴿ والله يدعو إلى دار السلام ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون ﴾(٢) فالحسنى : الجنة ، والزيادة : النظر إلى وجهه الكريم .

كذلك فسرها رسول الله "ﷺ وآله" الذي أنزل عليه القرآن ، فالصحابة من بعده ، كما روى مسلم في صحيحه عن صهيب رضي الله عنه قال : قرأ رسول الله "ﷺ وآله" : ﴿ للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ﴾ قال : ﴿ إذا دخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار ، نادى منادٍ أهل الجنة أن لكم عند الله موعدا ويريد أن ينجزكموه ، فيقولون : ما هو ؟ ألم يثقل موازيننا ويبيض وجوهنا ويدخلنا ويزحزحنا عن النار ؟!.

---

(١) الانشقاق : ٦ .
(٢) يونس : ٢٥ – ٢٦ .

فيكشف الحجاب فينظرون الله ، فما أعطاهم شيئا أحب إليهم من النظر إليه ، وهـــي الزيادة ﴾ .

وعن أنس ﷺ قال : سئل رسول الله "ﷺ وآله" عن هذه الآية : ﴿ لِّلَّـــذِينَ أَحْسَـــنُواْ الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ ﴾ قال : ﴿ للذين أحسنوا العمل في الدنيا الحسنى وهي الجنة ، والزيادة هي النظر إلى وجه الله ﴾ .

وروى ابن جرير عن أبيّ بن كعب قال : سألت رسول الله "ﷺ وآله" عـــن الزيـــادة في كتاب عز وجل قوله تعالى : ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ ﴾ قال : ﴿ الحسنى : الجنة ، والزيادة : النظر إلى وجه الله عز وجل ﴾[1].

وقال أسد السنة : حدثنا قيس بن الربيع عن أبان عن أبي تميمة الهجيمي أنه سمـــع أبـــا موسى ﷺ يحدث أنه سمع رسول الله "ﷺ وآله" يقول : ﴿ يبعث الله عز وجل يـــوم القيامـــة مناديا ينادي : يا أهل الجنة ، بصوت يسمع أولهم وآخـــرهم ، إن الله وعـــدكم الحســـنى ، والحسنى : الجنة ، والزيادة : النظر إلى وجه الله عز وجل ﴾ .

وروى ابن جرير عن سيدنا أبي بكر الصديق ﷺ : ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ ﴾ قال : النظر إلى وجه الله الكريم .

وقال عبد الله بن المبارك رضي الله عنه : عن أبي بكر الهذلي : أنبأنا أبو تميمة قال : سمعت أبا موسى الأشعرى ﷺ يخطب الناس في جامع البصرة ويقول : إن الله يبعث يوم القيامة ملكا إلى أهل الجنة فيقول : يا أهل الجنة ، هل أنجزكم الله ما وعدكم ؟ فينظرون فـــيرون الحلـــي والحلل والأنهار والأزواج المطهرة ، فيقولون : نعم ، قد أنجز الله ما وعدنا ، ثم يقول الملك : هل أنجزكم الله ما وعدكم ؟ ثلاث مرات ، فلا يفقدون شيئا مما وعدوا فيقولـــون : نعـــم ، فيقول : قد بقي لكم شيء ، إن الله عز وجل يقول : ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ ﴾ ألا إن الحسنى : الجنة ، والزيادة : النظر إلى وجه الله تعالى .

---

(١) ابن كثير فى التفسير وعزاه لابن أبي حاتم .

وفي تفسير أسباط بن نصر عن ابن مسعود ﷺ ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ وَلاَ يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلاَ ذِلَّةٌ ﴾ قال : أما الحسنى : فالجنة ، وأما الزيادة : فالنظر إلى وجه الله ، وأما القتر : فالسواد .

وقال عبد الرحمن بن أبي ليلى ، وعامر بن سعد ، وإسماعيل بن عبد الرحمن السدي ، والضحاك بن مزاحم ، وعبد الرحمن بن سابط ، وأبو إسحاق السبيعي ، وقتادة ، وسعيد بن المسيب ، والحسن البصري ، وعكرمة مولى ابن عباس ، ومجاهد بن جبر : الحسنى : الجنة ، والزيادة : النظر إلى وجه الله تعالى .

وقال غير واحد من السلف في الآية: ﴿ ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة ﴾ بعد النظر إليه .

والأحاديث عنهم بذلك صحيحة ، ولما عطف سبحانه الزيادة على الحسنى التي هي الجنة دل على أنها أمر آخر وراء الجنة ، وقدر زائد عليها ، ومن فسر الزيادة بالمغفرة والرضوان فهو من لوزام رؤية الرب تبارك وتعالى .

وقيل : إن الزيادة أن تضاعف الحسنة عشر حسنات إلى أكثر من ذلك ، وهذا روي عن ابن عباس رضي الله عنهما .

وروى عن الإمام عليّ بن أبي طالب كرّم الله وجهه : الزيادة غرفة من لؤلؤة واحدة لها أربعة آلاف باب .

وقال مجاهد : الحسنى : حسنة مثل حسنة ، والزيادة : مغفرة من الله ورضوان .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : الحسنى : الجنة ، والزيادة : ما أعطاهم الله في الدنيا من فضله لا يحاسبهم به يوم القيامة .

وقال عبد الرحمن بن سابط : الحسنى : البشرى ، والزيادة : النظر إلى وجه الله الكريم، قال الله تعالى : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾[1].

وقال يزيد بن شجرة : الزيادة أن تمر السحابة بأهل الجنة فتمطرهم من كل النوادر التي لم يروها ، وتقول : يا أهل الجنة ، ما تريدون أن أمطركم ؟ فلا يريدون شيئا إلا أمطرهم إياه.

وقيل : ﴿ أحسنوا ﴾ أي : معاملة الناس ، ﴿ الحسنى ﴾ شفاعتهم ، والزيادة : إذن الله تعالى فيها وقبوله .

فسبحان الواسع العليم الغني الحميد العلي الكبير العزيز القدير البر الرحيم المدبر الحكيم اللطيف الكريم الذى لا تتناهى مقدوراته ، وهو ذو الفضل العظيم ، جعلنا الله تعالى من أهل فضله في الدنيا والآخرة .

يقول القشيري : ﴿ أَحْسَنُوا ﴾ أي : عملوا وأحسنوا إذ كانت أفعالهم على مقتضى الإذن . ويقال : ﴿ أَحْسَنُوا ﴾ : لم يقصروا في الواجبات ، ولم يخلوا بالمندوبات .

ويقال : ﴿ أَحْسَنُوا ﴾ أي : لم يبق عليهم حق إلا قاموا به ، إن كان حق الحق فمن غير تقصير ، وإن كان من حق الخلق فأداء من غير تأخير .

ويقال : ﴿ أحسنوا ﴾ في المآل كما أحسنوا في الحال ، فاستداموا بما فيه واستقاموا ، والحسنى التي لهم هي الجنة وما فيها من صنوف النعم .

ويقال : الحسنى في الدنيا توفيق بدوام ، كما قال "ﷺ وآله" : ﴿ خير العمل أدومه وإن قل ﴾ ، وتحقيق بتمام ، وفي الآخرة غفران معجل ، وعيان على التأبيد محصل – التأبيد : معناه : إلى الأبد فهم في الجنة خالدون فيها أبدا – .

---

(١) سورة القيامة آية ٢٢ ــ ٢٣ .

قوله تعالى : ﴿ وَزِيَادَةٌ ﴾ فعلى موجب الخير وإجماع السلف : النظر إلى وجه الله ، ويحتمل أن تكون الحسنى : الرؤية ، والزيادة : دوامها ، ويحتمل أن تكون الحسنى : اللقاء ، والزيادة : البقاء في حال اللقاء .

ويقال : الحسنى عنهم لا مقطوعة ولا ممنوعة ، والزيادة لا عنهم محجوبة ولا مسلوبة .

﴿ وَلاَ يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلاَ ذِلَّةٌ أُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾[1] قيل : معناه : يلحق ، ومنه قيل : غلام مراهق ، إذا لحق بالرجال ، وقيل : يعلو ، وقيل : يغشى ، والمعنى متقارب .

﴿ قَتَرٌ ﴾ أي غبار ، ﴿ وَلاَ ذِلَّةٌ ﴾ أي : مذلة كما يلحق أهل النار ، أي : لا يلحقهم غبار في محشرهم إلى الله ولا تغشاهم ذلة . وقيل : قتر : كآبة وكسوف ، وعن ابن عباس رضي الله عنهما : القتر : سواد الوجوه ، وقال ابن بحر : دخان النار ، قال القشيري : لا يقع عليهم غبار الحجاب ، وبعكسه في الكفار حيث قال : ﴿ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴾[2].

والذلة التي لا تصيبهم أي : لا يردوا من غير شهود إلى رؤية غيره ، فهم فيها خالدون في فنون أفضالهم ، وفي جميع أحوالهم .

في قوله تعالى : ﴿ ولدينا مزيد ﴾

قال يحيي بن سلام : أخبرنا رجل من أهل الكوفة عند داود بن أبي هند ، عن الحسن رضي الله عنه: قال رسول الله "ﷺ وآله" : ﴿ إن أهل الجنة ينظرون إلى ربهم في كل جمعة على كثيب من كافور لا يرى طرفاه ، وفيه نهر جار حافتاه المسك ، عليه جوار يقرأن القرآن بأحسن أصوات سمعها الأولون والآخرون ، فإذا انصرفوا إلى منازلهم أخذ كل رجل بيد من يشاء منهن ، ثم يمرون على قناطر من لؤلؤ إلى منازلهم ، فلولا أن الله تعالى يهديهم إلى منازلهم ما اهتدوا إليها لما يحدث الله إليهم في كل جمعة ﴾ .

(١) يونس : ٢٦ .
(٢) عبس : ٤٠ .

وخرج عن بكر بن عبد الله الذي قال : إن أهل الجنة ليزورون ربهم في مقدار كل عيد، كأنه يقول : في كل سبعة أيام مرة ، فيأتون رب العزة في حلل خضر ووجوه مشرقة وأسوار من ذهب ، مكللة بالدر والزمرد عليهم أكاليل الذهب ، ويركبون نجائبهم ويستأذنون على ربهم فيأمر لهم ربنا بالكرامة .

وذكر هو وابن المبارك جميعا قال : حدثنا المسعودي ، عن المنهال بن عمرو ، عن أبي عبيدة بن عبد الله ابن عتبة عن ابن مسعود ﷺ قال : تسارعوا إلى الجمعة ، فإذا الله يبرز لأهل الجنة كل يوم جمعة في كثيب من كافور أبيض فيكونون معه في القرب ، قال ابن المبارك : على قدر تسارعهم إلى الجمعة في الدنيا[١].

وقال يحيي بن سلام : كمسارعتهم إلى الجمعة في الدنيا ، وزاد : فيحدث لهم شيئا من الكرامة لم يكونوا رأوه قبل ذلك ، قال يحيي : وسمعت غير المسعودي يزيد فيه : وهو قوله تعالى : ﴿ وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴾[٢].

وقال الحسن ﷺ في قوله تعالى : ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ ﴾[٣]. قال : الزيادة: النظر إلى وجه الله عز وجل وليس شيء أحب إلى أهل الجنة من يوم الجمعة يوم المزيد ؛ لأنهم يرون فيه الجبار جل جلاله وتقدست أسماؤه .

يقول القرطبي : قوله : ﴿ في كثيب ﴾ يريد أهل الجنة ، أي : هم على كثيب : وقيل : المزيد ما يزوجون به من الحور العين ، رواه أبو سعيد الخدري مرفوعا ، وذكر أبو نعيم ، عن خالد بن معدان ، عن كثير بن مرة قال : إن من المزيد أن تمر السحابة بأهل الجنة فتقول : ما تريدون أن أمطركم ، فلا يتمنون شئيا إلا مطروا ، قال خالد : يقول كثير : لأن أشهدني الله ذلك لأقولن لها : أمطرينا جواري مزينات .

---

(١) ابن المبارك في زوائد الزهد ، والهيثمى في مجمع الزوائد.
(٢) ق : ٣٥ .
(٣) يونس : ٢٦ .

وقد روي من حديث ابن عمر رضي الله عنهما : ﴿ أكرمهم على الله من ينظر إلى الله غدوة وعشيا ﴾ ، وهذا يدل على أن أهل الجنة في الرؤية مختلفوا الحال .

وقد روي عن أبي يزيد البسطامي ﷺ أنه قال : إن لله تعالى عبادا لو حجبهم في الجنة ساعة لاستغاثوا من الجنة ونعيمها كما يستغيث أهل النار من النار وعذابها[1].

أهل المزيد من الله في الدنيا في مزيد من العطاء الإلهي قبل الآخرة ، وحنينهم أبدا لرؤية وجه الله سبحانه ، وهيامهم دائم متواصل من يوم ﴿ أَلَسْتُ ﴾ يقول الإمام المجدد السيد محمد ماضى أبو العزائم ﷺ :

مَــنْ إليــة يحــنُّ أهــلُ الشــهود ... فى هيــام بمشــهد التوحيــد ؟!
مــن هيــامي بــه قبيــل "أَلَسْــتُ"[2] ... لا بِلَــبْسٍ في رتبــة التجديــد ؟!
مــن أضــاءت صــفاتُه مشــرقاتٌ ... في مقــام التتريــه بالتفريــد ؟!
مــن بــه القــربُ فيــه منــه إليــه ... في مقــام الإطــلاق ســر وجــودي ؟!
صــاغني صــورةً ومــثلاً عليًّــا ... أفــق شمــس الأخفــى لنــور الــودود
مــن رآني مــن قبــل كــوني وأيــن ؟! ... مــن أراني جمالَــه بالمزيــد ؟!
كنــتُ والعلــم حــيطتي في التجلــي ... صــرتُ والوجــه حــيطتي في شــهودي
حيــث وليــت أشْــهَدَنْهُ عِيانــا ... " كُنْ " أضاءت بــ"كَــانَ " لا بــالقيود
ســر بــدئي أزلا وعــودي جليــا ... نــوره مشــرق لكــل مريــد
تلــك راح الأرواح تعطــى بفضــل ... يحتســيها الفــتى بفضــل المجيــد
مــن " أَلَسْــتُ " قــد خُصِّصَــتْ لكــرام ... أهــلِ عــزمٍ بصــحة التجريــد
نَــاوَلَتْهُم يمــينُ طــه مُــداماً ... صــافيا خمــرة مــن التوحيــد
أســكرَتْهم غــابوا بــه عــن ســواه ... هَيَّمَــتْهُم في حوضــه المــورود

---

(١) ابن المبارك في زوائد الزهد ، وأبو نعيم في الحلية .

(٢) إشارة إلى قول الله تعالى : ﴿ وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى ﴾ الأعراف : ١٧٢ .

جَمَّلَــتْهم بحلــة القــرب حــتى عــاينوه في المشــهد المحمــود
صَــلِّ ربي علــى الحبيــب المرجــى أعطنــا الفضــل والرضــا بالمزيــد

دليل على أن المؤمنين لا يحجبون عن الله عز وجل :

يقول الله تعالى : ﴿ كَلا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾[1] ووجه الاستدلال بها أنه سبحانه وتعالى جعل من أعظم عقوبة الكفار كونهم محجوبين عن رؤيته وإسماع كلامه ، فلو لم يره المؤمنون ولم يسمعوا كلامه كانوا أيضا محجوبين عنه ، وقد احتج بهذه الحجــة الشــافعى نفسه وغيره من الأئمة رضي الله عنهم ، فذكر الطبراني وغيره عن المزني قال : سمعت الشافعي يقول في قوله عز وجل : ﴿ كَلا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾ فيها دليل على أن أولياء الله يرون ربهم يوم القيامة .

وقال الحاكم : حدثنا الأصم ، أنبأنا الربيع بن سليمان قال : حضرت محمد بن إدريــس الشافعي ، وقد جاءته رقعة من الصعيد فيها : ما تقول في قول الله عز وجل : ﴿ كَلا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾ فقال الشافعي : لما أن حجب هؤلاء في السخط كان في هذا دليل على أن أولياءه يرونه في الرضا .

قال الربيع : فقلت : يا أبا عبد الله ، وبه تقول ؟ قال : نعم ، وبه أدين ، ولو لم يــوقن محمد بن إدريس أنه يرى الله لما عبد الله عز وجل .

ورواه الطبراني في شرح السنة من طريق الأصم أيضا .

وقال أبو زرعة الرازي : سمعت أحمد بن محمد بن الحسين يقول : سئل محمد بن عبد الله بن الحكم : هل يرى الخلق كلهم ربهم يوم القيامة المؤمنون والكفار ؟ فقال : ليس يــراه إلا المؤمنون .

---

(١) سورة المطففين آية : ١٥ .

قال محمد : وسئل الشافعي عن الرؤية فقال : يقول الله تعالى : ﴿ كَلا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾ ففي هذا دليل عن أن المؤمنين لا يحجبون عن الله عز وجل .

يقول الله تعالى : ﴿ لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴾[1] قال الطبراني : قال على بن أبي طالب وأنس بن مالك : هو النظر إلى وجه الله عز وجل . وقاله من التابعين زيد بن وهب وغيره .

وأهل الإيمان لا يحجبون عن الله في الدنيا ولا في الآخرة ، فهم في شهود لجمال الوجه العليّ بلا حجاب، رفع عنهم الأين والبين حتى ذكروا الله معاينة ، يقول الإمام أبو العزائم عليه السلام:

إني لأذكره والذكر يجذبني ... حتى أرى وجهه في حال إقبال
يا نفخة القدس مُنِّى لي بعارفة ... حتى تفصل مني كنز إجمالى
يا رب هبنا الشفا والفضل أجمعه ... هبنا عطاياك في حل وترحال

ويقول رضي الله عنه أيضا :

نورُ قُدْسٍ يُجلى على الأرواح ... فيُفيض الهدى على الأشباح
فتهيم النفوسُ بعد زكاها ... باشتياق لحضرة الفتاح
يتجلى وهو القريبُ بمعنى ... من معانى القرآن والإيضاح
فتراه الأرواح رأي اشتياق ... ويكون الظلام مثلَ الصباح
يظهر النورُ نورُ ربٍّ عليٍّ ... من مقام علا عن الإفصاح
فتراه العشاقُ بعد التجلي ... بالتجلي والشرب من أقداح
يتحلى بنوره من تزكى ... يتملى بنوره المصباحي
يهجر الكونَ والجنانَ وعرشاً ... رغبة في شهوده الفتاح
ذاك خمر الحبيب طه حبيبي ... نُوِّلَتْ للحبيب والأرواح
إن تَرُمْ رشفها تخلَّقْ بخُلُقٍ ... وتواضع لمنعم بالصلاح

---

(١) سورة ق آية : ٢٥ .

فهـــي نــــورُ القلـــوب عـــينُ حيـــاتي مـــن يـــذقها سمـــا بغـــير جنـــاح
يترقـــى لحضـــرة القـــدس يـــرأى نـــورَ مـــولاه ظـــاهرا في البطـــاح
فـــابن عمـــران قـــد رآه جهـــارا ظـــاهرا نـــوره بكـــل النـــواحي
قَصَـــدَ النَّـــارَ يـــرجُ منـــه قبَســـا فبـــدا ربُّـــه بســـر الســـماح
فـــرأى النـــارَ قـــد أضـــاءت بنـــور ورأى الأرضَ قُدِّسَـــتْ بـــالفلاح
ثم نـــاداه فـــاخلع النعـــلَ إنِّـــي أنـــا مـــولاك فاتئـــد بالمبـــاح
ذا بفضـــل ولـــيس ذاك بعمـــل بـــل بجـــود مـــن مـــنعم فتـــاح

وقد يعجل الله تعالى لمن اصطفاهم في الدنيا أنواعا من الفضل ، لا تحصى ولا تعد ، فآياته للسالكين إليه معارج ووسائل ، وشهود الواصلين وجه العليّ فتكون لهم الآيات مشكاة وتواصل، ويغيب العارفون به سبحانه عن الآيات أنساً بوجهه العليّ .

يقول رضي الله عنه :

آيُ المظـــاهرِ والشـــئونِ دلائـــل للســـالكين معـــارجٌ ووســـائلُ
تجلـــى لهـــم أســـرارُها حـــال الصـــفا وهـــي الريـــاض مـــوارد ومنـــازل
والواصـــلون شـــهودُهم وجـــهُ العلـــيّ والآيُ مشـــكاة لهـــم وتواصـــل
لا يشـــهدون ســـوى المعـــاني أشـــرقت والآيُ أقـــداحٌ لهـــم ومناهـــل
شـــهدوا جمـــالَ الحـــقِّ لاح منزهـــا والكشـــفُ يهـــواه المحـــبُّ الواصـــل
لم تُلـــههم تلـــك الشـــئونُ وحســـنُها عـــن مبـــدع هـــو ظـــاهرٌ هـــو أول
أرواحُهـــم أنِسَـــتْ بنـــور جمالـــه وقلـــوبُهم عمـــرت وسِـــرِّي مجمـــل
في كـــل نَفَـــس شـــوقهم ينمـــو وفي أحـــوالهم طـــرب لهـــم وتمايـــل
شـــهدوا بعـــين القلـــب نـــورَ مُكَـــوِّنٍ فـــيهم تجلـــى وهـــو كشـــف كامـــل
والعـــارفون الآلهـــون بـــربهم غـــابوا عـــن الآيـــات وهـــي شمائـــل
لم يُلـــههم عـــن ربهـــم دنيـــا ولا أخـــرى تعـــالى وهـــو نِعْـــمَ الأول
أنِسُـــوا بوجـــه الله جـــل جلالـــه لم يُلـــههم حـــظ وكـــون ســـافل

مـــع ربهـــم بقلـــوبهم وضـــميرهم وهمـــو النفـــائس لا يـــراهم غافـــل

يا ظاهرا بشئونه ومنزهـا تلـك الشـمائلُ في مجـــده عـــن أن يـــراه العاقـــل

والشـــــــــئونُ معـــــــــارجٌ للســـــالكين ومشـــــهدٌ ودلائـــــل

ومـــدارج للغـــافلين عـــن الهـــدى والنـــورُ لا يـــرآه أعمـــى جاهـــل

إني ابتـــهلت إلى جنابـــك ضـــارعا وأنـــا الفقـــير أنـــا الـــذليل الســـائل

أرجـــوك فضـــلَك والرضـــا بحنانـــة وشـــهود وجهـــك كـــل مـــا أنـــا آمـــل

جـــدد بتجديـــد الســـنين لنـــا العطـــا والفضـــلَ والإحســـان أنـــت الفاعـــل

بَـــدِّلْ ذنـــوبي بالحنانـــة ســـيدي بجمـــال حســـنات فقلـــبي واجـــل

وافـــتح كنـــوز اســـم الـــوليّ بوســـعة وكنـــوزَ وهـــاب ففضـــلُك شـــامل

وكنـــوزَ مُغْـــنٍ يـــا قريـــبُ تعطفـــاً فالعبـــدُ مضـــطرٌّ وحقّـــك عائـــل

وأهِـــلَّ هـــذا العـــام بـــالخيرات يـــا فتـــاحُ يـــا معـــط ففضـــلك واصـــل

وأعزنا بولاية وعناي واجمع قلوب المسـلمين أعـــط عُبَيْـــدَكَ كـــلَّ مـــا قـــد يأمـــل

واجمـــع قلـــوب المســـلمين علـــى الهـــدى جَـــدِّدْ منـــاهج شـــرعنا يـــا أول

أيِّـــدْ بـــرُوحٍ منـــك عبـــدَك أظْهِـــرَنْ نـــورَ القـــران بـــه يســـير العامـــل

جـــدِّدْ بنـــا ســـننَ الحبيـــب محمـــدٍ تحيـــا القلـــوبُ بهـــا ويحيـــا الواصـــل

وصـــلاةُ ذاتـــك للحبيـــب المصـــطفى تعطِـــي بهـــا المســـكين مـــا هـــو آمـــل

ويتراءى الجميل الحق في الدنيا للأرواح ، فيحيرها بجماله الوضاح ، فيسكرها تتزه سبحانه عن كيف وعن إفصاح ، فيراه محبوبه به نورا بسر نزاهته جل وعلا ، ونور العلم يرفع أهله ، ومعرفة الديان سر النجاح ، وهو شراب للروح خص بأهله يدار بفضل الله للأرواح .

كما يقول الإمام رضي الله عنه :

تـــراءى الجميـــل الحـــق لــــلأرواح فحيرهــــــا بجمالـــــــه الوضــــــاح
رأتـــه جهـــارا حالـــة الـــذكر ظـــاهرا فشـــــوّقنى الــــــذكر إلى الفتـــــاح
ذكــــرت بشــــوق واصــــطلام ولهفـــة فنلـــتُ بحـــال الـــذكر كـــلَّ فـــلاح
وفي الذكر قد كُشف الحجـابُ فـلاح لي جمـــالُ جميـــلٍ في مِســـاً وصـــباح
أدار علـــى رُوحـــي لـــدى الـــذكر خمـــرةً وناولنـــــا خمـــــرا بغـــــير قـــــداح
فأســـــكر رُوحــــي خمــــرُه فشـــهدتُه تـــتره عـــن كيـــف وعـــن إفصـــاح
تجلى وقد كشـف الحجـابَ بـلا خفـا فشـــــاهدتُه نـــــورا بكـــــل بطـــــاح
وفي حيثمـــا وليـــتُ وجهـــي يلـــوح لي فبشـــرى فقـــد فزنـــا بكـــل فـــلاح
تجلـــى فـــأخفى ظـــاهري في ظهـــوره فكنـــــت لـــــه المشـــكاة في المصـــباح
تـــدلى فـــأخفى بـــاطني في بطونـــه فكنـــت لـــه الآيـــات في الألـــواح
دنـــا ثم أخفـــى بـــاطني في شـــهوده وأخفـــى وجـــودي ظـــاهرُ الفتـــاح
أراه بـــــه نـــــورا بســـــر نزاهـــــة أنـــــا لَوْحُـــــهُ المحفـــوظُ في الأشـــباح
تترهـــتَ عـــن كيـــف تعاليـــتَ عـــزةً أنـــا الطـــينُ صـــوَّرَني لنيـــل فـــلاح
أنــــا صــــورةٌ تــــنبي إليــــه بغيبــــها وقــــد أســــجد الأمــــلاكَ ذق إفصــــاحي
وســـــخر أمـــــلاكَ الســـــماء بفضـــله لمـــــاءٍ مهـــــينٍ صـــــورةِ الفتـــــاح
نعـــم أنـــا طـــينٌ غـــير أنِّـــيَ هيكـــلٌ بـــه نفخـــة القـــدس العلـــي بإيضـــاح
تلَـــقَّ فنـــورُ العلـــمِ يرفـــع أهلَـــه ومعرفـــــةُ الـــــديان ســـــرُّ نجـــــاحي
وهـــذا شـــراب الـــرُّوح خُـــصَّ بأهلـــه يُـــــدار بفضـــــل الله لـــــلأرواح
ســـــقاها رســـــولُ الله صـــــرفا طهـــــورةً لكـــــل فتًـــــى وافى بغـــــير جُنـــــاح
لأهـــل الصـــفا أهـــل العـــزائم خلـــتي و مـــــن أقلبـــــوا لله بـــــالأفراح
ومـــن أخلصـــوا لله قلبـــا وقالبـــا فخصـــــهمو منـــــه بتلـــك الـــراح
ولم تُلـــهِهم دنيـــا وحـــظٌّ وشـــهوةٌ مرادهمـــو الزلفـــى لـــدى الفتـــاح
صـــلاةٌ علـــى رُوحِ الوجـــودِ محمـــدٍ بهـــا نُمـــنحُ الزلفـــى وكـــلَّ فـــلاح

الفرق بين الإدراك والرؤية :

يقول الله تعالى : ﴿ لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ ﴾[1] والاستدلال بهذا أعجب فهو من أدلة النفاة ، ولكن هذه الآية وهي على جواز الرؤية أدل منها على امتناعها ، فلو كان المراد بقوله : ﴿ لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ ﴾ أنه لا يُرى بحال ، لم يكن في ذلك مدح ولا كمال لمشاركة المعدوم له في ذلك ، فإن العدم الصرف لا يُرى ولا تدركه الأبصار ، والرب جل جلاله يتعالى أن يُمْدَحْ بما يشاركه فيه العدم المحض .

فإن المعنى : أنه يُرَى ولا يُدْرَك ولا يحاط به كما كان المعنى في قوله : ﴿ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ ﴾[2] أنه يعلم كل شيء ، وفي قوله : ﴿ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴾[3] أنه كامل القدرة ، وفي وقوله : ﴿ وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً ﴾[4] أنه كامل العدل ، وفي قوله : ﴿ لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ ﴾[5] أنه كامل القيومية ، فقوله : ﴿ لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ ﴾ يدل على غاية عظمته وأنه أكبر من كل شيء ، وأنه لعظمته لا يُدْرَك بحيث يحاط به ، فإن الإدراك هو الإحاطة بالشيء وهو قدر زائد على الرؤية كما قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا تَرَاءى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ قَالَ كَلا ﴾[6].

فلم ينف سيدنا موسى عليه السلام الرؤية ، ولم يريدوا بقولهم : ﴿ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴾ إنا لمرئيون ، فإن سيدنا موسى عليه السلام نفى إدراكهم إياهم بقوله : ﴿ كَلا ﴾ وأخبر سبحانه أنه لا يخاف دركهم بقوله : ﴿ وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقاً فِي الْبَحْرِ يَبَساً لا تَخَافُ دَرَكاً وَلا تَخْشَى ﴾[7].

---

(١) الأنعام : ١٠٣ .
(٢) يونس : ٦١ .
(٣) ق : ٣٨ .
(٤) الكهف : ٤٩ .
(٥) الكهف : ٤٩ .
(٦) البقرة : ٢٥٥ .
(٧) الشعراء : ٦١ – ٦٢ .

فالرؤية والإدراك كل منهما يوجد مع الآخر وبدونه ، فالرب تعالى يُرَى ولا يُـدْرَكُ ، كما يُعْلَم ولا يحاط به ، وهذا هو الذي فهمه الصحابة والأئمة رضي الله عنهم من هذه الآية .

قال ابن عباس رضي الله عنهما : ﴿ لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ ﴾ : لا تحيط به الأبصار .

وقال قتادة : هو أعظم من أن تدركه الأبصار .

وقال عطية : سينظرون إلى الله ولا تحيط أبصارهم به من عظمته ، وبَصره يحيط بهم ، فذلك قوله تعالى : ﴿ لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار ﴾ فالمؤمنون يرون ربهم تبارك وتعالى بأبصارهم عيانا ولا تدركه أبصارهم ، بمعنى أنها لا تحيط به ، إذ كان غير جائز أن يوصف الله عز وجل بأن شيئا يحيط به ، وهو بكل شيء محيط ، وهكذا يسمع كلام خلقه ولا يحيطون بكلامه ، وهكذا يعلم الخلق ما علمهم ولا يحيطون بعلمه .

وتأمل حسن هذه المقابلة لفظا ومعنى بين قوله سبحانه : ﴿ لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ ﴾ فإنه سبحانه لعظمته يتعالى أن تدركه الأبصار وتحيط به ؛ وللطفه وخبرته يدرك الأبصار فلا تخفى عليه ، فهو العظيم في لطفه ، اللطيف في عظمته ، العليّ في قربه ، القريب في علوه ، الذي ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ، لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير .

يقول الله تعالى : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾(1) ، معلوم أن النظر له عدة استعمالات بحسب صلاته وتعديه بنفسه :

فإن عدي بنفسه فمعناه التوقف والانتظار كقوله : ﴿ انظرونا نقتبس من نوركم ﴾(2).

وإن عدي بـ (في) فمعناه التفكر والاعتبار كقوله : ﴿ أو لم ينظروا في ملكوت السموات والأرض ﴾(3).

---

(1) القيامة : ٢٢ – ٢٣.
(2) الحديد : ٣ .
(3) الأعراف : ١٨٥ .

وإن عدي بـــ (إلى) فمعناه المعاينة بالأبصار كقوله : ﴿انظُرُواْ إِلِى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ﴾[1] فكيف إذا أضيف إلى الوجه الذي هو محل البصر ؟!.

قال يزيد بن هارون : أنبأنا مبارك عن الحسن قال : نظرت إلى ربها تبارك وتعالى فنظرت بنوره .

ذكر ابن مردويه في تفسيره عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله "ﷺ وآلـــه" في قوله تعالى : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴾ قال : ﴿ من البهاء والحسن ﴾ ، ﴿ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ قال : ﴿ في وجه الله عز وجل ﴾ .

وقال أبو صالح عن ابن عباس : ﴿ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ قال : تنظر إلى وجه ربها عز وجل.

وقال عكرمة : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴾ قال : من النعيم ﴿ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ قـــال : تنظر إلى ربها نظرا ، ثم حكى عن ابن عباس مثله ، وهذا قول المفسرين مـــن أهـــل الســـنة والحديث .

زيارة أهل الجنة ربهم تبارك وتعالى :

روى الإمام الشافعي ﷺ عن عبد الله بن عبيد بن عمير أنه سمع أنس بـــن مالـــك ﷺ يقول: أتى جبريل بمرآة بيضاء فيها نكتة سوداء إلى النبي "ﷺ وآله" ، فقال النبي "ﷺ وآله" : ﴿ ما هذه ؟ قال : الجمعة فضلت بها أنت وأمتك فالناس لكم فيها تبع اليهـــود النصـــارى ، ولكم فيها خير ، وفيها ساعة لا يوافقها مؤمن يدعو الله بخير إلا استجيب له ، وهو عندنا يوم المزيد ﴾ .

قال النبي "ﷺ وآله" : ﴿ يا جبريل ، وما يوم المزيد ؟ قال : إن ربك اتخذ من الفردوس واديا أفيح فيها كثيب المسك ، فإذا كان يوم القيامة أنزل الله تبارك وتعالى ما شاء من ملائكته وحوله منابر من نور عليها مقاعد النبيين ، وحف تلك المنابر بمنابر من ذهب مكللة بالياقوت

---

(١) الأنعام : ٩٩ .

والزبرجد ، عليها الشهداء والصديقون ، فجلسوا من ورائهم على تلك الكثيب فيقول الله تعالى : أنا ربكم قد صدقتم وعدي فسلوني أعطكم ، فيقولون : ربنا نسألك رضوانك ، فيقول : قد رضيت عنكم ولكم ما تمنيتم ولديّ مزيد ، فهم يحبون يوم الجمعة لما يعطيهم فيه ربهم من الخير ، وهو اليوم الذي استوى فيه ربكم على العرش ، وفيه خلق آدم عليه السلام ، وفيه تقوم الساعة ﴾[١].

وروى أبو نعيم عن أبي برزة الأسلمي عن النبي "ﷺ وآله" قال : ﴿ إن أهل الجنة ليغدون في حلة ويروحون في أخرى كغدو أحدكم ورواحه إلى ملك من ملوك الدنيا ، كذلك يغدون ويروحون إلى زيارة ربهم عز وجل ، وذلك لهم بمقادير ومعالم ، يعلمون تلك الساعة التي يأتون فيها ربهم عز وجل ﴾[٢] قال : وروى جعفر بن حسن بن فرقد عن أبيه مثله .

وذكر أبو نعيم أيضا من حديث أبي إسحاق عن الحارث عن الإمام عليّ عليه السلام قال : ﴿ إذا سكن أهل الجنة الجنة؛أتاهم ملك فيقول لهم : إن الله تبارك وتعالى يأمركم أن تزوروه ، فيأمر الله تبارك وتعالى داود عليه السلام ، فيرفع صوته بالتسبيح والتهليل ، ثم يوضع مائدة الخلد ﴾.

قالوا : يا رسول الله ، وما مائدة الخلد ؟ قال : ﴿زاوية من زواياها أوسع مما بين المشرق والمغرب ، فيطعمون ، ثم يسقون ، ثم يكسون ، فيقولون : لم يبق إلا النظر في وجه ربنا عز وجل ، فيتجلى لهم فيخرون سجدا ، فيقال لهم : لستم في دار عمل ، إنما أنتم في دار جزاء﴾[٣].

الله تعالى يقول : يا أهل الجنة سلوني

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : قال رسول الله "ﷺ وآله" : ﴿ بينا أهل الجنة في مجلس لهم إذ سطع لهم نور على باب الجنة ، فرفعوا رؤوسهم فإذا الرب تبارك وتعالى قد

---

(١) الشافعي في سنده ، وأفيح : واسع ، ونكتة : نقطة وأثر ، وكثب : جمع كثيب وهو الرمال .
(٢) أبو نعيم في صفة الجنة .
(٣) أبو نعيم في صفة الجنة .

أشرف ، فقال تعالى : يا أهل الجنة سلوني ، قالوا : نسألك الرضا عنـا ، قـال : رضـائي أحلكم داري وأنالكم كرامتي ، هذا أوانها فسلوني ، قالوا : نسألك الزيادة ﴾ .

قال : ﴿ فيؤتون بنجائب من ياقوت أحمر أزمتها زمرد أخضر وياقوت أحمر ، فجـاءوا عليها تضع حوافرها عند منتهى طرفها ، فيأمر الله بأشجار عليها الثمار فتجيء جواري الحور العين وهن يقلن : نحن الناعمات فلا نبأس ، ونحن الخالدات فلا نموت ، أزواج قوم مـؤمنين كرام .

ويأمر الله عز وجل بكثبان من مسك أبيض أذفر فيثير عليهم ريحا يقال لها : المثيرة ، حتى تنتهي بهم إلى جنة عدن وهي قصبة الجنة ،فتقول الملائكة : يا ربنا قد جاء القوم ، فيقـول : مرحبا بالصادقين ، ومرحبا بالطائعين ، قال : فيكشف لهم الحجاب فينظرون إلى الله تبـارك وتعالى ويتمتعون بنور الرحمن حتى لا يبصر بعضهم بعضا ، ثم يقول : ارجعوهم إلى القصـور بالتحف ، فيرجعون وقد أبصر بعضهم بعضا ﴾ فقال رسول الله "ﷺ وآله" : ﴿ فذلك قوله تعالى : (نُزُلاً مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ)[1] ﴾[2] .

يقول الإمام المجدد أبو العزائم عليه السلام :

نعـم أشـرقت أنـوارُ معـطٍ ووهـاب   فـلاح جمـالُ الله للألبـاب
تجلـى لنـا بجمـال قـدس مـنزه   فنـاوَلَ خمـرَ الحـبِّ للأحبـاب
إليـه جُـذبنا بـالقلوب وإننـا   سـكِرنا بنـور الوجـه لا بشـراب
سقانا شرابَ الحـبِّ في القـدسِ ظـاهرا   مـن العـين عـينِ القـربِ لا الأكـواب
ونـادى أنـا المحبـوبُ بشـرى تنعمـوا   بـأنوار وجهـي في علـيِّ جنـابي
لـديها فـلا الفـردوسُ قصـدُ صـغيرنا   ولكننـا نرجـو رضـا التـواب
ونحـن نعـم أهـل العـزائم خَصَّنـا   برؤيـةِ نـورِ الوجـهِ لا بحجـاب
وهل يَحْجُبُ الفـردوسُ فَـرْداً مجمـلا   تجلـى لـه مـولاه سـر كتـاب

(١) فصلت : ٣٢ .
(٢) البيهقي في البعث والنشور .

سلام الله تعالى على أهل الجنة ونظرهم إليه :

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن النبي "ﷺ وآله" قال : ﴿ بينا أهل الجنة في نعيمهم، إذ سطع لهم نور من فوقهم ، فإذ الرب سبحانه قد أشرف عليهم ، فقال : السلام عليكم يا أهل الجنة ، وذلك قوله تعالى : (سَلامٌ قَوْلاً مِن رَّبٍّ رَّحِيمٍ)[1] ﴾ ، قال : ﴿ فإذا نظروا إليه نسوا نعيم الجنة حتى يحتجب عنهم ؛ بقي نوره وبركته عليهم في ديارهم ﴾[2].

قوله : ﴿ قد أشرف عليهم ﴾ أي : اطلع ، كما يقال : فلان مشرف عليك ، أي : مطلع عليك من مكان عال ، والله تعالى لا يوصف بالمكان من جهة الحلول والتمكين ، وإنما يوصف من جهة العلو والرفعة ، فعبر عن اطلاعه عليه ونظره إليهم بالإشراف ، ولما كان سبحانه قائلا متكلما وكان الكلام له صفة في ذاته ، لم يزل ولا يزال فهو يسلم عليهم سلاما هو قول منه .

كما قال تعالى : ﴿ سَلامٌ قَوْلاً مِن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴾ وقوله : ﴿ فإذا نظروا إليه نسوا نعيم الجنة ﴾ أي : لهوا عنه بلذة النظر إلى وجهه الكريم ، وذلك أن ما دون الله تعالى لا يقاوِم تجليه ، ولولا أن الله تعالى يثبتهم ويبقيهم لحل بهم ما حل بالجبل حين تجلى له .

وقوله : ﴿ حتى يحتجب عنهم ﴾ يجوز أن يكون معناه : حتى يردهم إلى نعيم الجنة الذي نسوه وإلى حظوظ أنفسهم وشهواتها التي سهوا عنها فانتفعوا بنعيم الجنة الذي وعده لهم ، وتنعموا بشهوات النفوس التي أعدت لهم ، وليس ذلك إن شاء الله تعالى على معنى الاحتجاب عنهم الذي هو بمعنى الغيبة والاستتار ، فيكونوا له ناسين وعن شهوده محجوبين ، وإلى نعيم الجنة ساكنين ، ولكنه يردهم إلى ما نسوه ، ولا تحجبهم عما شاهدوه حجبة غيبة واستتار .

---

(١) يس : ٥٨ .
(٢) سنن ابن ماجه ، واللآلئ المصنوعة .

يدل على ذلك قوله : ﴿ بقى نوره وبركته عليهم في ديارهم ﴾ ، وكيف يحجبهم عنه وهو ينعت المزيد عليهم وما وعدهم به من النعيم والنظر إذا صح ، والحجبة إذا ارتفعت لم يكن بين نظر البصر وشهود السر فرق ، ولا بين حال الشهود والغيبة فرق فيكون محجوبا في حال الغيبة ، بل تتفق الأوقات وتتساوى الأحوال فيكون في كل حال شاهدا ، وبكل جارحة ناظرا ، ولا يكون في حال محجوبا ، ولا بالغيب موصوفا .

عن أبي بكر بن عبد الله بن قيس ، عن أبيه ، عن النبي "ﷺ وآله" قال : ﴿ جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما ، وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما ، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم عز وجل ؛ إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن ﴾(١).

وعن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال : كنا عند رسول الله "ﷺ وآله" فنظر إلى القمر ليلة البدر فقال : ﴿ إنكم سترون ربكم عيانا كما ترون هذا القمر لا تضامون فى رؤيته ، فإن استطعتم ألا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروبها فافعلوا ﴾ ثم قرأ : ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ﴾ (٢) أخرجة البخاري ومسلم وأبو داود والترمذى ، وقال : حديث حسن صحيح .

عن أبي رزين العقيلي قال : قلت : يا رسول الله ، أكلنا يرى الله مخليا به يوم القيامة ؟ قال : ﴿ نعم ﴾ . قلت : وما آية ذلك في خلقه ؟ قال : ﴿ يا أبا رزين ، أليس كلكم يرى القمر ليلة البدر مخليا به ؟ ﴾ قلت : بلى . قال : ﴿ فالله أعظم ، إنما هو خلق من خلق الله – يعنى القمر – فالله أجل وأعظم ﴾(٣).

وقوله : ﴿ إلا رداء الكبرياء على وجهه ﴾ ، الرداء هنا مستعار كني به عن كبريائه وعظمته ، يبينه الحديث الآخر :﴿ الكبرياء ردائي ، والعظمة إزاري ﴾ (٤) يريد بذلك صفتي،

---

(١) صحيح مسلم في كتاب الإيمان ، سنن ابن ماجه .
(٢) ق : ٣٩ .
(٣) سنن أبي دواد ، والقرطبي في تفسيره .
(٤) مسند الإمام أحمد ، موارد الظمآن للهيثمي .

فقوله : ﴿ رداء الكبرياء ﴾ يريد : صفة الكبرياء ، فهو بكبريائه وعظمته لا يريد أن يــراه أحد من خلقه بعد رؤية القيامة حتى يأذن لهم بدخول جنة عدن ، والله أعلم .

فإذا دخلوها أراد أن يروه فيروه وهم في جنة عدن ، قال معناه البيهقي وغيره ، ليست العظمة والكبرياء من جنس الثياب المحسوسة ، إنما هي توسعات ، ووجه المناسبة أن الــرداء والإزار لما كانا ملازمين للإنسان مخصوصين به ، ولا يشاركه فيهما غيره ، عبر عن عظمتــه وكبريائة بهما ، لأنهما مما لا يجوز مشاركة الله تعالى فيهما ، ألا ترى آخر الحــديث : فمــن نازعني واحدا منهما قصمته ثم قذفته في النار .

الرضوان أفضل ما يعطاه أهل الجنة :

عن أبي سعيد ﷺ قال : قال رسول الله "ﷺ وآله" : ﴿ إن الله تعالى يقول لأهل الجنة : يا أهل الجنة ، فيقولون : لبيك ربنا وسعديك ، والخير كله في يديك ، فيقول : هل رضيتم ؟ فيقولون : وما لنا لا نرضى يا رب ، وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدا من خلقك ؟ فيقــول : ألا أعطيكم أفضل من ذلك ؟ فيقولون : يا رب ، وأي شيء أفضل من ذلك ؟ فيقول : أحــل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبدا ﴾ متفق عليه[١].

وأعظم النعيم النظر إلى وجه الله الكريم في جنات النعيم ، يقول ابن الأثير : رؤيــة الله هي الغاية القصوى في نعيم الآخرة ، والدرجة العليا من عطايا الله الفاخرة ، بلَّغنا الله منها ما نرجو[٢].

وقد صرح الحق تبارك وتعالى برؤية العباد لربهم في جنات النعيم ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾[٣]، والكفار والمشركون يحرمون من هذا النعيم العظيم والتكرمة البــاهرة ﴿ كَلا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾[٤].

---

(١) مشاكة المصابيح .
(٢) جامع الأصول .
(٣) القيامة : ٢٢- ٢٣ .
(٤) المطففين : ١٥ .

الفوز العظيم رؤية جمال وجه الله تعالى :

كثيرا ما نجد ختام آيات الجنة والحديث عنها وما فيها بقوله تعالى : ﴿ وذلك الفوز العظيم ﴾ ، ﴿ وذلك هو الفوز العظيم ﴾ .

يبين الإمام المجدد السيد محمد ماضي أبو العزائم ﷺ أن الفوز معلوم ، والعظيم كلمة مجملة ، بينت ما يتفضل الله به على من يسارع في تنفيذ أوامر الله تعالى.......

وتفصيل هذه الكلمة فوق أن تعبر عنه الألسنة إلا بقوله : ﴿ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الأَنفُسُ وَتَلَذُّ الأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾(١) وبيّن هذه الكلمة رسول الله "ﷺ وآله" بقوله : ﴿ فيها مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ﴾ رواه البخاري .

فإن قول الله : عظيم ، ليس كقول غيره سبحانه ، فقد يكون العظيم عند الله تعالى رؤية جماله سبحانه يوم القيامة ، والنظر إلى وجهه العليّ العظيم ، أو غير ذلك مما هو فوق العقول، ورؤية الرب جل جلاله من أشرف الأمور وأجلها قدرا وأعلاها خطرا ، وأقرها لعيون أهل الجنة ، وهي غاية العاملين ، ومنشود المحسنين ، يتنافس فيها المتنافسون ، ولمثلها يعمل العاملون .

إذا نال أهل الجنة الفوز بنعمة النظر إلى وجه الله الكريم نسوا ما هم فيه من النعيم ، وحرمانه أشد عليهم من الجحيم .

يقول رضي الله عنه :

أنا لا أخاف وحقِّه من نارِه ... كلا ولا أبغي الجِنانَ لطيبها
فالقربُ منه جنتي ومحاسني ... والبعدُ عنه نارُه ولهيبُها
ما خشيتي إلا شهود تحجبي ... عن مظهر الأسماء في آياتها
ما رغبتي إلا شهود جماله ... عند انكشاف الآي عن مدلولها

---

(١) الزخرف : ٧١ .

يا لائمين محمدا رفقا به — فهو الذي ذاق الجحيمَ وحرَّها

نارُ المحبةِ كم أذابت مهجتي — وأخو المحبةِ لا يميل لغيرها

هى بعض ما بي من غرامٍ زائدٍ — لو أنها ظهرت لأحرق نورُها

قَسَماً بمن أنا فيه ميتٌ مغرمٌ — لو فُتِّحت أبوابُها أغلقتُها

عَلُّوا عزائمَكم وهيا واعشقوا — لتشاهدوا عدنَ الجنانِ وطيبَها

هي قُربه هي نورُه هي وصلُه — يا من تريد وصولَها ودخولَها

الباب السادس عشر

الجنة العاجلة

الفصل الأول

الموتة الإرادية والرجوع إلى الله تعالى فى الحياة الدنيا

الموتة الإرادية :

قال تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءلُوا بَيْنَهُمْ ﴾[(١)] إشارة إلى سر الحكمة في السلوك والوصول ، وقال تعالى : ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾[(٢)] إذا جذبت الروح قواها الباطنة من قلب ، ونفس وخيال ، ووهم وحافظة ومدركة ، إلى ما تقتضيه مكانتها الروحية بكامل التمثيل والتشبيه ، تعطل الحس ، وأطفئت نار مقتضى الجسم ، وهو مقام الجمع للسالك والفناء للواصل ، والسكر للمتكمن ، ويكون الجسم في هذا الحال في كهف التحفظ من سعير نار الإبليسية ، ودخان البهيمية ، ومقتضيات البشرية ، خائفا وجلا من أن تعود له الحياة التى تحجبه عما هو مول وجهه صوبه .

فإن كانت الجذبة بعمل العقل كان الكهف حسا ، والعمل جسما ، وإن كانت بعامل الروح والحب كان الكهف رعاية ناتجة عن عناية مؤيدة لولاية ، وهم أفراد أهل الإيمان الكامل ، ممن تجاوزوا النظر في الكون وفي النفس ، وقد علمت كهفهم ، وبعثه هذا قيام للجهاد الأكبر لجيش الباطل فيه لا لجيش الباطل الخارج عنه ، لأنه تجاوز هذا المقام بكشف الستار .

---

(١) الكهف : آية ١٩ .
(٢) الأنعام : آية ١٢٢ .

الحياة الكونية بعد الموته الإرادية :

قال تعالى : ﴿ وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلاثَ مائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعاً ﴾[1] جواذب العناية من سابقة الحسنى لا تجعل الإنسان مجاهدا جهادا يرفع درجته مع المجاهدين في سبيل الله ، ولما كانت العناية إذا سبقت لفئة أو لفرد منحته المزيد من أنواع الرياضيات والمجاهدات ، حتى يفوز بأرقى مراتب المجاهدين ، جذبت أهل الكهف عناية الله التي سبقت ، ثم أحياهم سبحانه الحياة الكونية بكل معانيها بعد أن أماهم الموته الإرادية بالفناء عن وجودهم الإنساني إلى الوجود البرزخي .

وفي قوله تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ ﴾[2] أحييناهم الحياة الكونية بلوازمها ، ليفيقوا فوقة الوجود في مقام الشهود ، ليحصل لهم الشهود في مقام الوجود ، في مشاهد المثنوية بعد الاستغراق في الواحدية التي جذبتهم من حظيرة الملوكية – لأهم كانوا وزراء – إلى ثرى العبودية ، وستر عنهم سبحانه سرين عظيمين : سر العناية الأزلية ، وسر المشاهد البرزخية ، بدليل قوله تعالى : ﴿ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ﴾[3] حتى يكون الجهاد في ستر الخصوصية وحجب المراد .

ثم فتح فاتحة الجهاد برد حياة النفس الغذائية ، فدعتهم الضرورة إلى أن يغذوها بغذائها، فأمروا من يذهب لشراء الخبز بما لديهم من نقود الفضة المشار إليها ﴿ بِوَرِقِكُمْ هَـذِهِ ﴾[4] لحكمة هي خاتمة الجهاد الذي نفَس منه خير من خمسين ألف سنة من غيره ، لأهم كانوا عند الله في أيام الله .

قدر جل جلاله أن يعثر عليهم أهل العصر الحاضر ، ليعروهم ما يعروا غيرهم عند الصدمة مع الهلع والجزع ، وليعملوا أن قدرة الله صالحة أن تقيم الساعة ، بما ظهر لهم من

---

(١) الكهف : آية ٢٥ .
(٢) الكهف : ١٩ .
(٣) الكهف : ١٩ .
(٤) الكهف : ١٩ .

إقامتهم بضع مائة سنة ، حتى إذا ماتوا بعد ذلك الموتة العزرائيلية ، ماتوا مؤمنين كاملين في الدنيا قبل الآخرة ، لأن كشف أسرار القدرة في الآخرة لا ينفع من مات غير مؤمن بها في الدنيا .

فظهرت الحكمة ، وهي أن وعد الله حق ، وأن الساعة التي أخبرنا الله بها آتية حقا ، فيموتون مستبشرين بالفوز بوعد الله لأهل طاعته ، وهذا سلوك من جذبتهم العناية أزلا ، فبادهتم العواطف الإلهية ، فأحيت لطائف قلوبهم ؛ فجذبوا منهم ومن الكائنات إلى الله تعالى محتسين طهور ﴿ فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ ﴾[1] وكذلك يكون السالك إذا منحه الله الجذبة إلى كهف حصون الشريعة المطهرة .

وفي قوله تعالى : ﴿ ثَلاثَ مائةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعاً ﴾ إشارة إلى أن السالك الفاني عن وجوده الباطل ، يفنيه الله تعالى عن الوقوف عند الأسباب ، وعن النظر إلى أهلها ، غير شاعر بجهاده ، لاستغراقه في الخوف من مقام ربه ، قال تعالى : ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾[2]، عن حقيقة الدنيا واحتقارها في نظره ، واعتقاده أنها ليست دار البقاء ، فإذا بعثهم الله تحفظوا من شر هذا العدو .

وشر عدو يجاهدونه إبليس ، والغرور بنسيان الحقيقة الآدمية الناتج عن نسيان الله تعالى وأيامه ، فإذا منحوا عناية الله في هذا الجهاد ، برزوا عبيدا لله في كونهم الأول ، فجذبهم الله حتى أقامهم عنده راضين عنه ، وهو سبحانه راض عنهم ، قال سبحانه : ﴿ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾[3] وقال تعالى : ﴿ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِ مَرْضِيّاً ﴾[4].

وخروجهم من الكهف ، ورجوعهم إلى الحياة الإنسانية الفاضلة الكاملة التي هي حياة الجهاد الأكبر ؛ جهاد النفس ، قال سبحانه : ﴿ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ

---

(١) الذاريات : ٥٠ .
(٢) الرحمن : ٤٦ .
(٣) المائدة : ١١٩ .
(٤) مريم : ٥٥ .

﴿يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوا إِذاً أَبَداً ﴾[1] أي : إن يظهروا على أحـــوالكم العليـــة ، وأسراركم النورانية ، يرجموكم بأباطيل حججهم ، وظلال حظهم وهواهم .

ولما كانت الحياة البشرية في أي طور تقتضي النزوع إلى مـــا يلائمهـــا ، لأن القـــوى استوت، وهذا المبعوث يخشى أن تقوى حجة الباطل فيترع إليها الحس والجسم ، ويســـكن إليها العقل فيفوز جيش الباطل على جيش الحق الروحاني ، فإنهم دائموا الجهاد ، يحنـــون إلى بدايتهم ، ويسارعون إلى حصون كهفهم ، مع أنهم لا تدعوهم إلى ملابسة الكون والفســـاد إلا الضرورة التي أوجبتها الشريعة ، من مناولة لما لابد لهم منه ، وهم مع هذا الجهاد يحافظون على آداب الشريعة ، فلا يتناولون من القوت إلا أزكاه وأطيبه ، قـــال ســـبحانه عنـــهم : ﴿فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَاماً فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ﴾[2].

وسالك أو واصل لا تسبق إليه يد العناية لتنشله من وحلة التوحيد في السالك ، ومـــن بادية الإلحاد في الواصل ، ومن واحة التيه في المتمكن ، ربما نسي أو غفل ، لأن البشـــرية لا تفارق أكمل كامل ، والبشرية باب هذا السور للعدو اللدود .

حفظنا الله وإياكم – يا أخي – في سلوكنا وسيرنا إلى الله تعالى من ظهور جيش الباطل على جيش الحق ، وأمدنا الله بروح منه ، يمنحنا بها اليقين الحق ، إنه وليُّ المؤمنين .

يقول الإمام أبو العزائم عليه السلام نظما :

ومـــوتي في الكـــون الـــدنيء إرادة ليجلى لرُوحي ما عـــن الشـــرق والغـــرب
أمـــوت لأحيـــا في هيـــام وصـــبوة لأمشي بـــين النـــاس سـلما بـــلا حـــرب
فأشـــهد في وجهـــي الجميـــلَ تـــترلا تشـــاهده رُوحـــى بعاطفـــة الجـــذب

ويقول رضي الله عنه في إحدى قصائده عن الموتة الإرادية :

فيـــا نفـــس ازهقـــي يـــا رُوح هيـــا فمـــوت الـــنفس فيـــه لِـــيَ التـــداني

(١) الكهف : ٢٠ .
(٢) الكهف : ١٩ .

القلوب عرش تجليات الغيوب :

القلوب عرش تجليات الغيوب ، وسدرة تنزلات غشتها أنوار المجالي ، وبها الجسم يصير مصباحا منيرا ، في زجاجة كأنها كوكب دريّ يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شـــرقية ولا غربية ، يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور ، من أنفاس ولحظات ترقى فيهـا العبد بعد رجوعه إلى الله وإقباله على حضرته ، ورجوعه بالصدق طلبا للوصـــل الإلهـي ، فيتولاه مولاه ، ومن تولاه الله أصلحه ﴿ والله يتولى الصالحين ﴾ ومن أصلحه قرَّبه ، ومـــن قرَّبه ناوله الراح ، ومن تناول الراح من يد الفتاح ؛ فاز بالانشراح ، ومن ذاق عرف .

يقول الإمام أبو العزائم عليه السلام :

يـــا مـــديرا علـــى القلـــوب الراحـــا ومُحلـــــلٍّ بـــــذكرك الأرواحـــــا
قـــد جعلـــتَ القلـــوب عـــرشَ التجلـــي وبهـــا الجســـمُ صـــار لي مصـــباحا
قـــد أدَرْتَ الطهـــورَ صـــرفا عليهـــا فتـــراءت وجـــهَ العلـــي الفتاحـــا
وتحلـــــت بحلـــــة القـــــرب حـــــتى صـــار جســـمُ المريـــد نـــورا صـــراحا
إن يـــذق قطـــرةً يتـــرجم صـــرفا عـــن غيـــوب الخفـــا ولـــيس جناحـــا
فتـــراه معلمـــــا وحكيمـــــا ومـــــديرا للطـــــالبين الراحـــــا
هـــو نَفَـــسٌ أو لحظـــةٌ يترقـــى ويُفـــيض الأنـــوارَ والإصـــلاحا
لم يـــذاكر درســـا علـــى غـــير مـــولاه تعـــالى معطـــي العطـــا والفلاحـــا
جـــاء بالصـــدق طالبـــا وَصْـــلَ مـــولاه فـــــولاه نعمـــــة وسماحـــــا
فاقْرأَنْهَـــا في الفـــتح آيـــة ذكـــر شـــجرة وضـــحت ســـبيلي صـــراحا
ذاك ســـر الطريـــق وهـــو جلـــيٌّ يَفْهَمَنْـــه مـــن ذاق هـــذا الراحـــا

وهنا اسمع بأذن قلبك الخطاب للإنسان جسما وروحا ، ولما كان الإنسان قبل الجسـم روحا لا يدعى ولا يحتاج إلى دليل ولا ينذره الله ، وكل تلك الأحكام والمخاوف والتشـنيع والتهديد والبشائر إنما هي خاصة للإنسان الذي هو روح وجسم .

فكأنه يقول سبحانه : ﴿ وَكُنتُمْ أَمْوَاتاً ﴾[1] قبل أن تنفخ فيكم الـروح ، فأحيـاكم بنفخة الروح فيكم ، وتلك الحياة صادقة أن تكون حياة البشرية مؤيدة بالحياة الروحانية إذا كان الإنسان من أهل الإيمان الكامل ، فتكون الحياة تصحح اتصافه بالسمع والبصر والكلام وبالحركة والإرادة .

وإذا حرم الإنسان التوفيق والهداية فتكون الحياة تصحح له الحس والحركـة والإرادة ولكنه يحرم سماع تسبيح الكائنات ونظر آيات الله فيها ، ويحرم التوفيق لاتبـاع رسـول الله "ﷺوآله".

وإذا فقد الإنسان الحس والحركة والإرادة يقال له : مات ، كما يقال لمن فقد السـمع والبصر والحس والحركة والإرادة الإيمانية ميت ، كما قال تعالى : ﴿ فَإِنَّكَ لا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاء ...﴾[2] فحكم على أهل البعد عن الله بالموت وبالصمم .

والحياة الروحانية الخاصة هي التي كانت الأرواح فيها في صورة ذرية آدم عليه السلام متمتعة بها في عهد يوم ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾[3] فلما أن أحيانا الله الحياة الإنسانية حجبت الروح عـن مطالعة هذا الغيب المصون بكثافة الجسم .

فمن جاهد نفسه ألاح الله له هذا النور وأحياه الحياة الروحانية التي يمشي بها في النـاس كما قال سبحانه : ﴿ أَوَ مَن كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ ﴾[4].

---

(١) البقرة : ٢٨ .
(٢) الروم : ٥٢ .
(٣) الأعراف : ١٧٢ .
(٤) الأنعام : ١٢٢ .

يقول ﷺ في قصيدة له :

أإلى الجمـــــال تـــــألهي وهيـــــامي والوجـــه مـــا وليـــتُ فهـــو أمـــامي؟!
وجمالـــــه في هيكلـــــي لي مشــــرق مـــــتترل يمحـــو صـــوى أعلامـــي
وظـــــاهري آياتـــــه وبـــــاطني مِـــنن تعالـــت مـــن ضـــيا الإعظـــام
أإلى الجمـــــال تألـــه وقـــد انجلـــت لي شمـــس مجلـــى الـــذات في إحرامـــي؟!
ونعـــم أحـــن إلى الجمـــال ومقصـــدي وجـــه الجميـــل بغـــير ســـتر لثـــامي
لي ظـــاهر يشـــتاق للنـــور الجلـــي وبـــاطني الغيـــب المصـــون الســـامي
ولقد شهدت قبيل " كـــن " وجهـــا عـــلا مـــــتترلا ينمـــــو إلىّ هيـــــامي
أتســـتر الأكـــوانُ عـــني نـــورَه فأميـــل للجنـــات أو لِمُـــدام؟!
فإليـــه مـــن بـــدئي غرامـــي وصـــبوتي دُمْ يـــا ســـهاد فقـــد فقـــدت منـــامي
أشـــتاق للقـــدس العلـــيِّ مؤهـــا للحظـــوة العليـــا بـــدار ســـلام
وجـــواذب الأشـــواق تجـــذبني إلى قـــدس الجلالـــة حيـــث ســـر مقـــامي
ولقـــد تناولـــت المُـــدام وصـــح لي أزلا شـــهود الوجـــه بـــالإكرام
أتُسَـــتِّر الآيـــات عـــني غيبَـــه وشـــهود هـــذا الوجـــه كـــل مرامـــي؟!
أبـــدا أحـــن ولهفـــتي وصـــبابتي يتعـــاودان بلوعـــة وغـــرام
وإلى الجميـــل مترهـــا ومقدســـا أبـــدا حـــنين الـــرُّوح بالإســـلام
فتجـــلَّ يـــا سُـــبوح أشـــهد مغرمـــا مـــنن الجمـــال بوســـعة الإنعـــام
وتولـــه بالإتحـــاد ووالـــه لـــيرى الجميـــل بغـــير فَـــيْءِ ظـــلام
مـــتترلا بعـــوارف ولطـــائف لي ظـــاهرا بحنانـــة وكـــلام
وتجـــل يـــا معـــط بواســـع نعمـــة لتعمنـــا بـــالخير والإكـــرام
وتعطفـــن ربي علينـــا بالرضـــا لتزيـــل بغـــي أئمـــة الظـــلام
ولنـــا بعـــين الـــود فـــانظر ســـيدي نظـــر العنايـــة منـــك للإســـلام
ولقـــد بغـــى الكفـــار حـــتى غـــيروا ســـنن الهـــدى بضـــلالة وظـــلام

أغـــث القـــرآن وأهلـــه يـــا ســـيدى ... وارْمِ الظلـــــومَ بهــــوة الإعــــدام

ســـلبوا الفضــــائل بـــدَّلوها بالجفـــا ... جهلـــوا مقـــام القـــادر العـــلام

وتكـــــبروا في الأرض ربي أفســـــدوا ... فتـــوَلَّ أهـــلَ الحـــقِّ بــــالإكرام

وخـــذ اللئـــام بنقمـــة تمحوهمـــو ... ليلـــوح نـــورُ الشـــرع بالإعظـــام

ولقـــد ظلمنـــا ســـيدي فتـــداركن ... بعواطـــف التـــواب فضـــل ســـلام

متوســـــلا بالمصـــــطفى وبآلـــــه ... و بآيـــة القـــرآن خـــير كـــلام

فتَقَـــبَّلَن منـــا الإنابـــة أقـــبِلن ... بعواطـــف الغفـــران لا بملامـــي

أهلِـــكْ جميـــع الكـــافرين وشـــتِّتَن ... شمـــلَ الجميـــع بنقمـــة مـــن رام

وأعِـــدْ لنـــا مجـــدَ القـــرآن ونـــورَه ... وعلـــى الحبيـــب صـــلاته وســـلامي

الفصل الثانى

بيان الجنة العاجلة

الجنة العاجلة هي جنة الرضا والشهود :

يقول الله تعالى : ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾(١) والجنتان –كما يبين الإمام المجدد السيد محمد ماضى أبو العزائم ﷺ– : عاجلة ، وهي لأهل مقام الإحسان ، وآجلة : وهي لهم ولأهل مقام الإيمان الذين فارقوا الدنيا على الإسلام .

فالجنة العاجلة هي جنة الرضا عن الله تعالى ، وهي جنة الشهود وطمأنينة القلب بذكر الله تعالى عند كل شأن من الشؤون ، والكون كله جنة لأهل الرضا ، وهم الذين تنقلب لهم الحقائق لأنهم عند ربهم ، قال تعالى﴿ يَا نَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلاماً عَلَى إِبْرَاهِيمَ ﴾(٢) وقال لُموسَى عليه السلام : ﴿أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾(٣).

وما تقول أيها المشتاق إلى الجنة العاجلة في قوم عند ربهم لهم ما يشاءون ؟! أو تقول في قوم أعانهم الله تعالى فجاهدوا فهداهم سبله فرفعهم إلى مقام القرب حيث قوله : ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ اللّهِ ﴾(٤) فمن جعل الله لهم المشيئة منحهم الملك الكبير ، ومن جاهدوا فهداهم سبله تفضل عليهم بالنعيم .

فالجنة العاجلة : جنة الأرواح التي تجردت من مقتضيات عناصرها ففرت إلى الله بجاذبة عنايته ، وجنة النعيم المقيم لمن خضعوا لسلطان الشريعة فكانت الدنيا سجنا لهم – وإن صرفهم الله فيها أكمل التصريف في الكون – لأنهم تحت سلطان الشريعة في تصرفاتهم .

---

(١) الرحمن : ٤٦ .
(٢) الأنبياء : ٦٩ .
(٣) الشعراء : ٦٣ .
(٤) البقرة : ١١٥ .

أَلْقِ أُذُنَ رُوحك :

الجنة تستر من دخلها ، فلا يرى ما هو خارجها ولا يراه من هو خارجها ، وهي سـر الأخذة الحقية قبل الاصطناع ، ومن أخذه الله عنده ضن به على خلقه فكان من ضـنائن الله تعالى ، فلا يرى إلا الوجه حيث ولّى وجهه ، ولا يراه أحد .

يعرف بها حقيقة ما لديه من الله تعالى ، وهم أهل الجنة العاجلة ، وهؤلاء لا يحتاجون إلى جنة آجلة ، وفي بعض الآثار أنهم يفرون من الجنة ويقولون : تركناها أحوج ما نكون إليها في الدنيا ، فكيف نطلبها ونحن في غنى بالمحبوب عنها ؟!.

الجنة ظهور ظل معاني الصفات مستغرقة لكل المرآة ، والمأخوذ اقتطعـه الله في وجـود شهوده ، وستر شهود وجوده ، وهؤلاء كثير في كل قرن ، فمنهم الهائم علـى وجهـه في القفار، ومنهم المتستر عن الخلق بالملامتية[1] والابتذال[2] ، ومنهم الغائب عن الملك سـياحة في الملكوت ، ومنهم العاكف بقلبه على ربه معتزلا الناس بعد فقد خياله ووهمه ، فإن الخلوة لا يأذن بها المرشد لذي خيال أو وهم ، ولبس خرقة الملامتية لا يأمر به المرشد إلا لمن حصنه الله تعالى بالآداب الشرعية.....إلخ .

وفوق ذلك جنة : خذ بأذن السر : أفراد أبدال الرسل الذين هم عشرة رجال أو خمسة أو سبعة ، هم جنة عالية ، وهم الشجر الذي غرسه الحق بيده ، وهم المعنيون بسبعين ألـف حجاب من النور ، ستروا عن العقول والأوهام والخيالات بساطعة وميض الأحدية ، أو رذاذ غيث الواحدية ، أو نور زيت المشكاة المحمدى ، قال سبحانه : ﴿هُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ اللّهِ﴾[3].

---

(١) الملامتية :صفة لقوم بلغوا من رقي الأحوال أن لامهم غيرهم من الجاهلين بحالهم .
(٢) الابتذال :عدم صيانة الثوب.
(٣) آل عمران : ١٦٣ .

وهناك جنة أعلى لا تفي بها الاشارة ولا تبينها العبارة ، وهي تؤخذ بشذرات يبوح بها أهل الاتحاد[1] في مقام القهر الوجودي بعد الجذب الفنائي ، قال تعالى : ﴿ وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾ .

يقول الإمام أحمد بن عجيبة الحسنى ﷺ ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ﴾[2] : جنة المعارف معجلة ، وجنة الزخارف مؤجلة ، أو : جنة المعارف لأرواحهم ، وجنة الزخارف لأشباحهم .

قال القشيرى : جنتان : جنة معجلة من حلاوة الطاعة وروح القرب ، ومؤجلة في الآخرة ، وهي جنة الثواب ، وهم مختلفون في جنات الدنيا على قدر تفاوت مقادير أحوالهم ، كما يختلفون في الآخرة في درجاتهم ، فجنة حلاوة الطاعة لأهل اليمين ، وجنة روح القرب للمقربين .

قال الورتجبى : جنتان : جنة للمشاهدة وجنة للمكالمة ، جنة المحبة وجنة المكاشفة ، جنة المعرفة وجنة التوحيد ، جنة المقامات وجنة الحالات ، جنة القلب وجنة الروح ، جنة الكرامات وجنة المداناة ، أو : جنة الوصال وجنة الكمال ، أو : جنة الكمال وجنة التكميل، أو : جنة الفناء وجنة البقاء ، أو : جنة البقاء وجنة الترقي إلى غيرانتهاء .

يقول الإمام أبو العزائم :

كشفوا الرموزَ عن الكنوز الخافية ... فتلألأت دررُ المعاني الصافية
ومَحَوْا طلاسمَ وصفِ ذاتي فانجلت ... أنوارُ باطنها ولا حت بادية
رفعوا البراقعَ عن بديع جمالهم ... بجمالهم فغدت عيوني رائية
ثم امحى هذا الشهودُ بمظهر ... متزينٍ بعقود غيب غالية
فيه بدت أنوارُه منه له ... بعد امحى تلك الرسوم البالية
وتبدلت صورُ التقيُّدِ وانجلت ... من باطن الأسرار شمسٌ باقية

---

(١) الاتحاد : أن تشهد الوجود لله الواحد الأحد ، أي أنك ترى كل شيء بالحق موجوداً ومعدوماً بنفسه ، لا من حيث أن لك وجودا خاصا اتحد بالحق لأن هذا محال.

(٢) الرحمن : ٤٦ .

وعـــلا الضـــياءُ فبحـــتُ عنـــد شـــهوده كيـــف التســـتر بعـــد شـــرب مُداميـــه؟!
هـــم أســـكروني مـــن شـــراب صـــفاهم فنظـــرهم ورســـوم كـــوني خافيـــة
وشـــــهدهم بعيـــــوهم وبســـــمعهم وشــــرابُهم لم يبـــق مـــني باقيـــة
غاب الشـــهودُ وأشـــرقت شمـــسُ الخفـــا لهمـــو بهـــم عنـــهم تبـــدت داعيـــة
وهمـــو الـــذين دُعـــوا فلبـــوا عنـــدما جليـــت "أَلَسْـــتُ" لمـــن يلـــبي هاديـــه
وتـــلألأت أنـــوارُ أوصـــاف سمـــت بجلالهـــا وجمالهـــا هـــي قاضـــية
والكـــلُّ نـــورُ جمالهـــا لا غيرهـــا وعلـــى الـــذي كانـــت عليـــه باقيـــة
ولقـــد جننـــتُ وبحـــتُ يـــا قـــومي ولا لـــوم علـــيّ فقـــد شـــهدتُ جماليـــه
لـــو قطـــرة ممـــا شـــربتُ تـــدفقت فـــوق الجبـــال الشُّـــمِّ ذابـــت خاليـــة
هـــذا هـــو التحقيـــق ذقـــه مسَـــلِّما واخضـــع تنـــل بالفضـــل فهـــم مقاليـــه
فَلَنَـــا مـــع المحبـــوب أســـرار سمـــت بالفضـــل أولاهـــا فعـــز مكانيـــه
وأفـــاض لي إحســـانهَ وجمالَـــه صرفا علـــى رُوحـــي فأضـــحت ماضـــية
هـــذى مبـــادي حالِنـــا فـــإذا انجلـــت شمـــس غرقـــت ببحـــر نـــور جماليـــه

الجنة العاجلة جنة لأرواح تجردت عن مقتضيات عناصرها ، ففرت إلى الله بجاذبة عنايته على معارج الرضا ، والجنة العاجلة ليست جنة واحدة إنما هي جنان متعددة بحسب أهل كل مقام ، فالكون جنة عاجلة ، وفي البرزخ جنة عاجلة ، جنة يوم اللقاء ، جنة اتحاد إرادة الله وأمره في العبد فيستر نورُ الحق صورةَ العبد .

الرجوع إلى الله تعالى في الحياة الدنيا :

ويبين رضي الله عنه في قوله تعالى : ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾[1] أن الرجوع هو العودة إلى ما صدر منه الراجع ، ولما كان الراجع إلى ما كان فيه أولا من الأمكنة لابد أن يفارق كل الآثار التي أبعدته عن

(١) البقرة : ٢٨ .

مكانه الأول ومشهده الأول حتى يتحقق الرجوع إلى ما كان عليه ؛ ولما كان الإنسان في بدنه رُوحا مجردة من ملابسة الأجسام ؛ كان في مقام التجريد متحققا بمعنى لا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم .

فلا يبلغ هذا المقام إلا أحد اثنين : من مات وفارق الحياة الدنيا فتجلت له الحقائق على ما هي عليه في نفس الأمر ، من أن الله تعالى هو النافع الضار المعطي المانع القابض الباسط ، حتى يتحقق بأن لله تسعة وتسعين اسما ليس له فيها شريك ولامثيل .

ورجل آخر جاهد نفسه في ذات الله حتى كمل يقينا كمالا أشهده الله به باطن التوحيد، فَفَقُهَ أسرار مقامات التوحيد الاثني عشر ، وهذا الذي بيّن الله مقامه في القرآن المجيد ، قال سبحانه : ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾(١) وهو الذي رجع إلى الله في حياته الدنيا لما وفقه الله له من الجهاد ، قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾(٢).

ونهاية الجهاد الأكبر جهاد النفس في ذات الله ، وفي هذا المقام يفر إلى الله بالله تعالى ، قال جل جلاله : ﴿ فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ ﴾(٣) فمعنى قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ الذي فهم منه المجسمة أن له سبحانه مقاما معلوما تنزه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا ، وما فهموه دل على أنهم يقيسون بالمشهود الغيب المصون .

والمعنى أنه تعالى يقول : ﴿ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ من وقوفكم عند الأسباب ومن نزوع نفوسكم إلى شهواتها وحظوظها وأطماعها ومن ظلمة الأوهام ومفاسد الخيال ، ومن ضلال الآراء إلى ما كنتم عليه في حال التجريد من ملابسة الحضيض الأسفل لانكشاف الحقائق على ما هي عليه في نفس الأمر ، فيتحقق كل إنسان بحقيقته التى هي العدم قبل أن يوجده الله تعالى ، وبالضعف قبل أن يمده الله تعالى بالقوة ، والاضطرار إلى الله الذى أقام الأسباب وأمد العالم بواسع الإحسان .

---

(١) الأنعام : ١٢٢ .
(٢) العنكبوت : ٦٩ .
(٣) الذاريات : ٥٠ .

وليس المراد الرجوع إلى مكان أو إلى الله الذي هو في جهة دون جهة ، لأنه سبحانه وتعالى ليس له مكان يقصد فيه ، بل هو قبل المكان وقبل الزمان ، كما قال "ﷺ وآله" : ﴿كان الله ولا شيء قبله﴾[1] وقال الله تعالى : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ﴾[2] .

فكأن الرجوع إليه سبحانه هو رجوع إلى ما كان عليه الإنسان قبل أن يخلق الأشباح ، إذ الأرواح كانت موجودة سابحة في ملكوت الله ، ولكن الأجسام حجبتها عن شهود ما كانت ممتعة به في حال تجريدها عن الأجسام وملابستها .

وقد جعل الله للأرواح حبلا ممدودا أودع فيه شهود كل غيب ، ومعرفة كل قدر ، وهو القرآن العظيم ، رضي الله عنه نظماً :

حبلُ ربي القرآنُ فيه شهودي ... فيه قدرُ العُبَيْدِ سر وجودي
فيه خمرُ التوحيدِ صاف طهور ... يحتسيه أهلُ الصفا في العهود
حبلُ ربي القرآنُ يجذب رُوحي ... للمقام العليِّ والتفريد
فيه جذبُ الهدى ونورُ بيان ... فيه سرُّ الشفا وخيرُ العبيد
في "يَدُ اللَّهِ"[3] من تمسك يرق ... للمقام العليِّ لا بالجهود

ويقول رضي الله عنه أيضا :

قبل الأمانة كنت في الأفق العَلِي ... متمتعا بمشاهد النور الجلي
لما تحملتُ الأمانةَ بالقضا ... أُرْجِعْتُ أكدح للرقيِّ الأول
قُيِّدتُ بالتكليف وهو معارجي ... لمقامِ أعلى بعد نيلي للدني

(١) أورده الزبيدي في اتحاف السادة المتقين ، وابن كثير في البداية والنهاية ، والبخاري .
(٢) الروم : ٥٤ .
(٣) إشارة إلى قوله تعالى : " إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم " (الفتح : ١٠) .

حياة الإيمان هي الحياة الروحانية:

حياة الإيمان هي الحياة الروحانية ، ومن فقدوا هذه الحياة قال الله تعالى فيهم : ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ﴾(١) .

وحياة بلا إيمان هي حياة مع الشياطين ، بل حياة بالشياطين معاملة ومؤاخاة ومصاحبة ، قال تعالى : ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴾ .

يقول الإمام أبو العزائم عليه السلام :

أما حياة الكون إذا لم يتفضل الله على الإنسان بعيون الإيمان وآذان الإيمان ، حتى يتحقق بهذا المشهد العليّ فليست حياته حياة روحانية ، وإنما هي حياة بهائم أو شياطين ، وليست هي الحياة التي يمن الله بها على الإنسان .

﴿ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ﴾(٢) بحرمانكم من القابل لهذا الفيض المقدس ، وهذه الموتة هي التي شنع الله بها على من قال فيهم : ﴿ فَإِنَّكَ لا تُسْمِعُ الْمَوْتَى ﴾(٣) ، ﴿ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ﴾ أي : يحيى من سبقت لهم الحسنى في هذا الكون ، فيتنعمون بما يشتاق إليه أهل الجنة في الجنة ، أو يتمتعون بشهود وجه الله تعالى ، قال سبحانه : ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ اللّهِ ﴾(٤) وبالأنس بالتلقي من حضرة الإلهام وبما يناله المؤمن الكامل من البهجة بمعية الله في الدنيا بدليل قوله تعالى : ﴿إِنَّ اللّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَواْ وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾(٥).

وأما أهل الكفر بالله والمنافقون وعصاة الأمة فيحييهم يوم القيامة لتنكشف لهم الحقائق التي كذبوا بها أو نسوها ، وعندها يقول كل واحد ممن كذب : ﴿ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَاباً ﴾(٦) .

---

(١) محمد : ١٢ .
(٢) الزخرف : ٣٦ .
(٣) الروم : ٥٢ .
(٤) البقرة : ١١٥ .
(٥) النحل : ١٢٨ .
(٦) النبأ : ٤٠ .

وفوق هذا إشارة أخرى في ﴿ يُحْيِيكُمْ ﴾ أي : حياة الأنس به على بساط منادمتـــه سبحانه ، إذا مَنَّ عليهم بالحياة الروحانية في حظيرة القرب بدليل قوله تعالى : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾[1]:

يـــا شمــــسَ عــــينِ الـــرؤوس   هـــل أنــــت شمــــسُ النفــــوس
شمــــسُ النفـــوسِ تجلــــت   منـــــــها أدارت كؤوســــــــي
يـــا شمــــسَ عــــينِ الـــرؤوس   إن غبـــت لاحــــت عروســــي
عـــــروس رُوحـــــي إذا مـــــا   لاحـــــت تبـــــيح دروســــــي
قـــــد أشــــرقت لي تجلــــت   تبــــدي ضـــــيا القـــــدوس
وي كنــــت يـــا شمــس نــوري   في الكــــون كنــــت تسوســــي
لمـــــا تجلــــــى حبــــــيبي   للــــرُّوح أخفـــــى بؤوســــي
غــــيبي فـــإن ضــــياكِ   لم يهــــد كـــل النفــــوس
شمـــــسُ الجلالــــة تهـــدي   رُوحـــى بغـــير عبـــوس
شمـــــسٌ يــــدوم ضــــياها   والقلـــــبُ بـــــالفردس
يـــا شمــــسَ رُوحـــي أُنْسِـــي   بــــه يــــوافي أنيســــي
يـــا رب واجِــــهْ بوجـــهٍ   يُخفـــي ضــــياءَ الشـــموس
وافــــتح كنــــوزَ العطايــــا   وامــــنح طهــــورَ الكــــؤوس

يقول ﷺ في موضع آخر :

لي جنـــة في ظـــلال الكـــون تجلـــى لي   وهـــي الرضـــا جملـــت قـــدري وأحـــوالي
فيهـــا أنـــا العبـــد مجـــذوبا بســـابقة   إلى الرضـــا عنـــه في تحقيـــق آمـــالي
في برزخ جنـــة كشـــف الحجـــاب لـــدى   نيـــل الشـــهود وفيـــه نلـــت إقبـــالي
لى جنـــة يـــوم ألقـــاه وجـــدت ومـــن   بـــدئي أحـــن إليهـــا قصـــدي العـــالي

---

(١) القيامة : ٢٢ – ٢٣ .

سورى بها الوجه والمحبوب آنسني ... تحيط بالعين في منصوص أقوال
لي جنة فوقها في الإتحاد إذا ... ما ستر النور مجلى الذات تمثالي [1]
من فوق ذلك لا سور يحيزني ... غيب عن العالم الأعلى بإيصالي
لا كون لا بين والمحبوب أفردني ... في حال إغراق كل رتبة الآل
إشراق أسمائه تخفي مظاهرها ... بنور مجلاه في فرد وأبدال
ثم العبودة إيجادي منازلة ... أسرار إيجادها حلي وترحالي
نفسي لقد وجدت رُوحي لقد ظهرت ... قدري أنا العبد والتفصيل إجمالي
محبوبه مقتضى الأسماء أجمعها ... بل مظهر ظاهر ينبي بإجلال
بل صورة جملت بالإضطرار إلى ... ربي بحالة مضطر وسآل
يجلى لى القدر والتفصيل يرفعني ... أعط اتحادا به قربي وإجلالي

وكأن الرجوع إلى الله تعالى رجوع إلى حال الصفاء الأول بقوة الحنين وزيادة الشوق والغرام، وتلك جنة للروح تشهد بها نور الحق في آثاره :

ويقول الطَّيِّلا فى موضع آخر :

الرُّوحُ تشهد نور معط بار ... قد لاح لي في حيطة الآثار
يقوى حنيني للشهود لأنني ... في لهفة لمشاهد الستار
يا شوق دم فجمال ربي ظاهر ... قد بدل الآثار بالأنوار
رُوحي تشاهد وجه ربي في الصفا ... والجسم منجذب إلى الغفار
أنا في غرام لا يزول ولهفة ... من عهد يوم "أَلَسْتُ" بدء مداري
قد شاهدت رُوحي الجميلَ مقدسا ... والجسم يعمل في رضا المختار
لي ظاهر حلل الحبيب المصطفى ... لي باطن كنز من الأسرار
لا يشهدن سرِّي سوى رُوحُ امرِئٍ ... صُوفي بفضل الله للأنوار
العقل يعجز أن يشاهدَ سرَّنا ... ميراث خير الرسل للأخيار

---

(١) تمثالي : أي : صورتي سترتها أنوار الحق .

كـــم مـــذنب مُـــنح الســـعادة كلـــها   كـــم مقبـــل أُلقـــي بهـــوة نـــار
أســـرارُ تقـــديرِ الإلـــه وحكمـــه   بشـــرى لنـــا بمحبـــة المختـــار
صـــلى الإلـــهُ علـــى الحبيـــب المصـــطفى   نحظـــى بهـــا بســـعادة وفخـــار

داعي الجنة العاجلة :

داعي الجنة العاجلة هو الخبير الدال على الله تعالى ، الرجل الذي أقامه الله تعالى مقـام الهداية والبيان قال تعالى : ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَـعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً ﴾[1] .

فالداعي إلى الجنة العاجلة هو سيدنا ومولانا رسول الله "ﷺ وآله" ومن بعده ورثتـه في الأمة في كل زمان ، الأئمة الراشدون الهادون المهديون ، وقوله تعالى :﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَـكَ ﴾ دعوة لنفسه الطاهرة الزكية التي تتلقى معارفها عن الله .

وأهل الاستجابة لدعوته هم أهل المعرفة الذين سبقت لهم الحسنى من الله أن يكونوا أهلا لسماع علومه وتلقي أسراره وأنواره ﴿ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ ﴾ يذكرونـه في كل وقت وعلى كل حال ﴿ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ﴾ ومرادهم وجه مولاهم .

يقول رضي الله عنه مبينا حال أهل الاستجابة :

لبيـــك يـــا داعيـــا رُوحـــي إلى الـــذات   رفقـــا بجســـمي ففيـــه ســـر آيـــات
وامزج شرابك بالكشـــف العلـــيِّ عســـى   يرتـــاح شـــبحي بمعـــنى مظهـــر الـــذات
الـــرُّوح في صـــفوها لـــو أنهـــا ظهـــرت   نَفَســـا علـــى الكـــون تخفيـــه بجلـــوات
الـــرُّوح صـــورةُ مولاهـــا ومبـــدعِها   فكيـــف يحملـــها جســـمي وهيئـــاتي؟!
عـــالون لـــو نظـــروا أنـــوار طلعتـــها   خـــروا لهـــا ســـجدا شـــوقا لحظـــوات

(١) الكهف : ٢٨ .

ليس للجاهل عذر ، بل الواجب عليه أن يسعى إلى العارفين بالله تعالى ليعرف كيف يعبد ربه ؛ وإلا ضيع عمره في لهو ولعب ، ويوم القيامة يُسأل العبد : هل تعلمتَ أم لا ؟ فإن لم يكن تعلم أُمر به إلى النار فلا عذر لجاهل أبدا ، إنما تقصيره في ذلك عليه خسران وهلاك .

فاسْعَ إلى المرشد أكثر من سعيك على قوت يومك الضروري ، أنت إذا مت من الجوع لا تدخل جهنم ، ولكن إذا ماتت رُوحك بالجهل خلدت في جهنم ولو كنت تملك ملك الدنيا بأجمعها فلا ينفعك بل يزيدك طغيانا وهلاكا ، قال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلا لِيَعْبُدُونِ ﴾[1] وقال تعالى : ﴿ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾[2] .و إني ﴿لحنت﴾[3] لكم لكي لا تعلموا ، واللحن يعلمه أولوا الألباب .

جنة الرضوان الأكبر في الدنيا :

جنة الرضوان الأكبر في الدنيا هي تحقق العبد المؤمن بكمال التصديق بالغيب ، قال تعالى: ﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾[4] وحصول التوفيق للعمل المطابق للعلم الوارد عن الله ورسوله "ﷺوآله" ، وقيامه بالأمر حق القيام .

والمؤمن بعد تحققه بكمال التصديق بالغيب ؛ وتوفيقه للعمل على طبق العلم ؛ وقيامه بما أمر الله سبحانه حق القيام ؛ محافظا على الفرائض كلها : عبادة ومعاملة وأخلاقا ؛ متجملا بالقربات النفلية من تلك الأعمال ؛ يكون على مزيد من الله تعالى ، فتكشف لنفسه التي تزكت بالرياضة والمجاهدة والجهاد أسرار الآيات من الكائنات ، فيشهد غيوبا عن الحس والعقل ، ساطعة أنوارها ، قاطعة حججها ، قائمة بالحق أدلتها ، فيزداد إيمانا حتى يبلغ

---

(١) الذاريات : ٥٦ .
(٢) الذاريات : ٢٢ .
(٣) لحن لفلان : قال قولا يفهمه عنه ويخفى على غيره ؛ لأنه يميله بالتورية عن الواضح المفهوم .
(٤) البقرة آية ٢ – ٣ .

اليقين، ولديها تنجذب نفسه إلى الجانب القدسي ، معرضا عن جانبه الكــوني ، فيجمــل بشراب الإحسان ، ويعان على الإحسان فيكون محسنا .

ويدوم جذبه وأخذه من حس العقل ، ومنه إلى النفس ، ومنها إلى الرُّوح الملكية ، فيرى أنوار الملكوت في السموات والأرض ، ثم تقوى أحواله بواردات الحق ، فيكشف الله سبحانه له أنوار الملكوت في نفسه ، فيطيب وقته ، ويصح حاله ، وينتقل إلى مقامــات الإحســان ، فيرى بعين اليقين أسرار علوم اليقين ، ويتحقق بمعرفة نفسه ، وحقيقة مبتداه ومنتهاه ، ويمنح المعونة على عمل القربات في جميع الآنات ، ويكون عاملا من عمال الله تعالى في رياض المعية.

حتى يشهد التوحيد بعين اليقين ، فلا يرى ولا يسمع ولا يحس ولا يجد إلا بالله تعــالى عين يقين بيقين ، ولديها يكون في حصون ﴿ أُوْلَـئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾[1] ويحــل عليه الرضوان الأكبر بمواجهة معاني الربوبية لمعاني العبودية ، مواجهة سالبة موجبة ، ماحية ، مثبتة الوجه العليّ تجاهه ، والنور الجليّ محيطا به ، والوليّ القريب معه .

وفقه لأن يجاهد بمعونة الله تعالى في محبته حق الجهاد ، فمنحنه الرضوان الأكبر ، ووصفُه لاتفي به العبارة ، ولا تصوره العقول ، وهي من العلوم المضنون بها ، لا تُعلم إلا بتعلــيم الله سبحانه ، ولا تُنال إلا بفضل الله تعالى ، والله ذو الفضل العظيم .

إلى أن يبين الإمام أبو العزائم عليه السلام أن في دار الفناء ؛ البقاء ، قائلا :

آه يـــا دارَ الفنـــا فيـــكِ البقـــا ورضـــا الله وفـــوزٌ باللقــــا
فيــكِ نـــورُ الله محكـــمُ آيــهِ وصـــراطٌ مســـتقيمٌ للتُّقَـــى
فيــك منـــهاجُ الحبيـــب المصـــطفى سُـــلَّمٌ للوصـــل ســـهلُ المرتقـــى
أنـــتِ روضٌ للشـــهود مجمَّـــلٌ قـــد يـــراه بالصـــفا مـــن يُنتقـــى
فيـــكِ أنـــوارُ التجلِّـــي أشـــرقت والطهـــورُ بحانـــه لمـــن اســـتقى
فيـــك آيـــاتٌ وأســـرارٌ بهـــا حظـــوة الزلفـــى نعـــيم لا شـــقا

---

(١) الأنعام : ٨٢ .

الرضا يختلف عند أهل المقامات :

فالرضا عند المحبوبين المقربين : سرور القلب بمر القضاء للتحقق بأكمل مقامات العبودية، لا من حيث أنه مؤلم ، بل من حيث أنه يجعله مشاهدا في نفسه حقيقة معاني العبودية، الذي يشهده معاني تجليات الربوبية ، فتحل بالقلب نازلة تلجئه لأن يبتهل مضطرا، والابتهال أكمل حال أكمل العبيد ، خصوصا عن مشاهدة

والرضا عند العشاق المهيمين : سكون القلب بحب جريان الحكم ، وبين المشاهدتين كما بين أهليهما .

وقد رأى بعض العارفين الذين غلب عليهم الوجد أن الرضا نازلة تنزل على القلب عن مقام الحب ، فيكون حالا عن المحبة ، والحقيقة أن الرضا مقام من أعلى مقامات اليقين، يتصدم القلب منه بصدمات عالية ، حتى يشهد المر حلوا ، والنار بردا وسلاما ، والألم لذة، لما ينبعث عن القلب من أحوال مقام الرضا ، وإنما كان سرور القلب أرقى من سكونه لتفاوت المشاهدتين .

وقد أنكر أهل الحجاب الرضا والمحبة ، وإنا لنرى لهم عذراً في إنكارهم ، لأنهم لم يكن لهم نصيب منهما ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

أهل الرضا قسمان :

قسم رضي عن الله تعالى وقام بعمل الدنيا وعمل الآخرة طالبا المزيد منهما – وهذا لا ينقص مقام الرضا – وهم خاصة أهل اليمين .

وقسم رضي عن الله تعالى رضا جعله آنسا بالله ، فارغ القلب مما سواه ومن سواه ، مقبلا بكليته عليه ، منصبا بجملته إليه ، وهم المحبوبون المقربون .

وقد جهل قوم حقيقة مقام الرضا لغلبة مشاهدة أسرار التوحيد ، فظنوا أن الرضا عن الله تعالى يجب أن يكون عن أحكامه وقدرته وإرادته ، فلم يروا فعلا قبيحا ولا عملا سيئا

لشهود الكل بقدرة الله وحسن تدبيره ، وهذا من الجهل بعلم الحكمة .

والرضا وإن كان عن كمال مشاهدة التوحيد فإنه إنما يكون بالمعاني التي تلم بك أو تؤلمك ، وفي التلذذ بشدائد الأعمال في ذات الله تعالى ؛ من الجهاد والصوم وقيام الليل وبذل المال ، وتحمل الأذى من الخلق ، وترك مالك عليهم ، والمبادرة في إعطاء مالهم بمزيد ، وأن تحسِّن كلَّ مباح قُدِّم لك من أكل وشرب ولباس وزوجة ودابة ومسكن وفراش وخادم وأجرة عمل وجيران ، ويكون الرضا بسروره بكل شيء في ذاته ، مما ينقص ماله أو جاهه أو منزلته أو نسبه أو علمه في أعين الناس .

الغضب لله عين الرضا عنه سبحانه :

وليس الرضا هو التحقيق بمشاهدة التوحيد مع جهل الحكمة وأجزائها حتى يرضى بما قبحه الله وذمه ، وما بغضه "ﷺ وآله" وكرهه ، فيترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ونصيحة المسلمين ، أو يترك طلب الضروري من الدنيا والمزيد فيها ، أو الآخرة والمزيد فيها، من المعاني التي هي من كمال الرضا عن الله تعالى ، أو يترك الادخار والكسب .

وإنما يكون الرضا حقيقة عن المتوكل حقيقة ، وليس من الرضا أن يرضى الإنسان بعمل يكرهه الله تعالى يعمله هو أو يعمله غيره ، ويظن أن سخطه على عمل المعصية في نفسه أو في غيره عدم رضا عن الله تعالى ، وهو من الجهل بأحكام الله تعالى ، وبحكمته سبحانه ، وكيف لا؟! وسيد الراضين "ﷺ وآله" كان يغضب إذا انتهكت حرمات الله تعالى ، وغضبه هو عين الرضا عن الله تعالى .

فمن رأى أن الرضا عن الله تعالى أن لا يكره شيئا أو لا يذم شيئا مطلقا ؛ فقد جهل .

نعم ؛ الرضا عن الله تعالى ألا تكره شيئا أو لا تذم شيئا مما أباحه لك الشرع ، أو قدّره الله عليك من أنواع البلاء ، والرضا عن الله تعالى أن تذم المعصية ومن يعملها – ولو كنت عاملها – وأن تكره مخالفة الله ورسوله "ﷺ وآله" والوقوع فيما نهى عنه – ولو كنت الفاعل العامل – .

وإظهار الفقر لا ينقص الرضا إذا رآه نعمة عليه من الله تعالى ، لأن المنع من الله إحسان، لأنه في منعه معط ، ولأن المنع حقيقة لا يتحققِ إلا فيمن لك عليه شيء ، أو تستحق منه شيئا ، وهذان المعنيان تنزه الله عنهما ، فهو في منعه سبحانه وتعالى معط ، فيكون رضاك بالمنع كرضاك بالعطاء ، لأنهما صفتان من صفاته .

يقول الإمام المجدد أبو العزائم مخاطباً المولى سبحانه :

رَضِّنِي عنك بالعطاء الجزيل ... أحْيِنِي في الصفا وكل قبيلي
بغيتي الفضل والرضا فأنِلْني ... منك ما أرتجي ووضِّحْ سبيلي
واهدني سيدي الصراط بصدق ... وضَّحَنْ لي المنهاج بالتزيل
واجعلَنِّى نورا مبينا وأظهِرْ ... بي وآلي حقائقَ التأويل
يسِّرَنْ لي الوصول وانشر طريقي ... أيِّدَنِّى بالذكر خير الدليل
كن معي سيدي وخذني بكلي ... عند ربي مجمَّلا بالقبول
أشرق النور مشرقا بضياء ... ظاهرا باليقين لا التمثيل
وامح ربي ظلمات ظلم وكفر ... بانتقام القهار بطش الجليل
كن لكل الأبناء عونا معينا ... أعط كل الإخوان نيلَ الوصول
يا مجيب المضطر أنت سريع ... مزِّقِ الكفرَ بالعذاب الوبيل
أنت يا سيدي سريع أغثنا ... قد أضروا العباد بالتضليل

أفسدوا في البلاد قتلوا وهتكوا ... حرمة الدين بالجفا والغلول
كم أضلوا وكم أباحوا حِماما ... كم أذلوا الكرام بالتنكيل
غرهم مهلة الغيور فعاثوا ... في بلاد الإسلام للتمثيل
أبدلوا النور بالظلام غرورا ... لم يبالوا بقاهر وجليل
إن تذرهم في الأرض عاثوا فسادا ... غارة منك ترمي كل جهول
أنت ياسيدي غيور وعدل ... عاملنهم بالقهر والتنكيل

خـــذهمو ســـيدي بعاجـــل قهـــر وامحـــق الفـــرع منـــهمو بالأصـــول
ألـــق مـــا بينـــهم حروبـــا أرحنـــا منـــهمو ســـيدي بحـــق الرســـول
مَكِّـــنَنْ لى في الأرض ربي وأيـــد كـــلَّ آلي أحـــبتي وقبيلـــى
نجِّـــزِ الوعـــدَ يـــا إلهـــي وأظهـــر دينـــك الحـــق مشـــرقا بالـــدليل
صـــلِّ ربي علـــى الغيـــاث المرجـــى أعطـــني الفضـــل نَجِّحَـــن مـــأمولي

فضائل الرضا :

قال الله تعالى : ﴿ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ﴾[1]وقال تعالى : ﴿ هَلْ جَزَاء الإِحْسَانِ إِلا الإِحْسَانُ ﴾[2] فمن أحسن الرضا عن الله تعالى جازاه الله بالرضا عنه ، وقد رفـع الله تعالى الرضا على جنات عدن لأنه من أعلى مقامات اليقين ، فرفعه على جنات عدن التى هي من أعلى الجنان ، كما فضل الذكر على الصلاة فقال تعالى : ﴿ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّـاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللّهِ أَكْبَرُ ﴾[3] ، كما قال سبحانه وتعالى : ﴿إِنَّ الصَّـلاةَ تَنْهَـى عَـنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾[4].

والذكر عند الذاكرين الذين هم أهل الذكر هو المشاهدة ، فمشـاهدة الله تعـالى في الصلاة أكبر من الصلاة ، وإن فسر هذه الآية بعض العارفين بأن معنى ﴿ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ أن الله إذا ذكر العبد كان ذكره أكبر من ذكر العبد لله ، وأستحسن التأويـل الأول ، لأن الذكر عند العارفين لا معنى له إلا المشاهدة، فالرضوان الأكبر جزاء أهل الذكر الأكبر، لأن الذاكرين ذكروه بالمشاهدة فأعطاهم الرضـا عنـه عـز وجـل، قـال رسـول الله "ﷺ وآله":﴿يتجلى لنا ربنا ضاحكا﴾[5].

---

(١) المجادلة : ٢٢ .
(٢) الرحمن : ٦٠ .
(٣) التوبة : ٧٢ .
(٤) العنكبوت : ٤٥ .
(٥) أورده الزبيدي في إتحاف السادة المتقين، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار ، والمتقي الهندي في كنز العمال.

وقد روينا عن النبي " ﷺ وآله " حديثا من طرق أهل البيت : ﴿ إذا أحب الله عبدا ابتلاه ، فإن صبر اجتباه ، وإن رضي اصطفاه ﴾[1] . وفي أخبار موسى عليه السلام : ﴿ أن بني إسرائيل قالوا : سل ربك أمرا إذا فعلناه يرضى به عنا ، قال موسى عليه السلام : إلهي فقد سمعت ما يقولون ، فقال : يا موسى ، قل لهم يرضون عني حتى أرضى عنهم ﴾ وعن نبينا عليه الصلاة والسلام : ﴿ من أحب أن يعلم ما له عند الله فلينظر ما لله عنده ، فإن الله يترل العبد منه بحيث أنزله من نفسه ﴾[2].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي "ﷺ وآله" : ﴿ إذا كان يوم القيامة أنبت الله لطائفة من أمتي أجنحة فيطيرون من قبورهم إلى الجنان ، يسرحون فيها ويتنعمون كيف شاءوا ، فتقول لهم الملائكة : هل رأيتم الحساب ؟ فيقولون : ما رأينا حسابا ، فيقولون : هل جزتم الصراط؟ فيقولون : ما رأينا الصراط ، فيقال لهم : هل رأيتم جهنم ؟ فيقولون : ما رأينا شيئا، فتقول الملائكة : من أمة من أنتم ؟ فيقولون : من أمة محمد ، فيقولون : ناشدناكم الله ؛ حدثونا ما كانت أعمالكم في الدنيا ؟ فيقولون : خصلتان كانتا فينا ، فبلغنا الله هذه المترلة بفضل رحمته، فيقولون : وما هما ؟ فيقولون : كنا إذا خلونا نستحيي أن نعصيه ، ونرضى باليسير مما قسم الله لنا ، فتقول الملائكة : يحق لكم هذا ﴾[3].

وعنه عليه الصلاة والسلام أنه قال : ﴿ من رضي من الله بالقليل من الرزق ؛ رضي الله عنه بالقليل من العمل ﴾[4].

وقال بعض علمائنا : أعرف في الموتى أناسا ينظرون إلى منازلهم من الجنان في قبورهم ، يغدى عليهم ويراح من الجنة بكرة وعشيا ، وهم في غموم وكروب في البرزخ لو قسمت

---

(١) أورده الزبيدي في إتحاف السادة المتقين ، و المتقي الهندي في كنز العمال ، والحاكم في المستدرك.
(٢) أورده العلامه الزبيدي في إتحاف السادة المتقين ، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار ، والحاكم.
(٣) أورده العلامة الزبيدي في إتحاف السادة المتقين ، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار ، وابن حبان عن أنس رضي الله عنه .
(٤) أورده الزبيدي في إتحاف السادة المتقين ، وأبو منصور الديلمي في مسند الفردوس عن سيدنا على عليه السلام .

على أهل البصرة لماتوا أجمعين ، قيل : وما كانت أعملهم ؟ قال : كانوا مسلمين ، إلا أنهم لم يكن لهم من التوكل ولا من الرضا نصيب .

وفي أخبار داود عليه الصلاة والسلام : ﴿ ما لأوليائي والهم بالدنيا ؟ إن الهم يذهب حلاوة مناجاتي من قلوبهم ﴾ . وفي بعضها : ﴿ يا داود إياك والاهتمام بالدنيا ، محبتي من أوليائي أن يكونوا روحانيين لا يغتمون ، إياك والغم ، ولا تهتم للخير وأنت تريدني ﴾ .

يقول رضي الله عنه :

رضا عنك حصن الأمن حظوة مطلوبي ولم يشغلن قلبي عن المحبوب
ففى السر محبوبي ولي حالة الرضا بها يطمئن القلب في حال تقريبي
رضاي عن الأقدار حلو ومرها ولكن مر الشأن حلو بترغيب
يريني جلال الله جل جلاله ويشهدني عبديتي ترهيبي
عبودة كشف عن عيان مؤيد بآيات حق في انبلاج غيوبي
فمنه رضاي عنه منه الرضا عن الـ ـمسارع في تنفيذ أمر حبيبي
وإني في كل الشئون يلذ لي رضا الله عني في مقام منيب
ولكنني في الحضرتين أرى ضيا لطيف عطوف بالفتى المجذوب
على رفرف الإحسان يحمل من دعي إليه به يحظى بخير نصيب
جمالك حَصِّنِّي به في تطوري أعذني إلهي من جلال غروب
إلهي ورضِّ العبدَ عنك بنعمة عليَّ تولى من جمال مجيب
أيارب وامنحني جمال تنزل أنال به منك الشفا مرغوبي
أيارب أشهدني جمالك ظاهرا لأهلي وأبنائي لكل حبيب
و وسِّع عطايا منعم متفضل من التوب والإحسان والمشروب

جنة اليقين :

قوة اليقين هي جنة أهل اليقين ، باليقين يرون الفضل عيانا ، فيخلعون العِذار ابتهاجا بيقين القلوب وما وهبها الله من حق اليقين الثابت بنور المولى سبحانه ، عندها يكون القلب

في شهود وعين الرأس في الأسباب ، ويتوالى اليقين في كل نفس بيقين على أهل الــتمكين بغير شك ، وهذا رقيّ أهل التمكين ، اليقين يحمل المريد على جمالات ملكوتية تفــاض مــن حضرة النعموت على الأحباب خاصة ، وهذا سر في القلوب لا يبدى إلا لأهــل القــرب ، يقول الإمام أبو العزائم ﷺ :

بــين نظـــر الأحـــداق والألبـــاب   مشــــهد فيـــه حـــيرة الطـــلاب
يســطع النـــور مـــن فـــؤادي فيغشـــى   أعـــين الطـــالبين عنـــد اقتـــراب
فـــيرون الجمـــال في كـــل شـــيء   بعيـــون الألبـــاب بعـــد الشـــراب
عنـــدها الحـــال قـــاهر والتجلِّـــي   يوجـــب الجمـــع وهـــو عـــين اقترابي
يحجـــب البـــدر عـــن عيـــوني وتجلـــى   شمـــس حـــق في بهجـــة الأواب
يترقـــى المريـــد رتـــب التـــداني   ســـر حـــبي ونعمـــة الإنتســـاب
ثم قـــوى يقـــين قلـــب حبـــيبي   فـــيرى الفضـــل مـــن يـــد الوهـــاب
عنـــدها يخلـــع العـــذار ابتـــهاجا   بـــيقين القلـــوب لا باكتســـاب
تعلـــه حـــيرة الشـــهود فـــيرأى   نـــورَ مـــولاه لا بقيـــد حجـــاب
ففـــؤاد المـــراد يشـــهد حقـــا   وعيـــون المريـــد في الأســـباب
ثم نـــور مـــن أفـــق أعلـــى عليـــه   يتجلـــى بـــه بنـــور البـــاب
يتـــوالى عليـــه في كـــل نفـــس   بـــيقين حـــق بغـــير ارتيـــاب
يتلقـــى قـــول الـــتمكن حـــتى   يترقـــى عـــن رتبـــة الطـــلاب
يحملـــوه وهـــو المريـــد تحلـــى   بجمـــال قـــد خـــص بالأحبـــاب
عنـــدها ترفـــع البراقـــع عنـــه   فـــيرى نـــوره بغـــير نقـــاب
عنـــدها تؤخـــذ العهـــود بـــألا   يبـــد ســـرى لغـــير أهـــل جنـــابي
ذاك ســـر في بـــاطن القلـــب عنـــدي   لـــيس يبـــدو إلا لأهـــل اقتـــرابي
أُبْـــدِ نفســـي وأُبْـــدِ مـــالي ورُوحـــي   وعلـــوم الحبيـــب في الألبـــاب
ذاك نـــور وذاك مجـــد وشـــرف   كيف يُلقـــى يـــا قـــوم بـــين الكـــلاب؟!
ذاك ســـر الحبيـــب طـــه التـــهامي   لم يبحـــه إلا لصـــدِّيق بـــاب

ذاك نور الخليل ملكوت ربي   قد دخلتم به بفضل الباب
تلك حلل لم تنشرن من قديم   قد تجملتمو بها في الرحاب
تلك شمس لم تُشْرِقَنْ لسواكم   حَجَّبُوها عن أعين المرتاب
فاشهدوها بأعين القلب حق   تتحلوا بالشكر للوهاب
صلوات عليك يانور قلبى   و سلام به يصح انتسابى

يقول رضي الله عنه :

بعد اليقين شهودى   فيه فقهت وجودى
وجدت لله لاحت   دلائل التوحيد
قد ستر العلم عين   عين اليقين الجديد
بل ستر العين حق   فى حالة التفريد
جهلت تبت أنبت   من بعد فك القيود
ويحى وجهلى حجاب   فيه علائى صدودى
بعد العيان تجلى   للمظهر المحدود
قد دكه لاح وجه   يراه كل شهيد
يانور وجه تعالى   سترت كل حدود
ألحت لى فى غيبا   فى محو ظل البعيد
عاينت فى جمالا   فنلت خير المزيد
نوران كانا أمامى   نور اليمين حدودى
فى نسبة الروح بدءا   بنور قلبى شهودى
فررت لله ربى   أتمم ضياء معيدى
قامت قيامة نفسى   حتى شهدت ورودى
قتلت بالحب حق   قد زج بى فى الخلود
ياكون سترت عنى   بنور رب مريد
ياهيكلى كنت طينا   قد صرت نور الودود

بدلت يارب أرضي … على الوفا بالعهود
بدلت ثم سمائي … فلاح لى معبودى
الأرض كانت رغاما … صارت ضياء الحميد
والأرض هيكل جسمي … قد دكه فى شهودى
أما السما فهي نفسي … قد بدلت بالمجيد
فى حيث وليت يجلي … وجه لدى تأييدى
أحاط بى الوجه حتى … رأيت مجلى الرشيد
مولاى زدنا يقينا … فى حظوة التفريد
أفرد لذاتك عبدا … فى جذبة التأكيد
حتى نرى البحر نورا … يضيء لى فى ورودى
حتى نرى الآى تجلي … فى البر للتأييد
تفني رسومي ويبقى … وجه العلي الودود

العارف بالله مقبل على الله بعين يقين :

العارف بالله مقبل على الله سبحانه بكله بعين يقين ، عن رسوخ في علم يقين ، وجاذب عناية إلهية ، فلا يصرفه عن الإقبال على جناب القدس الأعلى شيء من حظ أو هوى أو ملكوت ، لأن في ذلك وحشة له ، وألم فراق يعتريه ، يجعله حزين القلب ، منقبض الصدر نافرا فارا ، ولذلك ترى العارف يفر من كل من لم يشهد فيه مشهدا إلهيا يأنس به ، ولذلك قال سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام : ﴿ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّارَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾ [1] ، قال : ﴿ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي ﴾[2] .

---

(١) الشعراء : ٧٧ .
(٢) إبراهيم : ٣٦ .

وقد يفر العارف من نفسه إذا شغلته بمجاهدتها في حظ ، فإنه يفر إلى قمم الجبال ، حتى لا ترى نفسه ما تتمناه إذا اطمأن إلى الله ، فإذا سمعت أن عارفا ترك العمل ، أو ترك الطعام ، وفَرَّ إلى القفار فلا تنكر ؛ فإنه يتلذذ من كل مؤلم إذا استأنس في عمل المؤلم بالله سبحانه وتعالى .

يقول الإمام المجدد ﷺ في وصف العارفين بالله تعالى :

العارفون لهم ظهرت حقيقتُهم ... فجمَّلتهم بعلم الحق خشيتُهم
بعلمهم نفسهم علموا مقام عُلى ... فأوقفتهم على الآداب رهبتهم
عرفوا نفوسهم ذلا ومسكنة ... وقد حباهم فدامت فيه رغبتهم
عكفوا عليه بإخلاص فواجههم ... بالوجه فانبلجت من ذاك نشوهم
سكروا فطابوا به أنسوا فأنزلهم ... منازل القرب فاتضحت محجتهم
فروا إليه به والوجه مقصدهم ... والعلو والسفل لا تحويه فكرهم
الله معبودهم وهو المراد لهم ... وقد رأت نورَه علنا بصيرتهم
وجنة الخلد لو ظهرت بطلعتها ... لفارقت حسنَها بالزهد همتهم
لا كفء لله يحجبهم فيبعدهم ... أحدٌ تنزه تعلمه سريرتهم
هو الولِيُّ تولاهم فحصنهم ... عن العوالم قد رُفعت مكانتهم
العرش والفرش والكرسيُّ خلفهمو ... وجنة الخلد والفردوس حيطتهم
لا يخطر الملك والملكوت فى نَفَس ... على قلوبهم والخوفُ شيمتهم
حصن الجلال وسر الكبرياء بدا ... فحُصنوا فيه واتضحت هدايتهم
قد قُرِّبوا لجناب القدس منزلة ... رُفعت بها بين أهل القرب نسبتهم
في غيب غيب عن الأكوان قد رُفعوا ... عن الشئون وقد وافتك حالتهم
الذل عزهمو والجهل علمهمو ... وخشية الله بهجتهم ولذتهم
رَضُوا عن الله في الدنيا فجملهم ... منه بحق يقين فيه نعمتهم
أنسوا بما استوحش الجهال منه وقد ... صحت بدايتهم طابت نهايتهم
لم تستفزهمو الدنيا وبهجتها ... والوجه مشهدهم والكون آيتهم

تـــدرعوا بـــاليقين الحـــق واتشـــحوا   بالصـــدق حـــتى بـــه دامـــت معيتـــهم
طُلبوا له من (أَلَسْـتُ) فاهتـدَوْا بهـدى   قرآنـــه وبـــه قويـــت عزيمتـــهم
مـــا حيطـــة الملـــك والملكـــوت عنـــدهمو   إلا منـــــازل ســــفر آن أوبتـــــهم
ومرجـــع الكـــل لله العلـــيِّ علـــى   حـــق الـــيقين وقـــد وضـــحت طريقتـــهم
لم يلتفـــت أحـــد منـــهم لعاجلـــة   والكـــل لله قـــد خلصـــت ســـريرتهم
شربوا مـــن الـــراح راح الـــذكر خمـــرتهم   وهـــديُ طـــه علـــى التحقيـــق ســـيرتهم
يـــا رب صـــلِّ علـــى طـــه وعترتـــه   وآلـــه الغُـــرِّ مَـــن رُفعـــت مكانتـــهم

المتقون في مقام أمين :

يقول الله تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَابِلِينَ كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ لا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلا الْمَوْتَةَ الأولَى وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ فَضْلاً مِّن رَّبِّكَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ فَارْتَقِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ ﴾[1].

في بعض المعاني للإمام ابن عجيبة الحسني عليه السلام : إن المتقين الذين اتقوا شهود ما سوانا في مقام القرب والعرفان ، الذي هو محل الأمن والأمان ، في جنات المعارف وأنهار اللطائف ، وعيون العلم والحكم ، يلبسون من أسرار الحقيقة وأنوار الشريعة ، ما تبتهج به بواطنهم وظواهرهم ، متقابلين في المقامات ، يجمعهم الفناء والبقاء ، والصحو والسكر ، والجمع والفرق ، ويتفاوتون في اتساع المقامات والأسرار ، تفاوت أهل غرف الجنان ، كذلك والأمر فوق ما تصف وتذكر ، وزوجناهم بحور عرائس المعرفة ، لا يذوقون في جنات المعارف واللطائف إذا دخلوها الموت أبدا إلا الموتة الأولى ، وهي موتة نفوسهم ، فحييت أرواحهم حياة أبدية

(١) الدخان : ٥١ ـ ٥٩ .

وكما أن الموت الحِسِّيَّ انتقال من عالم إلى عالم ومن مقام إلى مقام ؛ كذلك من ماتت نفوسهم بالمجاهدة تحيا بالمشاهدة ، فينتقل من عالم الملك إلى عالم الملكوت ، ومن مقام البعد والحجاب إلى مقام القرب والكشف .

قال تعالى : ﴿ أَوَ مَن كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ﴾[1] . هؤلاء الذين وقاهم ربهم عذاب الجحيم ، أي: جحيم البعد عن الحبيب والحجاب عن شهود محبوبهم ومرادهم ، فضلا منه وإحسانا إذ خلق فيهم روح المجاهدة ، ومنَّ عليهم بسر المشاهدة .

يقول الإمام المجدد أبو العزائم عليه السلام :

أحنينُ أشباحٍ إلى الجنات؟! ... أم ذا حنينُ الرُّوح للجلوات؟!
أم ذاك خمر من جمال تنزل ... طابت به الأرواح بالنغمات؟!
أم ذاك نور الحق في القلب انجلى ... فتجملت أوصافه بهبات؟!
أم ذاك جمعُ الجمعِ في حال الصفا ... سر الوصول لمظهر الآيات؟!
أم ذاك نور الفرد لاح مبشرا ... هامت به الأفراد في الحانات؟!
أم ذاك سرالله في الأفق العليِّ ... ينبي بكشف حجاب مجلى الذات؟!
أم ذاك كنز الغيب فُكَّ فأشرقت ... أنواره في صورة المشكاة؟!
حاشا وكلا ذاك نور نزاهة ... مِن حضرة المجلى بسر الذات
أنا لا أغني إن سكرتُ وإنما ... يفنى المرادُ بلحظة النظرات
ما الخمرُ ما الأسرارُ عند شهودنا ... ما العرشُ ما الكرسيُّ ما جناتي
عن حضرة المجلى جمالي ظاهرٌ ... عالٍ عن الآيات والهيئات
أنا لو أغني في الخفا لتكلمت ... أحجارُ هذا البيت عن كلمات
قد أوَّبَت قبلي لمن هو عارف ... تلك الجبالُ بسرها الحيطات
لكن أشير بفرقِ فرقٍ محرقٍ ... يدري مباديه أُولُو الهِمَّات

---

(١) الأنعام : ١٢٢ .

غيـــبٌ عـــن الأرواح في كـــترٍ عـــلٍ ومطلســـمٍ بالإســـم بـــل والـــذات

فأهل الجنة مبقون ببقاء الحق ، والباقي على الحقيقة من لم يزل ، ولا يزال باقيا ، واعلم أنه لا عدم لمن كان وجودهم بالله ، فهم أحياء بالحَيِّ ، باقون بالباقي أبدا .

لذلك يقول رضي الله عنه :

مُـــتْ بـــه تحيـــا وعنـــك ٱفْـــنَ تكـــن فيـــه منـــه كـــى تُحَيَّـــرَ أو تُجَـــن

الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا :

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلا خَـــوْفٌ عَلَـــيْهِمْ وَلا هُـــمْ يَحْزَنُونَ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاء بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾[(١)].

هؤلاء هم أهل الاستقامة على التوحيد الخالص من رؤية السوى أو الحجاب بـــالهوى، جمع الله لهم بين جمال التوحيد وهو الجمال الباطن ؛ وجمال الاستقامة وهو الجمال الظـــاهر، ومن كان هذا حاله لا يلحقه مكروه فيخاف ، أو يفوته مرغوب فيحزن ، إذ هو لا يرغـــب إلا في الله وشهود جمال وجهه ، ولا يخاف إلا من الحجاب عنه ، أولئك أصحاب الجنة ، جنة القرب والشهود وتجلي جمال الوجه من الملك المعبود سبحانه لهم ، خالدين فيها لا يتحولون عنها أبدا جزاء ما قدموا ، على قدر استعدادهم كان إمدادهم من الله ، وكانت إقامتهم بـــه سبحانه في حضرة الأنس بتوحيده ، وغناهم به عمن سواه .

يقول الورتجي : ما قال القوم هذا القول – أي : ﴿ رَبُّنَا اللَّـــهُ ﴾ – حـــتى شـــهدوه بقلوبهم، وعقولهم ، وأرواحهم ، وأسرارهم ، مشاهدة الحق سبحانه ، فلمـــا رأوه أحبـــوه وعرفوه ، وشربوا من بحار وصاله ، حتى تمكنوا ، فاستقاموا بقوتها في مؤازرة رؤيـــة أنـــوار الأزل والآباد ، واستقاموا في مراد الله منهم ، وأداء حقوق عبوديته ، فلا يبقى عليهم خوف الحجاب ، ولا حزن العتاب ، قال تعالى : ﴿ فلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ .

---

(١) الأحقاف :١٣-١٤ .

﴿ رَبُّنَا اللَّهُ ﴾ راح المزيد من شراب التوحيد ، في حضرة القرب والتدلّي ﴿ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَاباً طَهُوراً ﴾[1] هو راح التداني تصلح به النفوس ، وتطهر به القلوب ، وتقف به الأرواح على عطايا الفتاح .

يقول الإمام أبو العزائم عليه السلام :

يبدا صلاحي لما سقوني راح التداني وأطلعوني
على مجالي الصفات حتى شربتُ صرفا فيهموني
عاينتُ حسني في كل شيء يلوح حتى به دعوني
أيقنتُ بالعين في التداني وبحت بالسر فاعذروني
لذيذ معنى خطاب ربي لا تشركوا بي ووحدوني
وعند مجلى ذات المجالي حققت جمعي فيه شئوني
ملكت فيها ناسوت عزمي فتوجوني وأوصلوني
عاينت عينا لا غير فيها وصح عندي عين اليقين
الكل فيها تاهوا حيارى يصيح كلٌّ لا تبعدوني
أحيوا بوصل صبا مشوقا عسى تراكم جهرا عيوني
فأودعوا مهجتي سلافا وعند جمعي قد أسمعوني
لبيك يا من تريد وصلا تعطى ودادا أخا حنوني
مُنُّوا بقرب لمستهام يرجو رضاكم وَفُّوا ديوني
رُوحي تراكم قلبي مُعَنّى جسمي مشوق فأسعدوني
مالي سواكم في كل حال من نور قرب فساعدوني
أنتم حياتي أنتم مرادي فيكم هيامي فيكم حنيني
منكم وجودي فيكم شهودي أحيوا مرادا يرجو يقيني
أحييتَ قلبي نوَّرتَ سري يا شمسَ حق فيكم حنيني
يا رب صلِّ على محمد أحمد حبيبي ضيا العيون

---

(١) الإنسان : ٢١ .

بيان في الإستقامة :

للإمام أبي العزائم في الاستقامة بيان للقلوب والأرواح يقيمها من رقدها ويطلق لها العنان في الملكوت ، يقول ﷺ :

الاستقامة : الخروج من المعهود ومفارقة الرسوم والعادات ، والقيام بين يدي الله تعالى على حقيقة الصدق ، والاستقامة في الوقت : أن تشاهد قيامه ، والاستقامة في الأقوال : بترك الغيبة ، وفي الأفعال : بنفي البدعة ، وفي الأعمال : بنفي الفترة ، وفي الأحوال : بنفي الحجبة .

والاستقامة : طلب الإقامة في محاب الله ومراضيه ، ولا يتحقق بها إلا من تحقق بخالص التوحيد ، وتناول صافي شراب الموحدين ، لأن التمكين في مقام التوحيد تتميز به الحضرتان ، وتتجلى به المكانتان ، فيتحقق العبد برتبته الحقيقية أمام ربه البديع القادر الحكيم ، ولابد للعبيد من لبسة يلبسونها ومعان يتكلمون بها ليتحققوا بكمال العبودية أمام السيد العظيم والولي الكبير المتعال ، لأن السيد الكبير المتعال جل جلاله غني عن الخلق أجمعين وكلهم فقراء إليه ، فهو تنزه وتعالى لا يجانسهم ولا يشاكلهم ولا يمازجهم ، لأنه سبحانه لا جنس له فيتجنس به ، ولا شكل له فيتشكل به ، ولا تتصوره العقول والأوهام .

ظهرت معاني صفاته في أحكام ما أمر لأنه الآمر القادر ، ونهى لأنه الحكيم القاهر ، وكلف لأنه الملك القوي ، وبين سبله إقامة لحجته على عباده ، وهو القاهر فوق عباده ، يريد الشيء إرادة تكوين فيقدره سبحانه وتعالى ، وينهى عنه ابتلاء منه وهو المبلي جل جلاله، ويحب الشيء ويأمر به ولا يقدّره سبحانه على من لم يشأ أن يهديه وهو العزيز المنتقم، لا حجة لعبد عليه لأنه الملك المتصرف في ملكه بما يشاء ، ولا ظلم ينسب إليه سبحانه لأنه خلق من يشاء لما يشاء قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ ﴾[1].

هديتَ من شئتَ بالإحسان والفضل أضللتَ من شئتَ بالتقدير والعدل

---

(١) الرعد : ٢٧ .

فلا العلم بخالص التوحيد يجعل العبد مهملا ، لأن العليم بخالص التوحيد هو الحكيم القادر الناهي ، ولا اليقين بحقيقة التقدير يجعل العبد حجة عليه جل جلاله إذا نسب الله تعالى القبيح إلى العبد وعاقبة عليه ، لأنه جل جلاله أرسل الرسل بالبينات وصدقهم فيما جاءوا به من قِبَلِه بالمعجزات ، حتى ثبت للخلق أجمعين أن أحدا لا يعمل هذا العمل إلا رب العالمين، ولا يجريه إظهارا إلا على يد صادق أمين ، إذ لو كانوا كاذبين فيما جاءوا به لما صدقهم سبحانه بالمعجزة الخارقة للعادة .

وهب لعباده العقول التي تميز بها بين المعجزة والكهانة ، حتى قامت الحجة القاصمة أن غير المسلم وليّ الشيطان الرجيم ولو بلغ من العلم نهايته ومن الكشف غايته ، لأن العلم يجري مجراه ، والحكم يجب العمل بمقتضاه ، فلا العالم مهما بلغ تكون له الحجة على الله، وعالم لا يخشى الله هو الجاهل حقا ، قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء ﴾[1].

العلم يجعلني أخشى من الرب	أراقبُ اللهَ بالأعضاء والقلب
إن لم أكن أخشى من ربي فمن جهلي	ولو علمتُ علومَ الكشف والغيب
ولو تحصلتُ من علم ومن فقه	مثل الجبال الرواسي لم يزل حجبي
العلم معراج أهل الحب والحسنى	مهواة أهل الجفا والبعد والريب
العلم يهدي إلى المعلوم يشهدنا	ما غاب عنا من الأنوار والشرب
جذب القلوب به بالحال والعشق	به أفر لمعطي الخير والتوب
فعلي بعلمي تحقيق لما أبغي	نيل الرضا والصفا من عالم الغيب
العلم موهبة من منعم معط	في "وَاتَّقُوا اللّهَ"[2] سر العلم والجذب
من يخش بالعلم مولاه ومبدعه	يرق إلى حظوة الزلفى بلا صعب
إني تحققت أن العلم لا يجدي	إن لم أنل خشيةً من قابل التوب
صححت حالي لأن العلم لا يجدي	إلا بفعل به في خشية القلب

(١) فاطر : ٢٨ .
(٢) إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ واتقوا الله ويعلمكم الله ﴾ البقرة : ٢٨٢ .

لجـــأتُ لله مضـــــطرا فأيـــــدني		بـــالعين عـــين يقـــين منـــك في حـــب
أَنْسَـــى علـــومي وآتي كـــلَّ معصـــية		بهـــا ابتعـــادي وآي الـــذكر قـــد تـــنبي
فـــاحفظ إلهـــي بحفـــظ منـــك مضـــطرا		فالـــذنب أوبقـــني بالســـهو والعيـــب
وجئتُ مستغفرا ، فـــاغفر وتُـــبْ وَاسْـــتُرْ		لأشـــهدَ الوجـــهَ يُجلـــى بالضـــيا صـــوبي
مـــولاي واجِهْـــني بالوجـــه آنِسْـــني		بمـــا بـــه أرتقـــي لمراتـــب الصـــحب
حصِّـــنْ بشـــرع رســـول الله يـــا ربي		عبـــدا دعـــاك لطهـــر الجســـم والقلـــب
واعصـــم مـــن النـــاس مضـــطرا لخالقـــه		هب لي العبودة يـــا غـــوثي ويـــا حســـبي
وســـخرن لي كـــل الكـــون ، عاليـــه،		وكل مـــن هـــو في ســـفل علـــى التـــرب
أعِنْ علـــى الشـــكر والأســـرار أشـــهِدْني		جمـــالَ وجـــهٍ بـــلا لـــوم ولا عتـــب

والاستقامة مراد الله تعالى المحبوب لحضرته العلية ، والسير بسير العلـم المطلـوب للعبد، وشتان بين مراد الله تعالى من العبد ومراد العبد من نفسه ، فالعبد يطلب الكرامة والله سبحانه يطلب الاستقامة ، ومن قدم مراده على مراد ربه كان جاهلا عند العلماء بـالله وإن ظن أنه عالم ، قال سبحانه وتعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللّهِ أَن يُؤْتَى أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُم عِندَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾(1) والسعيد حقا من سبقت لـه الحسـنى فوفقـه الله للاستقامة وأعانه ، والمحجوب حقا من ظن أنه يحسن عملا فطلب الكرامة ، قال تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾(2).

والعالم حقا من هجم به علمه على عين اليقين فانتشله الله من أوحال التوحيد ، فكـان حاله في مزيد ، قال "ﷺ وآله" : ﴿ من لم يكن في زيادة فهو في نقصان ، ومن كان في نقصان فالنار أولى به ﴾(3) وقال الله تعالى لرسوله "ﷺ وآله" : ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً ﴾(4) وعلـم

(1) آل عمران: ٧٣ ـ ٧٤ .
(2) الزمر: ٩ .
(3) رواه الدارمى فى كتاب فضائل القرآن .
(4) طه : ١١٤ .

بمحو الآثار والآيات عندنا هو علم الأطفال ، فمن لم يكن في مزيد من العلم حتى يثبت ما أثبته الله ويسارع إلى مرضاته ومحابه فهو في جهل ، قال تعالى : ﴿ وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾(١).

هو العلمُ لا يُجلى بغير الحقائق	وعلمٌ بكشفٍ فيه قرب لخالقي
وما العلم إلا ما يعلمه العليّ	وآي "يُعَلِّمُكُم" دليل لصادق
وما العلم والأعمال من غير خشية	سوى آلة صماء سؤل المنافق
وفي أول "الرحمن" نور لمهتد	بها "عَلَّمَ القرآنَ" جذب الموافق
تبرأتُ من حولي وقولي وقوتي	تحققتُ أن الله بالفضل رازقي
تبرأتُ من نفسي وكل جوارحي	أنبتُ إلى ربي بإخلاص واثق
أيا علم يا حال وكل جوارحي	ويا مال يا أولاد لستم مرافقي
أنيبوا معي أو فاتركوني فإنني	تحققت أن الكون أحلام وامق
ومرَّارةٌ دنياي بل غرَّارةٌ	وضرَّارةٌ والعبد في ليل غاسق
ففِرُّوا من الدنيا إلى الله سارعوا	إلى الله من تلك الملاهي الخوارق
بنور رسول الله فاعتصموا ولا	تميلوا إلى الأهواء ميلة مارق
حَنَانَيْكَ يا تواب تُبْ وفِّقَنْ لما	تحبُّ مسيئًا في ظلام الشقائق
وجَمِّلْه بالأحوال حال محمد	وخَلِّقْه بالأخلاقِ أخلاقِ خالق
وطَهِّرْه من غفلة من ضلالة	وأعط له الإحسان خير الرقائق
وأكْرِمْه في الأولاد في كل أهله	كما نال خيرا كلُّ فرد وسابق

فيجب علينا أن نسارع إلى الاستقامة عملا بعلم الله وإن جهلنا الحكمة ، فإنما نحن مكلفون لنطيع الأمر فقهنا الحكمة أو جهلناها ، وكل علم ينتج شهودا يخالف الاستقامة هو جهالة وضلالة ، وكيف لا يكون كذلك وصاحبه يحكم بعلمه على علم ربه ، ويخالف بشهوده حكم ربه جل جلاله ؛ وهو الخسران المبين ؟! .

---

(١) الإسراء : ٨٥ .

إلا من صال عليه الحق صولة فسلب منه ما وهب ، ولديه يسقط عنه ما أوجب ، وهم الموتى وإن كانت أجسامهم تتحرك ، الذين اقتطعتهم المحبة من غير سكينة ، فصيرهم أرواحا بلا أشباح ، لا يتألمون بما يتألم منه الناس ، ولا يتلذذون بما يتلذذ الناس به ، وهم أهل الاصطلام بمشاهدة التوحيد بالتوحيد ، لا يشهدون لأنفسهم وجودا ، فكيف يشهدون مقتضيات الوجود ؟! .

تجلت لهم الأسماء والصفات فحجبت أنوارها الكائنات ، فغابوا عن أنفسهم بمُنفِّسِهم، وعن مقتضيات قلوبهم بمُقَلِّبها ، وليست دعوى يدعيها السالك ، ولا تكلفا يدعيه مريد الحق، وإنما هى حال قاهرة عن سجية صادقة بعد تزكية النفوس وشوقها إلى القريب القدوس.

وليس هؤلاء أئمة للمتقين ولا هداة للأمة ، لأن القوة التي بها التكليف سُلبت، والحقيقة التي بها التعريف قربت ، خرست ألسنتهم لاستغراقهم في شهود الواحد ، وصمت آذانهم عن غيره ، وحجبت أبصارهم عن سواه سر قوله تعالى : ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ اللّهِ ﴾[1] وقوله تعالى : ﴿ فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ ﴾[2] والفار إلى الله من نفسه ؛ المستوحش من وجوده ؛ كيف يأنس بغيره ، أو يرى وجودا لسواه ، فإذا رد إلى الخلق وأنس بهم وفارقته الاستقامة ؛ كان داعيا إلى الضلالة ناهجا سبيل الغواية ، نعوذ بالله منهم .

ومحبوب الله تعالى إذا رده إلى خلقه جمله بحلل حبيبه ومصطفاه ، وسلك به على الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعمت الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، فكان صورة محمدية كاملة يمثله "ﷺ وآله" ظاهرا وباطنا ، مشكاة لمصباح أشرق زيته وصفت زجاجته ، عمله السنة ، وقوله الحكمة ، وحاله المحبة والتوكل على الله والتفويض لله، والسكر بكلام الله ، والفرار إلى الله ، والمسارعة إلى مراضي الله ومحابه .

---

(١) البقرة : ١١٥ .
(٢) الذاريات : ٥٠ .

وهو الإمام الذي يظهره الله ، فترى جسمه في الأرض بين الناس ، وقلبه معلق بـالملأ الأعلى ، أنفاسه ريحان ملائكة الله ، وأعماله زينة الفردوس الأعلى ، توحدت همومه فصارت هما واحدا في الله، لو غاب رسول الله "ﷺ وآله" عنه نفسا لعد نفسه مشركا .

تأهَّلَ أهلُ الله من قبل نشأة ... وخُصوا بفضل الله قبل شهادة
فمَن كان مخصوصا لمولاه طالبا ... يناوله طه شرابَ السعادة
ولكنني البواب عبدٌ مؤدبٌ ... على بابه في ذلة ومهانة
على السيف أمشي خائفا مترقبا ... وقلبي في نار اللظى والمهابة
إذا نفسا خالفتُ طه وحقّه ... أُرَدُّ إلى دار اللظى والشقاوة
ولو لحظة شاهدتُ غيرَ جمالِه ... حكمتُ بأني كافرٌ بالحقيقة

وهو الفرد الذي لا تفارقه الاستقامة ؛ وإن كانت أحواله توجب الملامة ، حصن الله شهوده بالسنة ؛ بحقيقة ما تفضل به عليه من المنة ، خفيت إشارته لأنها من غوامض أسرار التوحيد ، ووضحت عباراته لأنها بيان المبدئ المعيد ، قال تعالى : ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الإنسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾[1] عبارته الشفاء للقلوب ، وأحواله التنويع للنفوس، وإشارته تلويح عن الغيوب ، لا يقهره حاله لأنه مقهور بقهر الحكيم القادر ، محصن في حصن حكم اللطيف الخبير العليم ، تجلت له صفات أهل معية رسول الله "ﷺ وآله" حتى لو همَّت نفسه بمخالفة في صغيرة أو كبيرة ، تداركته عناية الوليّ القريب ، سر قوله تعالى : ﴿ اللّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾[2] إذا أظهره الله في الوجود فتح به عيون القلوب ، وأطلق به الألسنة بالحكم وأسرار الغيوب ، نَوَّعَ به النفوسَ وزكاها ؛ وطهرها من لبسها وبالأخلاق الطاهرة والاستقامة حلاها ؛ سر قول رسول الله "ﷺ وآله" : " العلماءُ سُرُجُ الدنيا ومصابيحُ الآخرة ﴾[3].

(١) الرحمن : ١ – ٤ .
(٢) البقرة : ٢٥٧ .
(٣) رواه ابن عدي عن سيدنا عليّ عليه السلام وهو صحيح كما قال المناوي.

يقول ﷺ داعيا ربه سبحانه :

بفضلِك هَبْنَا الاستقامةَ يا ربي فإنك يا ألله في رتبتي حسبي
يقول لسانى الله في ذكره ربي فهب لي يقينا كي يصدقه قلبي
وهب سيدي منك استقامتنا التي ننال به البشرى نُجمَّل بالحب
يقول لسانى الله ربي موقنا وفي آية القرآن بشرى لذي لب
لقد قلتُها يا رب هَبْنا بشائرا بدنيا وأخرى هَنِّنَا رب بالقرب
ذكرنا بفضل منك وَفِّقْ جميعَنا لما أنت ترضاه أيا عالِمَ الغيب
أيارب ورِّثْنا علومَ محمد لنعطى مقامات الأوائل والصحب
وأحيِ بنا آثارَ أكملِ مرسل وأعلِ بنا القرآنَ في الشرق والغرب
بنا سيدي جدِّد معالِمَ سادةٍ لقد جاهدوا في الله في صولة الجذب
أَمِتْنَا على الإسلام واجعل قبورَنا رياضَ شهودٍ يا مجيب من الرب

شراب أهل الجنة العاجلة :

كما أن لأهل الجنة الآجلة في الآخرة شراب يتلذذون به ؛ إما ماء غير آسن أو لبن لم يتغير طعمه أو عسل مصطفى أو خمر لذة للشاربين ؛ فإن لأهل الجنة العاجلة المقبلين على الله التاركين لحظوظهم الصائمين عن أهوائهم شرابا يليق بهم عوضا عما تركوه ، يتلذذون به ، ويهيمون لأجله ، تشرق به قلوبهم وتستنير بصائرهم ، ذاك هو خمر القرب الإلهيّ ، به يكشف الجمال الربانيّ حتى يصل الشارب إلى رحيق الوصل العليّ ﴿ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَاباً طَهُوراً ﴾[1] شراب يصح به الاتباع الكامل لرسول الله "ﷺ وآله" تأسيا ، يقول الإمام المجدد أبو العزائم عليه السلام :

من خمرِ نورِ جمالِك و من رحيق وصالِك
شربتُ صرفا فهمتُ وهام أهلُ كمالك

(١) الإنسان : ٢١ .

وأشـــــرق القلـــــــبُ نـــــورا و القلـــــبُ قـــــد كـــان حالـــك
ومبشِّـــــــرِي قـــــال هيـــا قـــم فـــالحمى لــــك ســـالك
فســــــرتُ وهـــــو أمـــــامى حــــتى وصـــلتُ هنالـــــك
وقلــــتُ يــــا ليـــت قـــومي قـــــد يعلمـــــون بــــذلك
وصـــــرتُ حـــــيرانَ فيمـــــا شــــــاهدتُه مــــــن جمالــــك

ويقول في موضع آخر في إحدى قصائده :

ســـقوني الـــراحَ في ليـــل التـــداني بكـــأس النـــور مـــن بحـــر المعـــاني
وشـــاهدتُ المشـــاهدَ وهـــي تُجلـــى برنــــات المثالـــــث والمثـــــاني
وعاينـــــتُ الجمــــالَ الصـــرفَ لمـــا شــــربتُ بِرَاحَتَـــــيَّ مــــن الــــدِّنان
ســـكرتُ وهِمْـــتُ عـــن حِسِّـــي ونفســـي وملــــتُ برشــــف راحــــي عــــن زمــــاني
وعاينـــــتُ الجمــــالَ بكـــل شـــيء جمـــالَ الحـــق في عـــين العِيـــان
تنـــادي كـــلُّ جارحـــةٍ وعضـــوٍ وأزهــــارٍ وأنــــوارِ الجِنــــان
وأفـــلاكٍ تـــدور علـــى انتظـــام وأنهـــارٍ بهـــا حلـــي الغـــواني
وأشـــجارٍ تســـبح ناطقـــاتٍ لمـــن عـــرف الحقيقـــة بالبيـــان
جمـــالٌ لا يشـــابهه جمـــالٌ وحُسْـــنٌ لـــيس يُحصـــيه جَنـــاني

حان الشراب لأهل الجنة العاجلة :

إذا كان الشراب في جنة الأشباح يدار في كؤوس وأكواب من فضة قدروها تقـديرا ، فإن شراب أهل الجنة العاجلة يدار عليهم في آنات الوجود وهذا الكون العظيم المسمى عند أهل الله بالوجود الظاهر الذى تراه العينان ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَات لأُوْلِي الأَلْبَاب ﴾[1] فآيات الله المشهودة للعين هـي الكـأس والراح والحان الذي يدار فيه شراب القرب من الله سبحانه .

(١) آل عمران : ١٩٠ .

جمال الله الظاهر يخامر العقول فيسكرها بظهور عظمة الخالق ، وجمال الله الباطن يباشر القلوب فيقلبها في يقين هو براقهم إلى ملكوت رب العالمين ، ولدى تمكنهم في شهود تلك الحقائق تغشى سدرة قلوبهم الأنوار ، وتجلى لعرش أرواحهم الأسرار ، وهنالك تمحى آية ليل حجابهم وتكون آية نهار شهودهم مبصرة ، فينالون الفضل من يد المتفضل ، ويتعلمون علم الوقت والزمان بحساب عباد الرحمن ﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلاً ﴾ يقول الإمام أبو العزائم عليه السلام :

حانُ الشرابِ هو الوجودُ الظاهرُ ... وهو المُدامةُ للعقول يخامرُ
و هو الشرابُ الصرفُ عند أُولي الصفا ... ولَكُمْ به للحق ثَمَّ مظاهرُ
هو خمرةُ العشاقِ بل هو نورُهم ... وبراقُهم وهو الجمال الظاهرُ
ودليلُهم لشهود حضرة قدسه ... يرقَوْا إلى عين به لا تنكر
ولدى التمكنِ من شهود جماله ... صرفا تبوح بسر ذاك ضمائر
تمحى المظاهرُ في شهود حقيقة ... تجلى لعرشٍ زيَّنَتْه سرائر
يمحى الظهورُ وتنجلي أحديةٌ ... ذوقا يراها قلبُ صَبٍّ عامر
ويلوح عن أفق السرائر بارقٌ ... يبدو به ليل المظاهر أقمر
ويرى الجهالة عندها علما بما ... في كنز باطن ذات مَن هوقادر
ويشمُّ رائحةَ الكمال إذا انجلت ... عينُ اليقينِ ومثلُ ذلك يَنْدُرُ
هذا هو التِّبْرُ المصفَّي من رأى ... أنواره فهو السعيد الفاخر
ولقد دخلتُ الحانَ حانَ شهودِهِ ... وشربتُ منها كلَّ ما قد يُسكر
وفنيتُ حتى صرتُ عرشَ ظهورِه ... تهتز لي عند البيانِ منابر

شراب الصفا :

شراب الصفا للمتقين الأصفياء يدار من عيون رحيق الوجدان يقال لهم : كلوا من رزق أرواحكم وأسراركم ، وترقوا في معارج العرفان ، واشربوا من رحيق أذواقكم هنيئا بما كنتم تعملون أيام مجاهداتكم ، إنا كذلك نجزى المحسنين المتقين بعلوم وأحوال في كل حال تجلى لهم في حانات كوننا وكاسات آثارنا .

يقول الإمام رضي الله عنه :

تجلَّى لنا في الحان والبدر لى باد ... وناولني راحَ الصفا من يد الهادي
وأشهدني مجلى معاني صفاتِه ... فلاحت لِيَ البشرى ونلتُ مرادي
وقلَّدَني عقدا من اليد نظمت ... لآلُئه من وهبه وأياد
فملتُ لرشف الراح حتى رأيتُني ... أفيض على الوُرَّادِ من إمدادي

إلى أن يقول:

وفي الحان قد سكر الندامى بلونه ... وناولني صرفا به أجدادي
شربتُ بلا قدح من الحان أبحرا ... إلى أن بدا سكري وحان رشادي
وحيهلت يا من يرتجي جلوة الرضا ... هَلُمَّ لتحظى منه بالإسعاد

ثم يطالبك بتسليم روحك لأهل الحان لتنال مرادك فيقول :

وسَلِّمْ لأهلِ الحانِ رُوحكَ واعتقد ... تنلْ من شراب القوم كلَّ مراد
فهم عرشُ مجلى الذاتِ في كل حضرة ... وأيامُهم في الأنسِ كالأعياد
هم يتجلى حسنُنا وجلالُنا ... وتُفتحُ أبوابُ الحِمَى للصادي
فهم أنجمٌ من حضرة القبضة التي ... أضاءت لدى الأفراد والآحاد
هم قد أضاءت سبلُه وتحصنت ... ومنهم أضاء البدرُ للعُبَّاد
فدعني وشربي وارتشافي ونشوتي ... فعن حسن من أهواه صرتُ أنادي

وأهل الصفا فروا إلى المحبوب شوقا إليه ،كما يقول رضي الله عنه :

أتلفتني الجناتُ عن نورِ وجهِه ... فحاشا وقصدي حالَ قربي هو المجلى
إذا كانت الدنيا هي القصد والمنى ... فلا حظَّ لي في قرب مَن هو بي أوْلى
وأهلُ الصفا عن "كُن" نَأَوْا وترفَّعوا ... فرارا إلى المحبوبِ شوقا إلى المولى
وكلٌّ محبٍّ مال للحظ والهوى ... نأى عن شهود الوجه ناء عن المجلى
و"كُن" دون محبوبي ومقعد صدقه ... وميلي إلى الدنيا به منه قد أقلى
إذا حجبتني "كُن" أفر مسارعا ... إلى "كَانَ" حجي مقصدي سيدي أعلى

تفاوت الشراب على قدر الشاربين :

كما يتفاوت أهل الإقبال على الله في الأعمال والأحوال والدرجات والمقامات ؛ يتفاوت الشراب الجاذب لكل واحد منهم على قدره ، فللقلوب شراب لأهل القلوب ، وللفؤاد شراب لأولي الألباب ، وللطيفة النوارنية شراب لأهل اللطائف الذين تجردوا من كل كثيف حتى ظهروا على الخفا ، وللخفا والسر شراب لأهل الخفا والسر ، ذوق علوم وأسرار، وشهود أنوار ، وكل ذلك بمقدار .

فللسالكين على صراط الجد والمجاهدة عطايا ، وللوصلين إليه تعالى بفضله منن وهدايا ، ولكل ماعون ينضح بما فيه من فيض فضل الوهاب .

شراب أهل السلوك بالجد والاكتساب علوم كسبية ، شراب أهل الوصول بالقلوب علوم ذوقية وهبية ومنح علوية، ، وشراب أهل الوصل راح قدسية من باطن القرآن ، وهؤلاء مُدامهم في كل نَفَس ، مشغولون برؤية الوجه عن كل أمل ، ومجذوبون إليه بلا ارتياب على معارج الأنجاب والأقطاب .

يقول رضي الله عنه :

أمِنَ القلوبِ إلى القلوبِ شرابي ومن الفؤادِ إلى الفؤادِ خطابي
ومن اللطيفة للطيفة نظرتى تُعطَى لمطلوبٍ من الوهاب
ومن الخفا والسر للألباب قد تُعطَى علومُ الغيبِ للأحباب
والسالكون بجدهم وجهادهم يُعطَى لهم بالقول والآداب
شتان بين الواصلين بفضله والسالكين بجهدهم لرحاب
فالواصلون شرابُهم بقلوبهم راح الصفا من حضرة الأبواب
والسالكون شرابُهم بجهادهم حُجبوا برؤيا الكونِ والأكواب
وشرابُ أهلِ الوصلِ راحٌ قُدِّست من باطن القرآن سر كتاب
وُدُّوا من الأرواح وُدًّا ظاهرا فتجملوا بالروح والأنساب

في كـــل نفـــس يشـــربون مـــدامَهم   والوجـــهُ أشـــرق لا بقيـــد نقـــاب
شُـــغلوا بمـــرأى الوجـــهِ عـــن آمـــالهم   فتقربـــوا فضـــلا لعـــز جنـــاب
جُـــذبوا إليـــه فشـــاهدوا أنـــوارَه   نـــورا سمـــا عـــن مشـــهد المرتـــاب
غـــابوا بـــه عنـــهم وعـــن آياتـــه   ورقَـــوْا عـــن الأنجـــاب والأقطـــاب
تركـــوا المراتـــبَ خلفهـــم لفنـــائهم   بالوجـــهِ عـــن عمـــل وعـــن أحســـاب
ســـكن الجميـــلُ قلـــوبَهم فتـــهيموا   فهمـــو الشـــموسُ لوصـــلة الأصـــحاب
في كـــل نَفَـــسٍ مشـــهدٌ يُجلـــى لهـــم   عـــن عـــين حـــق يجلـــى للألبـــاب

شراب الأرواح يجذب الأشباح :

شراب الأرواح من يد الفتاح يسكر الأرواح فتتمايل الأشباح ، وتنجذب مهرولـــة إلى خالقها وباريها ، ويتلاشى عند تذوق الشراب عامل الوقت والزمان ، ويزداد حنين القلوب والأبدان لهفة لشهود جمالات الجميل الحق ، وما هذا الحنين والشوق والهيام إلا قوة تفجرت من داخل العبد المحب لمولاه بعد معرفته أنه صورة جملها الله سبحانه وتعالى بجمـــال الســـميع البصير المتكلم الحيّ القادر العليم المدبر الحكيم ، لأجل هذه الجمالات يكون الوله وتكـــون الصبابة والوجد والغرام ، رغبة في المثول في حضرة القرب مـــن القريـــب ، ورشـــف راح القدس، ورجاء أن يمن الله على العبد المحب بتجلياته ظاهرة وباطنة ، وتجعله آنسا به سبحانه ، فإن من كان أنسه بالله تعالى لا توحشه المؤثرات ، يقول رضي الله عنه :

أمِـــنَ الشـــرابِ تمايـــلُ الأشـــباحِ   أم لاح وجـــهُ الحـــقِّ لـــلأرواحِ
عجبـــا تحـــن قلوبُنـــا ، وجســـومُنا   تهتـــز شـــوقا في مســـا وصـــباح
إن كـــان مـــن رشـــف المـــدام تمـــايلي   فـــالراحُ لا يهتـــز في الأقـــداح
هـــذا التمايـــلُ لهفـــةٌ لشـــهود مَـــن   هـــو ســـاكن في القلـــبِ لا للـــراح
هـــذا الهيـــام لمـــن لـــه أنـــا صـــورةٌ   قـــد جُمِّلـــت بمعـــالم الفتـــاح
ولهـــا بـــه وتألهـــا لجنابـــه   حـــتى بـــه أفـــنى بغـــير جُنـــاح

يفـــنى المثـــال ويظهـــر الحـــق الجلـــيّ ولـــذا تـــدوم مســـرتي وفلاحـــي
هـــذا الحـــنين إلى العلـــيِّ لعَلَّـــه يتجلـــى لي بـــتترل الإصـــلاح
فيـــزول رسمـــي بالحقيقـــة عنـــدما أرى وجهَـــه في هيكلـــي بصـــراح
ألكُ آنســـا بالوجـــهِ بعـــد تـــترلي لمكـــانتي في رَوْضِـــهِ الفيـــاح
غـــيري يميـــلُ إلى المُـــدامِ لأنـــه متحجـــبٌ بـــالكونِ والأقـــداح
وأنـــا المـــدامُ أدار في حـــان الرضـــا لأحـــبتي بســـعادةٍ وسمـــاح
الـــراحُ أنفاســـي وحـــالِيَ غـــامضٌ وحقـــيقتي خَفِيَـــتْ عـــن الشُّـــرَّاح
لم أشْـــرَبَنْ بعـــد الوصـــال مدامـــةً وحقـــيقتي خمـــرٌ بهـــا أفراحـــي
أنـــا صـــورةٌ وحقـــيقتي لِـــيَ أشـــرقت فتنَعّمَـــنْ بجمالِنـــا يـــا صـــاح
قـــد واجهَـــتْ مرآتهـــا فـــتلألأت أنوارُهـــا في تلكـــم المصـــباح
فَتَنَزَّلَـــتْ بكمالِهـــا لمثالِهـــا فتجمـــل المصـــباحُ بالفتـــاح

خمر بلا أقداح فى جنة الأرواح :

في جنة الأرواح طعام وشراب معنويّ ، كما في جنة الأشباح طعام وشراب حســيّ ، هذا الطعام هو قوت القلوب وغذاء الأرواح به تحيا وعلى معارجه تطير من عالم الحجاب إلى حيث شهود جمال المنعم الوهاب .

يقول الإمام ﷺ :

أتينـــا جياعـــا أطْعِـــمِ الـــرُّوحَ ســـيدي غـــذاءَ مُقِيـــتٍ يمـــنح الفـــتحَ والنَّـــيْلا

قال تعالى ﴿ فَلْيَنظُرِ الإنسَانُ إِلَى طَعَامِهِ ﴾[1] الحسيّ والمعنويّ، ما تقوم به الأشباح وما تقوى به الأرواح ﴿ أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاء صَبّاً ﴾ ماء المعارف والعلوم والواردات على القلــوب الميتة فحييت .

---

(١) عبس : ٢٤ .

يقول الإمام القشيري رضي الله عنه : صببنا ماء الرحمة على القلوب القاسية فلانت بالتوبة ، وماء التعريف على القلوب الصافية فنبتت فيها أزهار التوحيد وأنوار التجريد .

ثم شققنا أرض البشرية بأنواع العبادات وأحكامها والعبودية وتيجانها شقا ، فأنبتنا فيها حب المحبة في القلوب ، وكرم الخمرة الأزلية لذة للشاربين ، وقضب الزهد في زهرة الدنيا وزينتها وشهواتها ، وزيتونا يشتعل بزيتها مصابيح العلوم ، ونخلا يجنى منها ثمار حلاوة المعاملة، وحدائق وبساتين المعارف والكمالات والجمالات متكاثفة التجليات ، وأبًّا مرعى لأرواحكم تجولون بالفكرة بالنظرة في أنوار وأسرار المواجهات الجلالية والجمالية ، فتأخذ النفس نصيبها من كل شيء وتعرف الله في كل شيء .

متاعا لكم : لقلوبكم وأرواحكم بتقوية معارفكم في مقام الإحسان ، ولأنعام نفوسكم التي ترعونها بتقوية اليقين في مقام الإيمان .

خمرة الصفا تحيي شوق الأرواح إلى خالقها حتى ترى الوجه مشهودا بلا حجاب ، خمرة الصفا إذا دارت على الأرواح تجردها من حيطة الأشباح ؛ وتمزق أسوار الجسم فتهيم النفس وتصح عند ذلك الرؤيا بلا كيف وإفصاح ، خمرة تجنن العارفين وتحير الواجدين، تدار بلا دن ولا قدح ، يقول الإمام أبو العزائم عليه السلام :

إذا لنا دار خمرُ الصرفِ للأرواحِ ... تجردت رغبا من حيطة الأشباحِ
تمزق السورَ سورَ الجسمِ من وله ... لتحتسي من رحيق مشاهد الفتاح
راحٌ تدار على الأرواح ظاهرها ... نور التجلي مضيئا بالضيا المصباح
راح طهور بلا مزج يناولها ... فردُ الحظيرة صرفا لا بأقداح
قد نولت من " أَلَسْتُ " للنفوس وكم ... قد جُنَّ فردٌ مرادٌ من شذا الراح
هامت بها أنفسٌ طهرت وصح لها ... رؤيا الجميلِ بلا كيف وإفصاح
خمرٌ عتيقٌ هو الروح التي ظهرت ... في حضرة القدس في صفو وإصباح
كم جَنَّنت عارفا من حسن رونقها ... و حيَّرَت واجدا في طي إصلاح
ومن " أَلَسْتُ " بها نفسي مشاهدة ... أنوارها لا بتعيين وإيضاح

و قبلها قد أديرت لي وكنت بها ... مؤلها طائفا بجمال فتاح
و لم أزل ومعانيها وآيتها ... تضيء سري فدعني أيها اللاحي
عوالم القدس في سكر بظاهرها ... و كل عالين في طرب وأفراح
خمر هو النور لا دَنٌّ يحيط بها ... و رشفها لسوى أسرارها ماح
من يحتسي قطرةً منها يغيب بها ... عن نفسه لا يرى أسوارَ أشباح
يلوح نورُ معانيها لظاهره ... و غيبُها يتجلى بِاحْتِسَا الراح
بعد التخلي عن الآيات تشرق لي ... شمسٌ فتمحو ظلالي حال إيضاحي
أكون دَنًّا لهذا الراح مختفيا ... يلوح حال إشاراتي وإيضاحي
تذوقه النفسُ بعد صفاء جوهرِها ... تفرُّ من سجنها للروح والراح
لقبضةِ النورِ تسري وهي والهةٌ ... حتى تواجهَهُ بضياء مصباح
تجملُ النفسَ بالحسنِ البديعِ وفي ... هذا المقام نعم قد صح إفلاحي
أكون زيتا ومصباحا أضيءُ على ... أرجاء أفقٍ صفا من قيد أشباح
نورُ المرادِ مرادِ الذاتِ أشرق في ... سُورٍ هو الصورةُ العَلْيا لإصلاح
هذا هو الخمر روحٌ في هياكلنا ... تسري فتُحْيِي بريحانٍ وأفراح
يكون ذا الكونُ مشهودا فتحجُبُه ... ويُشْهَدُ الغيبُ للمخمور والصاحي
أين العناصرُ والآثارُ قد حُجبت ... بنورِ مبدعِها وجمالِ فتاح ؟!
أين المظاهرُ قد غابت ولِي ظهرت ... شمسُ التجلّي بلا أفقٍ وألواح ؟!
تنزهت حضرةُ الإطلاقِ وارتفعت ... عن مدرك العقلِ عن شرحي وإفصاحي
لكنها الراحُ دارت وهي صافيةٌ ... للرُّوحِ أخْفَتْ معاليمي وأشباحي
و صرتُ نورا بلا كون يُحَجِّبُني ... عن المُكَوِّنِ في كشفي وإيضاحي
على الحبيبِ المُرَجَّي المصطفى أملي ... صلاةُ ربي بها أحظى بأفراحي

راح القدس في جنة الأرواح :

إذا صحت حياة الروح قام العبد قيامة كبرى لله وسارع إلى الجناب العليّ فراراً من كل

دينّ ، قال تعالى : ﴿ فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾[1] فكشف له الحق عن كل جمال مقرب إلى حضرته ، وكمال موصل إلى مراقيه العلية ، وكلما ازداد العبد قربا من القريب كلما رفع حجاب ، وكلما رفع حجاب فتح باب ، وكلما فتح باب زاد الهيمان والشوق من الأحباب ، فتكون الروح – في القيام والقعود والمنام – في ذكر دائم للملك العلام ، والذكر راح الأرواح في جنة الله العاجلة ، التي يهبها الله لأوليائه وخواصه في هذه الدار الفانية ، أولئك الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه في الاتباع لحبيبه سيدنا ومولانا محمد "ﷺ وآله" وفيهم يقول رضي الله عنه :

كشفوا الحجابَ عن الجمال الباقي ... فتهيم الأحبابُ للخلّاقِ
فَتَحُوا الدنانَ وناولوا أحبابَهم ... طابوا بها بشرى بهذا الساقي
شربوا شرابَ محمدٍ فتجملوا ... بجمالِه رُفعوا لكل مراق
نادى المنادي فاشربوا راحَ الصفا ... بالفضل قد طابت لكل رفاقي
عشِقوا جمالَ محمدٍ وصلوا إلى ... نُزُلِ الوصولِ بشدةِ الأشواق
فقلوبُهم بجمالِه قد عمرت ... والراحُ راحُ القدسِ للعشاق

لمن عشقوا الجمال القدسي راح من القدس استولت على قلوبهم فعمرتها ، وكتبت بذلك حروف سلامتها ، وذلك لا يكون إلا بسيدنا ومولانا رسول الله "ﷺ وآله" ، وهو أعظم الفضل وأوسع الرحمة ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾[2].

مُدامة القدس في أعلى الجنات :

لمن دك طور أجسامهم بشرع ربهم ، وتدكدكت أرض شهواتهم وحظوظهم بسيف لا إله إلا الله محمد رسول الله ، مُدامة قدس تدار عليهم بيد سيدنا ومولانا رسول الله "ﷺ وآله" من حضرة القدوس ، فيقوى ولههم ، وينمو غرامهم ، وترى بصائرهم أنوار المشكاة كاشفة

---

(١) الذاريات : ٥٠ .
(٢) يونس : ٥٨ .

الأسرار ، لديها فلا ينفع إلا التسليم ، سلامة للظاهر والباطن ، وإقامة للحقائق محافظة على الأسرار ، وتلك العطايا والمنح لمن رزق حياة أهل الإيمان ، بماء السماء المنزل على القلوب جمالا صرفا ، يقول رضي الله عنه :

أَدِرْ يا نديمَ الرُّوحِ راحَ صفات ... وذكِّرْ فؤادي منك بالآيات
ومن حضرة المجلى الحقيقيِّ فاسقني ... مُدامةَ قدسٍ في عُلَى الجنات
وفي حانِ تتريه المجالي وروضِها ... أَدِرْ ذكرَ أسمائي على النغمات
وحافظ على الأسرار عند شرابِنا ... فأسرارُنا لا تبد في الحانات
فإنا إذا شمنا الحبيب بعينه ... وقربنا بالفضل للحضرات
جُنِنَّا وبحنا بالحقائق فانتبه ... إذا ما بدت أسرارُ مجلى الذات
ودُكَّ بنا طورُ التجلِّي وعاينت ... عيونُ بصيرتِنا سنا المشكاة
ولم يبق إلا العين والنور ساطع ... على العرش مرءِيٌّ من المرآة
لديها إذا ما بحت بالسر جهرة ... فسَلِّمْ لترقى أرفع الدرجات

إلى أن يقول:

أفاض عليَّ النورَ من كل جانب ... وأوصلني منه لكل صلات
عليه من الذات المقدس دائما ... ومنه عليه أكملُ الصلوات

الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا :

قال تعالى : ﴿ إِنَّ الأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُوراً ﴾[1] الأبرار : جمع بار، وهو من يبر خالقه أي : يطيعه ، وقيل : هم الصادقون في الإيمان ، الكأس : الزجاجة إذا كان فيها خمر ، ويطلق على نفس الخمر، والمزاج : ما يمزج به ، كافورا : أي : ماء كافور: وهو عين في الجنة ماؤها في بياض الكافور ورائحته .

---

(١) الإنسان : ٥ .

وفي القاموس : الكافور : نبت طيب ، نَوَره كنَوَر الأقحوان ، وطيب معروف ، يكون من شجر بجبال الهند والصين ، يظل خلقا كثيرا ، وتألفه النمور ، وخشبه أبيض هش، ويوجد في أجوافه الكافور ، وهو أنواع ، ولونها أحمر ، وإنما يبيض بالتصعيد ، والتصعيد : الإذابة.

والأبرار في الدنيا هم المطهرون من درن العيوب ، المتجردون من علائق القلوب، يشربون من كأس خمر المحبة كان مزاجها كافور برد اليقين . يقول الإمام أبو العزائم عليه السلام :

شَمَّةٌ من عبيرِها لمريدٍ تجعلَنْهُ نورًا لمحو الظلامِ
اصغ بالرُّوحِ للبيان ودَعْني حالَ صفوي وخلِّ عنك ملامِي
فالصفا بدؤُهُ اجتلاءُ المعاني وانمحا ظلِّ هيكلي باصطلامي

فشمة من هذه الكأس التي تدار على الأبرار تجعل العبد المريد لمولاه نورا تمحى به الظلمات ، ولسان حال يجلى جميل المعاني ، وتستر به جميع المباني ، وتصفو النفس بالشراب، وصفوها دنو من الودود ، يمحى به الحجب والصدود ، وعندها يحلو للمريد الفاني رشف المدام ، بعد خلع العذار وترفع له الأعلام ، ويصفو له الغيب المصون ، ويقوى منه التأله ويزداد الهيام ، ويكشف المضنون ، وتجتلى في هيكل العبد شمس المقام ولديها يقوى الظهور فلا خفاء ولا تستر ، ولكن يباح بالحال للأمثال من الرجال ، يقول رضي الله عنه :

يا مديرا للرُّوحِ راحَ البيانِ ناوِلَنْه من سلسبيل القرآنِ
أسْكِرَنْها منه ليحلو صفاها في مقام الإطلاق حال التداني
أسْمِعَنْها حالَ الشرابِ إذا ما جرَّدُوها عَلِيَّ تلك الأغاني
نغمة القدس عن تجلي قريب قد تعالى عن حيطةٍ ومكان
يا مديرا راح التجلِّي بنفسي إن تُناوَلْ بكشفِ غيبِ العِيان
فاصطلامي لرشف راحٍ طهورٍ أخفى عني نفسي وأخفى كياني
ناوِلَنْها صرفا إذا ما تجلت باجتلا الوصفِ صورة الرحمن
يامديرا راحَ الجمالي أدِرْها بعد كشفِ الأخفى ومحوِ الداني
فهي راح تُحْيِي النفوسَ بروح تسري في هيكل بسرٍّ مُصان
تَمْحُ ظِلِّي بنورِها حال صفوي هيكلي سدرةٌ بها للبيان

بيــــتُ حــــقٍّ مجمـــــلٌ بـــــالتجلِّي عــــامرٌ أشـــرقَت شمـــوسُ المعــــاني

وإن أردت أن تشم عبير هذا الكأس فاصغ بالرُّوح عند بيان العارفين ، وكن مطمئنـــا بذكر الله آنسا به دون سواه ، عطايا الأرواح تحتسيها الأرواح بغير كؤوس وأقداح ، يقول رضي الله عنه :

اصـــغ بـــالرُّوحِ إن أداروا مُـــدامِي للأغـــاني بفهـــمِ فحـــوى كلامـــي
جَـــرِّدِ الـــنفسَ مـــن ميـــولِ المبـــاني طَهِّرَنْهـــا مـــن عنصـــرٍ ورَغـــام
تَظْهَـــرَنْ صـــورةٌ تشـــيرُ لمعـــنى مـــن معـــاني الإطـــلاقِ نـــورِ المقـــام
لِـــي أغـــانٍ حـــالَ الصـــفا والتـــداني تحيِـــي بـــالراحِ أنفـــسَ القُـــوَّام

﴿عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴾

عينا يشرب بها عباد الله المخلصون ، يفجرونها على قلـوبهم وأرواحهـم وأسـرارهم تفجيرا، فتمتلئ محبة ويقينا ، هي عين قدس خصصت من لدن رب العزة جل جلاله في ﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الإنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئاً مَّذْكُوراً ﴾(١) على أولي العزائم من الرجـال الكُمَّل ، والأفراد العارفين ، والأئمة الهادين المهديين الدالين على الله بالله ، يفجرها عنـدما يفاض عليهم العطاء مدرارا من سماء الفضل الإلهيّ بيد المعطي سـبحانه ، لا يحجبـهم عـن مولاهم لوم لائم ولا إنكار معترض ، معيتهم فلاح ، ومصاحبتهم فيها الولاية ، وبيانهم فيـه الهداية ، وهل بعد مواجهة الوجه الجميل يستطيع اللوَّم حجب مشتاق أو إبعـاد ذي ولـه وغرام ، عباد الله في الدنيا قلوبهم تتقلب في عليِّ جماله ، وأسـرارهم في مواجهـة القريـب بالقريب ، فهم في سلام وفي دار السلام طاب لهم المقام ، يقول الإمام أبو العزائم عليه السلام :

يحلـــو لـــدى رشـــفِ المُـــدامْ خلـــعُ العـــذار ولا مـــلامْ
تصـــفو الســـويدا للشـــهود يجلـــى الجميـــلُ بـــلا لثـــام

(١) الإنسان : ١.

يبـــدو لِـــيَ الغيـــبُ المصـــون … يقـــــوى التألـــــهُ والهيـــــام

تمحـــــى الشـــــئونُ وتجتلـــــى … في هيكلـــــي شمـــسُ المقـــام

كيـــــف التســـــتُّرُ بعـــــد أن … نُوِّلْـــتُ مـــن صـــافي المُـــدام؟!

راحٌ يُـــــــــدَارُ بحانـــــــة … مـــن ذاقـــه بلـــغ المـــرام

مـــن عـــين قـــدسٍ خُصصـــت … في "هَـــل أَتَـــى " بالإصـــطلام

مـــن غـــير مـــزْجٍ خمـــرة … لأولي العــــزائمِ والكـــــرام

راحٌ يضــــــوعُ عبيرُهـــــا … للعاشـــقين أُولِـــي الغـــرام

عينـــا يفجرهـــا الأئمـــةُ عنـــدما … يَســـقيهمو المعطـــي الســـلام

طـــوبَى لهـــم والـــربُّ جـــل جلالُـــه … يَســـقيهمو بالفضـــل مـــن صـــافي المُـــدام

يُفْنِيهُمُـــو عنـــهم بـــه ويُرهُمُـــو … وجهـــا عـــلا يُسْـــمِعْهُمُو منـــه الكـــلام

غـــابوا بـــه عنـــهم لـــه فـــأراهمو … آيـــاتِ قـــدسٍ طـــاب لي فيهـــا المـــلام

لُـــمْ يـــا عـــذولُ فـــإنني فـــانٍ بـــه … كيـــف التســـلي وهـــو كفـــرٌ وحَـــرَام؟!

رُوحـــي تشـــاهده وقلـــبي حاضـــرٌ … والوجـــهُ نـــورٌ مشـــرقٌ لا باللثـــام

لُمْنِـــي فلَوْمُـــك خمـــرةٌ يقـــوى بهـــا … شـــوقي لمـــن أهـــوى ويشـــتد الهيـــام

هـــل بعـــد جمعـــي واتحـــادي يَحْـــلُ لِـــي … فصـــلي وحاشـــا أن يلَـــذَّ لِـــيَ المنـــام؟!

الوجـــهُ واجهـــني ورُوحـــي عاينـــت … نورا ســـرَى في كـــلِّ جســـمي والعظـــام

قـــد صـــرتُ عشـــقا خالصـــا ومؤلهـــا … للقـــدسِ مجـــذوبا لـــه بالإصـــطلام

قلـــبي يُقلَّـــبُ في عَلِـــيِّ جمالِـــه … سِـــرِّي يواجَـــهُ بالقريـــبِ وبالســـلام

والفـــردُ محبـــوبي يضـــيءُ بوجهِـــهِ … قلـــبي ويمحـــو عـــن لطـــائِفِيَ الظـــلام

صـــلى الإلـــه علـــى الحبيـــبِ المصـــطفى … نعطـــى بهـــا مـــن فضـــلِه نيـــلَ المَـــرام

ويقول ﷺ أيضا :

خمر رُوحي بل راحُ أهلُ الوجودِ	مَن تجلى لهم بوجهِ الوَدُودِ
في صفاء البقاء بعد فناء	في مقام اتحادِ نورِ الشهود
في حصونٍ من حبه في اجتلاء	بالمعاني بعد الوفا بالعهود
فيه منه عنه اتحادُ وجودٍ	بعد نفخٍ في الصورِ سرُّ الوعود
هم أناسيُّ صورةً بل ضياء	نفخة في حقيقةِ التجديد
هم رجال بل ظل مجلى كمالٍ	أظهَرَتْهم مجلاه قبل الحدود
أظهروا الغيبَ للعقول ألاحوا	غامضَ الغيبِ للمراد الفريد
جمع الله فيهمو كل معنى	من معانى غوامض التوحيد
هم شموسٌ نورٌ بغير التهاب	ظل ربى يلوح كل جديد
من رآهم يرى العجائب تترى	حيروا العقل في مقام الورود
يجذبون الأفراد لله يرموا	كل أهل الجفا بنار الصدود
ما تراءى منهم لكل بعيد	غير حسن الفعال بذل الجهود
ما تراءى منهم لكل وليٍّ	غير معنى صفات بر حميد
ذا عجيب يا روح في الجسم تبدي	كل معنى في عالم التجديد
وسعة الله قدرة من حكيم	سر معنى العليِّ فك القيود
لِي تجلَّ باسم الوليِّ معيني	لِي تَنَزَّلْ بوسعةٍ في جود

الشراب الطهور يملأ القلب بالنور:

﴿ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَاباً طَهُوراً ﴾[1] قيل : إن الملائكة يعرضون على عباد الله الشراب، فيأبون قبوله منهم ويقولون : قد طال أخذنا من الوسائط ، فإذا هم بكاسات تلاقي أفواههم بغير أكف ، ولعل هؤلاء كانوا محجوبين في الدنيا أو أهل الابتداء .

---

(١) الإنسان : ٢١ .

أما العارفون من أهل التمكين فالوسائط محذوفة في نظرهم مع وجودهـا ، فيسـقيهم ربهم شرابا طهورا ، يطهر صاحبه عن الميل إلى اللذات الحسية والحظوظ السفلية ، والركون إلى ما سوى الحق ، فيتجرد لمطالعة جماله سبحانه ، متلذذا بلقائه ، باقيا ببقائه ، وهو منتـهى درجات الصديقين ، وختام ثواب الأبرار .

الشراب الطهور للمقربين يطهرهم من محبة الأغيار ، والميل عن الواحد القهار، ويطوف على قلوبهم وأسرارهم بجواهر العلوم والحكم ، ويواقيت المعارف كاللؤلؤ المنثور، وإذا رأيت ثم رأيت جالت فكرتك وساحت إرادتك وسبحت في بحار الأحدية ؛ رأيت ببصيرتك نعيمـا من نعيم الأرواح ، تزهق في سبيله الأشباح ، وهو لذة الشهود والفرح برؤية الملك المعبود، وملكا كبيرا ، وتلك من عظمة الذات الإلهية عند ذلك تُحلى من أساور مقامـات الـيقين، وتُكسى ثياب الهيبة والبهاء ، وتُسقى خمرة طهور تطهر القلـوب والأسـرار مـن البقايـا والأكدار، يقول الإمام رضي الله عنه في وصف هذا الشراب الطهور :

هـل الطهـور أديـرت فى صـفا الحـال ... أم أشرق الوجـهُ مـن معـطٍ ومـن وال
حـتى لقـد أسـكر الأرواحَ أشـهدها ... غيبـا تقـدس عـن كيـف وأمثـال
الـرُّوحُ تشـهده والعقـل وحَّـده ... والجسـم يـذكره قـولا بأعمـال
يـا جسـم تـذكرُه يـا عقـل تعرفُـه ... يـا روح أشـهدَكِ سـرا لـه عـال

إذا كشف الحجاب عن القلوب رأت أنوار الغيوب :

قال تعالى : ﴿ كَلا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾(١) ران علـى قلـوبهم وغشاها ما كانوا يكسبون من الكفر والجرائم حتى صارت عليهم كالصدأ للمـرآة فحـال ذلك بينهم وبين معرفة الحق ، كما قال "ﷺ وآله" : ﴿ إن العبد كلما أذنب ذنبا حصـل فى قلبه نكتة سوداء ، حتى يسود قلبه ... ﴾(٢).

---

(١) المطففين : ١٤ .
(٢) أخرجه الترمذى ، وابن ماجه فى الزهد ، وأحمد فى المسند .

كلا بل ران على قلوبهم وتراكمت عليها الحظوظ والأهواء حتى حجبوا عن شـــهود الحق في الدنيا ، ودام حجابهم في العقبى .

قال الحسن بن الفضل : كما حجبهم في الدنيا عن توحيده حجبهم في الآخـــرة عـــن رؤيته.

قال الواسطي : الكفار في حجاب لا يرونه البتة ، والمؤمنون في حجاب يرونه في وقت دون وقت ، والعارفون يرونه كل وقت ، ثم قال : ولا حجاب له غيره ، وليس يسعه سواه، وما اتصلت بشرية بربوبيته قط ، ولا فارقت عنه .

يقول الإمام أبو العزائم :

عُبَيْـــــدٌ وصـــــفُ ســـــيِّده تجلـــــى وفي كـــــل المظـــــاهر قـــــد بـــــدا لي
فـــــلم تُشـــــهد لي الآثـــــار إلا لـــــيرأى نـــــورَ مبـــــدعِها خيـــــالي
ومـــــا شـــــهِدت عيـــــونُ الـــــرأسِ أثـــــرا فحجَّـــــبني عـــــن المعـــــنى المثـــــال
ولكـــــني بعـــــين القلـــــب أرأى جمـــــالا ماحقـــــا صـــــورَ الظـــــلال
بـــــه سمعـــــي وبصـــــري بـــــل ونطقـــــي وبطشـــــي لا بمـــــزجٍ وانفصـــــال
وكـــــل معـــــالمي نـــــور تســـــامى يلـــــوح بهـــــا بـــــلا قيـــــدِ اعتقـــــال
فتشـــــهده بـــــه فيهـــــا تعـــــالى فنَـــــزِّه عـــــن حلـــــولٍ وانتقـــــال

وقال الإمام الغزالي ﷺ في الإحياء : النزوع إلى الدنيا يحجب عن لقـــاء الله ، وعنـــد الحجاب تتسلط عليهم نار جهنم ، إذ النار غير متسلطة إلا على محجوب ، قـــال تعـــالى : ﴿كَلا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ﴾[1] فرتب العذاب بالنـــار على ألم الحجاب ، وألم الحجاب كاف من غير علاوة النار ، فكيف إذا أضيفت العلاوة إليه؟.

وقد رتب الحجاب على الران والصدأ المانع من كشف الحقيقة ، فكل من طهر قلبه من ران الهوى ، وغسله بأنوار الذكر والفكر لاحت له أنوار المشاهدة وأسرار الحضرة ، حـــتى

(١) المطففين : ١٦

يشاهد الحق في الدنيا والآخرة ، ويكون من المقربين أهل عليين ، وكل من بقى مع حظوظ هواه حتى غلب على قلبه ران الشهوات بقي محجوبا في الدارين .

وأنواع الران التي تحجب عن الشهودت ست : ران الكفــر ، وران العصـــيان ، وران الغفلة ، وران حلاوة الطاعات ، وران حس الكائنات ، فإذا تصفى من هذه كلها أفضى إلى مقام العيان ، ولا طريق لرفع الران بالكلية إلا بصحبة المشايخ العارفين .

يقول الإمام المجدد السيد محمد ماضى أبو العزائم عليه السلام :

إذا كُشــف الحجــابُ عــن القلــوبِ ... تــرى الأرواحُ أنـــوارَ الغيـــوبِ
أشــاهد حــالَ كشــفِ الحجــب عــني ... تجليـــاتِ أسمـــاءِ الحبيـــبِ
أغيــبُ بهــا وأفــنى عــن وجــودي ... بمحبـــوبي العلـــيِّ بـــلا رقيـــبِ
أحِـــنُّ إلى شـــهود الوجـــه أبغـــي ... شـــهود الإتحـــاد لـــدى القريـــبِ

ويقول أيضا :

في القلب عــينٌ نعــم قــد تــرأى آيــاتي ... حــال الصــفا بمــا يصــغى لكلمــاتي
والقلبُ في الصفو عــرشٌ للمهــيمن قــد ... يجلَــى لــه النــورُ صــرفا بالكمــالات
للقلـــب سمـــعٌ بـــه يصـــغى لخالقـــه ... شـــوقا إليـــه فـــلا يرضـــى بجنـــات
قلـــبٌ يُقَلَّـــبُ في نـــورِ الجلالـــة هـــل ... يشـــتاق للحـــور أو يرضـــى بروضـــات؟!
أفنـــاه مـــولاه عـــن دنيـــا وآخـــرةٍ ... أبقـــاه مـــولاه مجـــذوبَ العنايـــات
الوجـــه وِجهتُـــه والقـــدسُ مقصـــدُه ... واللهُ محبوبُـــه ذُقْ نـــورَ حـــالاتي
لم يلتفـــت نفســـا عـــن وجـــهِ مُبدِعِـــه ... ســـرُّ المـــرادِ لجلـــى حضـــرةِ الـــذات

كما يبين في قصيدة أخرى أن لذة القلب لا تكون إلا إذا دار المدام ، فبه يطيب الحال، وتجلى الحقائق ، ويظهر المحبوب الأعظم فيكون شهود الوجه فيقول :

يَلَــــذُّ لقلـــــبي إن أداروا مُـــــداميا فنـــائي عـــن الأغيـــار يحلـــو ملاميـــا
يطيـــب بـــه حـــالي وتجلـــى حقـــيقتي ويظهـــــر محبـــــوبي مضـــيئا أماميـــا
فأشـــهد وجهـــا مشـــرقا بتزاهـــة يُحَجِّــــبُ آثـــاري فينمـــو غراميـــا
يغيــــبني عــــني بــــه فيلـــوح لي لـــدى الصـــفو نـــورٌ ســـرُّه في كلاميـــا
يترجم عـــن ســـري لســـاني لمـــن صـــفا فيفقهـــه مـــن يحتســـي مـــن مـــداميا
شـــراب هـــو الـــراح الطهـــور يـــدار في صفا الحـــال قـــد يعطـــى بفهـــم مقاميـــا

جنة جمال الوسعة الإلهية :

الرحمة الإلهية تسع كل شيء ، وهى ظاهرة في الدنيا قبل الآخرة ، وجنة جمال الوســعة الإلهية أنواع :

منها جنة وسعة الرزق ، وجنة وسعة العلم ، وجنة وســعة الهدايــة ، وجنــة وســعة الأخلاق، وجنة وسعة الحب ، وجنة وسعة الرضا ، وجنة وسعة الكرم ، وجنة وسعة الفضل، وجنة وسعة الإحسان ، وجنة وسعة الأنوار ، وجنة وسعة الأسرار ، وغير ذلك من الجنــان التي تشملها الوسعة الإلهية مما لا حصر له ولا نهاية مما تشتهيه أنفــس المقــربين والأوليــاء والعارفين ، وتلذ أعين الواصلين ، وما لم تره أعين المرادين ولا خطر على قلب بشر .

يبين الإمام أبو العزائم عليه السلام : في قول الله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾[1] : إنما تكون الوسعة من الله لعبيده بقدر ما منحهم من وسعة قلوبهم لعباده ، والله واسع علــيم ، ومــتى أحب الله العبد منحه الوسعة ، وخير الوسعة أن يُخلِّقه بأخلاقه ، ويتفضل عليه بجمال الرضا عنه ، فيرضى العبد عن ربه بعد رضاء ربه عنه .

ومقام الرضا فوق المقامات ، وهو سر التحقق بالعبودية والعبادة ﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْـــدِيلاً ﴾[2]

---

(١) البقرة : ٢٤٧ .
(٢) الأحزاب : ٢٣ .

وإنما تشغل الآثار من حجب عن الأنوار ، وإنما يشتغل بالأكوان من لم يذق جرعة من صافي الأسرار ، وإنما يقف عند الجنات من وقفت همته عند الشهوات ، والحق الأول جل جلاله أحد صمد ، ليس له كفوا أحد .

بعلمك ربى قد وسعتَ ذليلا فسَعْني بإحسان لأشهدَ إيلا
وسَعْني إلهى منك بالرحمة التي بها كلُّ شيءٍ لاح لي تفصيلا
وفي روضِ أنسي أدخلَنِّي مجملا لأفقهَ سرَّ الغيبِ والتنزيلا
لقد بيَّن القرآنُ علمَك سيدي فبيِّن لي مولاي ثم سبيلا
لأشهدَ أسرارَ العلومِ تُنيلني بفضلك يا مولاي منك وصولا
أيا رب علمني علوما بها أرى جمال التجلِّي كي أفوز مثولا
أيا عالِمَ الغيبِ المصونِ بذاته بفضلِك عَلِّمْني أكون دليلا

سبيل الدخول إلى جنة الوسعة الإلهية :

دخول جنة الوسعة الإلهية طريقه الصلاح : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ﴾ [1] ولا صلاح إلا بالإصلاح ، فكيف يتم الإصلاح ؟ .

يبين الإمام أن الإصلاح أنواع : إصلاح نفسك بالعلم والرياضة ، وإصلاح جوارحك بالمحاسبة فالمراقبة فالخوف ، وإصلاح ما بينك وبين الخلق بحسب مراتبهم ، ثم إصلاح ما بينك وبين المرشد ، ثم إصلاح ما بينك وبين رسول الله "ﷺ وآله" ، فصلاح به تكون عاملا من عمال الله تعالى ، وفي مقام الصلاح تمنح الفلاح ، ومتى أفلح المؤمن بلغ كل أمانيه ، ومن الأماني الحضور مع الله ، فعنده ، فلدنه ، يقول رضي الله عنه :

هَذِّبِ النفسَ إذا رُمْتَ الوصولْ غيرُ هذا عندنا عينُ الفضولْ
حصِّلِ العلمَ بعزمٍ صادق لا تكن في العلمِ كسلانا ملولْ
علِّمِ النفسَ بتوحيد العليِّ من بيان الآي من فرد قؤولْ
حصِّلِ الأحكامَ بالقدر الذي يقتضيه الوقتُ لا قال يقول

(١) يونس : ٩ .

حسِّـــنِ النيـــاتِ واهْـــج نَهــج مَــن صـــح بالإســـناد تحظـــى بـــالقبول

صـــاحِبَنْ أهـــلَ التقـــى والزمهمـــو واتَّبِـــع نـــورَ الهـــدى مُثُـــلَ الرســـول

وادخُلَـــنْ حصـــنَ الشـــريعةِ واهجُـــرَنْ كـــلَّ مفتـــونٍ ومغـــرورٍ جهـــول

واصـــطفِ الـــرؤفَ الـــرحيمَ اسْـــعَ إلى مـــن يـــزَكِّ الـــنفسَ عنـــه لا تحـــول

ســـلِّمَن للمرشـــدِ الفـــردِ الـــذي يحفـــظ الآدابَ حفظـــا للوصـــول

واتْـــلُ للقـــرآن وافْقَـــه آيـــه وافْهَمَـــن ســـرَّ الإشـــارةِ والفضـــول

آثِـــرِ الأخـــرى علـــى الـــدنيا عســـى يقبـــلُ اللهُ فتحظـــى بالوصـــول

وازْهَـــدَنْ فيمـــا يـــزول مســـارعا للـــذي يبقـــى بـــأحوالِ الفحـــول

أخْلِصَـــــنْ لله قلبـــــا قالبـــــا واســـألَنْهُ الفضـــلَ منـــه والقبـــول

بـــرَّ أَصْـــلَيْكَ الكـــريمين ارْضَ عـــن كـــلِّ فـــرعٍ منـــهما عنـــد المحـــول

يقول الشيخ أبو الحسن الشاذلى ﷺ : رأيت النبي "ﷺ وآله" في المنام فقال : يا علـــي، طهر ثيابك من الدنس ، تحظ بمدد الله في كل نفس ، فقلت : وما ثيابي يا رسول الله ؟ قال : إن الله كساك حلة المعرفة ، ثم حلة المحبة ، ثم حلة التوحيد ، ثم حلـــة الإيمـــان ، ثم حلـــة الإسلام، فمن عرف الله صغر لديه كل شيء ، ومن أحب الله هان عليه كل شـــيء ، ومـــن وحد الله لم يشرك به شيئا ، ومن آمن بالله أمن من كل شيء ، ومن أسلم لله قلما يعصـــيه ، وإن عصاه اعتذر إليه ، وإذا اعتذر إليه قبل عذره .

قال : فقهت حينئذ قوله تعالى : ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴾ .

يقول الإمام أبو العزائم ﷺ : ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴾ : طهِّرْهـــا مـــن حيـــث الســـلوك بالإخلاص، والتبري من الحول والطول والقوة ، ومن حيث الحب بالاستغراق في المحبـــوب عما سواه ، والغيبة به عن كل ما نراه ، ومن حيث الجذب فناء بوجـــوده ، ودوام شـــهوده بشهوده .

حنينُكِ يا رُوحي إلى الملأ الأعلَى ... و شوقي فى أن أشهد الحسن لي يُجلَى
تِحِنِّين من أزل ولم أك عنده ... بشيء وكانت آيةُ القدس قد تتلى
إلى مًن حنينُ الرُّوحِ وهي به له ... ومن أزلٍ قد شاهَدَتْهُ ولا ظِلا
دعيني فتحناني وشوقي ولوعتي ... إلى البدء كالنيران فيها الفتى يصلى
إذا كنتِ أنتِ الرُّوح نفخة قدسه ... تحنين ما بالي عن القرب أتسلى ؟
وشوقُكِ شوقٌ لاجتلاءِ صفاتِه ... تلوح بمرآة أنا هي قد تجلى
وشوقي ولا عجب إلى حضرة الصفا ... وبدئي صلصال أتوق إلى المولى
وكيف يتوق الطين للقرب والصفا؟! ... وكيف اتحادي والجميلُ لقد جَلَّ؟!
يدوم حنيني للمراتب كلها ... ولا صبر لي حتى أرى الحق يتجلى
وهذا حنيني ما حنينُكِ والجوى ... ومنه لقد أنشئت وصلا ولا فصلا
فكيف ومن صلصال طين بدايتي ... وقد صاغني بيديه مَثَلاً له أعلى
نفذت من الملكوت للقدس والصفا ... ولم أنفذن من ملكه وأرى السفلا
تِحِنِّين بعد شهودِ وجهٍ مترهٍ ... وأسكن للسفل المقيد لي ؟!كلاَّ
دعيني فإن الثوب بالصفو طُهرن ... وإني عَلَيَّ اللهُ في البدء قد صلى
عليَّ لقد صلَّى وصلت ملائكٌ ... فدُمْ يا غرامي لستُ بالخلد أتسلى
ترين جميلا أشهديني جماله ... وإلا فإني للحقيقة أتخلى
أنا الثوب يا رُوحي لباس به انجلت ... وذلك خيرٌ آية الذكر قد تتلى
ثيابَك طهِّرْ أمره لمراده ... ليسمعنا الأمر المقدس نتحلى
لأن ثياب الفردِ رُوحٌ عليةٌ ... ترقى بها حتى دنا حضرة المولى
وها أنا ثوب للتقى لبسة الهدى ... وكتر ، وأنتِ الدرُّ للحق يتدلى
ترقيت في كل المراتب منة ... من الله من أعطى الجمال به فضلا
ولي مطلب من قدرة الله خالقي ... بفضل وإحسان من الله لي يولى
أكون بلا كون أرى الوجه حيطتي ... وأرقى إلى وطني إلى المترل الأعلى
وأُنظم في عقد المعيةِ راقيا ... معيةِ خيرِ الرسلِ في الفتح قد تتلى

أقـــوم بقيـــومٍ لــــه عــــاملا بــــه   وأحيــا بحـــيٍّ والعواطـــف لي تجلـــى
إلى أن أراني قائمـــا مفـــردا لــــه   ولا قصـــد لي إلاه والفـــردُ بي أوْلى
ولي مطلب يــا رُوح عــالٍ عــن النهى   لدى الاتحـاد الحـق بالحـال قـد يتلـى
يجـــنن أرواحَ المريـــدين للوفـــا   ويُسكرُ مَن للذاتِ في القـرب قـد صـلى
عـــن الـــرُّوح أخفيـــه لأني أصـــونه   علـوا لقـدر الغيـب أن يتضـح قـولا
فعجبـــا منافســـتي فكيـــف تفـــوقني   وأنت من الصلصال والـرُّوحُ مـن أعلـى
كمالُـــك موقـــوفٌ علـــيَّ لحكمـــة   تـدق خفـاء عـن فـتى لابـس العقـلا
فـــبي قـــد تجلـــى ظـــاهرا في حقـــيقتي   وأســجد أمـلاك السـما ومحـا الجهـلا
ولـــولاي لم يظهـــر لـــروح ولا نهـــى   ولا أبعـد المعـود ، أو قـرَّبَ الأهـلا
وفي قول (أَنْبِئْهُمْ)[1] و (سَوَّيْتُهُ)[2] هـدى   وفي (بِيَـــدَيَّ) الغيـــبُ لاح لنتحلـــى

(١) إشارة إلى قوله تعالى : " قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم " البقرة : ٣٣ .
(٢) إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين ﴾ .

الفصل الثالث

شهود الحق سبحانه

قبل شهود الجمال الإلهيّ فالإِنسان ميت :

يبين الإمام المجدد السيد محمد ماضى أبو العزائم عليه السلام تلك الحقيقة في معنى قوله تعالى : ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ﴾(١) أي: بعد تلك الحجج والدلائل الواضحة ﴿ وَكُنتُمْ أَمْوَاتاً ﴾ قبل أن تشهدوا جمال ربكم ظاهرا جليا يوم قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى ﴾ وفي هذا اليوم أسمعنا خطابه المقدس بعد أن أشهدنا جماله العليّ فقال سبحانه : ﴿ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ أَوْ تَقُولُواْ إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴾(٢) فهذا اليوم يوم الحياة التي يمن الله بها علينا ويذكرنا بها ، قال سبحانه : ﴿ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾(٣).

فمن سبقت لهم الحسنى ذكرهم فذكروا فحضروا فأقبلوا عليه فقبلهم ، وبوجهه الجميل واجههم ، ومنه سمعوا الخطاب المقدس بآذان أوراحهم ، وهذه هي الحياة الأولى .

شغل أهل الجفا بدنيا دنية	شغل أهل الصفا بذات علية
شاهدوها في صفوهم فاجتبتهم	أسكرتهم من راحها القدسية
يجذب الكل حسنها قد تجلى	للمرادين في مقام العطية
ذكرها خمرة تدار عليهم	من جمال من حضرة صمدية
في قلوب الرجال نور مبين	بين الغيب للنفوس الزكية
وجه مولاهمو مراد وقصد	لا جنان ولا المعاني العلية

---

(١) البقرة : ٣٣ .
(٢) الأعراف : ١٧٢ ـ ١٧٣
(٣) الذاريات : ٥٥

دون قصـــد الجميـــع عـــرشٌ وفـــرشٌ وجهـــوا الوجـــهَ نحـــو ذات عليـــة
لو رأيـــتَ الرجـــالَ في الـــذكر سـكرى مـــن شـراب الحبيـــبِ خـــيرِ البريـــة
مِلْـــتَ شـــوقا لرشـــف صـــافي مُـــدامٍ قـــد ســـقاها الـــرحمن في الأوليـــة
إن ســـيرَ الرجـــالِ فـــوق صـــراطٍ ســـنَّها المصـــطفى ونعْـــمَ الهديـــة
مـــن "ألَسْـــتُ"فـــازوا بســـمع خطـــاب شـــاهَدُوا الوجـــهَ منـــه شمســـا مضـــيّة
يـــا ســـروري في الـــذكر لمـــا تجلـــى أشـــهد الـــرُّوحَ في الصـــفا أحديـــة
غبـــتُ عـــني فـــلاح وجـــهٌ علـــيٌّ نـــاولَ الـــذاكرين خمـــرا رويـــة
أســـكَرَتْهُم خمـــرُ الشـــهودِ فغـــابوا وابتِـــدَا الخمـــرِ حظـــوة أزليـــة
قـــد ســـقاهم في "هَـــلْ أَتَـــى" نـــص آيٍ ربُّهـــم جَـــلَّ مـــن طهـــور شـــهية

حياة العندية تنكشف لعيون الأرواح :

قال تعالى في حق الشهداء : ﴿ بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾(١) ﴿ بَلْ أَحْيَاء وَلَكِن لاَّ تَشْعُرُونَ ﴾(٢) وقال سبحانه في حق المتقين وأهل اليقين : ﴿ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنـدَ مَلِيـكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾(٣).

عين الروح إن فتحت أزاحت الستائر وتوالت البشائر ، وكم من أجساد وأبدان تجلس على الفرش وأرواحهم سابحة هائمة حول العرش ، وكم من أحياء علـى التـراب يمشـون وأرواحهم نفذت من أقطار حجب هذا الكون بسلطان الحى القيوم ، انكشفت لهم الحقـائق ففروا ، وعلى الأرض ما استقروا ، وقعت عيونهم على المكنون فاستراحوا ، وعلاهم الشوق والغرام وفي حضرة السلام ركابهم أناخوا ، وبالأسرار لحبيبهم ومن أقبلوا عليهم أباحوا .

(١) آل عمران : ١٦٩ .
(٢) البقرة : ١٥٤.
(٣) القمر : ٥٥ .

ولمزيد البيان نذكر ما بينه الإمام في قول الله تعالى : ﴿ وَلاَ تَقُولُواْ لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبيلِ اللّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاء وَلَكِن لاَّ تَشْعُرُونَ ﴾ أن الله تعالى قد نهانا أن نقول عن الشهداء إنهم أموات وأثبت لهم الحياة عند ربهم .

والعندية أعلى مقامات القرب لأهل اليقين الكامل من الأمة ، وليس فوق هذا المقام إلا مقام الرسول "ﷺ وآله" وهو مقام اللدنية ، قال تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴾[1] ومقام العندية فوق مقعد صدق قربا ، لأن القوم رضي الله عنهم أعطوا الله الكل فأعطاهم سبحانه الكل ، فكانوا في جواره عنده ، ورفع ﴿ أحياءٌ ﴾ لأنه خبر لمبتدأ تقديره : هم أحياء .

﴿ وَلَكِن لاَّ تَشْعُرُونَ ﴾ أتى بهذه الآية الشريفة حفظا لقلوب المؤمنين ، وقصما لظهور المنافقين ، وكأن مترددا قال : كيف يكونون أحياء بعد أن مزقت أشلاؤهم وعلاهم التراب ؟ فقال الله تعالى وهو أصدق القائلين : ولكن لا ترونهم .

فمعنى : ﴿ تَشْعُرُونَ ﴾ أي : ترون وتشهدون ، لأن عيون الرؤوس وعيون العقول لا تنكشف لها الغيوب المصونة ، ولكنها تنكشف لعيون الأرواح ، من أحباب الله الذين هم عنده ، فكم من أحياء يمشون على التراب وقلوبهم سابحة في ملكوت الله الأعلى ، لم تحجبهم عن حبيبهم ضروريات الكون ولا كمالياته؛ لأن الحقائق انكشفت لهم فتحققوا أن ما فوق الأرض فانٍ بدليل قوله تعالى : ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴾[2] وتحققوا أن الكون من العرش إلى الفرش هالك لا دوام له ولا بقاء بدليل قوله تعالى : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلا وَجْهَهُ ﴾[3].

وقوم وقعت عيون بصائرهم على هذا الغيب المصون كيف لا يشهدون مقامات الذين قتلوا في سبيل الله ؟ ! ومن كانت همته بطنه وفرجه فهو أضل من الأنعام ، فكيف يشهد مقامات أهل الحب والعلم بالله تعالي ؟!.

---

(١) النمل : ٦ .
(٢) الرحمن : ٢٦.
(٣) القصص : ٨٨ .

في صــفا القــربِ تشــهد الــرُّوحُ عينا … حيــث وجــهُ الجميــل يمحــو الرَّيْنــا
صــوب رُوحــي وجــهٌ علــيٌّ تجلَّــى … ســتر الآيَ بــل أطــاح الكونــا
قــد غشــاني نــورُ الجميــلِ بمعــنى … نســبتي أولا فجملــت لونــا
صــبغةُ الله أظْهَــرَتْني جمــالا … واجهَــتْنى الأسمــاءُ في الحــب صَــوْنا
كنــتُ مرآتهَــا غشــاني ضــياءٌ … مــن ضــياء الغيــوب وفَّــى الــدَّيْنا
كــان ديْنِــي الوجــودَ في ســور كــوني … بالوفــا صــرتُ صــورةً للمعــنى
صــرتُ لا كــون لي يحــيط ولكــن … قــد أحاطــت مجــلاه فيهــا أفــنى
عن وجودي في الرسم بل عــن وجــودي … في محــيط الآيــات والقلــب حنــا
مــن رآني والوجــه صــوبي عِيانــا … هــام في نشــوةِ الغــرام وغــنى
حيــث لم يشْــهَدَنْ حقيقــةَ وجــدي … غــيرُ صــبٍّ مهــيَّمٍ قــد جُنَّــا
وي تــراءى للــرُّوحِ في الصــفو وجــه … فيــه ســكري علــيَّ بــالقرب مَنَّــا
لــيس يخفــى حــالى علــي ذى غــرام … قــد ســقاه مــولاه حــتى تمــنى

ويقول عليه السلام أيضا :

صــفا لأهــل الصــفا راحُ المناجــاة … فواجهــوا الــربَّ في حلــل العنايــات
قــد نولــوا الــراح مــن أزل إلى أبــد … صرفا فهــاموا بمجلــى حضــرة الــذات
سكرى نعــم والجميــلُ الحــقُّ واجههــم … بالوجــهِ فانبلجــت أنــوار آيــات
بشــرى هــم وجمــالُ الوجــهِ حيطــتُهم … في حيــث ولَّــوْا يــروا نــورَ الكمــالات
الوجــهُ وِجهــتُهم والله قــرَّبَهم … فــاوزا بنيــلِ الرضــا وجميــلِ خــيرات
في حضرة القــرب قــد فــازوا بعاطفــة … لبــاهمو الله في حــال المناجــاة
في الــذكر آنســهم مــذكورُهم سعِدوا … وقــد رأوْا حيــاهم أزكــى التحيــات
الــذكرُ خمــرتُهم والوجــهُ كعبــتُهم … قــد خصــهم ربُّهُــم بعَلِــى المقامــات
رحمــاك رحمــاك يــا مــذكورُ عاطفــةً … جــدِّدْ لنــا الخــيرَ ربي بالكرامــات
أنْعِــمْ علينــا بنعمــى منــك ســابغة … أنــت القريــبُ فأسْــعِدْ بالعنايــات
صلِّ علــى المصــطفى الهــادي وســيِّلتِنا … نُعطَــى بهــا الخــيرَ نحظَــى بــالمبرات

الحنين إلى رؤية الوجه العليّ :

أهل الله حنينهم إلى رؤية وجه العليّ سبحانه لا ينقطع ، وهذا الحنين هو الباعث لهم في كل أحوالهم ، يجدد أشواقهم وينمي غرامهم إلى العهد الأول ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾ حيث كانت الروح في مواجهة الرب سبحانه قبل خلق الأجساد ، يقول الإمام ﷺ :

لِي غرامٌ من نشأتي الأوليةْ ... حين واجهتُ وجهَ ربِّ البريةْ
لاح لي الوجهُ في صفا الرُّوحِ أحيَا ... ذا غرام إلى المعاني العلية
كنتُ رُوحا أشتاقُ والنورُ حولي ... صرتُ جسما في دار دنيا دنية
كيف صبري من بعد رؤية وجه ... في صفاء عن صورة مثنوية؟!
ظل كَوْني قد حجب الرُّوحَ ويحي ... عن شهود الأسرار في الصمديه
أنت يا جسمُ قد سترتَ حبيبي ... صرتَ يا جسمُ للقريب بليَّة
خلِّ رُوحي تفر لله إني ... في هيام للوصل للأحدية
قال لي الجسم : صاغني اللهُ ربي ... باليدين فاشْهَدْ جمالَ العطية
كانت الرُّوحُ قبل حين وجودي ... في حجاب من مشهد الواحدية
فِيَّ قد شاهَدَتْ جمالَ جميلٍ ... في مقامِ الأعْلَيْنَ فاشْكُرْ أُخَيَّة
سَخَّرَ العَالَمَيْن علوا وسفلا ... لي أيا رُوحُ كوني عنِّي رضية
إنني الكنزُ فيَّ غيبُ المعاني ... صاغكِ اللهُ باليدِ الرُّوحية
صاغني اللهُ باليدين وأنتِ ... بيَ نلْتِ طهوره الأحمدية
قالت الرُّوحُ : أنتَ يا جسمُ رَقٌّ ... أشرقَتْ فيكَ شمسُه الأوَّلية

ويقول رضي الله عنه أيضا :

الـــرُّوحُ تشـــهد نـــورَ مـــن أنشـــاها ... في صـــــفوها إنْ نـــــورُه والاهـــــا
والعقـــــلُ يشـــــهد آيـــــهُ في كونـــــه ... تجلـــــى لـــــه بجمالهـــــا وضـــــياها
والحِـــسُّ يشـــهد ظـــل كـــون فانيـــا ... والـــرُّوحُ تســـعى أن تـــرى مولاهـــا
شـــتان بـــين حقـــائقي ومشـــاهدى ... رُوحـــى تحِـــنُّ لأصـــلها وبهاهـــا
والحِـــسُّ يجـــذبني لســـفل حضيضـــه ... والـــرُّوح تـــدعوني لأفـــق علاهـــا
يـــا حِـــسُّ روحـــي للجميـــل مشـــوقةٌ ... مُـــتْ تَحْـــيَ مســـرورا بـــروض حماهـــا
يـــا عقـــل آيـــات الكِيـــان تســـتَّرت ... بحقـــائق أخفـــى الكِيـــانُ صـــفاها
يا جســـم أســـرار الجميـــل لِـــيَ انجلـــت ... والحـــقُّ لي فضـــلا لقـــد أجلاهـــا
كيـــف التســـلي عـــن شـــهود جمالـــه ... والـــرُّوحُ مـــن أزلٍ لقـــد أحياهـــا؟!

ويقول رضي الله عنه أيضا :

للـــرُّوح صـــفو بـــه تجلـــى معانيهـــا ... يلـــيح وجهـــا عليـــا جـــلَّ باريهـــا
للـــروح في صـــفوها غيـــب يلـــوح لهـــا ... يخفـــي المعـــالم عاليهـــا بـــدانيها
الجســـم يحجبـــها والحـــس يســـترها ... والعقـــل يعقلـــها تخفـــى مراقيهـــا
يـــا جســـم ظَلَّلْـــتَني بـــالحظ تبعـــدني ... عن غيب روحي ومـــن فيهـــا ومـــا فيهـــا
يا حس ستَّرتَ عـــني نـــورَ مـــن ســـطعت ... أنـــواره في فدافـــدها [1] صـــحاريها
يا عقـــل خَـــلِّ ادكـــار الكـــون فِـــرَّ إلى ... آيِ المكـــوِّن في الآفـــاق تتلوهـــا
يـــا روح مـــن هيكلـــي فـــري مســـارعة ... إلى المكـــوِّن آي الفضـــل يوليهـــا
هـــذا المكـــوِّنُ لَـــوْح فيـــه قـــد كُتبـــت ... آيـــاتُ حـــق لأهـــل الحـــب يجليهـــا
لم يُخلقـــن عبثـــا فـــافهم إشـــارتَه ... فيـــه غيـــوب وذو الأشـــواق يـــدريها
غيـــبُ التجلـــي وغيـــبٌ مـــن عنايتـــه ... فاشـــهد معـــان سمـــت للـــرُّوح يَهـــديها
هديـــة الله مـــن معـــنى هدايتـــه ... قـــد جَنَّنَـــت كـــلَّ مطلـــوب لباريهـــا
قم زَكِّ نفسَـــك تشـــهدْ غيـــبَ خالقِهـــا ... فـــإن نفسَـــك كـــنزٌ أنـــت تخفيهـــا

(١) الفدفد : الفلاة ، وهى المفازة لا ماء فيها والصحراء الواسعة (مختار القاموس) .

ويقول الشيخ أيضا :

أحـــن وهـــل بعـــد العِيـــان حـــنينُ نعـــمٌ وهيـــام زائـــد وشـــجونُ
إلى حضـــرة الجلـــى بنـــور الإصـــطفا لـــدى القـــرب إذ يحلـــو بـــه الـــتمكين
مقـــام بـــه أَلِـــهَ المـــرادُ وأشـــرقَتْ شمـــوسُ المجـــالي وانْمَحَـــى التكـــوين
حـــنين إلى غيـــب بـــه الـــرُّوحُ أُلِّهَـــتْ بـــه أنـــا ســـرُّ الغيـــبِ والتعـــيين
أعـــود بـــه للبـــدء نـــورا بـــلا خفـــا وسِـــرِّىَ في أخفـــى الخفـــا مكنـــون
شـــذاه بـــه الأرواح سَـــكْرَى مشـــوقةٌ مقـــامُ مـــرادٍ بـــدؤه التكـــوين
شـــهودٌ بـــه الأنـــوار حيطـــة شـــاهد وجـــودٌ بـــه الرضـــوان والـــتمكين
فبُورِكَـــتِ الأنـــوارُ بُـــورِكَ مَـــن بهـــا وبُـــورِكَ قلـــبٌ سِـــرُّه مضـــنون
شمـــيمٌ مـــن العلـــم الإلهـــيِّ لـــو بـــدا لهامـــت بـــه الأرواحُ وهـــو مصـــون
صلاةٌ علـــى الشـــمسِ المضـــيئةِ بالصـــفا بهـــا يتجلـــى علمُـــه المكنـــون

﴿ لَّا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ ﴾ :

قال أهل التفسير ﴿ لاتدركه الأبصار ﴾ أي : لا تحيط به ، ولا تناله بحقيقته ﴿ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ ﴾ أي : يحيط علمه بها ، إذ لا تخفى عليه خافية ﴿ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾(١) يدرك ما لا تدركه الأبصار ، أي : لا تدركه الأبصار لأنه اللطيف ، وهو يدرك الأبصار لأنه الخبير ، فيكون اللطيف مقابلا للكثيف ، لا يدرك بالحاسة ولا ينطبع فيها . قاله البيضاوي وأبو السعود .

يقول الإمام ابن عجيبة الحسني الشيخ : اعلم أن الحق جل جلاله قد تجلى لعباده في مظاهر الأكوان ، لكنه لحكمته وقدرته قد تجلى بين الضدين ، بين الأنوار والأسرار ، بين الحس والمعنى ، بين مظهر الربوبية وقالب العبودية ، فالأنوار ما ظهر من الأواني ، والأسرار

(١) الأنعام : ١٠٣

ما خفي من المعاني ، فالحس ما يدرك بحاسة البصر ، والمعنى ما يدرك بالبصيرة ، فالحس رداء للمعنى .

فمن فتح الله بصيرته استولى نور بصيرته على نور بصره ، فأدرك المعاني خلف رقة الأواني ، فلم تحجبه الأواني عن المعاني ، بل تمتحق في حقه الأواني ، ولا يرى حينئذ إلا المعاني، لذلك قال الحلاج – لما سئل عن المعرفة – : استهلاك الحس في المعنى .

فإذا فنى العبد عن شهود حسه بشهود معناه ، غاب عن وجوده في وجود معبوده ، فشاهد الحق بالحق ، فالعارفون لما فنوا عن أنفسهم ، لا يقع بصرهم إلا على المعانى فهم يشاهدون الحق عيانا .

يقول الإمام المجدد أبو العزائم ﷺ :

إذا صفا القلبُ من وهم وشبهات ... يشاهد الغيبَ مسرورا بآيات
بالحق يأنس مسرورا ومبتهجا ... ومطمئنا بأنوارِ المناجاة
إليه يسكن بالحق اليقين وفي ... هذا المقام يبشَّر بالعنايات
لا خوف يعروه إذ مولاه قرَّبَه ... وليس يحزن مَنْ في رَوْضِ جلوات
له البشائر تتوالى متزلة ... وآية الذكر محكمة الدلالات

إلى أن يقول رضي الله عنه :

قلبٌ سليمٌ أتى مولاه جمَّلَه ... بجماله وحباه بالكرامات
القلبُ لو أنه يصفو لخالقه ... يشاهد الوجهَ في فردوس جنات
الجسم بالقلب يترقى إلى رتب ... والجسم من دون قلب في الضلالات
من لفتة القلب ترتفع الستائر عن ... وجه الجميل فيسعد بالجمالات
نَفَسٌ بقلبٍ سليمٍ رفعةٌ ورضاً ... وألفُ عامٍ بلا قلب كلحظات
القلبُ عرشُ التجلي بيتُ خالقِه ... معمَّرٌ من ضيا الأسماءِ بصفات
إذا صفا لحظة فالنورُ يملأه ... والوجهُ يجذبُه لنوال حظوات
ومن له سبقت حسنى علا وسما ... لحضرة القدس في حلل الولايات

عليـــه مـــولاه صـــلى رأفـــةً ورضـــاً   إليـــــه قَرَّبــــه بجمالــــه الــــذاتي
علـــى حبيبـــيَ نـــورِ الله كعبَتِنَــا   صــــلاةُ ربي بتلســـيمٍ وبركــــات

قال تعالى : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾[1] بهذا أثبت الله سبحانه المشاهدة للمؤمنين يوم القيامة ، وهذا مقام يناله أهل الكشف ممن قتلهم الحب والكلفة والشوق والوله والصبابة ، وذلك في الدنيا أيضا حين لا تستطيع النفس الحبيسة في الجسد أن تنطلــق مــن سجنها وقيدها ، وهكذا لا يظفر بهذه النضرة في الوجوه والنظــرة إلى الــرب ســبحانه إلا العشاق ، إن رؤية المؤمنين لربهم في الدنيا بالقلوب ، وفي الآخرة بالانكشاف المتره عن المقابلة والجهة والمكان .

والرؤية نوع من الكشف والعلم للمرئي يخلقه الله تعالى عند مقابلة الحاسة له بأبعــاده ، فجاز أن يخلق هذا القدر بعينه بغير أن ينقص منه قدر من الإدراك ، من غير مقابلـــة لهـــذه الحاسة أصلا ، والصوفي يرى أن القلب والعين شيء واحد ، فهو يرى بعين قلبه الـــذي بـــه البصيرة وبه الإيمان والحب .

يقول رضي الله عنه :

هُــــمْ أشــــهدونِي نُـــورَهم بعيـــوني   وبفضــــــلهم إحســــــانُهم منحــــوني
نظـــــروا إلَيّ بعـــــين وُدٍّ فَانْجلـــــت   أســــرارُهم وبوصــــلهم رحِمــــوني
وبــــدا جمــــالُهمو ونــــورُ صــــفاتِهم   لمــــا تــــراءي منــــه صــــح جنــــوني
وسمعـــت ذكرَهمـــو فهِمْـــتُ صـــبابةً   وذكــــرتُ مشــــتاقا بنــــورِ يقــــين
لمــا ذَكَرتُهمــو ذُكِــرْتُ بهــم لهــم   وإلى مقــــامِ شــــهودِهم رفعــــوني
ما عَــزْمُ ماضــي عنــدما شــهِدَ الخفــا   والطُّـــورُ دُكَّ وغـــاض بحـــرُ معـــيني
عــذرا إذا أنــا بحــتُ حــالَ شــهودِهم   فهمــــو بإحســــانِ الصــــفا نظــــروني
لــولا الوارثــةُ والحصــونُ منيعــةٌ   وجمــــالُ طــــه ظــــاهرٌ بيمــــيني

(١) القيامة : ٢٢-٢٣.

لأَدَرْتُ خمـــرا صـــافيا لم يُشْـــرَبَنْ   إلا لفـــردٍ مـــن أولي الـــتمكين
فـدعِ الملامـــةَ يـــا بعيـــدُ وخلِّـــني   فجمـــالُ ربي ظـــاهرٌ لعيـــوني
في محكـــم القـــرآن نـــصِّ كتابـــه   تلـــك الوجـــوه الناضـــراتُ يـــرويني
" إلَـى رَبِّهَـا " قـد قـالَ ربٌّ صـادقٌ   تـــريني وجـــوهٌ أَسْـــفَرَتْ بـــيقين
في" أَيْنَمَـا " نَطَقَـتْ بسـرٍّ غـامضٍ   وجـــهُ العلـــيِّ بـــدا بـــلا تعـــيين

ويقول رضي الله عنه :

نَعَـمْ رؤيـةُ الوجـهِ الجميـلِ مـرادِي   و مـن نظـرةٍ منـه أنـالُ رشـادِي
ومَـنْ لي بـأن أحظـى برؤيـة وجهِـهِ   فأسـعد في الـدنيا ويـوم معـاد
حبيـبٌ إذا مـا لاح للـرُّوح جُمِّلـت   بعلـمِ الحقـائق غيـبِ غيـبِ الهـادي
حبيـبٌ بـه رُوحـي رأت وجْـهَ ربِّهـا   و أكرمَهـا بـالعلمِ والإمـداد
شـهودُك يـامولاي للـرُّوحِ أنسُـها   حضـورُك يـامولاي والله إسـعادِى
فـوُدًّا أيـا مـولايَ عطفـا ورحمـة   و نظـرةَ إحسـانٍ وخـيرَ وداد

جنة معرفة الله تعالى :

إن أشرف العلوم وأجلها وأنفعها ما به نيل السعادتين وخير النشأتين ، وهو علم معرفة الإنسان نفسه وحقيقة جوهره وما تتصرف به الأمور حالا بعد حال ، إلى أن يبلغ إلى قصارى غايته التي هي متمناه ، وهي أن يلقى ربه إما في الدنيا بعين اليقين قبل الموت القهري بالموت الإرادي ، الذي هو كمال تزكية النفس وعلم حقيقة التوحيد ، وإما في الآخرة بعد فراق الدنيا .

قال "ﷺ وآله" : ﴿ من عرف نفسَه عرف ربَّه ﴾ وقال عليه الصلاة والسلام : " إنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا "(١) وقال الله تعالى : ﴿ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا

(١) رواه أحمد في الجزء الخامس ، وفي السنة لابن أبي عاصم ، والمتقي الهندي في كنز العمال .

يَعْلَمُونَ ﴾[1] وقال سبحانه : ﴿ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾[2] وقال سبحانه : ﴿ أَوَ مَن كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ ﴾[3].

واعلم أيها السالك المسترشد أن هذا الباب من العلم ؛ هو طهور ذوي الألباب، ومعراج الوصول ، وعنصر الحكمة ، ونور المعرفة ، فجاهد نفسك واجتهد في طلبه من العارفين به ، فإنك به تنال شرف الدنيا وسعادة الآخرة .

عين اليقين وحق اليقين :

هاتان المرتبتان فيض فضل بلا كسب بعد الرياضات وتزكية النفس .

عين اليقين :

هي أن تصير النفس بحيث تشاهد في المقارن المعاني الروحانية التي تدركها العقول بالبراهين الحقيقية رؤية هي نفس اليقين وخالصه .

حق اليقين :

وهي أن تصير النفس بحيث تتصل بالمفارق اتصالا روحانيا ، وتلاقي ذاتها ذاته تلاقيا روحانيا ، حتى تصير النفس نفسا ملكية تسبح في فسيح الملكوت الأعلى .

فالمراد من الوصول إلى كمال المعرفة الوصول إلى إحدى هاتين المرتبتين ، ومرتبة حق اليقين مرتبة الأنبياء ، قال تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴾[4] والمراد بالمفارق ما عدا عالم الملك ، وهو عالم الملكوت والعزة والجبروت .

---

(١) الزمر : ٩ .
(٢) آل عمران : ٧ .
(٣) الأنعام : ١٢٢ .
(٤) الأنعام : ٧٥ .

الرؤية شيء والإدراك شيء آخر :

وفي سياق تناوله لبيان معنى قول الله تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴾(١) يبين الإمام المجدد أبو العزائم عليه السلام أن الرؤية شيء والإدراك شيء آخر ، وما سأل أصحاب موسى عليه السلام الرؤية إلا وهم يعلمون أنها ممكنة ، ولكنهم أساءوا الأدب لطلبهم أعظم نعمة يتفضل الله بها على أفراد أولي العزم من الرسل في الدنيا وعلى أهل مقام الإحسان في الآخرة من غير سؤال .

ومن الأدب أن يقف العبد أمام ربه موقف الخائف من عدله وجلاله ، لا موقف المطالب بحق له ، قال سبحانه وتعالى : ﴿ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ﴾(٢) لا من يطلب .

وكم واجه ربنا جل جلاله رجالا من أحقر عبيده بوجهه الجميل كما واجه العبد (برخ) الذي أمر كليمه عليه السلام أن يطلبه ليسأل إنزال المطر لبني إسرائيل بعد أن خرجوا إلى الصحراء ليستغيثوا بالله سبحانه ، فلما وصل إليه موسى رفع رأسه من التراب وقال: أنفدت خزائنك ؛ أنزل الماء لعبيدك . فنزل المطر كأفواه القرب ، والعبد الصالح الذي لقيه موسى عليه السلام (الخضر) ، وأويس القرني التابعي الذي أمر رسول الله "ﷺ وآله" خيرة أصحابه أن يقرئوه السلام إذا رأوه ، والذين قال الله تعالى فيهم لداود عليه السلام : ﴿ اطلبني عند المنكسرة قلوبهم من أجلي ﴾ ، وقال لحبيبه ومصطفاه "ﷺ وآله" : ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ﴾(٣).

أما الإدراك الذي هو كشف الحقيقة على ما هي عليه فمستحيل في الدنيا والآخرة ، لأن قدرة الله لا تتعلق إلا بالممكن ، وليس ثم للقدرة أن تجاوز هذا ، فالقدرة لا توجِد مخلوقا يدرك الخالق لعظمته وكبريائه وعلو مكانته جل جلاله .

---

(١) البقرة : ٥٥ .
(٢) الحديد : ٢٩ .
(٣) الكهف : ٢٨ .

إذا تقرر هذا أثبت لك أن رؤية ربنا ممكنة في الدنيا بالبصائر لمن سبقت لهم الحسنى من الله تعالى ، وفي الآخرة بالأبصار بما يجمل الله به عباده المؤمنين ، بدليل قولـه "ﷺ وآلـه" في الحديث القدسي : ﴿ كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذي يبصر به ... ﴾ الحديث .

ومن سمع بالله وأبصر بالله لا تعلم نفس ما أخفي له من قرة أعين .

ويقول الإمام أبو العزائم ﷺ :

إذا شـهد المشـتاقُ نـورَ الحظـيرة ... لـدى رفـع أسـتار الخفـا بالعنايـة
وعاين نـورَ الوجـهِ مـن كـل وجهـة ... ولاحـت لـه الأسمـا بـروضِ النزاهـة
يـرى لا يـرى إلا جمـالا مقدسـا ... يـرى في معـاليم بآثـار حكمـة
ويشـهد والمشـهود في كـنز غيبـه ... ضـياء تعـالى عـن رمـوزِ العبـارة
يكـون لـديها الشـاهد النـور سـاطعا ... ومشـهوده حـق عـلا عـن إشـارة
يـرى النـور نـورا والحقيقـة في الخفـا ... تعالت عـن التحديـد عـن كـل نسـبة
يهـيم ولا يـدري لشـدة شـوقه ... وتحجبـه الأنـوارُ عـن كـل حيطـة
يـرى الكـلَّ نـورَ اللهِ والحـق ظـاهر ... لأفئـدة قـد طُهِّـرت مـن دنـاءة
فيندك قـافُ النـأيِ والـرُّوحُ يصـعَقَنْ ... ونفخـةُ قـدسِ الحـق لاحـت بعـزة
ويظهـر في المـرآة سـرٌّ مـترةٌ ... عن الكيـفِ والتحديـدِ في كـلِّ حالـة
تكـون إذن مـرآةَ سـرٍّ مـترهٍ ... لأهـل الصـفا مَـن شـاهدوا بالبصـيرة
عن الرُّوح قـد رُفعـت مجاليـه وارتقـت ... ولم تبـد إلا في إمـام الفتـوة
لـديها إذا مـا قلـتُ إني جمالُـه ... فسـرِّي خفـيٌّ يـدْرِهِ ذو الصـبابة
ولوقلـتُ بـل نـورٌ وسـرٌّ مقـدسٌ ... فـذاك لأهـلِ الكشـف أهـلِ محـبتي
ومَن شـربوا خمـرَ الصـفا مـن محمـدٍ ... ومَـن سـكِروا في ديـره بـالمودة
ومـن لهمـو في مقعـد الصـدق رتبـة ... علت فوق عرش الـرب محـض كـرامتي
ومـن هـم شمـوس الإهتـدا في سمائـه ... ومـن هـم شمـوس الإقتـدا والإجابـة
ومـن خصَّـهم طـه بـأنهمو لـه ... وأنهمـو الإخـوانُ ذُقْ سـرَّ خمـرتي
مِنَ الرُّوحِ رُوحِ القـدسِ ذاقـوا شـرابَهم ... وفي روضـة التشـبيه شـربوا مُـدامتي

فهم هم شموسٌ يستضيءُ بنورِهم | أُولو الملإ الأعلى وسكانُ جنة
وهم أهله والمُصْطَفَوْنَ لذاته | وأحبابُه مِن سادةٍ وأئمة
إلى الله يدعو فردُهم فيجيبه | مرادٌ صفا من شبهةٍ بل وريبة
يلبيهمو الرحمنُ عند دعائهم | ويُسمِعُهم منه النِّدا بالإجابة
نعم شربوا راحَ الصفا بيمينِه | فهاموا به في روضِ قدسِ الشهادة
عيونُهمو تراه والقلبُ عامرٌ | بذاتٍ تعالت في عَلِيِّ المكانة
وأنفاسُهم خمرٌ جلالٌ مقدسٌ | به تحي أرواحٌ صَفَتْ لمودتي

ومسألة عقوبة الله تعالى لأصحاب الكليم عليه السلام عندما طلبوا منه رؤية الله جهرة لسوء أدبهم في طلب ما ليس لهم ، ولما اعتراهم من الفتنة في شكهم بخبر الكليم عليه السلام، والشك في هذا المقام يكاد يكون كفرا .

وليس هذا دليلا على استحالة رؤية الله تعالى كما ذهب إليه المعتزلة وبعض المخالفين، وليس طلبهم الرؤية دليلا على اعتقادهم التجسيمي ، تنزه ربنا وتعالى كما ظنه النصارى في عيسى عليه السلام ؛ وبعض الجهلاء ممن لا بصيرة لهم في الدين الإسلامى .

فإن الله تعالى إذا شاء أن يظهر خوارق العادات على أيدي من ليسوا بمؤمنين لا يُسأل عما يفعل ، كما أظهر تلك الخوارق على أيدي أهل الجحود والكفر بالله تعالى (بني الأصفر بأوربا وأمريكا) فإن اختراع الطيارات والغواصات والبواخر لنقل الأشباح والأسلاك البرقية والبرقيات اللاسلكية لنقل الأصوات والكلمات – وغير ذلك مما نراه إلى يومنا هذا – وإن كان نتيجة إتقان الصناعات مما كنزه الله لبني الإنسان في الأجواء والأرجاء ؛ يظهره سبحانه على يد البار والفاجر والمسلم والكافر ، فكذلك قد يظهر خوارق العادات على يد شياطين الإنس الذين يخالفون الشرع الشريف الذي جاء به نبينا عليه الصلاة والسلام والأنبياء من قبله .

ونحن لا ننكر كرامة الأولياء ، فإن الله تعالى كما أقام الحجة للرسل عليهم الصلاة

والسلام بالمعجزة الباهرة كالقرآن الشريف فإنه أعجز البشر ، وكشق القمر ، وكنبع الماء من بين أصابعه "ﷺ وآله" ، وكإحياء الموتى ، كما ورد في معجزاته "ﷺ وآله" ، وكفلق البحر لموسى عليه السلام ، وكجعل النار برداً وسلاما للخليل عليه السلام ، وكإغاثة الرسل من الأعداء بخسف الأرض أو بالإغراق ، كل ذلك دليل على تأييد الله لأحبابه وإظهارهم على أعدائه .

وكذلك تأييد الله لأوليائه العاملين بكتابه العزيز وبسنة نبيه "ﷺ وآله" ، فإن كل معجزة للأنبياء كرامة للأولياء ، والفرق بين المعجزة والكرامة أن المعجزة تأتي بأمر الرسول عليه الصلاة والسلام ، وأن الكرامة تأتي مبادهة بدون طلب للولي إظهارا للحق ونصرة للشرع .

فإن الرسل عليهم الصلاة والسلام يتحدون أهل الكفر بالله فيكذبونهم ، ويقيمون الحجة على صدقهم بطلب الآية التي في قوة قول الله تعالى : صدق عبدي فاتبعوه . فيؤمن من شرح الله صدورهم للإسلام ، وينكر أهل الكفر بالله .

﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً ﴾ أي : لا نصدقك فيما جئتنا به حتى نرى الله جهرة ، فأنزلوا أنفسهم مترلة الجاحد بصدق موسى عليه السلام إن لم يروا الله جهرة ، وكفى بذلك ظلما لأنفسهم واستحقاقا لسرعة نقمة الله منهم ، وهذا وجه سوء الأدب مع الله تعالى الذي أخذهم به الصاعقة .... إلخ .

هل رأى سيدنا رسول الله "ﷺ وآله" ربه سبحانه ليلة الإسراء ؟ :

اختلف السلف في رؤية النبي "ﷺ وآله" ربه ، فذهبت السيدة عائشة وابن مسعود رضي الله عنهما إلى إنكارها ، وذهب جماعة إلى إثباتها ومنهم أبو ذر والحسن وابن عباس رضي الله عنهم .

حكى عبد الرزاق عن معمر عن الحسن أنه حلف أن محمدا" ﷺ وآله " رأى ربه .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما ، قال : ﴿ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى ﴾[1] ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى ﴾ قال : رآه بفؤاد مرتين . أخرجه مسلم .

وعن أبي ذر ﷺ قال : سألت رسول الله "ﷺ وآله" : هل رأيت ربك ؟ قال : ﴿ نور أنىَّ أراه ﴾ . أخرجه مسلم .

وقال الحافظ بن حجر في الفتح : لم تنف عائشة وقوع الرؤية بحديث مرفوع ولو كان معها لذكرته ، وإنما اعتمدت الاستنباط على ما ذكرته من ظاهر الآية ، وقد خالفها غيرها من الصحابة ، والصحابي إذا قال قولا وخالفه غيره منهم لم يكن ذلك القول حجة اتفاقا ، والمراد بالإدراك في الآية الإحاطة ، وذلك لا ينافي الرؤية . انتهى .

وجزمه بأن السيدة عائشة رضي الله عنها لم تنف الرؤية بحديث مرفوع تبع فيه ابن خزيمة فإنه قال في كتاب التوحيد من صحيحه : النفي لا يوجب علما ، ولم تحك عائشة أن النبي "ﷺ وآله" أخبرنا أنه لم ير ربه ، وإنما تأولت الآية . انتهى .

واستدل القرطبي في (المفهم) على أن الإدراك لا ينافي الرؤية بقوله تعالى حكاية عن أصحاب موسى : ﴿فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ قَالَ كَلا..﴾[2] وهو استدلال عجيب لأن متعلق الإدراك في آية الأنعام البصر ، فلما نفى كان ظاهره نفي الرؤية ، بخلاف الإدراك الذي في قصة موسى ، ولولا وجود الأخبار بثبوت الرؤية ما ساغ العدول عن الظاهر .

ثم قال القرطبي : الأبصار في الآية جمع محلى بالألف واللام فيقبل التخصيص ، وقد ثبت دليل ذلك سمعا في قوله تعالى : ﴿ كَلا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾[3] فيكون المراد الكفار بدليل قوله تعالى في الآية الأخرى : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾[4] قال:

---

(١) النجم : ١١ .
(٢) الشعراء : ٦١ ـ ٦٢ .
(٣) المطففين : ١٥ .
(٤) القيامة : ٢٢ ـ ٢٣ .

وإذا جازت في الآخرة جازت في الدنيا لتساوي الوقتين بالنسبة إلى المرئيّ. انتهى ، وهو استدلال جيد .

وقال عياض : رؤية الله سبحانه وتعالى جائزة عقلا وثبتت الأخبار الصحيحة المشهورة بوقوعها للمؤمنين في الآخرة ، وأما في الدنيا فقال مالك : إنما لم يُر سبحانه في الدنيا لأنه باق، والباقي لا يُرى بالفاني ، فإذا كان في الآخرة ورُزقوا أبصارا باقية رأوا الباقي بالباقي .

قال عياض : وليس في هذاالكلام استحالة الرؤية إلا من حيث القدرة ، فإذا قدّر الله من شاء من عباده عليها لم يمتنع .

ويبين فضيلة الشيخ الشعرواي عند تعرضه لتفسير قوله تعالى : ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا﴾[(١)] أن الفعل هنا كأنه إراءة ، وما هي الإراءة ؟ إن الإراءة هي أن تجعل من لا يرى يرى ، وذلك إما بتحويل المرئيّ إلى قانون الرائي ، أو بنقل الرائي لأن ينفذ إلى قانون المرئيّ ...

وإذا نظرنا إلى قول الحق سبحانه وتعالى أيضا : ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ﴾[(٢)] ، أنا أخالف جهود المفسرين حين يفسرون ﴿ دَنَا ﴾ بأنه جبريل عليه السلام ، والسبب أن جبريل مع محمد "ﷺ وآله" ، وما دام جبريل معه ، فمن الذي دنا ؟ ومن الذي كان قاب قوسين أو أدنى ؟ ذلك ملحظ آخر يعطينا أن الدنو في قوله تعالى : ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى﴾ هو دنو بشيء آخر ، من ربه أو ربه منه ، وهو إيناس بما يكون من رؤيته للحق سبحانه وتعالى ، أو من كلام الحق سبحانه وتعالى له ، والله تعالى أعلم .

وبيان الحقيقة في هذه المسألة صرح به الإمام المجدد أبو العزائم في قوله :

دنَا ربُّنا الأعلى تدَلّى لِحِبِّه ومن فوق " أَوْ أَدْنَى " محا الأكوانا
فإن حبيبي في سرادقِ قدسِ مَن تألهت الأرواحُ فيه أمانا
رأى فيه موسى نورَ قدسٍ مترهٍ تمنى يراه فِي الكِيان عِيانا

(١) الإسراء : ١ . .
(٢) النجم : ٩ .

فرُدَّ بِـ " لَن " والفردُ فازَ بفوقِه رأى فيه موسى الغيبَ منه تدانى
يُردِّدُهُ موسى ليشهدَ غيبَ ما تمناه كشفا حين دُكَّ مكانا
رأى ربَّه الفردُ المرادُ محمدٌ تجاوز "كُن" حتى تحقق " كَانَ "
وموسى لقد جعل الصلاةَ وسيلةً ليشهدَ نوراً مشرقاً وجِنانا

ويقول في موضع آخر :

فبشرى بمعراج الحبيب وإسراه وبشرى لنا نلِنا مشاهدَ معناه
حبيبٌ دعاه اللهُ للقرب واللِّقا ومنه دنا لطفاً ثم حيَّاه
وناداه يا محبوبَ ذاتي ونورَها تنعَّمْ بنورِ الوجهِ إنِّي أنا الله
عليكَ لقد صليتُ بالذاتِ منَّةً وأوليتُك الرؤيا وما ترضاه

إلى أن يقول رضي الله عنه :

إلى قاب قوسين التداني وفوقها إلى حيث " أَوْ أَدْنَى " فواجَهَ مولاه
رأى الآيةَ الكبرى بغيبِ جمالِها ومَوْلاهُ بعد شهودِه ناجاه
رضاك رضائي ياحبيبي محبتي لمن يقتدى بالفردِ أو والاه
وفي"والضُّحَى"لك ما تَشَا فيضُ نعمتي ومن يتَّبِعْ يُعْطَ جميعَ مناه

القلوب التى يحبها الله تعالى منحها عيوناً تشهد جماله :

إفراد الله تعالى بالقصد دون سواه ، جنة الطالبين ، وسلسبيل المرادين ، قال تعالى : ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾(١).

يبين الإمام أبو العزائم عليه السلام أن القلوب التي يحبها الله تعالى منحها عيونا تشهد جماله، وتلك العيون التي منحها إياها تشتاق إلى أن ترى هذا الجمال ، فيتجلى جل جلاله لها بقدرها، ثم يوسعها فلا تزال في شوق حتى تصل إليه سبحانه وتعالى ، فإذا وصلت إليه جل

(١) الكهف : ٢٨ .

جلاله انتقشت معاني صفاته عليها ، فتبدلت الأرض غير الأرض – والأرض هي الهيكل الإنساني – والسموات غير السموات – وتلك السموات هي القوة الروحانية – صار شوقها إلى الله تعالى .

ولا ينتهي الشوق ولو كان الإنسان في مقعد صدق ، لأن معبوده لا يحويه مكان ، ولو أقامه في مقعد صدق لكان هذا المكان حجبة ، لأن محب الله تعالى لا يأنس بغير ذاته ، وذاته تنزهت عن أن تحد أو تعد أو توصف ، فيدوم شوقه إليها ، ويتوالى انكشاف جماله العليّ لهذا المحب إلى ما لا نهاية .

فمساكين أهل المحبة ، فهم في أنس ، وفي وحشة : أما أنسهم ، فبما ينجلى لهم من جماله العليّ ، وأما وحشتهم فبُعد المحبوب عنهم عظمة وجلالا ، ولبُعدهم دناءة وخسة ، فحقيقتهم العبدية ، فتشع عليهم سواطع جماله وكماله ، ساطعة على أرواحهم ، وهم في عذاب ونعيم ، عذابهم للشوق إليه ، وأما النعيم فبالرضا عنهم ، وهم رضي الله عنهم ورضوا عنه .

والمسلم سليم القلب ولو كان من المفرطين في عمل الكبائر ، فإن جوارحنا تتقلب في المعاصى ، وقلوبنا معقودة على كمال التوحيد والحمد لله ، ومهما ارتكبنا من المعاصي فنجسنا جوارحنا أشرقت أنوار التوحيد من القلوب ، فمحت ظلمات المعاصي ، وغيرنا من العالم مهما عملت جوارحهم من أنواع الخيرات انبعثت ظلمات العقيدة فمحت نور تلك الأعمال ، وتلك نعمة عظمى منَّ بها الله علينا :

أمَا ومَجْلَى كمالِ الذاتِ في القدسِ وعزةِ عظموتٍ وسَعَةِ الكرسي
لو أن جُرْمِيَ ضاق الكون أجمعه لَمَا يئست من عفوِكم نفسي

ويقول ﷺ :

إن كـــان ذنـــبي عظيمـــاً   فعفــــــو ربي أعظـــــمْ
أو كـــان إثمـــي كـــبيرا   فـــــالله ربي أرحـــــم
كـــم أســـبلَ السَّـــتْرَ منـــه   علـــيَّ كـــم لي أكـــرم
وكـــم رآني مســـيئا   فتـــاب عـــني وأنعـــم
أره يعطـــي العطايـــا   فضـــلا ، ولم أكُ أعلـــم
يبـــدلُ الســـوءَ فضـــلا   منـــه بحُسْـــنَى فأســـلم
أســـبِغْ جميـــلَ العطايـــا   لمـــن بعفـــوك مغـــرم
واجعـــل عطايـــاك ربي   للعبـــد نعمـــى ومغـــنم
وانظمـــه في عقـــدِ قـــومٍ   عـــن كـــل غـــير صـــوم

ويقول ﷺ :

جَـــدِّدِ التـــوبَ مخلصـــا في الإنابـــة   وتحقـــق بعـــد المتـــاب الإجابـــة
وعلـــى الله فاعتمـــد بـــيقين   واتْـــلُ بالصـــدق والضـــميرِ خطابـــه
وتحقَّـــقْ بمـــا بـــه باعتقـــادٍ   وتـــدبَّرْ أحكامَـــه وعتابَـــه
واجعلَنِّـــي الإمـــامَ في كـــلِّ حـــال   تَفْهَمَـــنْ ســـرَّه وتعطـــي لبابـــه
ودع الإلتفـــاتَ للخلـــق طُـــرًّا   واســـألِ الله يَفْـــتَحَنْ أبوابَـــه
فهـــو نعـــم الـــولِيُّ يعطـــي العطايـــا   ويجيـــبُ المضـــطرَّ فـــاقرأ كتابـــه
يـــا إلهـــي إليـــك وجهـــتُ وجهـــي   فتقبَّـــل مـــن ذي الـــذنوبِ الإنابـــة
وأعـــذني مـــن كـــلِّ شـــرٍّ إلهـــي   ومـــن الفقـــرِ والعنـــا والإصـــابه
وَارْمِ خَصْـــمِي بســـوطِ نقـــمٍ وســـوءٍ   وارْفَعَـــنْ رتـــبتي بســـرِّ المهابـــة
حصِّـــنَنِّي في حصـــنِ حفظِـــك ربي   وتعطَّـــفْ فضـــلا بفـــوزِ الإجابـــة
أنـــا عبـــدٌ مـــالي ســـوى الله ربي   كيـــف أخشـــى وقـــد تراءيـــتُ بابـــه
وفـــؤادي متـــيقنٌ يـــا إلهـــي   وهـــو ربٌّ يعطـــي العطـــا أحبابَـــه
يـــا فـــؤادي فاهنـــأ ويـــانفس طـــيبي   بقبـــولٍ إذ قـــد وصـــلتُ رحابـــه

رَبِّــــيَ اللهُ وهـــــو حســـــبي وغـــــوثي   كيــف أخشـــى وقــد عرفــتُ جنابــه؟!
وإمـــــامي طـــــه وذخـــــري وكـــــنزي   صـــــرتُ فيـــــه مُهَيَّمًـــــا وصـــــبابة
بعـــد حُـــبي لســـيدِ الرســـلِ طـــه   أخشـــى ضـــيما ؟! فـــذاك عـــين الغرابـــة
يـــا حبـــيبي أنـــت الخليـــلُ لرُوحِـــي   فـــامحُ بالوصـــلِ مـــن غرامـــي صـــعابه
لي مـــرادٌ عكـــوفُ جســـمي وقلـــبي   عنـــد روضٍ لأخـــدمن أعتابـــه
وأُحَلَّـــى بحلـــة القـــربِ فضـــلا   وأنـــال الصـــفا وأُســـقى شـــرابه
يـــا حبـــيبي عليـــك مِـــن ذاتِ ربي   صـــلواتُ الرضـــا وكـــلِّ الصـــحابة

جنة الشهود :

جنة الشهود للعارفين تجليات الجمال الإلهى فى كل موجود ، ففى كل الآيات يشهدون التجليات ، آيات ناطقات هاديات ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدَهِ وَلَـكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً ﴾[1] ﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ ﴾[2].

يقول الإمام رضي الله عنه ناطقا بلسان الحق سبحانه :

تلـــك المظـــاهرُ والشـــئونُ مرائـــي   فيهـــا تلـــوح لمـــن صَـــفَوْا أسمـــائي
فالعـــارفون يَـــرَوْن ســـرَّ تـــنزلي   والجـــاهلون مـــرادُهم آلائـــي
أنـــا ظـــاهرٌ لأولي القلـــوب مَشَـــاهَدٌ   لأولي الصـــفا مـــن صـــفوةِ الأمنـــاء
أنسُـــوا بـــأنواري فطـــابوا وارتقَـــوْا   عـــن ظلمـــةِ الأكـــوانِ والأهـــواء
فهمـــو معـــي بقلـــوبهم ومـــرادهم   نظـــرا لـــوجهي بعـــد نيـــلِ رضـــائي
لم يشـــهدوا غـــيري مريـــدا خالقـــا   فمنحـــتُهم مِنِّـــي جميـــلَ عطـــائي
فرِحـــوا بفضـــلي فانجلـــت لقلـــوبهم   شمـــسُ التجلـــي في سمـــا الأرجـــاء
شـــرِبوا مُـــدامَ محـــبتي فتحققـــوا   بعـــد الشـــرابِ بصـــحةِ الأنبـــاء

(١) الإسراء : ٤٤ .
(٢) التغابن : ١.

طابوا بها وعن الوجود بأسره غابوا بحبي لا يَرَوْنَ سوائي
شُغِلوا بذاتي عن شهود تنزلي فأنا وليّهُمُو بسرِّ قضائي
ما بين شكرٍ لي وذكرٍ خالصٍ وتبتلٍ وتضرعٍ بفناء
عكفوا على ذاتي بنورِ قلوبهم فأبحتُهم رؤيا جمالِ بهائي
فَهُمُ العبيد سرورُهم بي دائما وأنا القريبُ لهم بغيرِ خفاء
طرِبوا براحِ مدامتي ومحبتي فهمو شموسٌ أشرقت بسمائي
لم يُلهِهِمْ كونُ الفناءِ عن الصفا وعن البقاءِ بصحبةِ الأُمناء
فقلوبُهم عمرت بنورِ مكانتي ونفوسُهم تاقت إلى العلياء
نهجوا على سننِ الحبيبِ محمدٍ حتى به وصلوا بكل هناء
يا ربِّ صلِّ مسلِّما ومباركًا أبدًا على شمسِ الهدى وضيائي
والآلِ والأصحابِ وامْنَحْنَا الرضا وتولَّنا بالفوزِ والآلاء

الأنس الحقيقي لايكون إلا بالله سبحانه :

هناك أنس بالجنة ، وأنس بالحور ، وأنس بالشراب ، وأنس بما لذ وطاب مما يفيض ربنا سبحانه ، وكل هذا الذى تقدم أنس بغير المحبوب الأعظم ، فشتان بين من يأنس بالعطية ؛ ومن يأنس بالمعطي المتفضل الوهاب سبحانه .

يقول الإمام المجدد أبو العزائم عليه السلام :

من كان يأنس بالجناتِ والحورِ فذاك في حجب عن مشهد النورِ
والآنسون بوجهِ الله قد رُفعوا عن المقاماتِ والأحكامِ والسور
والأنسُ بالله بعد المحو لا نسب تبديه بل هو فضل سر تقدير
أنِسُوا به وهو واجههم وقرَّبهم أنس بلا كيف لا يبديه تعبيري
في مقعد الصدق ، لا ، بل في حظيرته ومع ، وعند ، بها فكري وتصويري
بها الخيال يهنى بالمثال ولا أنس بها فتدبر سر تقدير

مـــا للخيـــال ومـــا للأنـــس إن ســـطعت شمسُ المجـــالي وصـــار الأنـــسُ منظـــوري
ســـجد الخيـــالُ ولا معـــنى يمثلـــها إذا المجـــالي محـــت كـــوني وتحـــييري
وصـــرتُ لا كـــون لي يخفـــي منازلـــة و الوجـــه حيطـــة ذاتي منـــه تنـــويري

ويقول ﷺ :

الـــرُّوحُ تـــأنس بـــالمحبوب إن لاحـــا في صـــفوها وأدار الـــرَّوْحَ والراحـــا
يصـــبو إليـــه حنينـــا للشـــهود إذا مـــا أشـــرق النـــورُ قـــد تـــرآه فتاحـــا
عند التجلي لنـــا شمـــسُ الهـــدى طلعـــت قـــد صَـــيَّرَتْ ليلَنـــا بـــالنورِ إصـــباحا
رُوحـــي تحـــن إلى المحبـــوب آلهـــةً شـــوقا إليـــه وشـــوقي صـــار فضـــاحا
من عهد يـــومِ "أَلَسْـــتُ" قـــد رأتـــه بـــلا حجـــب ولمـــا رآه الفـــردُ قـــد صـــاحا
غـــنى بألحانـــه شـــوقا لمبدعـــه حتى رأى القـــدسَ حـــال الوصـــل فياحـــا
الشـــوقُ يجـــذبُني والحـــبُّ يـــرفعُني والوجـــهُ أشـــرق لي والنـــورُ قـــد لاحـــا
لـــولا العقـــولُ للاحـــت شمسُـــه علنًـــا لَكنْ لأهـــلِ الصـــفا قـــد نـــاولَ الراحـــا

ويقول ﷺ :

إذا قالـــت الجنـــاتُ : زُيِّنْـــتُ بالصـــفا أقول : دَعِـــيني ، مقصـــدُ الفـــردِ مـــولاه
وإن قالـــت الفـــردوسُ : حُسْـــنِيَ بهجـــةٌ أقـــول لهـــا : مهـــلا فمقصـــدِيَ الله

ويقول ﷺ :

إذا كـــان يلـــهينى محاســـنُ محبـــوبي عن الذاتِ والأوصـــافِ فـــاللومُ تحجـــيبي
فحاشـــا وذاتِـــك يـــا حـــبيبي فـــإنني برؤياك صحَّ الأنسُ بـــل طـــاب مشـــروبي
وكيف يحِـــنُّ القلـــبُ للحســـنِ بعـــد أن تمتـــعَ بالرؤيـــا بحانـــاتِ تقريـــب؟!
أأنســـاكَ بالجنـــاتِ والحـــورِ والحلـــى وأنت مرادُ القلـــبِ بـــل عـــينُ مطلـــوبي؟!
فـــلا كنـــتُ إن كـــان الجمـــال يعـــوقني عـــن المشـــهد الأعلـــى ونيلـــى مرغـــوبي
فقلـــبى ورُوحـــي والجنـــانُ وحورُهـــا بنفســـي إذا عاينـــتُ وجـــهَ حبـــيبي

ولم يَخْطُرَنْ نَفَساً على القلب خاطرٌ لغيرِك إلا مِنْ مخافةِ تغريبي
فَمتِّعْ عيونَ القلبِ والرأسِ سيدي بوجهِك في جمعي وفرقي وتقريبي

ونختم بقوله عليه السلام :

دعوني مِن كشفِ المواهبِ والعطايا ومِن شرحِ المراتبِ والمزايا
وهيَّا فاسمعوا مني علوماً عن الأخفى ، خَفَاها عن سِوايا
تضيءُ على المرادِ إذا تَلَقَّى مباديها وكان لها مرايا
علومٌ لا تباحُ لغيرِ فردٍ تناول خمرتي أُعطِي رضايا
عن التوحيدِ عن سرِّ اتحادٍ أُبيِّنُهَا لمن ذاقوا غِنايا
ومَن باعوا لذاتي الكلَّ طلبا لها ، لا للمواهبِ والعطايا
ومن شُغِلُوا بذكري عن جدالٍ وعن طلبِ الخبائثِ والدنايا
لديها أكشفُ الأسرارَ جهرا لمن سكنت قلوبُهمو حمايا
لدى التوحيد إن شاهدتَ نوري مَن انْتَ إذا رأيتَ سَنَا عُلايا ؟!
أغيري ظاهرٌ وسوايَ يَبْدُو وتوحيدي يُحَتِّمُ لاسِوَايا [1] ؟!
دعوني من علومي إن وجدي عَلِيٌّ عن مفاهيمِ البَرَايَا
ولكني إذا شاهدتُ أهلي أبوحُ ببعضِ سِرِّي والمزايا
لمن إن شاهدوا حالي ووجدي نَعَمْ أَخْفَوْهُ عن قلبِ العمايا
تطيبُ به قلوبُهمو بوجهٍ تَنَزَّهَ لا يُكيَّفُ بالقضايا

وصلَّى اللهُ على سيدِنا ومولانا محمدٍ وآلِه وسلَّم .

---

(١) يتكلم عليه السلام بلسان الحق سبحانه ، فالإقرار بالتوحيد لله عز وجل يُحَتِّمُ نَفْيَ ما سواه سبحانه .

تطلب مؤلفات الإمام المجدد

السيد محمد ماضى أبو العزائم عليه السلام

من مكتبة دار الكتاب الصوفى

تليفون **3901030 022 002**

١١٤ش مجلس الشعب

فى جانب تفسير القرآن :

١- هذا السفر الجليل " أسرار القرآن ".

٢ تفسير سورة القدر.

فى جانب العقيدة :

١- كتاب عقيدة النجاة .

٢- كتاب الإسلام دين الله وفطرته التى فطر الناس عليها.

فى جانب العلوم الفقهية:

١- كتاب أصول الوصول لمعية الرسول ﴿ﷺ وآله﴾.

٢- صيام أهل المدينة المنورة.

٣- هداية السالك إلى علم المناسك .

فى جانب السيرة النبوية والرد على المستشرقين:

١- سيرة النبى ﴿ﷺ وآله﴾

٢- وسائل إظهار الحق .

فى جانب ما يجب أن يعرفه المسلم :

١- النشأة الثانية.

٢- الوسيلة وما إختلف فيه من السنة والبدعة.

٣- الشفاء من مرض التفرقة.

٤- الجفر.

٥- تحذير الدين من بيع أراضى فلسطين.

٦- النور المبين لعلوم اليقين ونيل السعادتين.

٧- الرد على نظرية دارون.

فى جانب الأخوة الإسلامية :

١- الإسلام نسب يوصل إلى رسول الله ﴿ﷺ **وآله**﴾.

٢- الإسلام وطن والمسلمون جميعا أهله.

فى جانب المناسبات الدينية :

١- السراج الوهاج فى الإسراء والمعراج

٢- بشائر الأخيار فى مولد المختار

٣- مشارق البيان فى فضائل شعبان

٤- لبيك اللهم لبيك.

فى جانب المسرحيات الدينية :

١- محكمة الصلح الكبرى.

٢- العالم والتاجر والفلاح.

٣- المقتصد والمسرف والفاسد.

٤- السياسى والحكيم والغشيم.

٥- الصالح واللص والسكرى.

فى جانب الصلوات والأدعية :

١- نيل الخيرات بملازمة الصلوات.

٢- الفتوحات الربانية والمنح النبوية فى الصلاة على خير البرية.

٣- الأدعية والاستغاثات الكبرى.

فى جانب التصوف :

١- شراب الأرواح من فضل الفتاح.

٢- تذكرة المرشدين والمسترشدين.

٣- معارج المقربين.

٤- الطهور المدار على قلوب الأبرار.

٥- من جوامع الكلم.

٦- الطريق إلى الله تعالى.

٧- الفرقة الناجية.

٨- دستور السالكين طريق رب العالمين.

٩- دستور آداب السلوك إلى ملك الملوك.

١٠- مصطلحات الصوفية

١١- آداب أل العزائم

١٢- دروس تزكية النفوس

١٣- موارد أهل الصفا

١٤- قبس من المضنون

١٥- الصوفية والتصوف

فى جانب المواجيد:

١- مواجيد شهر محرم، صفر، ربيع أول، ربيع آخر، جماد أول، جماد

آخر، رجب، شعبان، رمضان.

٢- المواجيد العزمية فى مواجهة الروضة الحسينية.

٣- ديوان ضياء القلوب من فضل علام الغيوب.

الفهــرس

الموضـــــــوع	الصفحة
الإهداء	٢
المقدمة	٣
وصف الجنة لم يذكر في الكتب السابقة..............	٤
تنبيه	٦
الباب الأول	
خاتمة الحسنى وجنة البرزخ	٨
خاتمة الحسنى	٩
من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه	١٢
حسن الظن بالله ثمن الجنة	١٣
أهل التقوى والإصلاح لا خوف عليهم ولا هم يحزنون	١٦
طيب روح المؤمن وصعود الملائكة بها..................	١٨
مستقر أرواح المؤمنين	٢١
متاع البرزخ وخيراته........................	٢٢
دفن المؤمن بجوار أولياء الله الصالحين تبركاً بهم	٢٢
ما يلقاه المؤمن من الكرامة	٢٣
المؤمن لا يحب أن يرجع إلى الدنيا	٢٥
ملاقاة الأرواح	٣١
الترحيب بالمؤمن في القبر........................	٣٢
ما يبشر به المؤمن عند سؤال الملكين	٣٢
من رحمة الله بالمؤمنين........................	٣٣
الأنبياء والأولياء أحياء في قبورهم	٣٣
الأولياء يقرءون القرآن في قبورهم	٣٥
تعليم الملائكة المؤمن القرآن في قبره	٣٦
الأولياء يجيبون المؤذن من قبورهم	٣٦
أريج رائحة المسك والريحان والياسمين تفوح من قبور الصالحين	**٣٧**

الموضـــــوع	الصفحة

تزاور الموتى في قبورهم ٣٨

علم الموتى بزوارهم وأنسهم بهم ٣٩

توالى الخيرات المعنوية والحسية على الشهداء في البرزخ ٤٠

الحياة الروحانية للشهداء في البرزخ ٤١

مقر الأرواح ٤٤

الموت قبل الموت حياة المجتبين ٤٦

أقسام الناس يوم القيامة بعد البعث والنشور ٤٧

القسم الأول : هم الذين يخرجون من القبور لهم أجنحة يطيرون بها إلى مسرات الحياة الثانية ٤٧

القسم الثانى : هم الذين لا يقام لهم ميزان ولا ينصب لهم صراط ٤٨

القسم الثالث : هم الذين يحاسبون حسابا يسيرا ٤٨

القسم الرابع : هم الذين يحاسبون حسابا شديدا ٤٩

الباب الثانى

جنة سيدنا آدم عليه السلام ٥٠

سر إدخال سيدنا آدم عليه السلام الجنة وإهباطه منها ٥١

هل هي جنة الخلد أم غيرها ٥٢

الواجب على طالب كشف الحقائق ٥٤

لفظة (اسكن) تدل على الاستقرار في الجنة زمنا معينا ٥٦

حواء خلقت قبل إدخال آدم الجنة وبيان العلاقة بين الأصل والفرع ٥٦

إشارة إلى شئ من حقيقة نفس الإنسان ٥٧

المراد الإباحة وليس الأمر ٥٨

الأمر والنهي سببان للسعادة والشقاء ٥٨

الفرق بين حركة النفس الأمارة بالسوء وحركة الروح ٦٠

هل يدخل أحد الجنة قبل يوم القيامة ؟ ٦١

الباب الثالث

الجنة بشرى للمؤمنين ٦٣

البشرى من الله تعالى ٦٤

معنى البشارة ٦٥

الموضـــــوع	الصفحة
شعب الإيمان أعمال صالحات	٦٧
البشرى على قدر المبشر بها	٦٨
لكل مؤمن جنة خاصة	٦٩
رزق الجنة متجدد دائما	٦٩
البشرى طمأنينة للقلوب	٧١
نصيحة لكل مؤمن	٧٢
العارفون بالله يشهدون الجنة عين يقين	٧٣
الباب الرابع **من موجبات الجنة**	٧٥
الجنة ليست بالتمني	٧٦
من موجبات الجنة في القرآن الكريم	٨٠
من موجبات الجنة في أنوار السنة	٨٤
في ثواب من قدم ولداً	٨٧
الجنة قيعان وبيان غراسها	٨٩
الأعمال الصالحة مهور الحور العين	٩٠
الشهادة في سبيل الله تعالى	٩٠
كنس المساجد	٩١
قبضات تمر وفلق خبز	٩١
الصيام في رمضان	٩١
حوراء تخرج من تفاحة	٩٢
ختمة قرآن	٩٣
قيام الليل	٩٣
أهل الخير في الجنة	٩٤
الباب الخامس **من جمالات الجنة ونعيمها وبيان أنها طالبة ومطلوبة**	٩٦
الفصل الأول : من جمالات الجنة ونعيمها	٩٧
فضل نعيم الجنة على متاع الدنيا	٩٧

الموضـــــــوع	الصفحة
سر أفضلية نعيم الآخرة على متاع الدنيا :	٩٧
أولا : متاع الدنيا قليل	٩٨
ثانيا : نعيم الآخرة أفضل	٩٨
ثالثا : الجنة خالية من شوائب الدنيا	٩٩
رابعا : نعيم الدنيا زائل ونعيم الآخرة باق دائم	١٠٠
خامسا : الحياة الدنيا متاع الغرور	١٠١
في الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت	١٠٢
أقل ظفر في الجنة يجمل ما بين السموات والأرض	١٠٣
جمال بناء الجنة وتكوينها	١٠٣
يوم المزيد وزيارة العزيز الحميد	١٠٧
هل تفضل جنة جنة ؟	١٠٨
إذا سألتم الله فاسألوه الفردوس	١١١
متكئين على رفرف خضر	١١٣
الفصل الثانى : الجنة طالبة ومطلوبة	١١٥
المؤمنون يدعون ربهم سبحانه	١١٥
الجنة طالبة لأهلها	١١٨
سلفنا الصالح وشوقهم إلى الجنة	١٢٠

الباب السادس

الجنة موجودة الآن

إجماع الأمة على وجود الجنة الآن	١٢٢
الملك الكبير المعبر عنه بالجنة	١٢٥
الإنسان شجرة ربه سبحانه	١٢٦
مكان الجنة	١٢٧
سدرة المنتهى	١٢٨
من مفاتيح الجنة	١٣٠
مفتاح الجنة : لا إله إلا الله	١٣٠
مفتاح الجنة : لا حول ولا قوة إلا بالله	١٣١
مفتاح الجنة : الصلاة	١٣٢

الموضـــــوع	الصفحة
السيوف مفاتيح الجنة	١٣٣
لكل مطلوب مفتاح يفتح به	١٣٣
الباب السابع **الطريق إلى الجنة**	١٣٤
الإيمان هو الطريق إلى الجنة	١٣٥
هل دخول الجنة معلل بالعمل ؟	١٣٩
دخول الجنة بفضل الله تعالى ورحمته	١٤٢
القرآن والسنة بين التشريع والتحقيق	١٤٥
العمل لا يكون سببا لدخول الجنة إلا إذا تقبله الله تعالى	١٤٨
للجنة طريق واحد	١٤٨
ثمن الجنة	١٥١
صفات أهل هذا العقد	١٥٢
الإيمان وعمل الصالحات من صفات أصحاب الجنة	١٥٥
الإيمان هو النسب الذي يربط المؤمن بالجنة	١٥٦
معنى أن المؤمنين أصحاب الجنة ويرثونها	١٥٧
الله لا يكلف المؤمنين إلا بما استطاعوا ويؤكد خلودهم في الجنة	١٥٧
طريق الجنة شاق	١٥٨
الباب الثامن **حال أهل الجنة وأصنافهم**	١٦٠
الفصل الأول : حال أهل الجنة	١٦١
أهل الجنة نزع الله ما في صدورهم من غل	١٦١
الله تعالى جمل لكل واحد من أهل الجنة ما أنزله فيه	١٦٢
الرضوان فوق أعلى نعيم الجنة	١٦٢
أهل الجنة طهرهم الله تعالى من وغر الصدور	١٦٢
أهل الجنة سكنت نفوسهم إلى الله واطمأنت قلوبهم بذكره	١٦٣
أهل الجنة رزقوا النوع الرابع من أنواع الهداية	١٦٤
تبرئة أهل الجنة من الحول والقوة إلا بالله تعالى	١٦٤

الموضـــــوع	الصفحة
أهل الجنة تجرى عليهم نضرة النعيم	١٦٥
أهل الجنة يدخلونها على أكمل صورة	١٦٥
الفصل الثانى : أصناف أهل الجنة	١٦٧
في أصناف أهل الجنة ولباسهم وحليهم	١٦٧
الذين يدخلون الجنة بغير حساب	١٧٠
الجنة وعد الله للمؤمنين	١٧١
الوعد خير للمؤمن وللمجتمع الإسلامى كله	١٧٣
المؤمنون المخبتون خالدون في الجنة	١٧٣
الإنسان مثوى في ذاته	١٧٤
الجنة أعدت للمتقين	١٧٥
المتقون هم المتصفون بالصفات الحميدة	١٧٥
الجنة التى أعدها الله للمتقين عرضها السموات والأرض	١٧٧
من صفات المتقين الذين أعد الله لهم الجنة	١٧٨
محبة الله تعالى للمحسنين	١٨٠
من أهم صفات أهل الجنة : الأخلاق الجميلة	١٨١
البشرى من الله تعالى لأهل التقوى	١٨٥
جنات أعدت لأهل السابقية	١٨٨
أهل الذكر	١٨٨
المؤمنون	١٨٨
المتزاورون والمتوادون في الله تعالى	١٨٩
الرجل يشهد له الناس بالخير	١٩٠
الذين يقرءون القرآن ويحلون حلاله ويحرمون حرامه	١٩٠
أكثر أهل الجنة الذين لا يأبه الناس لهم	١٩٢
هل الرجال أكثر في الجنة أم النساء ؟	١٩٢
حثيات الحق سبحانه الذين يدخلهم الجنة	١٩٣
أصحاب الأعراف ومما قاله المفسرون في أصحاب الأعراف..	١٩٥
هؤلاء الرجال هم معنا في الدنيا	١٩٦
الفقراء يسبقون الأغنياء في الجنة	٢٠٠

الموضـــــــوع	الصفحة
الفقير في الحقيقة	٢٠٣
الباب التاسع	
صفة الجنة وأسماؤها وأول من يدخلها	٢٠٥
الفصل الأول : صفة الجنة	٢٠٦
معنى الجنة	٢٠٦
زينة الدنيا إلى زوال وجنة الآخرة إلى زيادة	٢٠٧
نعيم الجنة يفوق الوصف	٢٠٨
في وصف نعيم الجنة	٢٠٩
جنات في الجنة	٢١٢
في ملك أهل الجنة	٢١٧
الفصل الثانى : أسماء الجنة ومعانيها	٢٢٠
١- الجنة	٢٢٠
٢- دار السلام	٢٢٠
٣- دار الخلد	٢٢٢
٤- دار المقامة	٢٢٢
٥- جنة المأوى	٢٢٣
٦- جنات عدن	٢٢٤
٧- دار الحيوان	٢٢٦
٨- الفردوس	٢٢٦
٩- جنات النعيم	٢٢٨
١٠- المقام الأمين	٢٢٨
١١ ، ١٢- مقعد الصدق ، وقدم الصدق	٢٢٩
١٣- روضات الجنات	٢٣١
١٤- طوبى	٢٣٢
١٥- جنة أصحاب اليمين	٢٣٢
١٦- جنة الأبرار	٢٣٤
١٧- جنة المقربين	٢٣٦
١٨- جنة العارفين بالله تعالى	٢٣٨

الموضـــــوع	الصفحة
١٩- جنة عليين	٢٤١
٢٠- الرضوان الأكبر	٢٤٢
٢١- الأجر العظيم	٢٤٣
في الجنة الكمال والرزق الجامع للخيرات كلها	٢٤٤
عدد الجنات وأنواعها	٢٤٥
تفضيل بعض الجنات على بعض	٢٥٠
الفصل الثالث : أول من يدخل الجنة	٢٥٢
أول من يأخذ بحلق الجنة هو سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وآله وسلم	٢٥٢
الأمة الإسلامية أول الأمم دخولاً الجنة	٢٥٤
السابقون من الأمة الإسلامية إلى الجنة وصفتهم	٢٥٥
أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر	٢٥٥
أول من يدعى إلى الجنة الحامدون	٢٥٦
أول ثلاثة يدخلون الجنة	٢٥٦
السابقون وأصحاب اليمين	٢٥٨
شطر أهل الجنة	٢٥٨
صفوف أهل الجنة	٢٥٨
أكثر أهل الجنة هم أمة سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وآله وسلم	٢٥٩
امرأة تبادر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عند دخول الجنة	٢٦١
العشرة المبشرون بالجنة	٢٦٢
سيدا شباب أهل الجنة	٢٦٣
سيدات نساء أهل الجنة	٢٦٣
بعض من نُص على أنهم في الجنة غير العشرة	٢٦٥
تنقية المؤمنين قبل دخولهم الجنة	٢٦٨
سعادة المؤمنين بدخول الجنة	٢٦٨
كيفية دخول الجنة واستقبال المؤمنين فيها	٢٦٩
تحفة أهل الجنة حين يدخلونها	٢٧٢
الباب العاشر درجات الجنة ومنازلها	٢٧٤

الموضـــــوع	الصفحة
الفصل الأول : درجات الجنة	٢٧٥
معنى الدرجة	٢٧٥
الدرجة منزلة في الجنة	٢٧٥
أعلى درجات الجنة	٢٨١
الفصل الثانى : منازل أهل الجنة	٢٨٦
نزل أهل الجنة	٢٨٦
معرفة أهل الجنة لمنازلهم ومساكنهم فيها	٢٨٧
أعلى أهل الجنة منزلة	٢٨٨
أدنى أهل الجنة منزلة	٢٨٩
الذين ينزلون الدرجات العاليات	٢٩٢
أهل الجنة يتفاوتون في الرفعة	٢٩٣
الباب الحادى عشر أبواب الجنة وغرفها وقصورها	٢٩٨
الفصل الأول : أبواب الجنة	٢٩٩
ذكر أبواب الجنة	٢٩٩
للجنة ثمانية أبواب	٣٠٠
تمام النعمة وحصول الفرح والسرور	٣٠١
أهل الجنة يبشرون بنعيمها من أول وهلة	٣٠٢
أهل الجنة مفتحة لهم الأبواب	٣٠٢
سعة أبواب الجنة	٣٠٦
صفة أبواب الجنة	٣٠٩
خزنة الجنة	٣١٠
أزمنة تفتح فيها أبواب الجنة	٣١١
الجوارح وأبواب الجنة	٣١٢
فتح أبواب الجنة	٣١٢
الفصل الثانى : غرف الجنة وقصورها	٣١٤
غرف الجنة	٣١٤
أهل غرف الجنة	٣١٧

الموضـــــوع	الصفحة

قصور الجنة وبيوتها ٣١٩
نور الجنة وبياضها ٣٢٣
ريح الجنة وهواؤها ٣٢٤

الباب الثانى عشر
نساء الجنة وحورها وطعام أهلها وشرابهم ٣٢٧

الفصل الأول : نساء الجنة وحورها ٣٢٨
نساء الجنة وحسنهن ٣٢٨
زواج أهل الجنة بالحور العين ٣٢٩
نساء أهل الجنة مقصورات ٣٣٢
خيرات حسان ٣٣٦
عُرُبا أترابا ٣٣٦
كف حوراء يفتن الخلائق كلهم بحسنه ٣٤٢
زوجة المؤمن في الدنيا زوجته في الجنة إذا كانت صالحة ٣٤٢
المرأة لآخر أزواجها ٣٤٣
المرأة من أهل الجنة ترى زوجها من أهل الدنيا ٣٤٤
بعض ما جاء في صفة الحور العين : ٣٤٥
١- خمار رأسها أجمل ما يكون ٣٤٥
٢- أزواج ٣٤٥
٣- بياض الوجه وحسنه ٣٤٦
٤- قاصرات الطرف ٣٤٦
٥- نقاء خدها وصفاؤه وحمرته ٣٤٦
٦- غناؤها بأحسن الأصوات ٣٤٧
٧- غناء الحور العين في الجنة ٣٤٧
٨- الخالدات ٣٥١
٩- راضيات ٣٥٢
١٠- مقصورات في الخيام ٣٥٢
١١- مادحات مهنئات ٣٥٢
١٢- كواعب ٣٥٣

الموضـــــــوع	الصفحة
١٣- كبدها مرآة لزوجها	٣٥٣
١٤- أبكار عذارى	٣٥٣
١٥- شفافية ساقها وبياض قدمها	٣٥٣
١٦- لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان	٣٥٤
أكثر الناس حظا من الحور العين	٣٥٤
الحور العين ومن أى شئ خلقن	٣٥٥
من دعاء الحور العين وحسنهن	٣٥٦
الحور العين والنساء الآدميات	٣٥٧
المتعة بنساء الجنة ليست كالمتعة بنساء الدنيا	٣٥٨
الفصل الثانى : طعام أهل الجنة وشرابهم وآنيتهم	٣٦٠
في الجنة ما تشتهيه الأنفس..	٣٦٠
أول طعام أهل الجنة	٣٦٢
طعام أهل الجنة وشرابهم لا دنس معه	٣٦٣
حاجة أهل الجنة عرق كالمسك	٣٦٥
طيور الجنة ناعمة وأهلها ناعمون	٣٦٦
خمر الجنة ليس فيها غوْل	٣٦٦
مجامر أهل الجنة الألوّة..	٣٦٧
الله تعالى رب كل شئ ومليكه	٣٦٨
لماذا يأكل أهل الجنة ويشربون ويمتشطون ؟	٣٦٩
أنواع الشراب في الجنة	٣٧٠
الشراب الطهور لأهل الجنة	٣٧١
هل ينام أهل الجنة ؟	٣٧٣
كيف يعرف أهل الجنة الوقت	٣٧٤
آنية الجنة وأكلها وكؤوسها وشرابها	٣٧٤
شراب الأبرار وشراب المقربين	٣٧٨
خمر أهل الجنة	٣٨١
من شرب الخمر في الدنيا إن لم يتب منها حرمها في الآخرة	٣٨٢

الموضــــــوع	الصفحة
الباب الثالث عشر	
بناء الجنة وأنهارها وعيونها وزرعها وأشجارها وثمارها ولباس أهلها وحليهم	٣٨٥

الفصل الأول : أرض الجنة وحائطها	٣٨٦
أرض الجنة وتربتها	٣٨٦
تراب الجنة الزعفران والمسك	٣٨٧
أرض الجنة بيضاء	٣٨٨
حائط الجنة من ذهب وفضة وياقوت وزبرجد	٣٩٠
الفصل الثاني : أنهار الجنة وعيونها وزرعها وأشجارها	٣٩١
من أين تفجر أنهار الجنة ؟	٣٩١
أنهار الجنة في القرآن	٣٩٢
أنهار الجنة جارية غير متوقفة	٣٩٣
الكوثر نهر في الجنة	٣٩٧
أنهار الجنة سائحة على وجه الأرض	٤٠٠
نهر البيدخ	٤٠١
أنهار الجنة الأربعة وجبالها	٤٠١
خصيب جبل من جبال الجنة	٤٠٢
خمسة أنهار من عين من عيون الجنة	٤٠٢
عيون الجنة	٤٠٣
عين السلسبيل للمقربين	٤٠٤
أشجار الجنة وثمارها	٤٠٧
وصف بعض شجر الجنة :	٤٠٩
١- الشجرة التي يسير الراكب في ظلها مائة عام	٤٠٩
٢- سدرة المنتهى	٤١٠
٣- شجرة طوبى	٤١٠
سيد ريحان الجنة	٤١٤
سيقان أشجار الجنة من ذهب	٤١٤
كيف يكثر المؤمن حظه من أشجار الجنة ؟	٤١٤
سدر مخضود لأصحاب اليمين	٤١٥

الموضـــــوع	الصفحة
مكان كل شوكة ثمرة	٤١٦
شجرة الخلد – وهى شجرة الظل الممدود	٤١٧
في نخيل الجنة	٤١٩
هل يزرع أهل الجنة ؟	٤٢٠
شجر الجنة وثمارها تنفتق عنها ثياب الجنة وخيلها ونجبها	٤٢١
ثمار الجنة وتجددها	٤٢١
ثمار الجنة غير مقطوعة ولا ممنوعة	٤٢٤
ثمار الجنة ذللت لأصحابها ودنت منهم	٤٢٤
الفصل الثالث : لباس أهل الجنة وحليهم وفرشهم	٤٢٧
لباس أهل الجنة سندس وإستبرق	٤٢٧
معنى أن من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة	٤٢٨
جمع الله لأهل الجنة بين الزينة الظاهرة والباطنة	٤٢٩
ملَك يصوغ حليّ أهل الجنة إلى أن تقوم الساعة	٤٢٩
ثياب أهل الجنة لا تبلى ويشقق عنها ثمر الجنة	٤٣٠
فضل ثياب أهل الجنة على ثياب الدنيا	٤٣١
فرش أهل الجنة والبسط والزرابى والنمارق	٤٣٣
خيام أهل الجنة وسررهم وأرائكهم	٤٣٦
الرفرف والعبقرى	٤٣٩
الباب الرابع عشر	
دواب الجنة وطيورها وسوقها ومراكبها وكلام أهلها وأمانيهم وزيارة بعضهم بعضا	٤٤٠
الفصل الأول : دواب الجنة وطيورها وسوقها ومراكب أهلها	٤٤١
طيور الجنة ودوابها	٤٤١
سوق الجنة وما أعده الله فيها	٤٤٣
مراكب أهل الجنة وخيولهم	٤٤٦
السحاب والمطر الذى يصيب أهل الجنة	٤٤٧
الفصل الثانى : كلام أهل الجنة وأمانيهم وزيارة بعضهم بعضا	٤٤٩
كلام أصحاب الجنة لأصحاب النار	٤٤٩
كلام أصحاب النار لأصحاب الجنة	٤٥٠

الصفحة	الموضـــــوع
٤٥١	التسبيح والتكبير من نعيم أهل الجنة ....
٤٥١	ضحك أهل الجنة من أهل النار ....
٤٥٢	من أماني أهل الجنة ....
٤٥٤	اجتماع أهل الجنة وأحاديثهم وزيارة بعضهم بعضا ....
٤٥٧	أصحاب الجنة في شغل فاكهون ....
	الباب الخامس عشر
٤٦٣	**الفوز العظيم ورؤية رب العالمين**
٤٦٤	الفصل الأول : الشفاعة ونداء الخلود وأذان الجنة ....
٤٦٤	الشفاعة ....
٤٦٩	الشفاعة لمن يأذن الله ويرضى ....
٤٧١	إخراج المؤمنين من النار وإدخالهم الجنة بالشفاعة ....
٤٧٤	آخر من يدخل الجنة ....
٤٧٥	الجنة خالدة وأهلها خالدون ....
٤٧٨	الأذان في الجنة وما يقول المؤذن فيها ....
٤٨١	الفصل الثاني : ميراث أهل الجنة وأبديتها وآخر دعواهم ....
٤٨١	أهل الجنة يرثون نصيب أهل النار في الجنة ....
٤٨٣	بطلان قول من قال بفناء الجنة ....
٤٨٥	آخر دعواهم ....
٤٨٦	الفصل الثالث : رؤية الله تعالى ....
٤٨٦	رؤية الله تعالى ودلائلها ....
٤٨٧	دليل رؤية الله تعالى من الكتاب الكريم ....
٤٩١	دلائل رؤية الله تعالى من الحديث الشريف ....
٤٩٥	رؤية أهل الجنة لله تعالى أحب إليهم وأقر لأعينهم ....
٤٩٦	معنى كشف الحجاب ....
٤٩٧	هل قوله تعالى (لن تراني) يمنع الرؤية ؟ ....
٤٩٩	ثلاثة أقوال لأهل السنة ....
٤٩٩	الحسنى وزيادة ....
٥٠٣	في قوله تعالى : (ولدينا مزيد) ....

الموضـــــوع	الصفحة
دليل على أن المؤمنين لا يحجبون عن الله عز وجل	٥٠٦
الفرق بين الإدراك والرؤية	٥١١
زيارة أهل الجنة ربهم تبارك وتعالى	٥١٣
الله تعالى يقول : يا أهل الجنة سلونى	٥١٤
سلام الله تعالى على أهل الجنة ونظرهم إليه	٥١٦
الرضوان أفضل ما يعطاه أهل الجنة	٥١٨
الفوز العظيم رؤية جمال وجه الله تعالى	٥١٩
الباب السادس عشر	
الجنة العاجلة	٥٢١
الفصل الأول : الموتة الإرادية والرجوع إلى الله تعالى في الحياة الدنيا	٥٢٢
الموتة الإرادية	٥٢٢
الحياة الكونية بعد الموتة الإرادية	٥٢٣
القلوب عرش تجليات الغيوب	٥٢٦
الفصل الثانى : بيان الجنة العاجلة........................	٥٣٠
الجنة العاجلة هى جنة الرضا والشهود	٥٣٠
ألق أذن روحك	٥٣١
الرجوع إلى الله تعالى في الحياة الدنيا	٥٣٣
حياة الإيمان هي الحياة الروحانية	٥٣٦
داعى الجنة العاجلة	٥٣٩
جنة الرضوان الأكبر في الدنيا	٥٤٠
الرضا يختلف عند أهل المقامات	٥٤٢
أهل الرضا قسمان	٥٤٢
الغضب لله عين الرضا عنه سبحانه	٥٤٣
فضائل الرضا	٥٤٥
جنة اليقين	٥٤٧
العارف بالله مقبل على الله بعين اليقين	٥٥٠
المتقون في مقام أمين	٥٥٢
الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا	٥٥٤

الموضـــــوع	الصفحة
بيان في الاستقامة	٥٥٦
شراب أهل الجنة العاجلة	٥٦٢
حان الشراب لأهل الجنة العاجلة	٥٦٣
شراب الصفا	٥٦٤
تفاوت الشراب على قدر الشاربين	٥٦٦
شراب الأرواح يجذب الأشباح	٥٦٧
خمر بلا أقداح في جنة الأرواح	٥٦٨
راح القدس في جنة الأرواح	٥٧٠
مدامة القدس في أعلى الجنات	٥٧١
الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا	٥٧٢
(عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرا)	٥٧٤
الشراب الطهور يملأ القلب بالنور	٥٧٦
إذا كشف الحجاب عن القلوب رأت أنوار الغيوب	٥٧٧
جنة جمال الوسعة الإلهية	٥٨٠
سبيل الدخول إلى جنة الوسعة الإلهية	٥٨١
الفصل الثالث : شهود الحق سبحانه	٥٨٥
قبل شهود الجمال الإلهى فالإنسان ميت	٥٨٥
حياة العندية تنكشف لعيون الأرواح	٥٨٦
الحنين إلى رؤية الوجه العلى	٥٨٩
(لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار)	٥٩١
جنة معرفة الله تعالى	٥٩٤
عين اليقين وحق اليقين	٥٩٥
الرؤية شئ والإدراك شئ آخر	٥٩٦
هل رأى سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ربه ليلة الإسراء ؟	٥٩٩
القلوب التى يحبها الله تعالى منحها عيونا تشهد جماله	٦٠٢
جنة الشهود	٦٠٥
الأنس الحقيقى لا يكون إلا بالله سبحانه	٦٠٦